

الإمام
الشيخ محمد الحليم محمد



دلائل النبوة

ومعجزة الرسول
صلى الله عليه وسلم



الإمام
الدكتور عبد الحليم محمود

دلائل النبوة

ومجملات الرسول صلى الله عليه وسلم



دار المعارف

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على
أشرف الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آله
وصحبه ، والداعين بدعوته إلى يوم الدين .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا
منيرًا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَدَعِ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ رَكْنِي بِاللَّهِ وَكِيلًا (٤٨)﴾^(١)

[صدق الله العظيم]

مقدمة المؤلف

إن مسألة إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، ليست مشكلة دينية ؛ لأن وجود الله سبحانه
مركوز في الفطر الإنسانية . إنه سبحانه ، سمى نفسه الظاهر . إنه ظاهر أينما وجه الإنسان
بصره في الآفاق . وهو ظاهر إذا وجه الإنسان بصره في نفسه ، ففي كل شيء له آية :
﴿سُرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ . « فصلت ٥٣ »
﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ . « الزاريات ٥١ »

ولابن عطاء الله السكندري في ذلك جمل رائعة ، ولأبي الحسن الشاذلي ، وأبي العباس
المرسى في ذلك أيضاً ، آراء في غاية النفاسة ، يعبر عن زاوية منها قول ابن عطاء الله
السكندري :

« إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ؟
أ يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك ، فيكون هو المظهر لك ؟
متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟
ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك ؟ » أ هـ
والواقع أن محاولة الاستدلال على وجود الله إنما هي : انحراف في الفطرة ، وشذوذ في
الطباع .

أما المسألة الأساسية للدين :

فهى البرهنة على صدق النبي ﷺ :

ومن أجل ذلك ، كتب أسلافنا رضوان الله عليهم ، في هذا الموضوع كثيراً من الكتب
تحت عنوان : « دلائل النبوة » . أو « أعلام النبوة » ، أو « الشمائل » .
والواقع أن كل كتاب صحيح في رسول الله ﷺ ، إنما هو كتاب في دلائل النبوة ، لأنه
يصور حياة فاضلة لشخصية كاملة : لا يمكن أن تتطرق إليها رذيلة الكذب بأي حال .
وإن من أجمل الكتب في دلائل النبوة : كتب الصحاح ، أمثال صحيح البخاري ،
وصحيح مسلم ، إن فيها من السيرة الطاهرة ، ومن المعجزات الحسية ومن أحاديث الأخلاق

الكريمة ، ما يدل - فى وضوح لا شائبة للشك فيه - على صدق سيدنا محمد ﷺ فإذا قرأت
أى كتاب من كتب الإمام البخارى فى صحيحه ، فستجد ما يرضيك من ناحية الاطمئنان
إلى صدق نبوة محمد ﷺ .

ولقد نسم الإمام البخارى رضى الله عنه ، صحيحه ، إلى كتب يتعلق واحد منها :
بالعلم ، وثان : بالإيمان ، وثالث : بالصلاة ورابع : بالزكاة ..

تعددت الكتب بحسب الموضوعات التى دار عليها حديث رسول الله ﷺ وهى أحاديث
تحدد صلة الإنسان بربه ، وصلته بأخيه المسلم ، إنها تتعلق بالعبادات ، والمعاملات ،
وبالمجتمع على وجه العموم ، فى صورته التى رسمها الله سبحانه ، على لسان رسوله ﷺ
﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم ٣ ، ٤) .

فإذا ما تدبر الإنسان أى كتاب من هذه الكتب ، وكان صافى البصيرة لا يغشى قلبه
شيء من الران ، ولا يتمذهب بمتذهب يطمس فطرته ، ولا يقول كما قال بعض من سلف :
﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مُقْتَدِرُونَ﴾ . (الزخرف ٢٣)

فإنه - لا شك - سيؤمن بأن محمداً ﷺ من لدن الحق سبحانه .



ونحن لا نعالج الكتابة عن الرسول ﷺ ، لأول مرة ، كلا . فقد سبق أن اشركنا فى
ترجمة كتاب « محمد رسول الله ﷺ » ، واضطررنا فى أثناء الترجمة إلى الرجوع باستمرار
إلى السيرة ، فى مختلف كتبها ، لنقل النصوص ، عن أصولها . ثم ألفنا كتاب : « الرسول
ﷺ : لمحات من حياته ، وأضواء من هديه » . وهو : لمحات موجزة ، وأقباس يسيرة من
سيرته المشرقة ، صلوات الله وسلامه عليه وألّفنا فى الإسراء والمعراج .

وكانت قراءتنا فى السنين الأخيرة : تتجه نى كثير منها إلى سيرة رسول الله ﷺ .
وهذا الكتاب - الذى بين يديك - أشبه بثمرة لفترات طويلة ، قضيتها سعيداً بين كتب
الأحاديث وكتب السيرة ، ولما كان الموضوع من السعة بحيث لا يستقل به مثلى ، فإنى أعلن
هنا أنى أشركت معى آخرين فى هذا المؤلف . لقد أشركت معى الإمام البخارى ، والإمام
مسلم ، والإمام البيهقى . وأشركت معى ما كان بين يدي من كتب السيرة ، وكتب
الشمائل ، أو الدلائل وذلك أنى قد اغترفت من أسلانا رضوان الله عليهم ، وأخذت فى
التنسيق والاستنتاج ، أو بيان العظمة والعبرة ، وفى كثير من الأحيان ، تركت هؤلاء الأعلام
يعبرون بأقلامهم عما رأيت أنه الحق ، وأنه يعبر فى وضوح لا لبس فيه ، أو فى إشارة لا تخفى

على لبيب ، عن زاوية من زوايا دلائل النبوة .

ولقد كان لبعض من لم يوفقهم الله إلى الإسلام من القدماء ، لمحات دقيقة في سيرته ﷺ ، كان من الممكن أن تؤدي بهم إلى الإيمان .. هذه اللمحات ذكرت بعضاً منها ، ولقد كتب بعض الغربيين عن الرسول ﷺ ، آراء قامت على أساس من الأنصاف ، واستندت إلى أصول من الوثائق الصحيحة .. وقد ذكرت بعض ذلك أيضاً ، ولقد طوفت معي هذا الكتاب ، وطوفت مراجعته معي في بلاد كثيرة ، كنت فيها أتأمل فيه وأفكر في موضوعاته ، ولقد تعدت أن أقلب في مراجعته وفي صفحاته وأخطت بعض سطره بجوار الكلمة الشريفة : رجاء أن ينال بعض أنوارها وتعدت أن أحمله إلى الروضة الشريفة ، بجوار حضرة المصطفى ﷺ ، رجاء أن يفتح الله ببعض فتوحاته |

وإني أحمد الله على ما من به من توفيق .

وأحمد على منحه التي توالى أثناء تأليف هذا الكتاب ، وأحب أن أنه إلى أن بعض فصول هذا الكتاب ، يعتبر كتاباً مستقلاً في دلائل النبوة ، وذلك أني تركت بعض الأبحاث يأخذ مجراه في الاستفاضة ، دون الحد منها .

ولم أشأ أن أقف مع القارئ في ختام كل فصل ، فأني على دلائل النبوة في هذا الفصل ، وكل ما أرجوه من القارئ أن يقف وقفة التلخيص عند نهاية الفصل ، ليرى بنفسه دلائل النبوة من خلاله ، وأرجو الله في ختام هذه المقدمة : أن يكون قد كتب لي التوفيق في هذا الكتاب ، وأن يشرح له صدوراً ، وأن يهدي به قلوباً ، وأن يجعل نفعه عاماً ، إنه سميع قريب مجيب .

الدكتور عبد الحليم محمود

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والمسلائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الأول

صورة رسول الله ﷺ

يتحدث القرآن الكريم عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، في كثير من سورة .
يقول سبحانه :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا • وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(١) .
ويقول سبحانه :

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(٢) .
ويقول سبحانه :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٣) .
لقد كان رسول الله ﷺ ، متصلاً بربه صلة عبودية وحب ، وكان الله - سبحانه وتعالى -
متصلاً بالرسول صلة عناية ورعاية وتوفيق .
ومن أجل هذه الصلة ، أرشدنا الله - سبحانه وتعالى - إلى اتخاذ الرسول أسوة ، فقال
سبحانه :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ
كَثِيرًا﴾^(٤) .

بل أمرنا سبحانه أن نأخذ منه ما آتانا ، وأن ننتهي عما نهانا عنه ، ومددنا إذا لم نلتزم
ذلك ، فقال سبحانه :

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ﴾^(٥) .

أما السر في ذلك فهو :

-
- (١) الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .
 - (٢) النساء آية : ٨٠ .
 - (٣) آل عمران آية : ٣١ .
 - (٤) الأحزاب آية : ٢١ .
 - (٥) الحشر آية : ٧ .

١ - أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه : لا ينطق عن الهوى ، ولا ينحرف عن صراط الله المستقيم ، ولقد أقسم الله تعالى على ذلك فقال سبحانه :

﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(١) .

٢ - كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في جميع أحواله - حركة وسكوناً ، إشارة ٤ ، ونطقاً ، قلباً وقالباً - يمثل القرآن الكريم :

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، تطبيقاً للقرآن : لقد لبس القرآن ظاهراً وباطناً ، لقد كان قرآناً :

ولقد وصفته السيدة عائشة - رضى الله عنها - وصفاً دقيقاً حينما سئلت عن خلقه ، فقالت : « كان خلقه القرآن » .

ومن كان خلقه القرآن ، كان أسوة ، وكان قدوة ، وكان على خلق عظيم .

ومن هنا وصف الله سبحانه وتعالى له ، بقوله :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) .

- ٣ -

والحق أننا حينما نريد أن نكون صورة واضحة ، عن رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فإن الطريق الوحيد لذلك : إنما هو الإحاطة بالقرآن ، إحاطة واضحة .

والإحاطة بالقرآن على هذا النسق ، ليست من السهولة بمكان :

فالقرآن في كل يوم يفتح عن معان جديدة للإنسانية ، ويفتح عن معان جديدة للشخص المتأمل فيه المتدبر له ، وهذه المعاني الجديدة - إنسانية عامة ، أو فردية شخصية - إنما هي إيضاح وتفسير للصورة النبوية الكريمة .

والمقابل أيضاً صحيح ، فإن المتدبر المتأمل في الصورة النبوية الكريمة - عن طريق السيرة الصحيحة ، والأحاديث المعتمدة - يفهم عن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه كل يوم جديداً ، وهذا الفهم ، إنما هو تفسير وإيضاح لجوانب من القرآن الكريم .

(١) النجم آية : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٢) القلم آية : ٤ .

لقد امتزج الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالقرآن كما تدمج روحاً وقلباً وجسماً ،
وامتزج القرآن به عقيدةً وأخلاقاً وتشريعاً .

فكان صلوات الله وسلامه عليه : قرآنًا يسير في الناس ، وكان القرآن روحًا ينتقل ، وكان
قلبًا يسمع ، وكان لسانًا يطلق بالهداية والإرشاد .

ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، حريصاً كل الحرص ، على أن يكون حق الأمة
الإسلامية .. لقرآن ..

لقد عمل لذلك طيبة بعثته

وبعدنا القرون لكريم عن موقف الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه من الأمة ، فيقول
صباحه :

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف
رحيم»^(١) .

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله

ويتحدث صلوات الله وسلامه عليه ، عن حرصه الشديد على هدية أمته فيقول (مثلي
ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً ، فجعل لحادباً ولعراش يقص فيها ، وهو يدبها عنها ،
وأنا أحد بمحرمكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي)^(٢)

هذه هي حصة الرسول ﷺ بربه . وهذه هي صلته ببعته

لقد ارتفع صلوات الله وسلامه عليه إلى السماء ، بل وتجاوزها إلى سدة انتهى ، ورى
من آيات ربه الكبرى .

ولقد تجاوز سدة انتهى ، إلى مقام «قَاب قَوْسِينَ» ثم إلى مقام «أُدَى»
«النجم ٩» .

لقد ارتفع إلى الألق الأعلى ، وتجاوز بذلك اسهاية الكونية ، لقد كان فعلاً ، أدنى من
قَاب قَوْسِينَ ، فاعلم في الألق الأعلى ، وتبقى عن الله مباشرة كييفية الصلة به ، وهي
الصلاة ، ثم . ثم أشرق في الأرض مراحاً ميراً ، رؤوفاً رحيماً هادياً يدعو إلى الله
على بصيرة هو ومن اتبعه
يقول أحد الصالحين

(١) التزييد ١٢٨

(٢) روله أحمد

« صعد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، إلى السماء ثم عاد إلى الأرض أقسم بالله ، لو صعدت إلى السماء ما حاوت العودة إلى الأرض مرة أخرى »
 بيد أن الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، سى ورسول ، فهو متصل بالله دائماً إنه فى السماء على الدوام

إنه ه سى « وهو متصل بالبشر ، يؤدى رسالة السماء كاملة غير منقوصة
 إنه « رسول » ثم إنه على حد تعبير القرآن ، ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ ، فهو يبشرته مع الناس ، وهو يسره مع الله . إنه مع الناس بإرادة الله وتوجيهه وأمره . إنه مع الناس بكلمة الله ورسالته . إنه مع الناس رسول من قبل الله .
 وبهذه المعاني كلها يمكننا أن نقول إنه دائماً مع الله ويمكننا أن نقول إنه - منذ اللحظة الأولى للبعثه كان دائماً مع الله سبحانه وتعالى ، حتى إنه يبيت عند ربه ، يقول ﷻ .
 « لست كهيتكم إننى أبيت عند ربي » .

— ٤ —

بشر رسول

يقول تعالى :
 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١)
 إنه صلوات الله وسلامه عليه « بشر » وما يحول فى حلد مسم قط أن يحرجه عن البشرية ولكنه صلوات الله وسلامه عليه
 بشر يوحى إليه
 وما يبنى قط أن يوحى الله إلى بشر ، إلا يد أصح وكأنه قطعة من النور صفاء نفس ، وطهاره قلب ، وتزكية روح .
 فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كنهم

— ٥ —

وبعض الناس حينما يقرأ القرآن ، فصر عليه الآية الكريمة

(١) الإسراء ٩٤

(٢) الكهف ١١

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١)

يقف عند كلمته ' « بشر » فيحاول التركيز عليها ، وتوجيه الانتباه كله إليها ، وتحويل الأنظار كلها نحوها ، فيحدث عن صفات البشرية العادية ويبررها ، ويدفع في هذا الاتجاه المنحرف ، اندفاعاً لا يتناسب قط مع قوله تعالى ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ بل إنه - هي اندفاعته الهوجاء - ينسى « يوحى لي » ويهملها إهمالاً

إنه ليس بادر في العصر الحاضر ، أن يجزو بعض الناس ، فيحدث عن الرسول ﷺ ، وعن خطته - معاد الله - في الرأي ، وعن إصابته فيه ، ويسير هذا البعض - في حديثه - أو كتابه - مستعجلاً ومستبطاً وحاكماً ويسى في كل ذلك :

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢)

ويسى في كل ذلك

﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ .. وينسى « لست كهيئتكم » .. ويسى :

﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ يُبَيِّنُكُمْ كَذِبًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾^(٣)

ويسى أن بعض مسائل يمكن أن تكون لها حلول مختلفة ، كلها صحيحة بعضها رفيق رحيم ، وبعضها عاقل حاسم ، وأن الله سبحانه وتعالى ، قد بين للأمة الإسلامية أن رسوله ﷺ - وهو على صواب دائماً - إنما يتخذ الحل الذي يتناسب مع ما حلاه الله به من الرأفة ، وما قصره عنه سبحانه من الرحمة ، وهو الحل الذي يتناسب مع طابع الرسالة الإسلامية العام :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)

والله سبحانه بيانه ذلك في هذه المواضع ، التي كان من الممكن أن يقف فيها الرسول ﷺ ، مع الحسم الشديد ، فعدل عن ذلك إلى الرأفة الرحمة إن الله سبحانه وتعالى بيانه ذلك إنما يمدح الرسول ﷺ ؛ ويبين أن مزرع الرحمة ، إنما هو لعالم عبه ؛ فإنه ﷺ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥) .

(١) الكهف ١١١

(٢) النجم ٣٠

(٣) التور ٦٣

(٤) الأنبياء آية ١٠٧

(٥) التوبة ١٢٨

وم يلع الله سبحانه انحها عما سار فيه الرسول ، وم يقص قصبة كلية أقرها ، ﷺ ،
وم يعف مبدأ أثبتة رسونه ، مما كان صغوات الله رسلايه عديه ، يسير إلا على هدى من ربه ،
وعنى بصيرة من أمره ، وقد شهد الله له بذلك حيث قال :

﴿وَالَّذِي لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (١) .

وما فعل الله في كل ما تفعلك به لمخرفون ، وتمحك فيه المتمحكون إلا بيان رحمة
الرسول ، ﷺ ، وأنه كما وصفه سبحانه - ' على خلق عظيم

والبون شاسع بين هذه التوجيهات الربانية ، وبين التحدث عن خصاً وصواب ،
وأوصاع بشرية يركز عليها ولا يلتفت لمساها - ولنضرب لذلك مثلاً :

إن الذين ديدنهم الجدل يتحدثون كثيراً ، عن قوته تعالى :

﴿عَمَّا اللَّهُ عَمَّكَ لِمَ أَذِيتَ هُمْ؟﴾ (٢) ويقدمون بصلاهم مباشرة : فيقولون

إن العمولا يكون إلا عن عطف

وهؤلاء يقول :

إن لأساليب العربية فيها من أمثال هذا الكثير ، ومنها قولهم مثلاً : عزم الله لك ، لماذا
تشق على نفسك كل هذه المشقة ؟

عما الله عمتك لِمَ تُعْنِي نفسك في سبيل هؤلاء ؟ وكأن القائل يقول

رضى الله عنك ، لِمَ ترهق نفسك كل هذا الإرهاق ؟

إن الآية القرآنية من هذا الوادي

وضم هذه الآية الكريمة إلى أختها التي في سورة النور .

﴿بِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِعَصْرِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ (٣)

تجد المعنى واضحة جلياً ، وهو أن الله سبحانه ، فوص الأمر لبيده ، ﷺ ، في أن يأذن
لهم أو لا يأذن

بمس السبي إذذن معاتباً بهذه الآية - وحاشاه بل كان ﷺ محبراً ، فما أدب هم أعسمه

(١) الشورى آية . ٥٢ ، ٥٣

(٢) التوبة . ٤٣

(٣) النور آية ٦٢

الله أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا ، ولتحدوا بسبب معاقهم . وأنه مع ذلك لا حرج عليه
 من الإذن لهم . إنها آية مدح للرسول غاية في الرقة .
 ومن غير شك قد صدر الإذن لهم عن قلب رحيم .
 وعن هذا القلب الرحيم ، وعن هذه الرحمة الفيضة ، كان الرسول ﷺ ، يصدر في
 أحكامه ، وما كان في ذلك إلا متناسقاً مع قوله تعالى :
 ﴿ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .
 وهكذا الأمر في كل ما يمارى فيه الممارون

- ٦ -

ومع ذلك ، فإننا نريد أن نريد الأمر وصوحاً في الفرق بين من يركز على « بشر » ومن
 يركز على « يُوحى إن » لأهميته الكبرى ، فنقص القصة التالية ، دلت انغرى العميق
 ونقصه يرويه ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ، في شرحه قصيدة روى الله
 (أبو مدين) رضى الله عنه ، يقول
 رر بعض السلاطين ، ضريح أبى يريد رضى الله عنه - وقد .
 هل هو أحد من اجتمع بأبى يزيد ؟
 فأشير إلى شيخ كبير في السن ، كان حاضراً هناك
 فقال له : هل سمعت شيئاً من كلام أبى يزيد ؟
 فقال نعم ، سمعته قال (من رأى لا تحرقه النار)
 واستغرب السلطان ذلك الكلام ، فقال
 كيف يقول أبو يزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبي ﷺ وتحرقه النار ؟
 هذا ذلك الشيخ للسلطان أبو جهل لم ير النبي ﷺ ، إنما رأى (يتم أبى طالب) ،
 ولو رآه - ﷺ - لم تحرقه النار
 ففهم السلطان كلامه ، وأعجبه هذا الجواب منه ، أى أنه لم يرد بالتمظيم والإكرام
 والأسوة ، واعتقاد أنه رسول الله ﷺ ولو رآه بهد معنى ، لم تحرقه النار ، لكنه رآه
 باستحقاق ، واعتقاد أنه (يتم أبى طالب) فلم تنصحه تلك للرؤية

(١) الأنبياء آية ١٠٧

ولست هـ بصدد الحديث عن نبي يريد رضى الله عنه ، وإنما يريد أن نتحدث عن كلمة
الشيخ للسلطان ، من أن أبا جهل لم ير النبي ﷺ ، وإنما رأى (يتيم أبى طالب)

هذه النظرة ، نظرة أبى جهل ، هى التى تريد أن يسره المؤمنون عنها
والمؤمنون بحمد الله لا يقعون فى الإثم منعدين ، وإنما يسئل هـ الإثم إلى بعض
النفس فى صورة لا شعورية ، عندما يركز بعضهم على بشرية الرسول ﷺ ، وكأنه لا شيء
فيه غير البشرية .

ومن الغريب أنهم حينما يتحدثون عن البشرية ، ويركزون عليها يعتبرون أنفسهم
تقدميين متطورين ، وفاتهم أن هذه النظرة إنما هى النظرة التى يتبناها المستشرقون والمبشرون
فى العصر الحاضر ، ليقنطوا من شأن الرسول فى مصر مواطنهم
وما كان المستشرقون فى تركيزهم على بشرية الرسول إلا متابعين فى ذلك رعيهم
الأكبر - فى هذه النزعة - وهو أبر جهل

وكل من يركز على بشرية الرسول من الكتاب المسلمين ، إنما هو بذلك يتابع المستشرقين
والمبشرين فى هذه النزعة ، أو يتابع أبا جهل

وهم فى كل ذلك - ليسوا تقدميين ولا متطورين ، وإنما هم من الرحعيين ، حيث ترجع
مكرتهم إلى ما قبل ثلاثة عشر قرناً مضت ، يترعمهم فيها أبو العجل كنه ، رأبو الظلمة
القلبية كلها !! أبو جهل

ليس هناك إذن اجتهاد وحيد ومبواب ، وإنما هناك تصرفات تصدر عن الكرم والرحمة
ويتحدث الله مبيناً طسعة رسوله الكريمة ، وفطره الرحيمة ، ورأفته الواضحة ، ويبين فى
الوقت نفسه :

إن بعض هؤلاء الذين فاصت عليهم هذه الرحمة ، يسوا جذيرين بها ، وليسوا أهلاً لها ،
لصناد فطرهم وسوء نواياهم

ومن الحقائق المعروفة أن الإنسان يميل إلى التركيز على « بشر » أو على « يوحى إلى »
حسب قوة شعوره الدينى وضعفه ، فالذى لا إيمان له لا يرى إلا البشرية ، ومن ضعف
إيمانه يركز على انشورية ويحذف التركيز على البشرية كلما قوى الإيمان ، ويرداد التركيز
على (يوحى إلى) كلما ازداد الإيمان ، حتى يصل الإنسان إلى ألا يرى أو لا يكارى
-- إلا « يوحى إلى » .

صلوات الله وسلامه عليك يا سيدى يا رسول الله -

وهناك إذن طرفان يمثلان فريقين من الناس : طرف يتمثل « بشراً » أو « قل : إنما أنا بشر مثلكم » .

وطرف يتمثل : « يوحى إلى » أو (رُسُولا) وبين الطرفين يتأرجح إيمان لمسلمين « رولا » وارتفاعاً : انحصاراً وسمواً .

فإن مقياس الإيمان قوة وصعفاً - مقياس درجة الإيمان ، الذى لا يحظى إيم هو ما وفر فى النفس و غلب عليه من « البشرية » أو من « يوحى إلى » إنهما يمثلان ما يوضع لى كفتى ميزان .

دع ما ادعته النصارى فى بيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحكم

- ٧ -

ولعلك تتساءل الآن عن هذا الذى لا يرى أو لا يكاد يرى - إلا « يوحى إلى » ، ماذا يرى ؟ وكيف يرى ؟ .

ما هى النظرة التى تنأى بما عن « يتيم أبى طالب » لتقربا من « الأسوة » ؟ .

كيف يسعى أن تكون نظرة مؤمن لرسول الله ﷺ ؟ .

والواقع أن الصورة الكاملة عن رسول الله ﷺ ، يرم لها أن يصل الإنسان إلى مستواه ﷺ ، أو إلى ما يقرب من مستواه ، وذلك لا يتأتى

ببد أنه إذا استحال ذلك فإنه من ليسور أن نورد بعض الصور عنه ﷺ

مها صورته إحد ما جاهليه ، والأخرى إسلامية ، وكلتاها لسيدنا عمر ، رضى الله عنه

أما الصورة الأولى - فإنها « يتيم أبى طالب » كان سيدنا عمر ، يراه قبل أن يهديه الله للإسلام وأراد عمر أن يقتل « يتيم أبى طالب » حتى لا تنفك كلمة القرشيين بسببه ، ولكن دعاء رسول الله له .

« اللهم أعز الإسلام بأحد هذين الرجلين إليك بعمر بن هشام ، أو بعمر بن الخطاب » كانت قد استجبت لحير سيدنا عمر ، فهداه الله للإسلام ، ولأرم «رسول الله ﷺ» عليه . فأناله من بركاته ومن حيره ، ما هيأه لأن يكون الحليفة الثانى للأمة الإسلامية أجمع ، وأن يعر الله الإسلام به : فى حياة الرسول ﷺ ، وبعد وفاته .

إن سيدنا عمر هذا الذي لم يكن للشيطان عليه من سبيل ، والذي كان إذا سبّ طريقاً سبّ الشيطان طريقاً آخر : خشية منه ورهبة ، والذي نزل القرآن أحياناً مصداقاً لما رآه
 إن سيدنا عمر صاحب : « يا سارية الجبل » برسم لنا صورة إسلامية لسيدنا وحبيبنا
 وحبيبنا ونبينا ورسوله ﷺ

ولكن هذه الصورة هي صورة سيدنا عمر ، إنها تتناسب مع مستوى سيدنا عمر وهو
 من غير شك عظيم .

ماذا كان يمكن أن يقول سيدنا أبو بكر رضوان الله عليه ؟ وماذا كان يمكن أن يقول
 سيدنا علي رضي الله عنه ؟ وماذا كان يمكن أن يكون وصف سيدنا جبريل لو وصفه ؟ .

إن الله سبحانه وتعالى يقول عن نبيه ، ﷺ ﴿وَمَا يَكُنْ لَكَ عَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)

وما كانت كلمة السيدة عائشة رضوان الله عليها « كتاب حقه القرآن » إلا تفسيراً
 لما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة « أيمكنك أن تتصور المدي الذي يبلغه الآية الكريمة ،
 وتفسير السيدة عائشة لها ؟

أبتأني لك أن تحيط بالقرآن ؟ استعصر الله وأتوب إليه

وسعد إلى الصورة التي رسمها صاحب « يا سارية الجبل » ، لنعد إليها ، لنشتها شجرة
 بعض حوادثها ، موضحين بعض أنائها وسجل الإصحاح بين أقواس

بعد موت رسول الله ﷺ ، سُمع سيدنا عمر يكي ويقول :

« نبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد كان جدع تحصب الناس عنده ، بما كثر الناس
 اتحدت مبراً لتسمعهم ، فحسّ الجدع لفرافك حتى جعلت يدك عليه فسكر ، فأنتك
 كانت أولى بالخيرين إليك لما فارقتها » .

يروى البخاري ومسلم ، وكتب السنة كلها تقرئنا وكتب السيرة ، حادث حنين
 الجدع ، بعدة روايات ونقلها إحدى روايات البخاري .

« عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ ، يخطب إلى جدع ، فلما اتحد
 المنبر تحول إليه ، فحسّ الجدع ، فأثاه فمسح يده عليه »

(١) القلم آية ١

يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لقد بلغ من فصيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته ، فقال عز وجل :

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١)

يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ !! لقد بلغ من فصيلتك عنده : أن بعثك آخر الأنبياء ، وذكرك في أولهم ، فقال عز وجل :

﴿وَادَّأْخِذْنَا مِنْ سُبُحِ مِيثَاقِهِمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوْحٍ وَإِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) .

يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لقد بلغ من فصيلتك عنده أن أهل الدار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أضيافها يعدون .

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾^(٣) .

يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تنمجر منه الأنهار ، فماد ؟ أي فليس ذلك - بأعجب من أضيافك حين يبع الماء منها

صلى الله عليك يا سبدي يا رسول الله

إن سب الماء من بين أضيافه السريعة ، عليه السلام ، لم يحدث مرة واحدة ، وإنما حدث عدة مرات ، كما روى البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، وروته كتب السيرة بروايات عدة ، في ظروف مختلفة ، مما يدل على كثرة حدوثه .

وسنقل هنا إحدى روايات البخاري .

« عن حابر بن عبد الله رضي الله عنهما عطش الناس يوم الحديبية ، واسبى عليه السلام ، بين يديه ركوة ، فتوصأ فجهش الناس ، فأسرعوا وتكاثروا نحوه فهل ما لكم ؟ قالوا ليس عنده ماء فتوصأ ولا يشرب إلا ما بين يديه ، فوضع يده في الركوة ، فجعل الماء يثرثر بين أضيافه ، كأمثال العيون ، فشرينا وتوصأنا » قلت : كم كنتم ؟ .

قال (لو كنا مائة ألف لكفانا !! كنا خمس عشرة مائة)

يَا أَيُّ أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ !! لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله دريخاً عدوها شهر

(١) النساء ٥٨

(٢) الأحزاب ٧

(٣) الأحزاب ٦٦

ورواحتها شهر ، فعاداً بأعجب من البراق حين سُرِبَ عليه إلى السماء السابعة ، ثم صليت
الصبح من ليلتك بالأبطح !!

صلى الله عليك

(مستحدث في فصل خاص ، عن الإسراء والمعراج ، إن شاء الله تعالى)

يا بني أنت وأمي يا رسول الله !! لئن كان عيسى بن مريم قد أعطاه الله ، إحياء الموتى ،
فعاداً بأعجب من الشاة لمسمومة حين كسمتك وهي مشوية ، فقالت لك الدراع : لا تأكلني
فإني مسمومة .

يروى ابن سعد في طبقاته :

(أخبر سعيد بن محمد النعمي ، عن محمد بن عمر ، عن أبي سمية قال . كان رسول الله
ﷺ ، لا يأكل الصدقة ، ويأكل الهدية ، فأهدت إليه يهودية شاة مَصْلِيَّة^(١) ، فأكل رسول
الله ﷺ منها هو وأصحابه ، فقال لي مسمومة ، فقال لأصحابه ارفعوا أيديكم ، فإنها
قد أحبرت أنها مسمومة .

قال ارفعوا أيديهم ، قال . فمات بشر بن البراء ، فأرسل إليها الرسول ﷺ فقال .
ما حملك على ما صنعت ؟ ؟

فماتت أردت أن أعدم إن كنت بيّاً لم يصرك ، وإن كنت منكاً أرحمتك الله من ،
قال : فأمر بها فقتلت « اهـ

يا بني أنت وأمي يا رسول الله !! لقد دعا نوح على قومه فقال ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ
مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾^(٢) .

ولو دعوت عليها مثلها هلكت كما فلق وصي ظهره^(٣) ، وأذني وجهك ، وكسرت
رباعيتك ، فأبيت أن تقول إلا حيراً ، نقلت .
« انهم اعمر لقومي فإنهم لا يعلمون » .

(لقد دمي وجهه ﷺ وكسرت رباعيته في عزوة أحد روى ذلك البخاري ومسلم

(١) مصلية مشوية

(٢) طوح ٢٦

(٣) تروى كتب السير أن عتبة بن أبي سفيان ، رضي الله عنه ، سجد عند الكعبة ، حتى
كادت عنها تبرأ

أما حديث « اللهم اعمر لقومي ، فإنهم لا يعلمون » فقد رواه البيهقي في دلائل النبوة
 بأبي أنت وأمي يا رسول الله !! لقد اتبعك في قلة منك ، وقصر عمرك ما لم يتبع نوحاً
 في كثرة سبه ، وطول عمره ونقد آمن بك الكثير ، وما آمن معه إلا القليل
 بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لو لم تجالس إلا كفو بك ما جالسنا ، ولو لم تنكح
 إلا كفو بك ما نكحنا إنيما ولو لم تواكل إلا كفو بك ما آكلنا . قد والله ، جالسنا ،
 ونكحت إنيما ، وآكلنا ، وسست الصوف ، وركبت الخمر ، وأردت حلفك ، ووصعت
 طعنت على الأرض تواصت منك ﷺ
 هذه صورة |



ومن الطريف أن تذكر صورة أخرى استتاجية ، امتتجها رجل م يكن يعرف الرسول
 ﷺ ، ولكنه رجل واسع الأفق ، رحب الخيال ، دقيق التفكير .
 وقد اتحد الاحيط اللارم حتى لا يشوب الصورة أي مطعن ، هذا الرجل هو
 (هرقل)

أناه كتاب رسول الله ﷺ ، يدعو إلى الإسلام فلم يهمل الكتاب ، ولم يفرقه ، وإنما قرأه
 في عناية واسعة ، ثم أراد أن يكون صورته صحيحة عن صاحب الحصب ، فسأل عما يد
 كان بالمدينة بعض العرب الذين يعرفون الرسول ؟ فقل له إن بالمدينة تجاراً من مكة يعرفون
 محمداً ، ناعتاره من مطاسهم ، فامر بإحصارهم ، وكان منهم أبو سفيان ، وسأل هرقل عن
 أقربهم سباً إلى الرسول ، فكان أبو سفيان ، فقربه منه وأدناه ، وقال لهم بئى سائله عن
 أمور ، فإن كذبى فكذبوه :

يقول أبو سفيان هو الله لولا الحياء من أن يأترو على كذبى ، لكذبت عليه .

وستترك مقدمات والأشئلة الأولى ، لأني واضحة من النتائج التي انتهى إليها هرقل |
 إن هرقل بعه أن انتهى من الأسئلة بدأ عن طريق الرجمان ، يقول لأبي سفيان ،
 عى مشهد من تدلأ خاصر من أصحاب هرقل ؛ ومن أصحاب أبي سفيان

« سألتك عن سبه : فذكرت أنه فيكم ذو سب

وكذلك الرسل تبعث بى سب قومها

وسألتك « هل قل أحد منكم هذ القول ؟

فذكرت أن : لا .

فقلت : لو كان أحد قان هذا القول منه ، لفت رجل ينسى يقول قيل قبله

فذكرت أن : لا .

قلت : لو كان من آياته من منك ، قلت : رجل يظن ملك أبيه

وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

فذكرت أن : لا .

فقد أعرف أنه لم يكن ليدرك لكذب على الناس ويكذب على الله !

وسألتك : أشرف الناس اتبعوه أم صحابوهم ؟

فذكرت : أن صحابوهم اتبعوه .

وهم أتباع الرس .

وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟

فذكرت : أنهم يزدون

وكذلك أمر الإيمان حتى يتم

وسألتك : أيرتد أحد سحطة لديه بعد أن يدخل فيه ؟

فذكرت أن : لا .

وكذلك الإيمان حين تحالط بشائنه القلوب .

وسألتك : هل يغسر ؟

فذكرت أن : لا .

وكذلك الرسل لا تعدر

وسألتك : هم يأمركم ؟

فذكرت : أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبهاكم عن عبادة الأوثان .

وبأمركم بالصلاة ، والصدق ، والعفاف

فإن كان ما تقول حقاً ، فسيمك موضع قدمي هاتين .

وقد كنت أعلم أنه حارح م أكن أض أنه مكم هو أنى أعلم أنى أحصل إليه

تجشمت لقاءه . ولو كنت عنده لحسنت عن قدميه . »

هذه الصورة التي كَوَّنَهَا هرقل بسطقه ، يمكن أن يكونها أو يكون مثلثات لما كل إنسان اتسع أفقه ، ورُحِبَ تفكيره

وكل إنسان يصدق الله وحقه ، لابد أن ينتهي إلى ما انتهى إليه هرقل من قوله :
« لو كنت عنده لعسلت عن قدميه » .

إنما يعسل عن قدميه ، من أجل : « يوحى إلي »

إذ أن من اصطفاه الله لرسالته ، جدير بأن يكون أهلاً لذلك

يبد أن هذه النهاية التي انتهى إليها هرقل ، إنما هي الشعار الدائم ، الذي لا ينتهي بانتقال الرسول إلى الملأ الأعلى .

« رسول حي يسا الآن برسائته وهديه وتعاليمه ، والعسل عن قدميه الآن - أو بتعبير آخر - احترامه - إنما هو باتباع هديه ، والتزام رسالته ، وتقديره تقدير يتناسب مع اصطفاه الله له ، ﷺ »

ولقد ركز هرقل بوعاً ما ، على الصدق والإخلاص

والواقع أن صورة الصدق والإخلاص كان يراها كل من عرف الرسول ﷺ ، ولم تُغف عنه عصىة ، أو حسد ، أو هوى

على أن صورة الصدق والإخلاص ، كانت سمعة من السمات التي اتصف بها الرسول قبل بعثته ، وبعد بعثته صلوات الله وسلامه عليه فقد لارمته صيلة حياته ، ولقد كان محرد البحر يُدقيقه صيوت الله وسلامه عليه ، يأحده أعدى أعدائه ، على أنه واقع لا محالة

فهد أمة بن حلف عمر لدود بتلاحي مع سعد بن معاد رضي الله عنه ، يريد أن يسمعه من الطواف بالكعبة ، فيقول له سعد بن معاد في حدة لمناقشة

لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه فأنك ، ويضطرب قلب أمة بن حلف ، ويسأل في همة وصعف وتحادل : أهو قال ذلك حقاً ؟ .

فلما أكد له سعد بن معاد البحر سُفوط في يده ، وقال لئن كان قال ذلك ، لقد صدق وقتل أمة بن حلف يوم بدر

على أن هذه الصورة تمثل في وصوح بئر ، حينما أعس رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، إلى قريش بيوته ، فقال لهم

« أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم تصدقوني ؟ »

لقد كانت إجابتهم عن هذا السؤال تعبر عن الحقيقة التي لمسوها فيه لقد قالوا
« نعم أنت عندما غير مهم وما جرتنا عليك كلباً قط »

وصورة أخرى .

صورة لم يرتب ه ترتب مَرَوَى ولم يؤد إليها مصبق مُحَكَّم . صورة م تكرر نتيجة
عشرة طويلة . ولا رفة قريبة ، وإنما جاءت على ابدية . وأوحى بها ملاحظة السيمة
إنها الصورة التي كوَّنتها عنه صلوات الله وسلامه عليه ، أم معبد الحراعية . وهي صورة
لا تحصى بحانب المعوى مه ، وإنما تنص على الأحص . بالجانب الظاهر ، وأردما أن
شتمها ه ؛ لنبت بها هيئة وظاهرًا ، بعد أن أثبتنا زوايا من المعويات ، وحوانب من التقدير
وأجلال .

إن الصورة التي نبتنا الآن مجرد وصف
بها تعبير عن ملاحظة .

هاجر رسول الله صلوات الله وسلامه عليه . من مكة إلى ابدية ، يرافقه أبو بكر رضى
الله عنه ، وعامر بن فهيرة موى أبى بكر ، وديهم عبد الله بن أريقط
مروا بحيمة أم معبد الحراعية ، وكانت امرأة قوية الأخلاق ، عقيمة ، تقبل الرجال ،
فتحدث إليهم وتستصيعهم . وسأها الركب عن تمر أو لحم يشترونه ، فلم يصيبوا عندها
شيئاً من دنت ، فقد كانت سنة من السنين العجاف ؛ فقالت لهم :
والله ، لو كان عندها شيء ما أعوركم القيرى ، فطر رسول الله ﷺ إلى شاة هي ركن
الحيمة فقال :

ما هذه الشاة يا أم معبد ؟

قالت : هذه شاة حبها التعب عن العم .

فقال صلوات الله وسلامه عليه : هل بها من لبن ؟

فقالت : هي أجهد من ذلك .

قال : أتأدين أن أحلبها ؟ .

قالت : نعم بأى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً

فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح صرعها ، وذكر اسم الله وقال :

« اللهم يارك لها فى شاتها » .

فابتلأ صرع الشاة ، وخر منها ، فدها بآء ها كبير ، فحب به حتى ملأه ، فسقى أم
معيد فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رؤوا ، وشرب عليه السلام أحرمهم وقال
« ساقى النجوم أحرمهم » .

فشربوا جميعاً مرة بعد مرة

ثم حبب فيه ثانية عودا على بدء ، فعادوه عندها ، وانحنوا عنها ، فما لبثت أن جاء
روجه يسوق أعزاً عجافاً هركلي ، فلما رأى البس عجب واستعرب وقال

من أين لكم هذا ولا سخلوة في البيت ؟

قالت لا والله ، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت

قال والله إنني لأراه صاحب قریش الذي يُطلب صفيه لي يا أم معبد !

قالت رأيت رجلاً طاهر الوضاءة ، مثيلج (مشرق) الوجه ، حسن الخلق ، م تعبه
نحلة (صحامة البطل) ولم تزر به صعلة (لم يشد صدر الرأس) وسيم قسيم ، في عييه
دعج ، وفي أشعاره وصف (صويل شعر لأجفان) ، وفي صوته صحل (رحيم الصوت)
أحور أكحل ، رُحَّ أقرون^(١) شديد سواد شعر ، في عنقه سطح ، (ارتفاع وطول) وفي
لحيته كثافة إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه لبهاء ، وكان مطلقه حشرات نظم
يتحدرن نحو المطلق فصل لا برز ولا هدر (لا غي فيه ، ولا لثرة في كلامه) أجهر
الناس وأجملهم من بعيد ، وأجملهم وأحسنهم من قريب ربة (وسط ما بين الطول
ولقصير) لا تشوه (لا تبغضه) من طول ولا تقصحه عين (لا تحتقره) من قصر ؛ عصب
بين عصبين ، أنصر الثلاثة منظر ، وأحسنهم قدراً ؛ له رفقاء يحفون به - إذا قال استمعوا
بقوله ، وإذا أمر تبادروا إلى أمره ؛ محمود (يسرع أصحابه في صاعته) محشود (يحتشد الناس
حولَه) لا عائب ولا معبد (غير مخوف في الكلام) .

قال أبو معبد :

هذا والله ، صاحب قریش الذي ذكرت من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافقته يا أم معبد ،
لتلمست أن أصحابه ولأعلن إن وجدت لذلك سبيلاً

هذه هي الصورة التي حاولت أم معبد رسمها

وتكملة هذه الصورة - صورته أم معبد - تذكر أن كتب السيرة تذكر أنه .

(١) رج الحاجب - دق في طول فهو أرج ، والأقرد من التقى طرفاً حاجبه

« أصبح صوت يسكه علياً ، يسحب الصوت ولا يرون من هو صاحبه ، يقول
جرعو الله رب الناس خير جرأه
هما نزلها بالهدى واهتلت به
فيالقریش ما روى الله عنكم
لتبخری بی کعب مقام تانهم
سلوا احتکم عن شاتها وإناها
دعاهما بشاة حائل فتحلبت

ووصل الخبر إلى حسان ، فقال : يجابو الهاتف

فعددها رها لذيها خالب
لقد حاب قوم غاب عنهم بيهم
ترحل عن قوم فصت عنهم
هناهم به بعد الصلاة رهم
وهي يسوي ضلال قوم تسفروا
لقد ربت منه على أهل يرب
بي يرى ما لا يرى الناس حوله
وإن قال في يوم مقالة غائب
ينهي أب بكر مسعادة جده

وصورة أخرى .

أما سيدنا عمرو بن العاص ، فإنه يقول في صراحة وصدق عندما حضرته الوفاة ،
وعندما تذكر الماضي فحقته العبرات ، وتحدث مع ابنه عن أشياء عدة في صورة مؤثرة
« ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق
أن أملأ عيني إحلالاً له ، ولو شئت أن أصفه ما أطق ، لآبي لم أكن أملاً عيسى مه »
وإذا كانت هذه صورة عن رسول الله ﷺ في الماضي فإنه لا يحصى من الفائدة الهمة أن
تذكر صورة لشخص عربي مصنف مشهور هو صاحب كتاب (سواح وخواطر) وهو
الكوث هري دي كاسترو

قال الكوث :

« لسا محتاج في إثبات صدق أبي محمد إلى أكثر من إثبات أنه كان موقفاً في نفسه
بصدق رسالته ، وما لعرض من رسالته إلا إمامة عبادة إله واحد ، مقام عبادة الأوثان التي
كانت عليها قبيلته في ابتداء ظهوره .

لما كانت نفس دلب أسى ، معطوفة على التشيع بالدين ، تكيف هذا المذهب في وجدانه ، حتى صار عقيدة لم تصل إليها نفس قبله ، وهو ذلك الاعتقاد المتين الذي أحدث انقلاباً كلياً في النوع البشري !!

كان محمد - عليه الصلاة والسلام - لا يقرأ ولا يكتب ، بل كان كما وصف نفسه مراراً - بيباً أمياً . وهو وصف لم يعارضه فيه أحد من معاصريه . فلم يقرأ كتاباً ولم يسترشد في دينه بمُرشد متقدم عليه .

لقد تعلم أنه مرت به متاعب كثيرة ، وقاسى آلاماً عسيه كبرى ؛ لأن الله خلقه ذا نفس تمحصت لدين

من أجل ذلك ، احتاج لمعرفة عن الناس ، لكي يهرب من الأوثان ومن مذهب تعدد الآلهة . وكان هذان المذهبان أشبه بيرة تحرة في جسمه (صبوت الله وسلامه عليه) ، ولكي يتفرد بما أنزل عليه من توحيد الله اعتكف في عار حراء .

لعقل بخار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات (القرآن) عن رجل أمي ، وهي آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثله . لفظاً ومعنى ؛ آيات لمَّا سمعها عتبة بن ربيعة حر في جملها . وعاصت عين نجاشي الحبشة بالدموع ، لمَّا تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة (مريم) وما جاء في (يحيى) .

فلما كان اليوم الثاني ، أشار عليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ، ففعل ، واستغرب سمك ما سمع أن المسيح عبد الله ورسوله وروح منه ، ثم تناول قصيباً دقيقاً كان أمامه وقال لجعفر

إن الفرق بين ما سمعنا به منك الآن ، وبين ما تقومه ديانتنا عنه ، لا يريد عن سمك هذا القصيب .

وقول قد جرى ذلك القصيب ، سمع الحبشة من الإسلام ، وجعلها مسيحية إلى الآن .

من الصعب أن يص الإنسان الفصاحة الإنسانية تؤثر ذلك التأثير ، كيف ، وهي فصاحة تصدر بعير صعب أسداً ! وتتجدد ربيعة معجزة أبداً . يقصر دون تمثيلها رجاء الأرض وملائكة السماء فهي أبداً أبداً ... فصاحه إلهيه .

أنى محمد بالقرآن دليلاً على صدق رسالته ، وهذا القرآن لا يزال - إلى يومنا هذا - سرّاً من الأسرار التي لا يعدر أحد على فك طلاسمها ، ولن يسبر سرها المكثون ، إلا من صدق بأنه مرسل من عند الله . سوء توصف إلى معرفة الوحي وحقيقته ، أم لا

لا يكر أحد أن مظهر محمد كان مظهر نبوة بالفعل لأن النبوة من حيث هي عاره عن قيام رجل من الناس بأمر ربه ، وأن يعتقد أن ما يقوله من عند ربه حق فمحمد ﷺ « يعتقد أن روحاً من الله استولت على له ، فلم يعتقد أن له فكراً خاصاً ، بل إنه أوتي من عند ربه ، واحتفت في نظره ذاتيته .

ومن الصعب أن تقف على معرفة سماعه للصوت الإلهي هل كان في الجسم ، أم في عينه عن عام التصورات ؟ .

والصدق حاصل على كل حال .

كانت الانفعالات تظهر على وجهه بادية ، فظن بعض الوثنيين أن به جنة ، وهو ظن باطل ؛ لأنه بدأ رسالته بعد الأربعين ، ولم يشاهد عينه قبل ذلك أي احتلال في الجسم ، ولا أدنى ضعف في القوة المادية .

وليس في الناس من عرف الناس جميع أحواله .. في حياته كلها - مثل النبي محمد ﷺ « لقد وصل المخدئون منه إلى أنهم كانوا يحدون الشعر الأبيض في لحيته ، ولو أنه كان مريضاً لما حصى مرضه (ولا أمكن أن تكون له تلك الآثار الباهرة) فليست حالة محمد في انفعالاته وتأثيراته - حالة دى جنة

إذن ليس محمد من المتدعين ولا من المتحليين للكتاب .

نعم . نرى تشابهاً بين القرآن والتوراة في بعض مواضع ، إلا أن شبهه ميسور المعرفة ، إذ لا عجب إذا تشبهت تلك الكتب في بعض المواضع ، وبخاصة إذا لاحظنا أن القرآن جاء متممًا ، كما جاء النبي حاتمًا ، ولا سيما أن نفس محمد كانت متأثرة بما تأثرت به موسى الأُمِّيَّاء من بني إسرائيل وكان يعبد الله الذي يعبدونه ، فلا عجب إذا تشابهت أفعال التصرفات ، ومجانست أصوات الدعاة ..

« كان محمد يعيل إلى الزخارف ، ولم يكن مستكبراً ولا متعجباً ، بل كان يستدر الناس من عاجه بنفسه ، ويجلس على التراب

وكان قنوعاً ... حرج من هذه الدار ولم يشيع من حبر الشعر مرة في عمره ، ولم تكن له حاشية ، ولم يتحد وزيراً ولا حشماً قد احتقر المل وهو نال من السطوة منتهاه ولم يكن له من علامة الملك سوى قصيب

أتى محمد ﷺ - فهذه الوثنية بعزم واحد طوى الحياة ، ولم يتردد خطوة واحدة بينها

وبعد عياده الواحد الأحد ، وديمانه كان حقاً ثباتاً على الدوام لم تنصر حميته فقد انتهى كما بدأ لم يرعب صوال حياته في المال ، بل كان كنما جمع إليه شيء منه أنفقه في الصدقات

ولقد أعطى عائشة روحته مالا يسيراً لتحفظه ، فلما حصره المرض ، أمر بإنفاقه على المعوزين بساعده فلما ورع عليهم قال الآن مستراح قلبي ؛ لأني كنت أحشى أن ألقى ربي وأنا أملك هذا المال ولقد خطب في أمته قائلاً .

أيها الذين يسمعون قولي . إن كنت صرمت 'حذكم على ظهره فدونه ظهري ، وإن كنت أسأت سمعة أحد يستقم من سمعتي ، وإن كنت سببت أحداً ماله فدونه مالي ، وهو في حل من غيضي ، فإن العِلَّ بعيد عن قلبي « اهـ .

□ □ □

وحين أُورِدَ المرحوم الشيخ السحري هذه الصورة ، التي ذكرناها ، في محبة الأهر ، قال في نهايتها انتهى كلام هذا النصف الكبير

وإذا كان قد ذكرنا بعض آراء المستشرقين في العصر الحديث ، فإن الدكتور ركني مبارك رحمه الله كلمة هي من باب الإجمال موحى في موضوع إعجاز القرآن ، وهي كلمة رائعة ، جرى الله كاتبها خيراً

إذ يقول :

وأي أنس أعظم من شغل النفس بتلك الأقياس الروحانية ، التي يشهد بها الإسلام في أرجاء الوجود ؟

إن ذلك الروح القهار ، روح الرجل ، الذي اتهمه معاصروه بالشعر ولسحر والجنون

إن ذلك الروح ، هو شعلة هُدية ؛ ستصل ما بقيت الأرض ولسماء فتنة لعقول والقلوب .

وسياتي زمان يرتاب فيه الناس في مكة محمد بن عبد الله من التاريخ وسيقول قوم إن شمائل ذلك الرجل ، أقوى وأخطر من أن يسمح بمثلها الوجود .

إنه لم يكن إلا رمزاً تعثل به الناس ، كيف تكون مكارم الأخلاق !

إي والله ، سيقولون ذلك ، هسبقتهم نحن بهذا القول ، مع الاعتراف بأنه عرف هذه الدنيا ، وشهد هذا الوجود

وأى عرابه في أن يحل الله رجلاً يمشون العظمة الروحانية ويطلون على الدهر مصرع الأمثال ؟

وقد كان حظ سبي محمد أرفى مخطوط بين لرسول والأساء ؛ فكل سبي قامت من حوله الأساطير ، وصورته شحاته بألوان صبيح أكثرها من الخيال .

أما النبي محمد ، فحججه سافة هي القرآن ، وهو كذب لم يُصَف إليه سطر واحد بعد موت ذلك الرسول

فهو من الوثائق التاريخية التي يستحيل أن يكون شامثيل

وأى من بوجه هذا القول ؟

أثرونا بدافع عن ذلك الكتاب المجيد ؟

ومن عسى أن يكون أعداء ذلك الكتاب ؟

وهل كان الملحدين إلا بنت سحفاء حشيت حنومهم ، وصو ربع من الراجع التي تشر المأوأة والجهن !!

ومن العجب أن يرى بين أعداء القرآن من يُعجب بشعر أبي موسى ، ويروى صاخاً لأن يوصع هي خير من أكر شعر اليونان !!

فأى شعر أبي موسى كنه من أية واحدة ستظل أعجوبة البيان ، في جميع الأزمان ؟ ! وما أدري - والله - كيف يعقل من يهذي بمثل هذا القول ، إلا أن يكون انسحق صار من علائم التعوق في هذا الزمن الرجع !

إن أعداء القرآن لا يهادونه عن عقل ، وكيف يعقل من يعادي البدر المشرق ، والجبل لركيز ؟

إنها برزات بطوف بدوس الممرورين الحساء ، الذي يوهو أنه لم يبق إلا سلام موسى ولا حرج ، وأن الوادي حلا من الأسد انعصاب ألا ماء ما ينوهمون

ومع ذلك سذهب المنحدرون مع بدهيين وإن بقى لهم ذكرى فسكون صورة من صور السيس ، فإن تعمود باب الشهرة معهم عظيم ، فيبدكرو أن إبليس سصل أشهر منهم ، وإن قصوا طوال الأعمار في خدمة الإفاك والصلال

سقول انسعفاء من الناس وما دخل هذا الكلام فى مقدمة كتاب المدائح النبوية ؟
وجيب بأن تصور حالة من أحوال هذا الزمان ، ونحن لم نحلق أعداء نحابهم ، وإننا
محارب أعداء ربهم رأى العين ؟ وهم - والله - أحقر من أن تعرض لهم بقدر أو ملام ونكن
حقارتهم لا تمنع من وجر صدورهم بوادع القدر والمجاء ، فعديماً كان الشيطان الرحيم
مدعواً بالسهة المؤمن

وما الذى يمنع من حرب الزور والبهتان ؟

إن تتورع عن خوم الأئمة ، ليس إلا صرباً من لحسن ، وبفصه استنسر البعاث ، وصدر
للائمة أشباع وأحزاب

ومن العجب فى مصر بيد العجائب ، أن تحيا لعبرة على الأطلال ونسوت العبرة على
الحقائق

فقد اسهب حجر من أحجار بكرمك ، فكان انتباهه بكبه وطفيه ، وكان انصرح صياحه
عملاً يشاب عليه من بحسن البكاء والنعويل

أما رعدة الإيمان فى هذا البلد ، فهي أقل حظراً من سقوط حجر أثرى نخوسه ورامة
الأشغال ، لأن رعاية الآثار بدعة عصرية يعربها الأويون والأمريكان
أما رعاية العقائد ، فسنة قديمة . سحب عليها الدهر دين النسيان .

وما أقول هذا تعصناً للدين - وهو تعصب شريف - وإنما قوله تعصناً حقيقة أدبية يعا
عنيها لأدواق . فليس الثقافة أن تعرف أو هام مشرق والمغرب ، وإنما ثقافته أن تعرف
ما يجب أن يُعرف

وقد آن أن بهمم العاملون أن الأمة التي يحمد طمها نمران هي أهدى من مثال
الأمة التي يحفظ أطلالها فأصيص لافوتين

وما أقول هذه خيفة وحذى وإنما يعرفها حين كثير لا يصدهم عن الحجر بها
إلا الخوف من الاتهام بالعصب والرجعية وهو اتهام لا أقيم له وزن لأن حرب
لشيطان أصعب من أن يُحسب له حساب .

ومراتى من غير المسلمين ، لا يسيئهم هذا القول ؛ ليس الذين منك للمسلمين ، وإنما
هو منك للإسمانية جمعاء » اهـ .



والآن ، يريد أن نساع : ما هي الصورة التي يريد - بعون من الله - أن يرسمها في هذا الكتاب ؟

نحب أن نقول إن هذه الصورة التي نحاول رسمها ، ليست صورة مبتدعة ولا مخترعة . إنها صورة نحاول جاهدين - أن تكون مستمدة من التاريخ الصحيح .
يبد أننا نعود فنقول :

إننا لا نرسم صورة كامنة فالصورة الكامنة لا يتأني شئاً أن يرسمها ، ونحن هـ إنما نحاول رسم جملة من الروايات شاعرين بتقصيرنا ، معترفين بعجزنا ، ولكن أملنا كبير في أن تكون هذه الصورة باعثة لتصحيح بعض الأوصاف ، وأن تكون - عن ما فيها من عجز وقصور - بمثابة لبعض ما نكته لسيد ولد آدم : من حب وإيمان ، وأن تكون بذلك شقيقة لما عند الله ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ « الشعراء ٨٩ »

ومع هذه الروايات التي نحاول رسمها ، فإنه لا يعرب قط عن باننا قول إمامنا الموصري رضي الله عنه ، عن الرسول صوات وسلامه عليه ، هذه الآيات التي تعبر عن الحقيقة بغير صادقاً

أعيا الورى فهم معاه فليس يرى	لنرب والبعد فيه غير محم
كالشمس تظهر للعينين من بعد	صغيرة وتكل الطرف من أمم
وكيف يدرك في الدرب حقيقته	قوم مأم تسلو عنه بالحس
فمنع العدم فيه أنسه بشر	وأنه حير حلق الله كلهم



﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكمى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفضل الثاني عن :

دلائل النبوة

في نسبه صلى الله عليه عليه وسلم

دلائل النبوة فى النسب الشريف

يقول ابن حلدون ، فى حديثه عن علامات الأنبياء :
« ومن علاماتهم أيضاً ، أن يكونوا ذوى حسب فى قومهم
وفى الصحيح .

« ما بحث الله نبياً إلا فى منعة من قومه » .

وهى رواية أخرى : فى ثروة من قومه ..

وهى مسندة هرقل لأبى سفيان ، كما هو فى الصحيح . قال
كيف هو فوكم ؟

قال أبو سفيان : هو جيد ذو حسب ..

فقال هرقل : فذلك الرسل تبعث فى أحساب قومها ..

ومعناه : أن تكون له عصبية وشوكة تسمعه من أذى الكفار ، حتى يبلغ رسالة ربه ، ويتم
مراد الله من إكمال دينه وملته .

ولا ينأت أن نتحدث عن نسب رسول الله ﷺ - مد آدم ، أو مد إسماعيل - عبيهما
السلام - فالحديث فى هذا ، لا يتصل بالتاريخ الموثوق به كل الثقة ..

وإذ أردنا أن نبين - عن عرب - نسب رسول الله ﷺ - بأنه يمكن أن يبدأ بقصى ..

لقد كان قصى - كما يقول ابن كثير - فى قومه سيداً رئيساً ، مطعناً معظماً ، جمع
هريشاً ، من متفرقات مواضعهم من جريرة عرب ، واستعان بهم أطاعه من أحياء العرب
على حرب حراة ، وإحلالهم عن البيت ، وتسليمه إلى قصى ، فكان بينهم قتال كثير ودماء
عريرة ثم ندأقوا إلى التحكيم ، فتحاكموا إلى يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث
ابن بكر بن عبد ماة بن كنانة ، لحكم بأن قصى أولى بالبيت من حراة ، وأن كل دم أصابه

() التمر في التجميع ، وبه سميت قرينة ليجمعها حول قصى

قصي من حراقة وبنى بكر ، موصوع • يشدخه تحت قدميه ، وأن ما أصابته خراقة وسو بكر من قريش وكنانة وقصاع ، ففيه الدية مؤداه ، وأن يحثي بين قصي وبين مكة والكعبة وما يروى عن ابن عباس - رضى الله عنهما أنه قال

« كان قصي بن كلاب أبوب زيد كعب بن بؤى ، أصاب ملكاً انقاد به يومه ، فكان شريف أهل مكة لا يدرع فيها فابسي دار الندوة ، وحل بها إلى البيت ، فمبها يكون أمر قريش كله ، وما أردوا من بكاح و حرب أو مشورة فيما بينهم ، حتى يأت كلاب الحارثية تنبع أن تدرع عما يشق درعها إلا فيها (١) ، ثم يعلق بها إلى أهلها ، ولا يعقدون حرب هم ، ولا في قوم غيرهم إلا في دار الندوة يعقد لهم قصي ، ولا يعدر (يعثن) هم علام إلا في دار الندوة ، ولا تخرج غير من قريش فيرحلون ، إلا منها ، ولا يقدمون إلا ربوا فيها تشريراً له ، وتبما برأيه ، ومعرفة بقصه ويتبعون أمره كالدين المبع لا يعمل بعمره في حياته وبعد موته وكانت إليه حجابة (٢) ، والسقية (٣) ، ولزادة (٤) ، وسواء (٥) ، والندوة (٦) ، وحكم مكة كله ، وكان يعشر (٧) من دخل مكة سوى أهلها

قال : وإنما سميت : دار الندوة ؛ لأن قريشاً كانوا ينتدبون إليها - أي يجتمعون للحير والشر .. واللى : مجمع اقوم إذا اجتمعوا (٨)

وقسم قصي مكة أحياء وحصص كل قوم من قريش حى وصامت مكة بأهلها وكانت كثيرة الشجر في الحرم ، وكانت قريش تهاب قطع شجر بالحرم ، فأمرهم قصي بمطعه . وقال إنما نطعموه لئلا نلكنكم ، ولحصصكم بهأله (٩) الله على من أراد فساد ، وقطع هو بيده وأغواه ، فمطعت - حيثل - قريش ، وسمته ، « مجمعا » « لما خُص من أمرها وتبست به وبأمره

(١) تلرع : ليس القمص ، والفراد لشق الدرع أن ترف إلى روحها

(٢) صدقة البيت

(٣) سبوا الحجيج

(٤) إلهام الحجيج

(٥) رقة الحرب

(٦) مكان القسوى ومجاسها

(٧) يأخذ منهم المشر لصرفه في المصالح العامة

(٨) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٥٠

(٩) أي لئلا

وفرض قصي على قريش الصداية والرفادة ، فقال :

« يا معشر قريش ، إنكم خيراء الله ، وأهل بيته وأهل الحرم وإن احتاج صبيكم الله ،
ورؤا ربته وهم أحن الصيف بكرامة ، فاحملوا لهم طعاماً وشراباً أيام الخج ، حتى يصدروا
عنكم ، ففعلوا فكانوا يحرجون ذلك كل عام من أموالهم خرجاً ، يترافدون^(١) دنت
مدعوته إليه ، فيصنع الطعام لناس أيام مي وبمكة ، ويصنع حياصاً للماء من آدم^(٢) فيسقي
فيها بمكة ومي وعرفة فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه ، حتى قام الإسلام ،
ثم جروا في الإسلام على دنت .

وحكما مات قصي . قالت لفته تحمر في رثائه

طرق المعى بعيد يوم الحج	فنعى قصي د الندى والسود
معي المهدي من لؤي كذب	فانهل دمعى كالجمال ^(٣) امرد
عأرفت من حرن وهم داخل	أرق السليم ^(٤) لوجه المفقود ^(٥)

عيد مناف

روى هشام بن محمد ، قال

« مات قصي بن كلاب ، قام عيد مناف بن قصي على أمر قصي بعده
ويذكر بالنسبة لال عبد مناف أن رسول الله - ﷺ ، فتنصر عليهم حين أنزل الله
على ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ . « الشعراء ٢١٤ » .

فإنه حينما نزلت هذه الآية الكريمة ، واجتمعت عليه بو مناف ، نبيه لنداته ، قال لهم .
« إن الله قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ، وأنتم الأقربون من قريش وبني لا أممت لكم
من الله خطأ ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا « لا إله إلا الله » فأشهد بها لكم عند
نكم وتدين لكم بها العرب ، وتدين لكم بها العجم

هاشم

وولد عيد مناف بن قصي ستة نمر ، وست نسوة ، كان من بينهم هاشم بن عيد مناف ،

(١) يترافدون ذلك ، يحرجون ويتناوبون عليه

(٢) آدم . جلد

(٣) الجمال المولود

(٤) السليم اللديح

(٥) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٥٣

واسمه عمرو ، وهو الذي عقد الحلف بقريش مع هرقس ، من أجل أن تحلف إلى لشام ممة
مطمئنة

وهاشم هو صاحب إيلاف قريش .

ويلاف قريش ، هو ذئبها وعادتها

بعد ذلك هو من من سب الرحلتين بقريش ، يرسل إحداهما في الشتاء إلى اليمن ، ويرى
الحبشة ، ين الحاشي فيكرمه ويهديه الهدايا ورحلة الصيف إلى شام وإلى عرة ، وربما
بغ أنقرة ، فيدخل على قيصر ، فيكرمه ويهديه الهدايا ..

ثم أصابت قريشاً سنوات جدت عفاف ، ذهبن بالأمر ، فخرج هاشم إلى الشام ،
فأتى بها بدقيق كثير ، فخير له بمكة ، فهاشم ذلك الخير يعني كسره ونرده - وخر
تلك الإبل ، ثم أمر الطهاة فطبخوا ، وفهم الطعام لأهل مكة فأشبعهم ، وكان ذلك الحيا بعد
السه التي أصابتهم فسمى بذلك هاشمًا^(١) وفي ذلك يقول عبد الله بن الربعى
عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة متون^(٢) عفاف^(٣)

وقال وهب بن عبد نصي في ذلك

تحمّل هشم ما ضاق به	وأعيا أن يقوم به بن بصر ^(٥)
أنهم بالغرائر مناقات ^(٤)	من أرض الشام بالبر القيص ^(٦)
فوسّع أهل مكة من هشيم	وشاب الخير باللحم العريس ^(٧)

وكان هاشم رجلاً شريفاً ، طموحاً ذكياً ، ولم يكن يرصيه قط أن يستأثر به عبد لدار
بما صلب الشرف في مكة ، من الحجاج واللواء والرفادة والسقاية والندوة فحمل اللواء
صد بني عبد الدار ، ونهبا الفريقان وحلافهم للقتال ، وعانت كل قبيلة لفيلة ثم سعى
الناس بينهم بصلح ، واصلحوا يومئذ على أن يؤلى هاشم بن عبد مناف السقاية والرفادة
وكان هاشم رجلاً عريصاً شجاعاً ، وكان قد حصر الحجاج قام في قريش فقال

(١) من طبعات ابن سعد

(٢) مجنون

(٣) عفاف

(٤) مناقات مخوفاً

(٥) هكك بالأصل

(٦) البر القيص المنص

(٧) شبه باللحم العريس خضعه باللحم الطوى طبعات ابن سعد ج ١ ص ٥٥ - ٥٦

« يا محشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم رؤس الله ، يعظمون حرمة بيته ، فهم صيب الله ، وأحق الصياف بالكرامة صيبيه ، وقد حصصكم الله بذلك ، وأكرمكم به ، وحفظ مسكنكم فصل ما حفظ جدر من جازره ، فأكرموا صيبيه ورؤسهم »

وكان هاشم يأمر بحياض من أدم ، فتحمل في موضع رمرم ، ثم يستقي فيها الماء من الثار التي بمكة ، فيشربه الخاج . وكان يطعمهم - أول ما يطعم - قبل الروية بيوم مكة ، وبمسي وجمع وعرفة . وكان يثرد لهم الخبز واللحم والسمن ، والنسويق والسمر ، ويحمل لهم الماء ، فيسقون بمسي . ولاء يومئذ قليل في حياض الأدم ، إلى أن يصدروا من مسي فتقطع الصبابة ، ويتفرق الناس في بلادهم .

وتكملة بصورة عن هاشم ، ذكر مدحاً لما أورده الماوردي ، هي « أعلام النبوة » عنه ، قال :

« وكان اسمه عمرو ، فسمى هاشماً لأنه أول من هشم لثريد لهومه بمكة في سنة لربة محة رحل فيه إلى بسطرس ، فاشترى منها الدقيق وقدم به إلى مكة ، وجر الحرر ، وجعل من ذلك ثريداً قدمه لأهل مكة »

وهاشم أول من من الرحلتين لقريش ، رحلة الشتاء ، ورحلة الصيف كما ذكرنا . وأراد أمية بن عبد شمس ، أن يتشبه بهاشم في صيغه فعمر عنه ، فشمت به ناس كثير من قريش ، وشبب العداوة بين أمية وهاشم . وأراد أمية مافرتة ، فكره هاشم ذلك بسبه وقدره ، فم تدعه قريش حتى مافره إلى الكاهن الحزاعي ، في حمسين باقة سود الخدق : يحرقها بطل مكة ، والجلاء من مكة عشرة مسين ، لنعز الحزاعي هاشماً ، وقال لأمية تافر رجلاً هو أصول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأحسن منك وسامة ، وأقل منك لامة ، وأكثر منك ولداً وأجزل منك صنداً ؟ !

فقال أمية : من انتكاث الرمان أن جمعناك حكماً .

فأجل هاشم الإبل محرقها وأطعمها من حصره وخرج أمية إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين

فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأميه ، ومنك هاشم الرقادة والسقيفة ، واستقرت له الرئاسة ، وصارت قريش له تابعة تنقاد لأمره ، وتعمل بوايه ، وتناورت قريش وحرارة إياه ، فخطبهم بما أدهس له الفريقان بالطاعة ، فقال في خطبته :

أيها الناس ، نحن آل إبراهيم ، ودرية إسماعيل ، وهو النصر بن كنانة ، وهو قصي بن
كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم

لنا دروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل حنف يجب عليه نصرتة ورجابة دعوته ،
إلا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم

يا بني قصي ، أنتم كقصي شجرة ، أيهما كسر أو حش صاحبه ، واسيف لا يصاد
إلا بعمده ، ورمي العشيرة بصبه سهمه ، ومن أتحكه للجاح ، أخرجته إلى البغي

أيها الناس ، اعلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والحدود سوّدد ، والجهل
سفه ، والأيام ذل ، والدمر غير ، والبرء مسبب إلى فعله ، وبأخود بعمده فاصعو
المعروف ، تكسوا الحمد ، ودعو الفصول تجانبكم السوء ، وأكرموا لحليس بعم
ناديكم ، وحاموا الحبيب برغب في حواركم ، ونصقوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعيبكم
بمكارم الأخلاق فيها رفعة ، وبآكم والأخلاق بديئة ، لأنها تصع الشرف ، ويهدم لمحد
ألا وإن نهضة الجاهل أهول من حريره ، ورأس العشيرة يحمل أثنائها ، ومقام الخليل
عظة لمن انتفع به

فقلت ، قريش : رضينا بك أبا فضلة وهي كنيته

فانظروا إلى ما أمر به من شريف الأخلاق ، ونهى عنه من مساوي الأفعال

هل صدر إلا من غزارة فصل ، وجلالة قدر وعزومة ؟ وما ذاك إلا لأصطفاء يراد ،
وذكر بشاد ، لأن توارى ذلك في الآباء يوجب تنافسه في الآباء
ومات هاشم بغزة من أرض الشام^(١) .

عبد المطلب

وولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر ، كان منهم شبيه الحمد ، وهو عبد المطلب ، وم
يولد عبد المطلب بمكة ، وأب ولد بالمدينة ، وذلك أن هاشمًا خرج في غير لقريش فيها
تجارات ، وكان طريقهم على المدينة ، فربوا بسوق لبسط ، فصادفوا سوقًا تقوم بها في السنة
يحتشدون لها ، فباعوا واشتروا ، ونظروا إلى امرأة على موضع مشرف من السوق ، فإد هي
امرأة تأمر بما يشتري ويباع لها ، فرأى هاشم فيها امرأة حادثة جلدة مع جمال ، فسأل

(١) أنعلام النبوة لأبي الحسن المازندراني ص ١٢٤ - ١٢٥

عها ، أليم هي أم ذات زوج ؟ فقيل له أليم كانت تحت أحيحة بن الحلاج ، فولدت له عمر ومعبداً ، ثم فارقها . وكانت لا تتكح الرجال - بشرفها في قومها - حتى يشرطوا لها أن أمرها يندم ، إذا كرهت رجلاً ففرقت . وهي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لييد حدثت بن عامر بن عثم بن عدى بن لنجار ، فحضرها هاشم ، فعرفت شرفه ونسبه ، فزوجته نفسها ودخل بها ، وصنع طعاماً ، ودعا من هناك من أصحاب العير الذين كانوا معه ، وكانوا أربعين رجلاً من عريش ، فبهم رجال من بني عبيد مناف ومخزوم وسهم ، ودعا من الحخرج رجلاً ، وأقام بأصحابه أياماً . وعلفت سلمى بعبد المطلب فولدته وهي رأسه شيبة ، فسمي شيبة .

وخرج هاشم في أصحابه إلى الشام حتى غرة ٠ فاشتكى . فقاموا عليه حتى مات ، فدفنوه بغرة ، ورجعوا بتركته إلى ولده^(١) .

وقدم ثابت بن المنذر بن حرام - وهو أبو حسّان بن ثابت الشاعر مكة معتمراً فلقى الخطيب ، وكان له خليل ، فقال له :

لو رأيت ابن أحيث شيبة فينا رأيت جمالا وهية وشرفاً : لقد نظرت إليه وهو يواصل^(٢) ثباتنا من أحواله فيدخل برماتيه^(٣) جميعاً في مثل راحتي هذه ويقول كلما خسق^(٤) : أنا ابن عمرو العلاء^(٥) .

فقال الخطيب لا أنسى حتى أخرج إليه فأقدم به ، فقال ثابت

ما أرى سلمى تدفعه إليك ولا أحواله ، هم أحسن به من ذلك ، وما عيبك أن تدعه ، ليكون في كفاههم حتى يكون هو الذي تقدم عيبك إلى هاهنا ، راعياً عليك .

فقال الخطيب يا أنا أوس ، ما كنت لأدعه هناك ويشرك ماثر قومه . وبسيطته^(٦) ونسبه ، وشرفه في قومه ما قد علمت فخرج الخطيب فورد المدينة ، فمر في ناحية ، وجعل يسأل عنه ، حتى وجده يرمى في فتيل من أخواله ، فلما رآه عرف شبه أبيه له ، ففاضت عينه ، وضمه إليه وكساه حبة يمانية^(٧) .

(١) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٥٨ - ٥٩

(٢) يواصل شيئاً ياراهم في رمي السهام

(٣) رماتية مثنى ولفرد مرمقة وهو سهم صغير ضخم

(٤) خسق - أصاب الهدف

(٥) يقول ذلك من الله عز وجل ومن الفخر بعد أن يصيب للرمي

(٦) بسيطته : مكانته الوسطى بين قومه

(٧) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٦٢

فأرسلت سلمى إلى المطلب فدعته إلى النزول عليها .

فقال : شأني خف من ذلك ، ما أريد أن أحل عقدتي حتى أقض ابن أحي ، وأخفه يبلده وقومه

فقالت : لست بخرسيتي وعطت عليه ؛

فقد المطلب لا تفعل ، فإنني غير مصروف ، حتى أخرج به معي ابن أحي قد بلغ وهو غريب بي قومه ، وبحي أهل بيت شرف ، والمقام يبلده حير له من المقام هـ هـ ، وهو أبك حيث كان فلما رأت أنه غير مقصر ، حتى يخرج به استنظرته ثلاثة أيام ، وتحول إليهم ، فنزل عندهم فأقام ثلاثاً ، ثم احتمله ، وانطلق جميعاً ودخل به عبد المطلب مكة طهرًا ، فقالت قريش : هذا عبد المطلب

فقال ويحكم ، إنما هو ابن أختي شيبه بن عمرو ، فلما رأوه ، قاموا إليه لعمرى

فهم يزل عبد المطلب مقبلاً بمكة حتى أدرك ، وخرج المطلب بن عبد مناف باحراً إلى أرض اليمن ، فهلك برذمان من أرض اليمن ؛ فوُلِّيَ عبد المطلب بن هاشم بعد الرودة والسقية ، فلم يزل دلت بيده يطعم الخنازير ويسقيهم في حياض من أدم بمكة فلما سقى رمرم ، ترك السقى في الحياض بمكة ، وسقاهاهم من رمرم حين حصرها

وكان يحمل الماء من رمرم إلى عرفة فيسقيهم^(١)

وكانت زمزم سقياً من الله :

لقد أتى عبد المطلب آيات في المدام مرات ، فأمره بحفرها ، ووصف له مرصعها فقال له :

أحفر طيبة . قال وما طيبة ؟

فلما كان العد أتاها ، فقال احفر برة قال : وما برة ؟

فلما كان العد أتاها وهو عالم في مضجعه ذلك ، فقال : احفر المصونة . قال : وما المصونة ؟ أين لي ما نقول ؟

فلما كان العد أتاها ، فقال . احفر رمرم

قال : وما رمرم ؟

(١) الططعات لابن سعد ج ١ ص ٦٢

قال : لا تترح ولا نرم ، سقى الحجاج الأعظم ، وهى بين الفرث والدم ، عند بقرة الغراب الأعصم .

فلما عين موضعها ، عدا عبد المطلب بمعوله ومسحاته ، وحمر هو وابنه ، حثرت حتى وصل إلى الماء ، فكانت : رمزم .

وكان عبد المطلب من حكماء العرب ، ومن حكماء قريش . وتوثر عنه سبب جاء القرآن بأكثرها ، كالمع من نكاح المحارم ، وقطع يد السارق ، وانتهى عن قتل غوعدة^(١) ، ويصف المؤرخون عبد المطلب ، فيقولون :

« كان أحسن فريش وجهاً ، وأمدّه جسماً ، وأحدمه حملاً ، وأجوده كفاً ، وأبعد الناس من كل موهبة تصد الرجال ؛ لم يره منك قط إلا أكرمته وشفعه ، وكان سيد قريش حتى مات^(٢) »

عبد الله

أما عبد الله ، والد رسول صلات الله وسلامه عليه ، فقد كان صورة خلق الأصل من جده ولو أمهله الزمن لثربى مناصب الشرف التى كان يد عبد المطلب . وكان شعره الذى الترمه طيلة حياته ، ما غير عنه هو يقوله :

« أمّا الحرام فالملحات تونه » .

وتقول له فاطمة الحتمية : « إني لأعرف بك سلك أبيك »



وإذا نظرتنا - إذن - إلى رسول الله ﷺ ، من ناحية والده وأسلافه ، ومن ناحية والدته وأحواله ، فإننا نجدهم - خلقاً وعريقة أصل - من أشرف بيوت العرب وأكرمها وأسمها بشهادة المؤرخين جميعاً - فكان صلوات الله وسلامه عليه - كما يقول ابن هشام « أوسط قومه نسباً ، وأعظمهم شرفاً من قبل أبيه وأمه » .

ويقول إمامنا البوصيرى رضى الله عنه فى همزيته :

لم تزل فى صفائر الكون تُختأ رُكُ الأمهات والآباء
ويقول فى بردته :

أبان مولده عن حبيب عنصره يا طيباً مبتدأ منه ومحتسماً

(١) التمهيد للشيخ مصطفى عبد الرزاق

(٢) طبقات ابن سعد

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

« بعثت من خير قرون بني آدم قرنا بعد قرن ، حتى كنت من لقرن الذي كنت فيه » .
ويقول ﷺ ، فيما رواه الإمام مسلم :

« إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة ،
واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني
هاشم » .

ونقد روى أبو هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ
« أنا سيد ولد آدم » .

وعن حذيفة : أنه ذكر مصر في كلام له فقال :

إن منكم سيد ولد آدم . يعنى النبي ﷺ

وكل هذه الأخبار في كونه ﷺ ، خير الناس ، صحيحة ، إذا نظرنا إلى سببه ﷺ

وهي صحيحة إذا نظرنا إلى مكانته وسرى ديث في الفصول التالية

وهو صلوات الله وسلامه عليه محمد بن عبد الله ، بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
بن قصي :

أما حتام هذا الفصل ، فهو هذه الكلمات الرائعة الجميلة ، التي وردت في كتاب .
أعلام النبوة .

فكانت إماما مشرقا ، وحكمة عميقة ، في تفسير نهاية هذا النسب الكريم إلى النبي
اصطفى ﷺ

« لم يشركه في ولادته من أبويه أخ ، ولا أخت ، لانتفاء صفوتهما ، وقصور نسبهما
عليه ، ليكون مختصا بسبب جعله الله تعالى للنبوة عابة ، ولتمردّه بها آية ، فيقول عنه أن
يشارك فيه ويمثل به ، فذلك مات أبوه عنه في صغره !!

فأما أبوه عبد الله فمات عنه ، وهو حمل

وأما أمة فماتت عنه وهو ابن ست سنين»^(١)

(١) أعلام النبوة لأبي الحسن المارودي ص ١٣٣

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله يعلمه والمسالك
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الثالث من :

دلائل النبوة قبل البعثة

دلائل النبوة في أخلاقه ﷺ قبل البعثة

شق الصدر

هذا الحادث وقع لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، مد الطفولة المكورة
قد كان صلوات الله وسلامه عليه يدال في يديه بنى سعد عند مرضعته ويسا
هو يلعب مع العلمان - على ما يروى الإمام مسلم - أتاه جبريل ، فأخذه فأصغبه فشق عن
قلبه فاستخرج منه عتقة فقال :

« هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب ، بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم
أعادته إلى مكانه » .

وحده العلمان يسعون إلى أمه - يعنى مرضعته - إن عمداً قد قتل ، فاستعبوه وهو محتف
اللون ، وكان ذلك وهو ابن أربع سنوات تقريباً

فلما كان ابن عشر سنين ، تكرر حادث شق الصدر

فقد روى الإمام أحمد ، وابن حبان ، والحاكم وابن عساکر ، عن أبي بن كعب أن
أبا هريرة رضى الله عنه ، كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ ، عن أشياء . لا يسأله
عنها غيره ، فقال :

يا رسول الله ، ما أول ما رأيت في أمر النبوة ؟

فاستوى رسول الله ﷺ جالساً ، وقال :

« لقد سألت أبا هريرة » .

إني لمي صحراء ، ابن عشر سنين وأشهر ، وإذا بكلام فوق رأسي ، وإذا رجل يمشي
لرجل :

« أهو هو » ؟

قال : نعم .

فاستقبلاني بوجه لم أره لخلق قط ، وأروح لم أجدها من خلق قط ، وثياب لم أرها

على أحد قط ، فأقلا إلى يشبان حتى أخذ كل واحد منهما بعصدي ، لا أحد لأحدهما هامساً

فقال أحدهما لصاحبه أصبحته ، فأصبحاني بلا قسر ولا هصر^(١)

وقال أحدهما لصاحبه : ألق صدري

فهوى أحدهما إلى صدرى فعنفه ، لما أرى بدون دم ولا وجع ، فقال له

أدخل الرأية والرحمة ، فإذا مثل الذي أدخل يشبه القصة ، ثم هر إنيهم رجلى اليمسى فقال
أعد واسلم .

فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير .

فما حاور صلوات الله وسلامه عليه الحمسين ، شق عن صدره بى ليلة الإسراء
والمراح .

فمن أبى بن كعب فيما روى الإمام أحمد والإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال

« فرح سعي بيتي وأنا بمكة فرل جبريل فصرح صدرى ثم عسبه من ماء مرم ، ثم
جاء بطيب من ذهب فملى حكمه وزيان فاعرعه فى صدرى ثم أطيقه »

ولا يعيب هذا لا فى قلب ولا فى كثير أن نحارى الماديين فى جدهم مما يتعلق بشق

لصدر ، فالأمر أسمى بكثير من إمداده فى الشكل والكيف ، والرمز والمكن

والمعنى أعظم من أن يجاوره بى سماحكات التى تشعر بصعب الإيمان أكثر مما تشعر
ببور اليقين .

بعد روث كتب السيرة بالأسانيد الصحيحة ، وروى كتب السيرة هذه الحادثة التى توحه
النظر إلى عناية الله سبحانه وتعالى برسوله من طفولته أسكراه ، وإن من مظاهر هذه العناية
أن يستخرج الله حظ الشيطان من قلبه من سببه لأولى حتى لا يكون لشيطان عليه من
مسيل

إن الله سبحانه وتعالى وقد شاءت إردنه من الأزل أن يكون محمد خاتم الأنبياء
وخرسب راد سبحانه ، أن يجعل منه المثل بكامل الإنسان الكامل

والإنسان يبدأ السير نحو الكمال بظهارة القلب ، وبصفية نفس ، وبالتوبة والإخلاص
أو بتعبير آخر شق الصدر واستخرج حظ الشيطان منه ، وأرسل الله ملائكته مشفقو عن

(١) القسر - الإيجار

(٢) الهصر ، الجذب والإمالة من رأسه ، والمعنى لم يتبأ ظهري ولم يكرهني

صدر لرسول ﷺ واستخرجوا حظ الشيطان منه وأرسلهم فشموا عن صدره ومشوه سكة

استخرج جبريل حظ لشيطان من قلب رسول الله ﷺ في سن مبكرة فكان ﷺ كما تقول السيدة أمه -

« والله ما للشيطان عليه من سبيل »

وحقيقة أنه لم يكن للشيطان عليه من سبيل ، فقد عصمه الله عصمه تامه عن رجس حياته كلها .

الرسول وحجة الله في مكة

لقد كانت مكة - حينما كان رسول الله ﷺ ، شاباً فتناً قوياً معج يمتلئ الملاد الشهوانية البدسة .

لقد كانت حارات بحمر منشرة فيها وكذلك أسبوع مريّة ، وفي هذه وسط المعاص ورافضات والمذخئات ، وكان الشباب يهالكون على كل ديك يهاون عليه ، وأراد الله أن يكون رسوله بمأى عن كل ذلك

ذكر البحارى عنه ، ﷺ ، أنه قال

« ما سمعتُ بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين » .

أما هاتان حراتان ، فإن سيدنا عيب رضى الله عنه يتحدث عنهما على ما يروى ابن كثير - فيقول :

صعد رسول الله ﷺ يقول

« ما سمعتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يهيمون به إلا ليتين ، كسأهم عصمى الله عز وجل فيهما قلب ليلة لبعض فتيل مكة ونحن في رعاء عنه أهدبا فقلب لصاحبي « ألا تبصر لى عنمى حتى أدخل مكة أسير فيها كما يسمر الفتيان ؟

فقال - بلى

قال فدخلت حتى حثت أول دار من دور مكة ، فسمعت عزفاً بالعرايل والمراير ، فقلب : ما هذا ؟

فلوا : تروح فلان فلانة .

فحسبت أنظر ، وضرب الله على أذني هو الله ما أيقظني إلا من الشمس

فرجعت إلى صاحبي فقال : ماذا فعلت ؟ .

فقلت : ما فعلت شيئاً ، ثم أجبرته بالذي رأيته

ثم قلت له لمة أخرى ، فصرى عني حتى أسمع ، فدخلت ، فمما حثت مكة
سمعت الذي سمعته تلك الليلة فسألت فقيص :

نكح فلان فلانة .

فحسبت أنظر ، وضرب الله على أذني ، هو الله ، ما أيقظني إلا من الشمس

فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت لا شيء ، ثم أخبرته الخبر ، هو الله
ما هممت ولا عدت بعدها لشيء ، من ذلك حتى أكرسي الله عز وجل بنيوته
هذه ما كان من أمر عبث الصبيان

عبادة الأصنام

أما ما كان من أمر عبادة الأصنام ، فإن القصة التالية توضح الأمر

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال

حدثتني أم أيمن قالت : كان ثؤانة صمًا تحصره قريش لتعظمه

تسلك له مسالك ، ويحرقون رؤوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى اثنين ، وذلك
يوماً في السنة وكان أبو طالب يحصره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحصر
ذلك العيد مع قومه ، فيأبى رسول الله ﷺ ذلك حتى رأى أنما طالب عصب عليه ، ورأيت
عماته عصبن عليه يوماً أشد العصب ، وجعن يقرن :

ما تريد يا محمد أن تحصر لقومك عيد ولا تكثر لهم جمعاً ؟ !

فقال فلم ير لو به حتى ذهب وعذب عنهم ما شاء الله ، ثم رجع إليها مرعوباً فرعاً ،
فقالت له عباته ما دهاك ؟ قال

« إني أخشى أن يكون بي لم »^(١)

فقال ما كان الله يسيبك بالشيطان ، وبيت من حصن الحبر ما بيت مما إلاي أيت ؟

قال

(١) من من الجور

« إني كلما دنوت من صمم منها تمثل في رجل أبيض ، يصبح بي ورائك (١) يا محمد لا تمسه » قالت :

« فما عاد إلى غير لهم حتى ثبأ » ..

□ □ □

لقد كانت حياة ﷺ ، شرجاً مسفصاً ، وبوصفاً كاملاً ونعيراً تائماً ، لما ذكره ابن خلدون ، وما ينقش عليه العقلاء ، ويجمع عنه أصحاب الصائر المسيرة من أن ذلك من علامات الأنبياء .

« إنه يوحد ضم قبل الوحي حلق العير والركاة ، ومحبته لدمومات والرجس أجمع ، وهذا هو معنى عصية ، وكأنه مطور على أثره على اندمرات ولما فرة لها ، وكأنها مافية حيلته »

ويصرب ابن خلدون بعض الأمثلة من حياة الرسول ﷺ ميبه هذه القاعده فيقول « وفي الصحيح : أنه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فحملها في رءه فانكشف فسعد مشباً عليه حتى استر يارره

ودعى بن محتمع وبمه فيها عرس وعب ، فأصابه غسي النوم إلى أن طلعت الشمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم »

ومصب فرة اسباب رسول الله ﷺ ، وهو ظاهر ركي ظاهر من الأثم التي ندس الشباب في محمعاتهم وركي : لأنه بعيد عن الشر لم يسجد لصم قط ، ﷺ ، لاحت

وشب رسول الله ﷺ ، مع أبي طالب يكفزه الله ويعصه ، ويخوصه من أمور الحاحية ومعديها لا يريد به من كرامته حتى صار أفضل قومه مروءة ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم محالطه ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حسناً وأمانه ، وأصدقهم حديثاً ، وأبعدهم من فحش والأذى ، وما روى ملاحياً^(٢) ، ولا محارياً^(٣) أحد ، حتى سماه قومه لأمين ؛ لما جمع الله له من الأمور الصالحة فيه فبعد كال العيب سبه بمكة الأميين^(٤)

عن نيسة بنت ميه أحت يعلى بن ميه قالت :

(١) يرجع وراءك

(٢) ملاحياً : منازعاً ومخاصماً يقال لاحت الرجل ملاحاً ونهه إذ نازعته

(٣) محارياً : مجادلاً

(٤) ابن سعد ج ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣

بمع رسول الله ﷺ ، خمساً وعشرين سنة ، وليس له بمكة اسم إلا الأمير ؛ لما تكاملت فيه من نضال الحير^(١)

وعن مدر قال : قال الربيع - يعنى ابن خيثم : كان يُتخاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام ، ثم احصى في الإسلام^(٢) .

وقد حثره الله لرسالة ولكنه تعالى اصطعبه لنفسه قبل أن يصحبه أسيرة أهل ؟ وهذه الفترة من حياته ، التي سبقت البعثة ، كانت فترة جهاد وصراع روحي هادئ بكم معنى هدوء عصف أشد العصف مستمر لا يقطع ، فيه الحرب ، وفيه الرجاء وفيه الكثير من الأمل بواب الذي يشهد لعريمه ويسد على أيأس الفانط كل مسد إذ هذه الفترة من حياته ، كانت - على حد تعبير الجيد في تعريف التصوف - عبوة لا صدى فيها .

كان صوات الله عليه ، يتوج - كل عام - جهاده الروحي المتصل ، بشهر يقصيه في غار حراء حيث محبوة النامه ، وحيث النجرد مطلق ، عن كل ما سوى الله

وهناك في مسجوة الليل ، أو في رائعة النهار ، يحاول محمد أن يحطم المحجب ، وأن يحرق استنير ، وأن ينفذ بصبرته إلى عدم العصف ، فيصل إلى سيرة المنهى ، وإلى قاب فوسير أو أدنى ، حتى يشاهد الجمال في مسائه ، والجلال في عظمته وكبريائه .

هاهو ذا الرسول ، ﷺ ، يسر مجهوداً حبار ، لا يكاد الإنسان يتصوره ، فضلاً عن أن يأتي بمثله

وهاهو ذا ، يرى أهداف بعيداً لا يكاد الإنسان أن يفهمه ، فضلاً عن أن يصل إليه هاهو ذا ، يرى الطريق وعناء صعبة مرتقى بيد أن ذلك كله لم يكن إلا لبريده عزماً على عزم ، وإرادة على إرادة ، ونشاطاً مصاعفاً

فيه الجهد الأكبر ، على حد تعبير الأثر المشهور ، عن جهاد النفس لتركي ونمضي السور بطيئه سريعه في أن واحد ، وجهود الرسول ﷺ - لا يفتقر حتى أصبح - أو كاد روحاً حالصة ، أو نفساً من نور الله ، وانتهى به الأمر إلى قرب يقول الإمام الغزالي إنه :

(١) ابن سعد ج ١ ص ١٣٧

(٢) ابن سعد ج ١ ص ١٣٩

« أول حال رسول الله ﷺ حين أقبل على جبل حراء ، حيث نبئ ، حين كان يحلو
 بربه ويتعبد ، حتى قت العرب
 « إن محمداً عشق ربه » ١

ثم كانت الرسالة ، وكانت المعجزة التي غيرت مجرى التاريخ
 ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ خلق الإنسان من علقٍ اقرأ وربك الأكرم الذي علم
 بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ﴿ ١ ﴾
 ويصور الدكتور هكل

« وجد محمد به في النحس حير ما يمكنه من الإيمان فيما شعلت نفسه من هجير
 وتأمل ، كما وجد فيه طمأنينة نفسه وشيء شععه ، لوحدة ، ياتمس أثناء الوضوء إلى
 ما لم يبرح شوقه يشند إليه من شئان المعرفة ، واستلهم ما في الكون من أسرارها
 وكان بأعنى حل حراء على فرسخين من شاطئ مكة عار ، هو حير ما يصلح
 للانقطاع والنحس ، فكان يذهب إليه ضول شهر رمضان ، من كل سه يقيم به ، مكثاً
 بالليل من الزاد يحمل إليه ممعاً في التأمل والعبادة ، بعيداً عن صجدة الناس ، وموضاء الحياة
 متمسكاً الحق ، والحق وحده

وقد كان يشتد به التأمل اتعاء الحقيقة ، حتى لقد كان يسي ضامه ، ويسى كل ما في
 الحياة ، لأن هذا الذي يرى في حياة الناس مما حوله ، ليس حقاً

« وشارف محمد الأربعين ، وذهب إلى حراء يتحس ، وقد متلأب نفسه إيماناً بما رى
 في رؤاه الصادقة ، وقد خلصت نفسه وقد أدبه ربه فأحسن تأديه ، وقد اتجه بعينه إلى
 الصراط المستقيم ، وإلى حقيقة الحادثة وقد اتجه إلى الله بكل روحه ، أل يهدي قومه بعد
 أن ضربوا في تيهاء الضلال

وهو في توجهه هذا يقرم الليل ، ويرهف دهنه وقبه ، ويصير الصوم وتأمل في الاء
 ربه ، فيحتر من العار إلى طريق الصحراء ، ثم يعود إلى حلوته يعود فيمتحن ما يدور
 بدهه ، وما يتبين له في رؤاه

ولقد طالبت به اخان ستة أشهر . حتى حشى على نفسه عاقبة أمره ، فأسرَّ بمخوفه في

جديده ، وأظهرها على ما يرى ، وأنه يحاف عبث الحق به . فعمادته الروح المحلصة الرقية ،
وجعلت تحدته بأنه الأمين . وبأن الحق لا يمكن أن تقترب منه . وإن لم يدرك بحاصرها
ولا يحاطرها . أن الله يهيئ مصطفاه بهذه الرياضة الروحية . إلى اليوم العظيم وإلى النبأ
العظيم : يوم الوحي الأول ، ويهيئه بها إلى البعث والرسالة

وفيما هو نائم بانغار يوما ، جاءه الملك وفي يده صحيفة ، فقال له : « اقرأ »^(١) :

كانت « اقرأ » مفتوح عهد جديد في حياة الرسول ﷺ ، فمعه تلك الآونة لم يترك رسول
الله ﷺ لدعوه إلى الله قط ، كان يدعو سلا ، وكان يدعو بهرا ، وكان يدعو في كل حظه
من لحظاته

□ □ □

(١) س : حياة محمد ﷺ للدكتور هيكل

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية . ١٦٦

الفصل الرابع عن :

الرسالة

أسباب وبواعث

وأهداف وغايات

البعثة العامة

جاء في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : « بُعِثَ الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي إِلَى أُمَمِهِمْ خَاصَّةً : وَبُعِثْتُ إِلَى الْأُمَمِ كُلِّهَا عَامَّةً »^(١) .

المأدبة :

عن جابر بن عبد الله قال : « جَاءَتْ مَلَائِكَةُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ نَائِمٌ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ نَائِمٌ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ الْعَيْنُ نَائِمَةٌ ، وَالْقَلْبُ يَقْظَانُ ، فَقَالُوا : إِنْ مَثَلَهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَجَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً ، وَبُعِثَ دَاعِيًا ، مِنْ أَجَابِ الدَّاعِي دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدِبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِبِ الدَّاعِي لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدِبَةِ فَقَالُوا :

وَلَوْهَا لَهُ يَفْقَهُهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهُ نَائِمٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنْ الْعَيْنُ نَائِمَةٌ ، وَالْقَلْبُ يَقْظَانُ . قَالُوا ، فَالدَّارُ ، الْجَنَّةُ ، وَالدَّاعِي ، مُحَمَّدٌ ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَحُمِدَ قُرْقُ بْنُ أَنَسٍ « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ »^(٢)

مثله ﷺ :

عن جابر بن عبد الله ، قال . قال رسول الله ﷺ مَتَى وَمَتَى الْأَنْبِيَاءُ قَبْلِي ، كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى دَارًا ، فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْصِعَ نَبْتَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا ، وَيَنْعَجِبُونَ مِنْهَا ، وَيَقُولُونَ : لَوْلَا مَوْصِعُ هَذِهِ النَّبْتَةِ أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا مَوْصِعُ تِلْكَ النَّبْتَةِ فَجِئْتُ فَحَمَمْتُ الْأَنْبِيَاءَ « رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَاةٍ عَنْ صَدِيقِ بْنِ حَبَابٍ ، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبِي كَرِيمٍ عَنْ عَفَاةٍ »^(٣)

مثل ما بعث الله به من الهدى والعلم

عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنْ مَثَلُ مَا بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ ، كَمَثَلِ عَيْتٍ أَصَابَ أَرْضًا ، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَ الْكَلَأُ وَالْعُشْبُ الْكَثِيرُ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَضَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ،

(١) الرسالة الخمدية ص ١٢٨

(٢) دلائل النبوة . ج ١ ص ٢٧٦

(٣) دلائل النبوة . ج ١ ص ٢٧٣

وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا نبت كلاً ذلك مثل من فقه في دين الله ، ونفعه ما بعشى الله تعالى به ، فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك أساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به »

وبه الإسناد عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ ، قال « إن مثلي ومثل ما بعشى الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأت الجيش بعيسى ، وأنا النذير الحريص ، فأتاكم طائفة من قومه ، فاذبحوا ، فاستبقوا على مهلبهم فبحوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم ، فصبحهم الجيش ، فهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أضعنى واتبع ما جئت به من الحق ، ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق »

رواهما البخاري ومسلم في الصحيح عن أبي كريب

مثل الأمة الإسلامية :

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ، قال « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعص عمالاً » فقال من يعمل من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط ؟ ألا فعميت بيهود ، ثم قال من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط ؟ ألا فعميت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم فعصب اليهود ونصارى ، فقالوا نحن أكثر عملاً ، وأقل عطاءً (١)

قال : فهل ظلمتكم من حقتكم شيئاً ؟ قالوا : لا

قال : وإنما هو فضلي أوتي من أشياء (٢)

أخرجه الإمام البخاري (٣) .

بواعث وأهداف

إن ربي رحيم ودود .

الإسلام ؟ علام يدل هذه الكلمة الإلهية ؟ ما مفهومها ؟

لقد تحدث القرآن عن مفهومها في تفصيل كبير ، بل يمكنك أن تقول إن القرآن الكريم كله ، إنما هو شرح لمفهومها ..

(١) الأمل عن أقل عملاً وأكثر عطاء وهو تعريف ورواه البخاري مثلاً (أكثر عملاً وأقل عطاء)

(٢) رواه البخاري مخالفاً لما هنا صحيح البخاري كتاب الإجارة

(٣) الروا ج ١ ص ٣٧٦ - ٣٧٧ دار الكتب

وتحدث الرسول ﷺ . متأسفاً مع لقّار وشارحا له عن هذا المفهوم .
ولم يكن رسول الله ﷺ ، يشرح المفهوم بقوله فحسب ، وإنما كان يشرحه بسلوكه
أيضاً ..

لقد حقق رسول الله ﷺ ، الإسلام في صورة واقعية .
ولقد سمعت السيدة عائشة رضوان الله عليها - عن خلق رسول الله ﷺ ، نقالت :
« كان خلقه القرآن »

ونعود فنقول : ما هو المفهوم ؟ ..
هذا المفهوم ، هو الذي نبدأ في تفصيله بعون الله وتوفيقه ، هل يبدأ في ذلك بالأهداف ،
أو تبدأ في ذلك بالبواعث

قد تكون الأهداف والغايات - هي نفسها العلل والأسباب
وهذا هو الواقع بالنسبة للإسلام
وعن إدس . نتحدث في هذه الكلمة ، وفي كلمات تالية ، عن العلل والأسباب ،
وعن الغايات والأهداف .

إن الله سبحانه وتعالى ، يقول لرسوله الكريم ﷺ :
﴿وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ . « الأنبياء ١٠٧ »
وانظر التعبير القرآني : ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ !!
إنه سبحانه لم يقل : رحمة لقطر معين ، ولم يقل : رحمة للإنسانية وإنما قال رحمة
للعالمين .

إنه سبحانه ، عمّم الرحمة فجعلها : للعالمين ..
وفي حديثنا عن الرحمة ، نبتدئ بالحديث عنها صفة من صفات الله تعالى ، كما تحدث
عنها في القرآن الكريم ، وكما تحدثت عنها السنة الشريفة ..
إن من أسماء الله تعالى ، اسم : الرحمن
ونقد بلغت مرة هذا الاسم في الأسماء الكريمة . أنه يذكر مصدراً لاسم المحلاة
المطلق : « الله »
يقول سبحانه .

﴿نَزَّلَ ادْعُوا إِلَهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ « الإسراء ١١٠ »

وس أسماء الله سبحانه : « الرَّحِيم » ..

ورحمة الله سبحانه وتعالى ، تامة عامة شاملة ..

والرحمة التامة - كما يقول الإمام الغزالي : « إفاضة الخير على المحتاجين وإرادته لهم ، وعنايتهم بهم .

والرحمة العامة : هي التي تناول المستحق وغير المستحق ..

ورحمة الله تامة عامة :

أما تمامها ، فمن حيث أراد قضاء حاجات المحتاجين وقضاها

وأما عمومها ، فمن حيث شمولها للمسحوق وغير المستحق ؛ وتناول الصرور والاحتاجات ، وإبراء الحارجة عنهما ، فهو الرحمن الرحيم المطلق حقاً »

على أن الوصف القرآني لله سبحانه وتعالى - في جانب الرحمة ، يبين أن الله سبحانه وتعالى

﴿أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ﴾^(١) .

والله سبحانه :

﴿حَبِيبٌ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢) :

ومن أروع الأحاديث القدسية الرمزية - التي تتحدث عن رحمة الله سبحانه ، والتي لا نجد لها ما يماثلها في سموها وجلالها ، شرقاً أو غرباً ، قديماً أو حديثاً ، لا هي مداهب الفلاسفة ، ولا هي أمال والفحل ، بل ولا في كلام الشعراء ما رواه الإمام مسلم رضي الله عنه - بسنده عن رسول الله ﷺ ، فيما رواه عن ربه :

« إن الله عز وجل يقول يوم القيامة :

يا ابن آدم ، مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي

قال : يا رب ، كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ .

قال : أما علمت أن عبيد فلاناً مَرِضَ فلم يُعِدْهُ ؟ أما علمت أنك بوعدته لو جئتني عبده ؟

(١) الأعراف ١٥٦ والآية ٨٢

(٢) المؤمنون ١١٨

يا ابن آدم ، استطعمتك فلم تطعمني .

قال . يارب ، كيف أطعمتك وأنت رب العالمين ؟

قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه ؟ . أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي ؟ . يا ابن آدم ، استسقيتك فلم تسقي !

قال يارب . كيف أسقيتك وأنت رب العالمين ؟

قال استفاك عبدي فلان فلم تسقه . أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ؟
وهذا الذي رواه الرسول ﷺ عن ربه يسائر ويتناسق مع الآيات القرآنية الكريمة ،
والأحاديث النبوية الشريفة . إن الله سبحانه هو الذي :

﴿يُرِلُّ الْعَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَرُوا وَيَشْرِرُ رَحْمَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١)

وإن أسلاف الذين تأمنوا في هذه الآية الكريمة ، يلجأون إلى الله ، ويتجهون إليه بصفتي
« الولي الحميد » - في الشدائد ، حينما لم بهم ، فيجدون في التجاهل إليهم سبحانه بصفتي
« الولي الحميد » يَرُدُّ الرضا ، وراحة النفس ، والخروج من ضيق الكرب إلى سعة الرحمة
إنه سبحانه :

« الولي الحميد » .

أما رحمة الله في كل لحظات الحياة ، فإنها :

﴿مَرِيَّبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢)

إنها محيط بهم ، وتنتزل عليهم ، وتقودهم وتنتعهم في كل مجالات الحياة

ومن أوائل المحسنين . الأنبياء والمرسل . صلوات الله وسلامه عليهم

ومن أمثلة رحمة الله سبحانه بأنبيائه ورسله . ما ذكره القرآن عن نوح عليه السلام .

قال تعالى :

﴿وَنوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قُلُوبِهِ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَاءَهُ وَهَبَةٌ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوِيًّا فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٣)

وعن أيوب - عليه السلام - قال تعالى :

(١) الشورى . ٢٨

(٢) الأعراف . ٥٦

(٣) الأنبياء . ٧٦

﴿يُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسِيءٌ نَغْمٌ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ صِرٍّ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (١)

وعن يونس - عليه السلام - قال تعالى

﴿وَرَا اسْمَ إِذْ ذُهِبَ مُعَاصِبًا فَعَزَّ أَنْ لَنْ يَفْرَجَ عَلَيْهِ هَادِي مِنَ الطُّغْيَانِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

وعن زكريا - عليه السلام - قال تعالى

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْنَحْنَا لَهُ رُوحَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعًا وَهُمْ كَانُوا خَاشِعِينَ﴾ (٣)

ويعود فنقول مع القرآن الكريم .

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤)

• ومن الأمثلة على ذلك قوله

﴿وَنَحْنُ جَاءُ أَمْرًا نَحْيَا هُودًا وَالدِّينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْ﴾

(سورة هود : ٥٨) .

• وقوله .

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا نَحْيَا صَالِحًا وَالدِّينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْ﴾

(سورة هود : ٦٦)

• وقوله :

﴿وَنَحْنُ جَاءُ أَمْرًا نَجِيَّتْ سَعِيًّا وَالدِّينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنْ﴾

(سورة هود : ٩٤) .

ويعود فنقول مع القرآن الكريم

﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(١) الأَب : ٨٣ ، ٨٤

(٢) الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨

(٣) الأَحْيَاء : ٨٩ ، ٩٠

(٤) الأَعْرَاف : ٥٦

وهي ليست قرية من الأنبياء والرسل بحسب ، ولكنها قرية من كل محسن ، إنها قرية من آمن وعمل صالحاً ، فتكون السعادة :

﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ مُّحْسِنٌ حَيَاةً طَيِّبَةً وَنَخْرِبُهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

(سورة النحل : ٩٧)

وهي قرية من المؤمنين ، فتكون تعريفاً للكرب ، وإزاله للهم ، وسعة في الرزق .
يقول سبحانه :

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

(سورة الطلاق : ٢ ، ٣)

إن الله سبحانه برحمته يجعل له مخرجاً من كل هم ومن كل ضيق ويرزقه من حيث لا يحسب .

والله سبحانه يدعو الإنسان دائماً ألا يأس من رحمة الله
يقول سبحانه :

﴿وَمَنْ يَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾

(سورة حجر : ٥٦) .

ويأخذ سبحانه على الإنسان بجهه وشحه ، ويدكر سبحانه أنه لو ملك حرائر الله
خمله شحه على الإمساك حشمة الإماق
يقول سبحانه

﴿قُلْ إِنْ أَنْتُمْ تَهْتَكُونَ حُرْمَاتِي رِجْسًا لِلْأَنْفُسِ فَهِيَ لِلْإِنْسَانِ
فَبَرِّئًا﴾ (سورة الإسراء : ١٠٠)

وحسبنا ينصر الإنسان إن انكون يحد رحمة الله بالإنسان سارية في جميع أحواله ،
يقول تعالى

﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتُبَيِّنَ مِنْ قَضَائِهِمْ
وَتَشْكُرُوا﴾ . (سورة القصص : ٧٣) .

ويقول تعالى

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ حَقَّقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ﴾ .

(سورة الرزم ٢١)

وبعد :

هإن من القرائن الإلهية فى الرحمة :

١ - الراحون يرّحمهم الرحمن .

٢ - ارحموا من فى الأرض يرّحمكم من فى السماء .

٣ - الشاة ، إا رحمتها رّجمت الله .

٤ - من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته .

من فرّج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرح الله عنه كربة من كرب يوم القيامة .

٦ - من ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة .

٧ - الله بى عزو العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

يتحدث الرسول ﷺ ، عن وضعه فى هذا العالم يقول :

« إنا أنا رحمة مهداة » .

إنه ﷺ « رحمة » أهدها الله إلى الإنسانية ؛ ليرحمها به

ليرحمها بالنعاليم التى أنزها عليه ، ليرحمها به كقدوة ؛ ليرحمها به باعتباره صورة بلكمال
الإنسانى كما أحبه الله .

وبروى الإمام مسلم فى صحيحه أنه قيل :

يا رسول الله ، ادع على المشركين .. فقال -

إنى لم أبعث لعناً ، وإنا بعثت رحمة .

ولقد كان رسول الله ﷺ يذكر المسعير بالرحمة ، كما كانت هناك مناسبة

فى يوم من الأيام يسما كان المسعود عاندين من عزوه « ذات الرفاع » جاء رحن بصرخ
صاثر ، فاقبل أحد أبوى الفرخ حتى طرّح نفسه بين يدى الذى أحد فرجه ، فعحب الناس
من ذلك ! فانهر رسول الله ﷺ المرصة كعادته - ليعظهم ويذكرهم بالله ، ويحييهم
فيه ، فقال

« أتعجبون من هذا الطائر ؟ .. أحسنت فرحه ، فطرح نفسه رحمة لفرحه ، والله ليرحم
أرحم بكم من هذا الطائر بفرحه !!

وفي مرة أخرى ، رأى رسول الله ﷺ ، امرأة تضم طبعها إلى صدرها في حنان يابغ ،
وحب عميق ، فانصرفت إلى أصحابه ، وقال لهم .

أُتْرُونَ هذه طارحةً ولذها في النار ؟ .

قالوا : لا ، يا رسول الله .

فقال ﷺ

« والله ، لله أرحم بعباده من هذه بولدها !!

وفي يوم من الأيام ، رأى أحد الأعراب رسول الله ﷺ ، يقبل أحد أسباطه ، فقال
مندهشاً .

أقبلون أبناءكم ؟ . إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم قط

فمره . ﷺ . في نوع من الاستهجان - أن الله قد مرع الرحمة من قبله

ولقد تعدت رحمه ﷺ الإنسان إلى الحيوان .

وكتب السيرة تروى أنه ﷺ ، مر ذات يوم ، على بستان رجل من الأنصار ، فدخله ،

إذا جمل يش وتدرج عياه ، فأنابه النبي ﷺ ، فمسح عليه ، فسكت

ثم قال ﷺ . « مَنْ رَبُّ هذا الجمل ؟ » .

فجاء حتى من الأنصار ، فقال : هذا لي يا رسول الله .

فقال له : ألا تتقى الله عز وجل في هذه البهيمة التي ملكك الله ؟

إنك تجيعه وتدثه (أي تتعبه وتجهده) .

فخجل الشاب الأنصاري ، وتغير سلوكه مع الجمل

ومن لدعي ذات المغري ، أن رسول الله ﷺ ، كان يتحدث عن الرحمة ، ويحث عليها ،

يدعو إليها ، ويعرف منزلتها من الدين ، فقال بعض الصحابة رسول الله ﷺ عليهم

« إنا نرحم أزواجنا وأولادنا وأهيبنا »

فلم يرص هذا القول رسول الله ﷺ : لأنه فهم فاصر لحدود لما يبيعى أن يكون عاماً

مطلقاً ، ولذلك رد عليه رسول الله - ﷺ - بقوله :

ما هذا أريد ؟ .. إنما أريد الرحمة العامة .

وما من شك في أن من الرحمة رحمة الأرواح والأولاد والأهل وقد حث على ذلك رسول الله ﷺ .

بيد أن ما أراده الرسول ﷺ : إنما هو أن تتضمن الرحمة في الكيان الإنساني كله ، حتى تصبح وكأنها من فطرته وطبيعته وجبلته ، فيكون الإنسان وكأنه قس من الرحمة الإلهية ، ينثرها إذا سار ، وينثرها أينما كان ، وينثرها حينما حل .

وإذا كان كذلك ، فإنه يكون قد حقق الطابع العام لدراسة الإسلامية . واستحق أن يعمره الله برحمته

إن رسول الله ﷺ - وهو الذي أفهم الصحابة أنه إنما يريد الرحمة العامة - تجاوز مفهومه إلى رحمة الحيوان .

ومن أجل ذلك . تتضمن الرحمة في الجو الإسلامي : الرحمة بالحيوانات أيضا

عن ابن عمرو - رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ .

« دخلت امرأة النار في هرة ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » ..

وفي رواية

« عذب امرأة في هرة سجنها حتى ماتت ، لا هي أطعمتها وسقتهما إذ حسنتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » : رواه البخاري وغيره ..

وعن سهل بن الحظيرة - رضى الله عنه - قال :

« مر رسول الله - ﷺ - ببعير لصرق ظهره يبطه ، فقال :

« اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » .

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ ، قال

« ذب رجل إلى بئر ، فترل فشرب منها ، وعلى البئر كلب يبهث ، فرجمه ، فزرع إحدى خفيه فسقه ، فشكر الله له ، فأدخله الجنة » ..

رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وهذه جملة من الأحاديث للرسول ﷺ في الرحمة ، تبين عن روحه ﷺ القياصة بهذه الصفة ، التي جعلها الله سبحانه وتعالى شعار هذه الأمة

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ :
« من لا يَرْحَمْ الناسَ لا يَرْحَمُهُ اللهُ » .

وعن أبي موسى رضى الله عنه - أنه سمع النبي ﷺ يقول :
« لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَرْحَمُوا ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ ، « كُلُّنَا رَحِيمٌ » ، قَالَ « إِنَّهُ لَيْسَ بِرَحْمَةٍ أَحَدُكُمْ صَاحِبُهُ ، وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الْعَامَّةِ » .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« مَنْ لَمْ يَرْحَمْ النَّاسَ لَمْ يَرْحَمُهُ اللهُ » .

وعن جرير رضى الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« مَنْ لَا يَرْحَمُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ، لَا يَرْحَمُهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ » .

إنما أنا رحمة مهداة : ﷺ .

إن الله سبحانه وتعالى ، يقول لرسوله الكريم ، ﷺ .
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) .

إنه سبحانه لم يقل رحمه لقصر معين ، ولم يقل رحمة للإنسانية محسب ، وإنما قال
﴿رحمه للعالمين﴾ .

إنه سبحانه عمم الرحمة ، فجعلها : للعالمين .

وفي حديث عن الرحمة ابتدأنا بها صفة من صفات الله تعالى ، كما تحدث عنها سبحانه في القرآن الكريم ، وكما تحدثت عنها السنة .

والآن نتحدث عن الرحمة . صفة من صفات رسول الله ﷺ

لقد التقى رسول الله ، بأمك في عار حواء ، وبدأت رسالة الإسلام باهرة رائعة ، وكان هذا الاجتماع متمثلاً في قوله تعالى

﴿إِنَّمَا أَمْرٌ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) .

(١) الأنبياء ١٠٧

(٢) العلق ١ - ٥

يقول الإمام البحارى فيما رواه عن السيدة عائشة رضى الله عنهما .

مرجع به رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت حويلد - رضى الله عنها فقال « رملوى زملونى » ، فملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة وأخبرها الخبر - « لقد خشيت على نفسى » فقالت خديجة :

« كلا ، والله ، ما يحزبك الله أبداً إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعلم ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » .

كانت السيدة خديجة رضوان الله عليها تعرف رسول الله ﷺ حو المعرفة ، كانت تعرفه عن سمع ، وكانت تعرفه عن معايشة . وحيثما قال لها « لقد خشيت على نفسى » أقسمت مباشرة دون تردد ، ودون إبطاء على أن الله لا يخزيه أبداً . ثم حلت ذلك مجموعة من الصفات ، تبين كلها فى صفة واحدة ، هى الرحمة . لقد أدركت السيدة خديجة بصيرتها الصادقة ، أن من القوانين الإلهية : أن رحمة الله قريب من الرحماء ، وأنه سبحانه لا يخزي الرحيم

ولقد وصفت رسول الله ﷺ بالصورة التى انفرد بها فى حياته « الرحمة » .

وبدأت السيدة خديجة - رضوان الله عليها - بقولها .

« إنك لتصل الرحم » .

والرحم - فى الجو الإسلامى - يتدنى بالأب والأم ، وللاب والأم مكانتهما فى الإسلام .

ولقد ذكرهما الله سبحانه وتعالى فى القرآن كثيراً فى أعقاب ذكره للعقيدة الأسامية فى القرآن ، وهى عقيدة التوحيد ، مباشرة

ومن ذلك ما يقوله سبحانه فى سورة الإسراء .

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إِنَّمَا يَتَّبِعْ عندك الكبير أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، وانخفض لهما جح الدل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^(١) .

ويقارن الله سبحانه وتعالى فى معاملة الوالدين ، وفى الصلاح والتقوى ، بين طائفتين :

(١) الإسراء - ٢٣ ، ٢٤

بما يجد هما . فيقبل منهم أحسن ما عملوا ويتحاور عن سيئاتهم
يقول سبحانه في هؤلاء .

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِالذِّينِ إِحْسَانًا حَمِيتُ اللَّهُ كُرْهًا ، وَوَصَّيْتَهُ كُرْهًا ، وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ
ثَلَاثُونَ شَهْرًا ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دُرِّي إِذْنِي ثُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقْبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَارَرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقِ الَّذِي كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(١)

وأما الطائفة لثانية فإن الله سبحانه وتعالى يصممها بالحسرة . إنها الطائفة التي عنت
والديها .

يقول سبحانه

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِهِ أُولَئِكَ لَنُكَمَّ أَنْعَادِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمْ
يَسْتَعْجِلُونَ اللَّهَ وَيَسْتَأْمِرُونَ ، إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ، فَيَقُولُونَ مَا هَذَا إِلَّا فُتُورُ الْأَوَّلِينَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ
حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾^(٢) .

وأما أحاديث رسول الله ﷺ ، بالسبب لصلة الرحم ، فإنها كثيرة

سها الحديث المشهور عن أبي هريرة رضي الله عنه - فيما رواه البخاري عن النبي ﷺ

قال :

« إِنْ اللَّهُ حَقَّقَ الْحَقَّ ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ
لِقَاطِعَةٍ . قَالَ نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْصِعَ مَنْ قَطَعَتْ ؟ »

قالت : بلى ، يا رب .

قال : فهو لك . .

قال رسول الله ﷺ . فافرأوا إن شئتم

﴿فَإِنَّهُمْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَنُفْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ
اللَّهُ فَأَصْمَتُهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾^(٣) .

(١) الأحقاف ١٥ ، ١٦

(٢) الأحقاف ١٧ ، ١٨

(٣) عم ٢٢ ، ٢٣

وتقول السيدة خديجة رضوان الله عليها .
« ونحمل الكل » ..

والكل . هو الذي لا يستقل بأمرة ؛ لأنه في حاجة إلى من يأخذ بيده ؛ إلى من يحمله
وكان رسول الله ﷺ ، يحمل الكل . وكان ﷺ ، « يكسب المعدم »
والمعدم : هو الذي لا تصرف له ولا كسب .

وكان رسول الله ﷺ يهيئه ويعاونه .
وتقول السيدة خديجة :

« وتقري الضيف » .

وكان رسول الله ﷺ كريماً ، وكان جواداً ..
ويصفه ابن عباس في كرمه ، فيقول :

« كان أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه
في كل ليلة من رمضان فيدرسه القرآن ، فمرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسية »
وتقول السيدة خديجة :

« وتعين على نوائب الحق » .

ولقد كان رسول الله ﷺ ، يسارع بتقديم الدعوة لكل من دابته نائية ، وقد يكون تقديم
الدعوة بالمال ، وقد يكون بالرأي ، وقد يكون بالواسطة . وبالكلمة الطيبة ، وبالشفيع
وعرس التفاوض في نفس انصاف ..

ويقول الإمام ابن حجر عن هذه الكلمة :

« وقولها » وتعين على نوائب الحق « هي كلمة جامعة لأمراد ما تقدم وليس كما يتقدم »
ودلت فهم عميق لهذه الكلمة الجامعة

وكان استباح السيدة خديجة رضوان الله عليها أن لله سبحانه وتعالى من أحل هذه
انصاف الرحمة ، أو من أحسن هذه الرحمة الشاملة ، لا يحزبه ﷺ وإن يحزبه
وكان هذا أو قدوة أعنته السيدة خديجة رضوان الله عليها - في الجود الإسلامي
« إن من كان رحيمًا لا يحزبه الله في الدنيا والآخرة »

وهو قدوة عام شامل في الجود الإسلامي ، ليس خاصا برسول الله ﷺ ، ومن أحب أن
لا يحزبه الله في الدنيا والآخرة ، فيسترهم الرحمة يقول ﷺ

« اِرْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاعْمِرُوا يُفْرَحْ لَكُمْ »^(١) .

وبين الله سبحانه مدى ما بلغت إليه رحمة الرسول ﷺ فيقول
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) .

ويجس القرآن الكريم ، حرص الرسول ﷺ ، على هدية قومه ، وخوفه عليهم من
الهلاك ، إلى درجة كادت تؤدي بحياته ، فيقول :
﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .
ويقول :

﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِسُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٤)
ويصف الله سبحانه رسوله ، ويصف رسالته ، فيقول :
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٥) .

يقوم الإمام الرزى :

« إِيَّاهُ - ﷺ - كَان رَحْمَةً فِي الدِّينِ وَفِي الدُّنْيَا .

أما في الدين . فلأنه بعث والناس في جاهلية وصلالة ، وأهل الكنايس كانوا في حيرة
من أمر دينهم ، لطول مكشهم ، وانقطاع نواتهم ، ووقوع الاختلاف في كتبهم ، صحت
الله تعالى عمداً ﷺ ، حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى المور والثواب ، فدعاهم إلى الحق ،
ويبين لهم سبيل الثواب ، وشرع لهم الأحكام ، وميز الحلال من الحرام ثم إنما يتنمعه بهذه
الرحمة من كانت همة طلب الحق ، فلا يركن إلى التقيد ، ولا إلى العباد والاستكبار ، وكان
التوفيق قريباً له ، قال الله تعالى :

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشَفَاعَةٌ ، وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آدَانِهِمْ وَقُرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى﴾^(٦) .

(١) رواه البخارى في الأدب وأحمد في مسنده واليهي في شعب الإيمان

(٢) التوبة : ١٢٨

(٣) الشعراء ٣

(٤) الكهف ٦

(٥) الأنبياء ١٠٧

(٦) صمت ٤٤

وثمما في الدنيا ، فلأنهم تحلصوا بسببه من كثير من الدل والقتل والحروب ، وعصرو
ببركة دينه .

وروى الإمام مسلم ، بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال
قيل . يا رسول الله ، اذع على المشركين .

قال : إني لم أبعث لئانا ، وإنما بُعثت رحمة .

وروى الحاكم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال
« إنما أنا رحمة مهداة »

وروى البخارى في تاريخه عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ
« إنما بُعثت رحمة ولم أبعث عددا »
صلوات الله عليك يا سيدى يا رسول الله .

بعلمهم الكتاب والحكمة وبركيتهم

لقد نجدنا بتوفيق الله تعالى عن الحكمة في إرسال حاتم النبيين بمثلة في قوله تعالى
﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

والآن بدأ رسماً مجملًا لصوره الأمة الإسلامية ، كما أحياها الله ورسوله

ما هي الصورة التي أحياها الله ورسوله للأمة الإسلامية ؟

إنها الصورة الواقعية لتعاليم الرسول ﷺ

ما هو الموضوع في إجمال مجمل - الذى دارت حول تحقيقه جهود الرسول ﷺ ؟

إن الله سبحانه وتعالى ، أجمله في عدة آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى .

﴿لقد مرَّ الله على المؤمنين إذ بعثَ فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويركيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^(١)

﴿هو الذى بعثَ في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويركيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^(٢)

(١) آل عمران آية . ١٦٤

(٢) الجمعة ٢

﴿الر ، كتابُ أُرِلناه إِلَيْكَ لتُخرجَ الناسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١) .

وَإِذَا أَرَدْنَا - بِرِعايَةِ اللَّهِ أَنْ نُدَحِّصَ صُورَةَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي تَعَالِيمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَفِي تَعَالِيمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنَّا نَقُولُ :

إِنَّمَا الْأُمَّةُ الْعَالِمَةُ ، وَالَّتِي تَزُكِّي بِالْمُبَادِئِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَجَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، إِنَّمَا كَانَ لِإِخْرَاجِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ : مِنَ ظُلُمَاتِ انْجِهالٍ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ ، وَمِنَ ظُلُمَاتِ السُّعْيِ إِلَى نُورِ الْهُدَايَةِ .

لأنَّهُ ﷺ « يَعْصِمُ الْكِتَابَ وَيُحْكِمُ رِزْقَهُمْ »
وَنَبْدَأُ فِي شَرْحِ ذَلِكَ ، بِمَا بَدَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ فِي أَوَّلِ آيَةِ نَزَلَتْ فِي دَسْتُورِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَعْلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

إِنْ أَوَّلُ كُتْمَةٍ وَرَدَتْ فِي الْوَحْيِ الْإِسْلَامِيِّ ، هِيَ : اقْرَأْ

وَالْآيَاتِ الْأَوَّلَى الَّتِي نَزَلَتْ فِي اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ هِيَ :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٢) .

إِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْأَوَّلَى ، تَذَكُرُ الْأَمْرَ بِالْقُرْآنَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَتَذَكُرُ مَادَّةَ الْعِلْمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَتَذَكُرُ الْقِسْمَ بِاعْتِبَارِهِ إِحْدَى وَسَائِلِ الْعِلْمِ .

وَحِينَما فَسَّرَ الْمُرْحُومُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عَبْدُهُ هَذِهِ الْآيَاتِ ، عَقَّبَ عَلَيْهَا قَائِلًا :

« لَا يَوْجَدُ بَيَانُ أَمْرٍ ، وَلَا دَلِيلُ لُقْطَةٍ ، عَلَى فَصْلِ الْقُرْآنَةِ وَالْكِتَابَةِ وَالْعِلْمِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهِ مِنْ اخْتِصَاحِ اللَّهِ كِتْمَهُ وَابْتِدَائِهِ الْوَحْيَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ لِإِبْهَارِهِ » هـ

لَقَدْ افْتَتَحَ اللَّهُ الْوَحْيَ فِي السَّنَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْمُعْجَزَةِ بِخَالِدَةٍ ، الَّتِي تَذَكُرُ الْقُرْآنَةَ وَالْكِتَابَةَ وَالْعِلْمَ ، وَالَّتِي تَرُدَّدَتْ فِيهَا مَادَّةُ الْعِلْمِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ

وَبَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةُ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى

﴿وَن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطَرُونَ﴾^(٣) .

(١) إِبْرَاهِيمُ : ٦

(٢) الْعَلَقُ : ١ - ٥

(٣) الْقَلَمُ : ١٠

وهي هذه المرة الثانية من الوحي ، بدأ الله سبحانه بحروف من حروف الهجاء ، وأقسم بالقلم والكتابة ، فكان أول قسم في هذا القرآن ، هو القسم بالقلم وبما يسطر بالقلم أما اسم الكتاب الموحى به ، فإنه القرآن

يقول الرابع الأصمهاني :

« قال بعض العلماء تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله ، لا لكونه جامعًا لثمره كنه ، بل لجمعه لثمره جميع العلوم ، كما أشار تعالى إليه بقوله .

﴿وتفصيل كل شيء﴾^(١) .

وقوله .

﴿يُتَيْنَا لَكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢) اهـ

ونقرآن - بتسميته . وبأول آيات رلت منه وبأول قسم فيه بوجه الإنسان - بصري مباشر ، وبطريق إيحائي إلى الانجاء نحو المعرفة . قراءة كتابه وعملاً

ما هي منزلة العلم في الإسلام ؟

إن الله سبحانه يقول :

﴿إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣)

وحشة الله التي هي ثمرة العلم ، أساس من أهم أسس إسلام الوحي لله ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام إنه ضرورة وليس ترف فهو من أسس الإسلام

نفسه

ومن أجل ذلك ، كان من مقومات شخصية المسلم العلم . العلم بالله العلم بالعلم بالكون ، وبالإنسان ، وبالعصر ، وبكل ما تتسع له الكلمة من معنى كريم

ونقد أورد الإمام البخاري في صحيحه كتاب أسماء كتاب العلم : قسمه إلى أبواب منها : باب . العلم قبل القول والعمل .

يقول الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٤) فبدأ بالعلم . وأن العلماء هم ورثة

(١) يوسف ١١١

(٢) النحل ٨٩

(٣) طه ٢٨٠

(٤) محمد ١٩

الأنبياء ، ويرثون العلم .. من أحده أخذ بحظٍّ وافر ، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً ، سهل الله له طريقاً إلى الجنة .. وقال جل ذكره : ﴿ إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (١) . وقال ﴿ وَمَا يَعْقِبُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾ (٢) . ويقول : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣) . وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ ﴾ (٤) وقال النبي ﷺ - : « من يرد الله به خيراً يفقهه » « وإنما العلم بالتعلم » .

وقال أبو در لو رصعتم الصمصامة على هذه وأشار إلى قمه ثم ظلت أبي أنعد كلمة سمعتها من النبي - ﷺ - قبل أن تجيروا عني لأمتها .
وقال ابن عباس : كونوا ربانيين : حلماء فقهاء .
ويقال الرباني الذي يرى الناس بصبر العلم قبل كباره »

(خ)

عن عبد الله بن مسعود قال : قال النبي - ﷺ -
« لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً سبط على هكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »

(خ)

والآن تساءل إلام تؤدي خشية الله التي هي ثمرة العلم ؟
إلام ينتهي العناء الصادقون المؤمنون ؟
يقول الله تعالى :
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٥) .

-
- (١) فاطر ، ٢٨
(٢) المكنوت ، ٤٣
(٣) انفك ، ١٠
(٤) الزمر ، ٩
(٥) آل عمران ، ١٨

لأنهم يصلون عن صريف العزم لدى يتم إحشية إلى لتوحيد التوحيد الذي هو سمه
لدى الإسلامى كما يرى البيرونى والذى هو - فى حقيقه الأمر - سمه التدين الصادق
ويشهد العلماء التوحيد مع الله سبحانه ، ومع ملائكة الأنهار
إلى الله سبحانه ، قرن العلماء به ، وبملائكته ، فى شهادة التوحيد .

وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه بكرم العلماء من مكانه
وشهادة التوحيد النبى هى قمة الركز الأول بالإسلام ؛ وهو "أشهد أن لا إله إلا الله ،
وأشهد أن محمداً رسول الله .. لا يشهدا إلا العلماء المؤمنون
إلى شهادة التوحيد هذه ، قد وجه الله الأنظار إليها بأساليب شتى
ومن هذه الأساليب ، ما لا يقدره فى وقته وروعه رائعه إلا العلماء

﴿ قُلْ حَمْدُ اللَّهِ وَسُلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اضْطَمَى ، أَنَّهُ حَيْرٌ أَمْ مَا يَشْرِكُونَ ؟ ﴾
« النمل ٥٩ »

﴿ أَمْ أَمْرٌ حَقٌّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتَ بِهِ حَبَائِقَ دَنِّ يَهْجَى
مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَسْبُوَ شَجَرَهَا ، إِنْهُ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ شِمُّ هُوَ يَمْدُونُ ﴾
﴿ أَمْ أَمْرٌ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقًا أَنْهًا وَجَعَلَ حَاوِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْخُرْنِ
حَاجِرًا . إِنْهُ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
﴿ مَنْ يَجِبُ اضْطِرَادُ دَعَا وَيَكْشِفُ اسْوَاءَ وَيَجْعَلُكُمْ حَمَاءَ الْأَرْضِ إِنْهُ مَعَ اللَّهِ ۚ
قَبِيلًا مَا تَدْكُرُونَ ﴾

﴿ أَمْ أَمْرٌ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتٍ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ إِنْهُ مَعَ
اللَّهُ . نَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . « النمل ٦٣ »

﴿ أَمْ أَمْرٌ يَنْدُوُ خَلَقَ ثُمَّ يُعِدُّهُ وَمَنْ يَرْفَعُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ، إِنْهُ مَعَ اللَّهِ ، قُلْ هَآؤُنَا
بِرَهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

ثم يعقب الله سبحانه على هذه الآيات بأنه مهما بيع العلماء بعلمهم ، فإن الجهور
كثير ، وإيه لا يعلم هذا الجهور اعيب إلا الله سبحانه والتعقب تكريمه معاه أن العزم

لا ينتهى إلى غاية ، وأن كشف المحجور رسالة لا تنتهى ، ما دامت السموات والأرض ،
فيقول سبحانه

﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْعِيسَى إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُنْعَثُونَ﴾^(١) .
ومن أجل شهادة التوحيد ، أو من أجل وصول الإنسانية إلى أقصى ما ينتهى إليه بالنسبة
للإنسانية - كل بحسب استطاعته في معارج القدس حيث لإسلام على العلم موجه
إليه ، وجعله من أسس الدين نفسه .

لقد حث عليه في صور بلغت من الروعة حدا لا يحارى
والآيات والأحاديث التى وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم ، كثيرة مستقيمة
وإذ كان العلماء يشهدون التوحيد مع الله ومع الملائكة ، فإن منزلتهم بالمكان السامى ،
ودرجاتهم سامية فى الرفعة والعلو
﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)

ولهذه الحواش من فصل العلم والعلماء ، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله . وهو هدوة
لمسلمين وأسوبهم أن يقول :
﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(٣)

رب زدنى علماً فى كل يوم ، بل فى كل لحظة .
ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلم .
وإذا ما ازداد المسلم علمه ازداد خشية .. وإذا ما ازداد خشية تحقق فيه إسلام الوجه لله
على صورة أكمل ..

ومن الملاحظات التى يجب أن تكون دائماً فى الذاكرة ، أن الكلمة الأولى التى نزل بها
الوحي على النبى صلى الله عليه وسلم ، مشرة بعهد من سور جديد ، هى كلمة اقرأ
ورضيت لكم الإسلام ديناً

وبعود فتسأل من جديد ما هو مفهوم الإسلام ؟

(١) النمل ٦٥

(٢) مجادلة ١١

(٣) طه ١١٤

وقد تحدثنا عن جانب من ذلك بعد مضي ، واستمر على الحديث عن ذلك الآن من روي
أخرى ، مطلقين في ذلك عن القاعدة التي تشير إلى أن صدق الرسالة دليل على صدق
الرسول :

إن الله سبحانه وتعالى ، يبرك أمة الإسلام أنه سبحانه وتعالى ، صلى لنا الإسلام
ديناً ولكنه سبحانه وتعالى ، يس أيضاً أن الدين عنده ، إنما هو الإسلام .

يقول سبحانه وتعالى

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . «آل عمران ١٩»

إنه إذا ، الدين الذي أحل سمة العموم والشمول .

ومن أجل ذلك ، فإن الكلمة نفسها «إسلام» لا تشير إلى شخص معين ، فليس مثلاً
مثل المودية التي تشير إلى يودا ، ولا الكهوشية التي تشير إلى كونهشوس

ولا تشير الكلمة إلى جنس كما تشير اليهودية .

ولا تشير إلى مكان ، ولا تشير إلى زمن ، إنها كلمة لا يحصرها شخص ، ولا جنس ،
ولا زمان ، ولا مكان .

إنها تصعب - بمجرد سماعها وبهم معناها مباشرة في محط الإطلاق والعموم
والشمول .

أما معناها ، فقد بين القرآن الكريم الكثير من زواياه في غير آية من آياته الكريمه ، وبين
الرسول ﷺ كثيراً من روايه . وادعى الكامل لها هو القرآن الكريم كله . وأحاديث الرسول
ﷺ الصحيحة الوروده ، وعمه ﷺ .

إن رسول الله ﷺ قد طبق الإسلام في مجتمع مثالي ، فأخرجه بذلك من نظريات
ومبادئ إلى واقع محسوس

ولعل انقضى الكريم يذكر أن أفلاطون قد أتاحت له الفرصة أن يطبق نظرياته التي رسمها
في جمهوريته ، لقد عرض إليه الأمر في أن يحقق جمهوريته بحيث يخرج بها من خيال إلى
واقع . فأخفق إنحفاً كاملاً ، وبعد سنوات أتاحت له الفرصة مرة أخرى فأخفق للمرة
الثانية إنحفاً تاماً ، وكان ذلك برهاناً كافياً على أنه يسبح بجمهوريته في عالم الخيال
والوهم

أما رسول الله ﷺ فإنه حرج بالإسلام عن الهدى المكتوبة إلى الواقع المنظور ، وكون
بدئت وترهق الله محتملاً إلهياً بسير على النسق الذى أحبه الله سبحانه وتعالى .

لقد غير المجتمع وحرج به من جاهلية إلى إسلام ، ومن وثنية إلى توحيد ، وكان التعبير
جذباً في المجتمع وفي الأفراد ، في لسوك والعقيدة والتشريع .

ونظر إن شئت إلى المجتمع الجاهلى في صورته السابقة بإسلام ، ثم في صورته
الإسلامية .

واقراً تاريخ هذه الحقبة من الأفراد أمثال عمر رضى الله عنه ، وحاند بن الوليد ، وغيرهما
من صفوة المسلمين من الرعيل الأول أقر تاريخهم قبل الإسلام بعده ، فسترى الفرق
الواضح بين عهدين : عهد الجاهلية ، وعهد الإسلام .

ونقد بدأ الإسلام بقوة بعقيدة التوحيد هذه العقيدة التى تعبر الأساس الأول والأصيل
في الدين الإسلامى

إن سربى العالم امسلم الذى يقول عنه المستشرق صاحبا « به أكبر عقلية ظهرت
على وجه التاريخ » قد أجد يشرح في دقة مستيرة طابع كل دين ، فلما وصل إلى الإسلام ،
قال :

إن طابعه يتركز في كلمة واحدة هي : التوحيد .

يقول تعالى .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ
شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آرِبَاءاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١)

— ٢ —

﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ المائدة ٣ ،

صدق الله العظيم

وعود إلى هذه الكلمة القرآنية الكريمة نرى بعض نتائجها

من هذه النتائج قوله تعالى .

(١) آل عمران ٦٤

﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١)
ومنها قوله تعالى .

﴿فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نَجْوٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢) .

ومنها قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)

والكلمة القرآنية الكريمة التي اتحدناها عنواناً ، هي تكلمة بكتابة بوزانية مباركة .

وقد وردت هذه الكلمات على السبق التالي .

﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عبككم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٤) .

عن علي بن طلحة ، عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قوله : « اليوم أكملت لكم دينكم » وهو الإسلام - خير الله به ﷺ والمؤمنين أنه أكمل هم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضى الله فلا يسخط أبداً

أما عن عنوان كلمتنا هذه ، فإن الإمام الأكبر ابن كثير رضى الله عنه ، يقول به .
﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ أى فرضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذى أحبه الله ورضيه ، وبعث به أفضل الرسل الكرم ، وأنزل به أشرف الكتب .

ولقد رويت في هذه الكلمات إشارات بآسانيد مختلفة عن كثير من الصحابة روى بعضها الإمام البخارى والإمام مسلم وروى بعضها غيرها

ذكر منها روايتان ، أم أولاهما : فعن طارق بن شهاب قال :

« جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب ، فقال :

(١) الأنعام . ١٢٥

(٢) الزمر . ٢٢

(٣) آل عمران ١٠٢

(٤) المائدة ٣

يا أمير المؤمنين . إنكم تقرءون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود بركت لانحدنا ذلك اليوم عيداً .. قال وأى آية ؟ .. قال

قوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ - فقال عمر :

(والله ، إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ : عشية عرفة في يوم الجمعة)^(١)

وأما ثانيتهما ، من عمار - مولى بني هاشم أن ابن عباس رضى الله عنهما قرأ ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ فعان يهودى . نو نزلت هذه الآية عبدا لانحدنا يومها عيداً

فقال ابن عباس فإنها نزلت في يوم عشرين اثنين : « يوم عيد (وعرفة عيد) ويوم جمعة »^(٢)

وكما يعتبر نزول ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ مفتتح الوحي ، وتعتبر عيداً بالنسبة للمسلمين .. فإن نزول

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ آخر نزول الوحي ، وعيداً بالنسبة للمسلمين .

وبعد : فقد روى البغوي - بسنده - عن جابر بن عبد الله قال .

سمعت رسول الله ﷺ يقول قال جبريل قال الله عز وجل :

(هدا دين ارتصيته لنفسى^(٣) ، ولن يصدحه إلا السحاء وحسن الخلق . فأكرموه بهما ما صحبتموه) .

— ٣ —

ورضيت لكم الإسلام ديناً

إن طمع الإسلام لأصيل إنما هو التوحيد كما قلنا التوحيد في معنيته ، والتوحيد في العبادة ، والتوحيد في الأخلاق

(١) روله أحمد والشيخان بسنده والترمذي والنسائي

(٢) روله أبي جرير

(٣) أى لا أقبل غيره كما قال تعالى ومن ينغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه

والتوحيد هي العقيدة ، تعبر عنه كلمة لصدق والإخلاص أشهد أن لا إله إلا الله
وعقيدته التوحيد كانت أساس الرسالة الإسلامية في مكة ، واستمرت كذلك في مذبحة
يروى الإمام أحمد ، عن ربيعة بن عباد وكان جاهلًا أعمى قال « رأيتُ رسول الله
ﷺ ، بَصَرَ عَيْسَى ، بسوق دى المجر ، يقول
« يا أيها الناس ، قولوا « لا إله إلا الله » تَقْلَحُوا » ، ويدخل محاجها والناس متفصصون
عليه أى مجتمعون حوله فما رأيتُ أحدًا يقول شيئًا ، وهو لا يسكت ، يقول
(يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تَقْلَحُوا)
وهي ذلك يقول ﷺ .

« حُدِّدُوا إيمانكم ، قيل : يا رسول الله ، وكيف نحدد إيماننا ؟ .
قال - أذكروا من قول : « لا إله إلا الله » (١)
وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .
(ما قال عبد بعد لا إله إلا الله محلصًا ، إلا فُتحت له أبوابُ سماء حتى يُفصى إلى
العرش ، ما اجْتَنَبَ الكبائر) (٢)

وعن جابر رضى الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :
(أفضلُ الذكر لا إله إلا الله ، وأفضلُ الدعاء حمدُ الله) (٣)
وإن من الكلمات التي تعبر عن التوحيد قولُ المؤمنين .
(لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء
قدير)

ولأن هذه الكلمة تعبر عن التوحيد الحائض وكان ثوابها عند الله عظيمًا وكانت مكانتها
سامية
أما عن مكانتها ، فعن يعقوب بن عاصم رضى الله عنه ، عن رجيين من أصحاب رسول
الله ﷺ ، أنهما سمعا رسول الله ﷺ ، يقول :

(١) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَأَبُو حَسَنِ

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ -

(٣) رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ وَالْحَاكِمُ

(ما قال عبد قيس لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، محلياً بها روحه ، مصداقاً بها قلبه ، باطناً بها لسانه ، إلا فتح الله عز وجل له السماء فبقا ، حتى يصعد إلى قائدها من الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله)
وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(حير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)^(١)

وأما عن ثوابها ، فقد أخرج إمامان البخاري ومسلم - رضى الله عنهما - من حديث أبي هريرة - رضى الله وجهه - أن رسول الله ﷺ قال :
(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة ، كانت له عدل عشر رجب ، وكسبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرراً من الشيطان يومه ذلك ، حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك) .

ومن الكلمات التي تعبر عن التوحيد تعبيراً قوياً
« لا حول ولا قوة إلا بالله »

وهي كثر من كنوز الجنة مع أبي موسى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال به

ر قل لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة^(٢)

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قل لى رسول الله ﷺ

« أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله لعل العظيم ، فإنها من كنز الجنة »^(٣)

وروى الحاكم وقال صحيح لا عنه له - أن رسول الله ﷺ ، قال لأبي هريرة

« ألا أعجبك أو . ألا أدلك - على كسبة من تحت العرش ، من كنز الجنة ؟ تقول

لا حول ولا قوة إلا بالله ، فيقول الله : أسلمت عبدي واستسلم »

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وهو ما جاء

(٣) رواه النسائي والبيهقي معزلاً ورواه ثعلب صحيح بهم

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ، ليلة أُسْرِىَ به ، مرَّ على سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقال : مَنْ معك يا جبرائيل ؟ قال هذا محمد فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام :

« يا محمد ، مَرُّ أَمَتِكَ فليكثرُوا من عرس الحجة ، فإن مريها طيبة ، وأرضها واسعة ، قال وما عرس الحجة ؟ قال : لا حول ولا قوة إلا بالله »
كل ذلك لأن هذه الأذكار تعبر عن التوحيد الحالص .



﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنرله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الخامس عن :

البيعة

البيعة

وصية البيعة بمفهوم الرسالة واضح كل الوضوح إن البيعة تحمل الرسالة وهذا الفصل إذن شديد الارتباط بما قبله إنه شرح لمفهوم الرسالة في صورة ثانية ، ونحن به شرح مفهوم الرسالة مرة أخرى .

روى الإمام البخاري رضى الله عنه من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه - وكان عبادة قد شهد بدرًا ، وهو أحد النقباء لينة العقبة - أن رسول الله ﷺ قال وحوله جماعة من أصحابه .

يا يعوبى على أن لا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا ولادكم ولا تأثروا بيهن يفترونه بين أيديكم ورجلكم ولا تعصوا من معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كغمار له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله ؟ فهو إلى الله : إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه ؛ فبايعاه على ذلك ..

وروى الإمام أحمد من حديث سمى بن قيس - وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه إلى القينين ، وكانت إحدى نساء بني عدى بن النجار - قالت

جئت رسول الله ﷺ فبايعه في سورة من الأنصار ولم شرط عليّ أن لا أشرك بالله شيئاً ولا سرى ولا برئى ولا يقتل أولادنا ولا تأتى بيهن يفتريه بين أيدينا وأرجسنا ولا نعصيه من معروف ، قال : ولا تمسشش رواجكى . قالت فبايعاه ثم انصرها ؛ فقلت لا مرة منهن أرجعى فسلم رسول الله ﷺ ما عثر رواجنا ؟ فألته فقال تأخذ ماله فتحنى به غيره

وبعد وردت بيعة النساء في القرآن الكريم ؛ يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَذِبْنَ عَلَيْكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَرْبِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِيَهْنٍ يُفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُسِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَ مِنْ مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

(١) الصفحة ١٢ .

وروى البيهقي بسنده عن جوير بن عبد الله قال أتيت نسي عليه السلام فقلت أبايعك على الإسلام . فشرط علي ، والصبح لكل مسلم . فابيعته على هذا .

وبما يعص هذه البيعة قوله تعالى :

﴿مَنْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ عَنِ رِزْقِكُمْ وَأَنْتُمْ وَارٍهُمْ وَلَا تَعْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطُنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالْيُسْرِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْغَى أَشَدُّهُ رُوفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُوا نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيُعْهَدُ اللَّهُ أَوْفَىٰ دِينِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، وَإِنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَقَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) .

وإذا أردت بحملا للتعاليم الإسلامية من القرآن الكريم فهو قوله تعالى :

﴿إِنْ اللَّهَ بِأَمْرٍ أَنْعَدُوا وَإِيتَاءَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَسْأَلُ عَنْ الْفَحِشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنِّفَىٰ يَعْظُمُ عَلَيْكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢)

وهذه الآية الكريمة آلف فيها الإمام العزيز عبد السلام . كما يقول صاحب كتاب الصبيحة العلوية - كتابا بين فيه أن هذه الآية شملت على جميع الأحكام الشرعية ، وبيّن ذلك في سائر الأبواب المفهية ، رسمى ذلك كتاب الشجرة ويقول تعالى :

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ مَشْرِقٍ وَمَغْرِبٍ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالرَّسُولِ ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣)

ويقول سبحانه :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ الْفَحْشَاءِ مَعْزُومُونَ ،

(١) الأنعام ١٥١ ٥٢

(٢) النحل ٩

(٣) البقرة ١٧٧

والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين هم نمرؤجهن حافظون ، إلا عني أرجوهم أو ما منكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴿١﴾ .

والقصص التالية ، تلقى بعض الضوء على مفهوم الرسالة الإسلامية .

• لما ظهر النبي ﷺ بمكة ؛ ودعا إلى الإسلام ، بعث أكرم بن صبيح ابنه ، حبيشان مائة بخره ، فجمع بنى تميم وقال لهم - فيما قال - :

إن أبى شاة هذا الرجل مشاهبة وأتاني بحبره ، وكتابه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ فيه بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى وحب الأوثان ، وترك الخلق بالبر ، وقد جف عرفت نور رأيكم أن الفضل فيما يدعو إليه ، وأن الرأي ترك ما ينهى عنه .

ثم يقول هذه الكلمات الرائعة :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حساً »

وسيل الله كما رآه أكرم ، هو توحيد الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والأخذ بمحاسن الأخلاق

وكلمة الأخذ بمحاسن الأخلاق ، كلمة جنية • جمعت فاستغرقت ، وشملت فصمت

أما كلمته الرائعة حقاً ، السامية حقاً ، العجبة في صدقها وإيجازها ومصاحها فهي قوله :

« إن الذي يدعو إليه محمد ، لو لم يكن ديناً لكان في أخلاق الناس حساً »

وبما هاجر المسلمون إلى أرض الحبشة ، شرح جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، للنجاشي مفهوم الرسالة الإسلامية قائلاً .

أيها الملك ؛ كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسئ الجور ؛ ونأكل القوي من الضعيف . فكننا على ذلك ، حتى بعث

الله إليا رسولا ما يعرب سبه وصدقه ، وشأنه وعصاه ، فدعنا إلى الله ، لتوحيده وعبده ؛
وتخلع ما كنا نعبد وآبائنا من دونه ، من الحجارة والأوثان ..

مرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصية الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم
والدماء ونهاه عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن
نعبد الله وحده لا بشرك به شيئا ، وأمر بالصلاة والصيام .. وسدّد به أمور الإسلام .. ثم
قال : فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدا لله وحده ؛ ولم يشرك به
شيئا ؛ وحرمنا ما حرم علينا وأحلنا ما أحل لنا .. فعدا علينا قوما .. معذبونا وهنونا عن دين
ليردونا إلى عبادة الأوثان ، من عبادة الله تعالى ، وأن يستحل ما كنا نستحل من الحبائث ،
فما قهرونا وطمعوا ، وصيخوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك

ولما قرأ عليه صدرًا من سورة مريم ، بكى النجاشي ، ثم قال

إن هذا والذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة .. لقد قرر النجاشي فور سماعه
المبادئ الإسلامية

إن هذه مبادئ حق ، وإنها آيات بينات لا يحصى صدقها على أصحاب الفطر السيمة .
وعلم أن ما أتى به محمد صنوات الله عليه وسلامه إنما يصدر من المبعى الذى كانت
تصدر عنه رسالة عيسى عليه السلام

وسبيل الله كما صورته سيدنا جعفر ' توحيد الله وعبادته وحده ، وصدق الحديث ، وأداء
الأمانة ، وصية الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، وإقام الصلاة وأداء
الزكاة والصيام ، والابتعاد عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة .

أول عقد من عقود البيعة

وأول عقد من عقود البيعة عدم الإشراك بالله :

وحينما يسمع الناس الحديث عن الإشراك بالله ، يتحده دهمهم فى الأغلب الأعم منهم ،
إلى نفى تعدد الآلهة .

إن الدهر يتجه : إلى أن هذه العقيدة التى كانت عند اليونان - هى عهودهم القديمة من
تعدد الآلهة ، وعند العرب فى جاهليتهم من عبادة الأصنام عقدة باطلة

لقد جعل اليونان إهالكل ظاهرة من ظواهر الكون الكبرى ، وكذلك فعل قدماء المصريين
فى عبادتهم ومشعبهم ، وكذلك فعل وثنيو العرب ..

بل إن الإنسانية وقد بدأت بالتوحيد الخالص على لسان آدم عليه السلام - قد انخرط سريعاً إلى التعدد فأحدثت الأنبياء والرسل تنوعاً تبعاً ، مباشرة بالتوحيد ، محايدة في سبيل منع التعدد ، وفي سبيل القصاء على الوثنية المنتشرة ولقد كان عدد الأنبياء والرسل كثيراً ، كثرة تناسب والاحراف المتوالي من الإنسانية منذ ظهورها ، لقد رل الأنبياء جميعاً يشرون بالتوحيد ، وكان كل نبي يدعو أمته إلى مثل ما دعا سيدنا محمد ﷺ - الإنسانية جمعاء ﴿أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مَهْدًى وَبَشِيرٌ﴾^(١) وسورة يونس ، وسورة هود ، والكثير من سور القرآن - على وجه العموم - تتحدث عن دعوة الرسل قومهم إلى التوحيد .

يقول سبحانه :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾^(٢) .

ويقول سبحانه .

﴿وَأِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَقْتَرُونَ﴾^(٣) .

ويقول سبحانه .

﴿وَأِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ تَتَوَبَّوْا إِلَيْهِ إِنِّي رَبٌّ قَرِيبٌ مُّحِيبٌ﴾^(٤)

وهكذا ، يرى كل نبي يدعو إلى عدم شرك بالله ، إنه يدعو إلى عبادة الله وحده ، وإدراك اتجاه الدهس إلى عدم تعدد الآلهة وإلى التوحيدانية ، فإن هذا الاتجاه صيحي ، وهو اتجاه حق

وهذا النوع من الشرك هو الذي يقول الله سبحانه وتعالى عنه

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْزُمُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعَزُّ مَا دُونُ ذَلِكَ لِي بِشَاءٍ﴾^(٥) .

(١) هود ٢٠

(٢) هود ٢٥ - ٢٦

(٣) هود ٥١

(٤) هود ٦١

(٥) الباء ١٦٦

وهو الذي ينفيه الله منطقياً بقوله :

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١)

ويقوله :

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سِبْحَانُ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾^(٢) .

ولكن التوحيد ليس معناه عدم التعدد فحسب ، كلا ، وهو وإن كان من معانيه عدم التعدد - فإن دائرته تتسع فتشمل أموراً أخرى .

يقول أبو سعيد الحرّاز :

« يَمَعْنُ شَرْحُ ذَلِكَ : أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ يَرِيدُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ ، بِجَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ ، وَحَرَكَاتِهِ كُلِّهَا - ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا ؛ لَا يَرِيدُ بِهَا إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ ، قَائِماً بِعَقْلِهِ وَعِلْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ وَقَبْهِ ؛ رَاعِياً لِمَعْنَاهُ ، قَاصِداً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِجَمِيعِ أَمْرِهِ »

وهذا الذي يقوله الإمام أبو سعيد الحرّاز رضي الله عنه - هو تصوير لبعض معاني التوحيد الحائض .

والتوحيد الحائض لا رياء فيه ، والله سبحانه وتعالى يقول

﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٣) .

وإن لمادة الأولى من البيعة الإسلامية تعني - فيما تعني من معاني تجريد القصد لله تعالى في كل عمل . ولا فلا ثواب ولا قبول للعمل .

﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٤)

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الإخلاص والصدق ، وتحدث عنها رسول الله ﷺ ، فيما لا يكاد يُخصى من النصوص والأحاديث

والتوحيد الخالص والشرك ، يبدآن بالنية .

يقول رسول الله ﷺ ، مبيّناً أن قيمة الفعل في الخير والثواب والقبول ، تتبع النية « إنما

(١) الأنبياء ٢٢

(٢) المؤمنون ٩١

(٣) الزمر ٣

(٤) لکهف ١١

الأعمال بالنية ، وهي رواية بالبيات ، وإنما لكل امرئ ما يوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لذيها بُصِيبها أو امرأة يَكُيْحُهَا فهجرته إلى ما هاجر إليه» (١) .

فإذا صدقت النية استقام أمر المسلم فيما بعد وإذا هما الإنسان هموة فعليه أن يتدارك الأمر : بالتوبة وصدق الية من جديد ..

وصدق النية شرط من الشروط التي يترتب عليها قبول العمل

ص الضحاك بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ :

« إن الله تبارك وتعالى يقرب : أن خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى ، يا أيها الناس ، أحصوا أعمالكم ، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له . ولا تقولوا هذه لله وللرحم ؛ فإنها للرحم وليس لله فيها شيء . ولا تقولوا هذه لله وبوجوهكم فإنها لوجوهكم وليس لله منها شيء » (٢) .

وعن أبي أمامة قال :

« جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلاً غزا يتمس الأجر والذكر ، ما له ؟ - فقال رسول الله ﷺ : لا شيء له ، فأعادها ثلاث مرات .. ويقول رسول الله ﷺ لا شيء له . ثم قال ﷺ : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه » (٣) .

وانوقع أن الإسلام يعلق أهمية كبيرة على إخلاص الية لله سبحانه وتعالى ، فإن من إخلاصها لله صدق اسريدة ، وطهارة القلب وفيها انتفاء التعلق والزلفى ، وبها تنتهى الزنة وينتفى الزيف والرياء .

ومن أجل ذلك ، حذر رسول الله ﷺ من الرياء تحذيراً شديداً ، وحث على الصدق والإخلاص في صور شتى ..

ولقد قام رسول الله ﷺ ، وحيداً فريداً يدعو إلى التوحيد بكل معانيه ، ويعلم حق في وجه الباطل ، ويدعو إلى الله في وسط كل شرك ، ويدعو إلى تعظيم الأصنام في بيئة تعبد الأصنام ، ودعوته ﷺ ورسالته إلى العالم أجمع ، إنما كان أساسها التوحيد . والإسلام

(١) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى

(٢) رواه الطبرار بإسناد لا بأس به والبيهقى

(٣) رواه أبو داود والنسائى بإسناد جيد

إنما هو دين التوحيد ، والتوحيد هو الإيمان الصادق اليقيني . بأن المهيمن على الكون والمتصرف فيه إنما هو الله سبحانه ؛ وأنه لو اجتمع أهل السموات والأرض على أن يجمعوا أى إنسان بشيء ، ما دعوه إلا بشيء قد قدره الله له ، ولو اجتمعوا على أن يصروا أى إنسان بشيء ، ما ضرّوه إلا بشيء قد قدره الله عليه .

وإذا كان الأمر كذلك - وهو كذلك لا محالة - فإنه لا يستلزم الإيمان الصادق والحواف من غير الله تعالى بى قلب المؤمن .

والتوحيد صراط الله .

وأول عقد من عقود البيعة إنما هو عدم الإشراف بالله ، إنه التوحيد ، ونحن لا نعلم لحديث عن التوحيد حتى ولو اتسمنا من أجل ذلك بشيء من التكرار ، فإنه تكرار لتمكين المكرة وتثبيتها .

يقول الله تعالى :

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَمِ صِرَاطُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١) .

وصراط الله : أساسه وجوهره ، إنما هو التوحيد .

إن التوحيد ، هو أساس صراط الله الذى لا يقيد رمان ولا يحدّه مكان

ومن أجل ذلك ، كان الأساس فى دعوة جميع الأنبياء والرسل .

يقول تعالى :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُودًا قَالُوا يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ﴾ (٢) .

ويقول سبحانه :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا صَالِحًا قَالُوا يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ (٣) .

ويعظم الله - سبحانه وتعالى - الحكم تعميماً ، ويجعله شاملاً شمولاً مطلقاً ، فيقول :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٤)

(١) الأنعام ١٠٣

(٢) هود ٥

(٣) هود ٦١

(٤) الأبي، ٢٥

وهكذا كان التوحيد : دعوة جميع الأنبياء والرسل

والتوحيد الذى هو جوهر الرسالات ؛ إنما هو التوحيد الشامل العام . أى توحيد الله سبحانه بالإلهية ، وتوحيده بالربوبية ، وتوحيده بالسيطرة والهيمنة على كل صغيرة وكبيرة ﴿قُلْ لَّهُمْ مَالِكُ الْمَلِكِ ، يُؤْتِي الْمَلِكَ مِمَّنْ شَاءَ ، وَنَزَعُ الْمَلِكُ مِمَّنْ شَاءَ ، وَنُعَرِّضُ مِمَّنْ شَاءَ ، وَنُبَدِّلُ مِمَّنْ شَاءَ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١) .

ولا يتأتى والله مالك الملك - أن يسأر الإنسان غير الله ؛ أو أن يستعين به غيره . وشعار المؤمنين ، الصادقين ؛ هو : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢) .

إن شعارهم « وإذا سألت فاسأل الله » وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يفعلوك بشيء لم يفعلوك إلا شيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليكم »^(٣) .

ويوضح هذا الإمام القشيري فيقول : إن الله تعالى مُغْنِي عِبَادَهُ بِعَصَمِهِمْ عَنْ بَعْضِ الْخَوَائِجِ - عَلَى الْحَقِيقَةِ - لَا تَكُونُ إِلَّا بِهِ ، لَا يَخْشَوْنَ لَكُمْ لَكُمْ نَفْسًا وَلَا ضَرًّا .. فكيف يملك ذلك لغيره ؟ ..

وهذا قيل : « تَعَلَّقُ الْخَلْقُ بِالْخَلْقِ ؛ تَعَلَّقَ الْمَسْجُونُ بِالْمَسْجُونِ » . وقيل « من رجع حاجته إلى الله تعالى ، ثم رجع عن حاجته إليه إلى غيره ؛ اتلاه الله بحاجة إلى الخلق ، ثم نزع رحمته من قلوبهم » ..

ومعنى التوحيد الحقيقي إلى النهاية : أن يُلْقَى الْإِنْسَانُ بِقِيَادِهِ - فِي اسْتِسْلَامٍ مُطْبَقٍ - إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وَأَنْ يَحْلُصَ بِهِ وَجْهَهُ إِحْلَاصًا لَا رِيَاءَ فِيهِ .

ولقد مثَّلَ رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال :

« إِيَّاهُ الْإِحْلَاصُ » ..

ويقول سبحانه : ﴿أَلَا اللَّهُ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(٤) .

« فكل ما ليس بخالصاً لوجهه لا يثيب عليه ، ولا يتقبله » .

(١) آل عمران ٦٠

(٢) العنقبة ٥ .

(٣) من حديث رواه الترمذي وقال فيه حسن صحيح ، وهو حديث أورس في الحديث النبوي إلى عبد الله بن

عيسى لونه « يا ظلام أظلمك كلمات : احفظ الله يحفظك »

(٤) الزمر ٢

ولقد بين رسول الله ﷺ : أن الرياء .. على اختلاف صورته - شرك يحبط العمل ..
يقول رسول الله ﷺ - فيما رواه الإمام أحمد -

« إن أخوف ما أخاف على أمتي : الشرك الأصغر » قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال « الرياء » يقول الله عز وجل إذا جزى الناس بأعمالهم : إذهبوا إلى الذين كنتم ترأفون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » .

والرياء مجموعة من الآثام ، تنزل بالإنسان إلى مستوى من الأخلاق غير كريم .
ولقد حذر رسول الله ﷺ منه في مختلف صورته
من ذلك ما قاله ﷺ - فيما رواه البيهقي

« من صام يُرائي ، فقد أشرك ، ومن صلى يُرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يُرائي فقد أشرك » ..
وبعد .

فإن كل عمل لا يراد به وجه الله شرك يتنافى مع التوحيد ، لا يقبله ولا يثيب عليه .
والنقص في هذا ، هو ما حدث به رسول الله ﷺ ، في الحديث الشريف الذي يُعتبرُ
مبدأً هاماً من مبادئ الإسلام .

روى البخاري - رضى الله عنه - بسنده عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

اهدنا الصراط المستقيم :

يقول تعالى في سورة الفاتحة :

« اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ . غير المغضوب عليهم ولا الضالين »^(١) والصراط المستقيم ، هو صراط الله الذي رسمه سبحانه في كتابه العزيز ، وعلى لسان نبيه الكريم .

نقد رسمه الله سبحانه سهجاً ووسيلة . ورسمه مبادئ وقواعد ، ورسمه غاية وأهداف

ونحن بهذه الآية الكريمة ، نتجه إلى الله سبحانه ، ندعوه أن يَهْدِينَا إلى صراطه المستقيم وذلك أنه لا يهدي إليه إلا هو .

يقول سبحانه في حديث قدسي « يا عبادي كنكم صائلاً إلا من هديته ، واستهدوني أَهْدِكُمْ »^(١) .

إن الهداية من الله سبحانه ؛ وأن من يهدي الله فلا مُضِلَّ به ، ومن يُضِلَّ فلا هادي به ، وإذا هدى الإنسان إلى الصراط المستقيم ؛ فقد فاز بالخير الذي أحبه الله للإنسان كاملاً غير منقوص .

والصراط المستقيم ، هو الإيمان الصادق .. الإيمان الاتباعي ؛ أي الإيمان الذي تتحكم فيه التعاليم الإلهية بحكمًا تامًا ، ويسير في إطارها . راصيًا مستقيمًا مسلمًا .

﴿فَلَا زُيْلَ لَكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢)

إن المؤمن ، لا يؤمن حتى يحكم رسول الله ﷺ في أمور عقيدته ، وفي أمور أخلاقه ، وفي أمور تشريعها . وحتى يتقن ذلك في سكونية واطمئنان وعظمة

ويصف الله سبحانه المؤمنين الصادقين فيقول . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣)

وهذا الوصف للمؤمنين ، يتناول وصف الأساس القلبي إنه يمان لا ريب فيه . ويتناول الأثر والمظهر إنه الجهاد في سبيل من أمر به جهاد النفس ، وجهاد المال جهاد بجميع أقطار النفس ، وجهاد بكل ما تملك

وهذه الآية الكريمة ، تعتبر مقياساً صادقاً لكن من أراد أن يتبين حقيقة إيمانه .

والطريق لمستقيم عاينه وبهايته التي يؤدي إليها إنما هي الله سبحانه وتعالى وقد حددنا سبحانه بقوله ﴿وَأَنْتَ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾^(٤) . وبس دور الله مسهي للمؤمن ؛

(١) من حديث قلبي طويل أوله « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي »

(٢) النساء ٦٥

(٣) الحجرات ١٥

(٤) النجم ٤٢٠

﴿يَاكَ تَعَبُّ وَيَاكَ تَسْتَعِينُ﴾^(١) .

روى الإمام ابن كثير عن بعض السلف قوله .

« إِنَّ الْفَاتِحَةَ سِرُّ الْقُرْآنِ ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ »

﴿يَاكَ تَعَبُّ وَيَاكَ تَسْتَعِينُ﴾

فالأول أى قوله تعالى ﴿يَاكَ تَعَبُّ﴾ تبرؤ من الشرك

الثانى أى قوله تعالى ﴿وَيَاكَ تَسْتَعِينُ﴾ تبرؤ من الخول والبقوة ، وهوىص الأمر

إلى الله عز وجل :

وهذا المعنى ورد فى كثير من آيات القرآن منها قوله تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ

عَلَيْهِ﴾ د هود ١٢٣ »

وهذه الكلمة القرآنية ، قد قدم الله سبحانه وتعالى ها ، بما يعتبر أساساً ومبرراً ، بقوله

سبحانه وتعالى ﴿وَلِلَّهِ عِصْمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ

وَمَا رَيْكَ بِغَاثٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

والله سبحانه وتعالى يحاطب رسوله ﷺ ، قائلاً له ، ﴿فَلَنْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَسَاءَ بِهِ وَعَلَيْهِ

تَوَكَّلْ﴾^(٣)

ويصور سبحانه ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْجِدْهُ وَكَيْلًا﴾^(٤) .

وما من شك فى أن الآية الكريمة ﴿يَاكَ تَعَبُّ وَيَاكَ تَسْتَعِينُ﴾ تعنى عدية واصمة

وجوب إخلاص العبادة لله وحده ، ووجوب فصر الاستعانة على الله وحده ، والقرآن

يوضح - بما لا مزيد عليه - أن الله سبحانه وتعالى ، هو وحده المتصرف فى الكون - به

المتصرف فى السر من أمر نكون وفي العظيم منه ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ مُوْتَى الْمُلْكِ

مِنْ تَشَاءُ ، وَتَرْعِ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ ، وَتَجْزِ مِنْ تَشَاءُ ، وَتَبْرِ مِنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْحِيرُ ، إِنَّكَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٥) وهو سبحانه كما يملك السموات والأرض وكما يمسكها أن ترولا

﴿وَلَنْ يَسْتَإْذِنَ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٦) فإنه يمسك كل حربة من جزئيات العام

(١) الفاتحة ٥

(٢) هود ٢٣

(٣) تلك ٢٩

(٤) فرقان ٩

(٥) آل عمران ٢٦

(٦) فاطر ٤١

به يملك البصر في العين ، ويملك السمع في الأذن ؛ كما يملك العين والأذن ، ويملك
الصححة في الجسم لصحيح ، ويملك الجاه عند ذوى الجاه ، ولو شاء سبحانه لأزال ذلك
كله ومنع استمراره

إذ قوله تعالى ﴿وَالْيَهُودُ يُرْجِعُ الْأَمْرَ كُنْهٌ﴾ «هود ١٢٣» عام شامل
ومن أجل ذلك : فإن العبادة يجب أن تكون خالصة له . وإن الاستعانة يجب أن تتمحور

له

ولقد رسم سبحانه الوسيلة الصحيحة للاستعانة به المثمرة :

إنها إخلاص العبادة به . فمن أحب أن يكون الله سبحانه وتعالى معه بالتوفيق والتيسير
والعون من أحب أن يستحب الله له . فيحقق العبودية له سبحانه وإياك بعد وسيلة
لتحقيق ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

وفي حديث قلنسي رواه الإمام البخاري توضيح لذلك .

يقول رسول الله ﷺ «مَا رَوَاهُ عَنِّي رِبِيءٌ مِّنْ عَادِي لِي وَلَمْ يَدْعُ أَهْلَهُ بِالْحَرْبِ ؛ وَمَا
تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا اقْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ . وَمَا يَرَالُ عَبْدِي يَتَمَرَّبُ إِلَيَّ
بِالْوَأَلِ حَتَّى أُحِبَّهُ إِذَا أُحْسِنَتْ كَسْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَوَدَّ
الَّتِي يَنْفُشُ بِهَا ، وَرَجُلَهُ الَّذِي يَمْشِي بِهَا . وَإِنْ سَأَلَنِي أُعْطِيْتَهُ ، وَلَوْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيْدَهُ»

وهذا الحديث الشريف يبين - في وصوح - أن أحب شيء يتقرب به الإنسان إلى الله .
إنما هو أداء ما اقترضه الله عليه ، وأن الأكثر من الموافق مع أداء الفرائض - وسيلة إلى
حب الله سبحانه وتعالى لعبده

وإذا أحب الله إنساناً ، كان معه بالتوفيق وإهديه والتيسير ، واستجاب له في سؤال ،
وعأاده إذا استعاذ

وبعد .

فإن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي تحقيق للإيمان الصحيح ، والتعوى انصافاً ، أي
أنها الصورة الواقعية لأولياء الله سبحانه^(١) .

والله تعالى يقول .

(١) ألف ابن قيم الجوزية كتاباً فيها في ثلاثة أجزاء كبيرة سماه «مدارك السالكين بين منازل «إياك نعبد وإياك نستعين»

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ
الْبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ لِمُتَّقِنَ الْعَظِيمِ﴾ (١)
ومن معاني التوحيد الانتحاء إلى الله في السير من الأمور والعظيم بها
يقول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢)

إن من أجمل ما يفسر هذه الآية الكريمة الحديث القدسي الصحيح الذي رواه الإمام
سليم ، والذي كان أبو إدريس الحولاني - رضى الله عنه - يرويه كثيراً ، وكان حينما
يرويّه يجثو - رضى الله عنه - على ركعتيه احتراماً وتقديساً للحديث ، ثم يبدأ في ذكره .
عن رسول الله ﷺ فيما يرويّه عن الله تبارك وتعالى أنه قال

يا عبادي إني حرمتُ الظنم على نفسي ، وجعلتهُ بينكم مُحَرَّمًا ، فلا تظالموا

يا عبادي : كلكم صِلٌ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فاستهدُونِي أَمِدُّكُمْ .

يا عبادي كلكم جائعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فاستطعموني أَطْعَمَكُمْ

يا عبادي كلكم عارٌ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فاستكسبوني أَكْسَيْكُمْ

يا عبادي : إنكم تحطئون بالليل والنهار ، وأنا أعمر الدُّوبَ حَمِيصًا ، فاستعصموني أَعْمِرْكُمْ

يا عبادي إنكم لن تبصروا صُرًى فتصروني ، ولن تدموا نَفًى فتقتلوني

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد
سكنكم ، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً .

يا عبادي : لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد
سكنكم ، ما نقص ذلك في ملكي شيئاً

يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد ، فسأوني
عطيت كل إنسان مسألته ما بعت ذلك مما عندي إِلَّا كَمَا يَقْصُرُ لِحَيْطٍ إِذْ تُدْخِلُ الْبَحْرَ

(١) سورة يونس ٦٢

(٢) سورة فاطر ٥

يا عبادى إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفىكم بها ، فمن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »
الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »

وما من شك في أن الإنسان في كل أحواله - فقير إلى الله
إنه فقير إلى الله فقراً مطلقاً ، في الحاجة المادية على اختلاف أنواعها
﴿ فنبصر الإنسان إلى صفاته أن صنأ ماء صنأ ، ثم شققاً الأرض شققاً ، فأبقنا فيها
حياً ، وبعثاً وقصياً ، ورتبنا وبحلاً ، وحدائقاً علماً وناكهة وآناً ، متاعاً لكم
ولا نغفكمكم ﴾ (١) ﴿ أفأرأيتم ما تخرثون أنتم تزرعونوه أم نحن الزارعون لو نشاء لخصناه
خصاً ﴾ (٢) ﴿ أفأرأيتم الماء الذي تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، لو نشاء
جعلناه أحاجاً فلو لا تشكرون ﴾ (٣) .

والإنسان فقير إلى الله في هدايته الروحية
وإنما لتردد كل يوم مرات عدة .
﴿ وهذا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المعصوب عليهم ولا
انصاليين ﴾

وسين أنعم الله عليهم ، هم الذين اتبعوا هديه ، وعملوا به ، والتمروا به وهدى الله
سبيلهم وتعالى ، ينصحه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة
ورداً كان فقر الإنسان إلى الله في الجانب المادى فقراً مطلقاً ، فإن فقره إلى الله في
الجانب الروحي - فقر مطلق أيضاً .

وبعد

فيقول صاحب كتاب لتحرير
« وإعلاء الله عبادة على قسمين » .
فمنهم من يعبد بتسمية أمواله ، وهم العوام ، وهو غنى مجارى
ومنهم من يعبد بتسمية أحواله ، وهم الحواصص ، وهو العنى الحقيقي ، لأن احتياج الحلو
إلى همة صاحب الحال ، أكثر من احتياجهم إلى لقمة صاحب المال .

(١) هيس ٢٢ - ٢٢ .

(٢) الواقعة ٦٣ - ٦٥ .

(٣) الواقعة ٦٨ - ٧٠ .

الرسول ﷺ والتوحيد :

ونعود فنقول :

إن أول عقد من عقود البيعة ، قد حققه رسول الله ﷺ ، كما يحب الله ورسوله ، ويقول في ذلك فضيلة المرحوم الشيخ الدجوي ، هذه الكلمات النفيسة التي تصور بعض الحقيقة عن توحيد رسول التوحيد :

وبعد ، فَمَنْ نَظَرَ فِي أَحْوالِهِ ﷺ ، وَجَدَهُ عَرِيقًا فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ ، قَدْ امْتَرَحَ حَوْفَهُ مِنَ اللَّهِ وَمِرَاقِبَتِهِ بِهِ ، بِحِمِّهِ وَدَمِهِ ، نَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَحْلِ تَلْعَبُ بِهِ الشَّهَوَاتُ ، أَوْ تَحِيضُ بِهِ الظُّلُمَاتُ ؛ فَإِذَا صَادَفَكَ الرُّشْدُ ، وَبَحِثْتَ فِي أَحْوالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَجَدْتَهُ رَاجِعًا إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ (شَأْنُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ) فَكَأَن يَقُولُ إِذْ جَاءَهُ أَمْرٌ يُحِبُّهُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَهُ تَتِمُّ الصَّالِحَاتِ » .

وَإِذَا جَاءَهُ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

وَإِذَا أَرَادَ أَمْرًا قَالَ : اللَّهُمَّ خَيْرُ لِي ^(١) وَاخْتَرْ لِي »

وَإِنْ أَرَادَ سَمْرًا إِلَى قَوْمٍ قَالَ : « اللَّهُمَّ بِكَ أَصَوُّ وَبِكَ أَحْوَلُ » .

وَإِنْ أَرَادَ نَوْمًا قَالَ : « اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ وَصَعْتُ جَسَدِي رِبَاسَتْكَ أَرْعَهُ »

وَإِنْ اسْتَيْقَضَ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ مَشُورٌ »

وَإِنْ لَبَسَ ثَوْبًا جَدِيدًا قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي مَا أَتَحَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي » ، وَإِنْ أَكَلَ

قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَسَقَانَا ، وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ »

وَإِنْ شَرِبَ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ عَذْبًا فَرَاتًا بِرَحْمَتِهِ ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِلْحًا أُجَاجًا يُدْبُونَا »

وَإِذَا أَطْرَقَ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصَمْتُ ، وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ »

وَإِذَا انْقَبَضَ مِنَ النَّوْمِ قَالَ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ » .

وَإِذَا هَبَ مِنْ نَوْمِهِ لَيْلًا قَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَاهْدِ لِسِيلِ الْأَنْوَامِ »

وَإِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي عِوَرِهِمْ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِمْ » .

(١) خَلَرُ لَهُ فِي الْأَمْرِ يَخِيرُ - جَعَلَ لَهُ الْخَيْرَ بِهِ

وإذا خرج من بيته قال . بسم الله . توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . اللهم
 إني أعوذ بك أن أأصل أو أُصل أو أُدب أو أُدب أو أُظلم أو أُظلم أو أُخجل أو أُخجل أو يُخجل عليّ «
 وإذا رأى الهلال قال : « هلال خير ورشد . آمنت بالذي حَقَّقَ »
 وإذا رفع بصره إلى السماء قال « يا مُصَرِّفَ القلوب ثبِّتْ قنبي على طاعتك »
 وإذا حلف قال : « والذى نفسُ محمد بيده »

وإذا عصفت الريح قال . « اللهم إني أسألكَ خَيْرَ ما فيها وخَيْرَ ما معها وخَيْرَ ما أُرسلت به ،
 وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها وشرِّ ما أُرسلت به »
 وهكذا في شأنه كله . كان عريقاً في النظر إلى الله ؛ والاستمداد من الله ؛ والالتجاء إلى
 الله لا يرى نفسه ولا لغيره حولاً ولا قوة ، ولذلك كان يقول إذا أصابه هم « حسبي
 الحقائق من المخلوقين . حسبي الرُّأْرُق من المروغين . حسبي الذي هو حسبي . حسبي الله
 وبعم الوكيل »

التوحيد والشجاعة الأدبية :

والتوحيد إذن - هو الأساس الأول للأصيل للشجاعة الأدبية ، كما أنه الأساس الخافض
 لكثير من المضائل ، أو لكل المضائل .
 وتثبيتاً للشجاعة الأدبية وحفاظاً على استمرارها ، يبين الله تعالى الأسباب التي تجعل
 الشخص يجهل عن قول الحق ، ويتراجع في إعلان الصواب .
 وترجع هذه الأسباب إلى أمرين .

الأمر الأول . هو ما يمكن أن يعبر عنه بِهَمِّ الرِّق ، أو خوف الفقر
 وقد بين الله تعالى أن الرِّق مقسوم ، وأنه محدود ، وأنه ما كان لك سوف يأتيك . وما
 كان لغيرك على تناله ﴿ وَهُوَ السَّمَاءُ رَرَقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ، قَوْرَبُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ
 مِثْلُ مَا تُنْكُمُ نَظْرُكُمْ ﴾ (١) ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رَرْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
 وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) .

ومن الحق أن الإسلام يحث على العمل . ويشجع الأُحد بالأسباب ، وأن السماء لا تمطر

(١) البقرة ٢٢ ٢٣

(٢) هود ٦

ذهب ولا قصة ، « ولأن يأخذ أحدكم حبله ثم يعدو إلى الحبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس » (١) .. « وإليذ العلي حير من اليد السقلى » (٢) ومع ذلك ، فإن الرزق بي يد الله ، ومن يمنع الرزق مانع مهما كان جبرونه وسخطه ، والله غالب على أمره ، وهو - سبحانه - القوى العزيز القهار .

فما الأمر الذي يحصل بعض الناس عن الشجاعة الأدبية فإنه خوف الموت وهو خوف لا موضع له ، فإنه قد حدد الآجال ، ولو كان الناس في بروج مشيدة ، يمرر الذين كتب عليهم القتل في مصانعهم التي يقتلون فيها . « فإذا حاء أهلهم لا يستخرون ساعة ولا يستقدمون » (٣)

الاجان والأوراق بيد الله . وكل فكرة أو رأى أو همس حامت في النفس يحالف ذلك ، هيبه هو شرك .

وانظر إلى هذه الصورة الكريمة ، لشجاعة الأدبية التي ربها التعاليم القرآنية ، وهي أن يقوم رجل بين يدي سليمان بن عبد الملك فيقول له : « سأطلق لسانى بما حرست عنه لألس تادية حتى لله تعالى إنه قد اكتشف رحا أسعوا الاحتيال لأنفسهم ، وابتاعوا ديارك بديهم ، ورضاك تسخط ربههم ، وحافوك في الله ، ولم يحافوا الله فيك ، وهم حرب بلا حرة وسنم للديار فلا تأمنهم على ما ائتملك الله عليه ، فإنهم لم يألوا الأمانة تصسعا والأمة كسفا وحسفا ، أنت مسئول عما اجترعوا ، وتسو مسئولين عما اجترعت ، فلا تصلح ديارهم بفساد اجترعت ، فإن أعظم الناس عند الله عينا ، من باع آخرته بديار غيره »

وإن من الصور الكريمة لشجاعة الأدبية أن يتمل الإنسان الحق وكما يكون الشجاعة لأدبية قول الحق ، تكون كذلك قبول الحق ..

وبدا صدفات الية ، كان الإخلاص مبروكانت الثقة في الله ، وكان الاتحاه السائم نحوه فكانت العرة به

وبالإخلاص أهمية كبرى في الإسلام ، حتى لقد نادى رجل مرة رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : الإخلاص

(١) رواه الشيخان والنسائي

(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير

(٣) الأعراف ٣٤

وعن معاذ بن جبل أنه قال حين بُعث إلى اليمن - يا رسول الله ، أوصني . قال ﷺ . « أحلص دينك يكفك العمل القليل »^(١)

وإذ ما صدقت النية وتوافر الإخلاص ، تقبل الله العمل ومنح صاحبه الثواب ، وكان عمله وسيلة له في السجاة : في الدنيا والآخرة

عن ابن عمر رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « انطلق ثلاث نفر من كانوا قبلكم حتى أوالهم المبيت إلى عار فدحوه ، فاحدثت صحرة من الجبل فسدت عليهم العار ، فقالوا إنه لا يُنجيكم من هذه الصحرة ، إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم . اللهم ، كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنت لأعق^(٢) قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فأبى بي طنب شجر يوماً فعم أرح^(٣) عليهما حتى نانا ، فحلت مما عوقفهما بوحدتهما نائمين ، فكرهت أن أعق بلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والندح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر ، رد لرواة « والصبي يتصارعون عند قدمي » فاستيقظا مشرباً عوقفهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصحرة ، فانمرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منها .

قال النبي ﷺ قال الآخر اللهم كاتب بي ابنة عم كانت أحب الناس إلي ، فاردتها عن نفسها فامسعت مني ، حتى أملت^(٤) بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدّرت عليها قالت لا يحل لك أن تعص الحاتم إلا عمة^(٥) . فتخرجت^(٦) من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي ، وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانمرجت للصخرة ، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها

قال النبي ﷺ وقال الثالث اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد يرب الثمن له وذهب ، فتمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله ذل لي أخرى ، فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد .

(٢) لا أقدم في السرب أحداً قبلهما منه .

(٣) أي لم أرجع إليهم .

(٤) ترب به منه من السنين الجنياء .

(٥) من البكارة .

(٦) حب أن أتبع من الله .

والرقيق ، فقال يا عبد الله ، لا تسهرى نبي . فقلت إني لا أسهرى بك ، فأخذه كُنه مسافه ، فم يرك منه شيئاً . اللهم إني كنت فعنت ذلك ابتغاء وجهك فأفرح عما م مح فيه ، فأنعرجت الصخرة فخرجوا بمشون^(١)

والعمل الذى يتقبه الله ويشترط اليه الصادقه فيه ؛ إنما هو العمل لدى يكون فى الإطار الربانى . إنه العمل الذى يقوم به الإنسان سبباً لتربية الربى « الله » تلبية واعية شاعرة بأنها استجابة للأمر الإلهى ، فيما يتعلق بالإيجاب ، أو النهى الإلهى فيما يتعلق بالسلب ، أى أنها تحقيق فى جانبى السلب والإيجاب من العمل بقوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝﴾^(٢)

وهذا لعمل - فى التسير منه والعظيم - إنما هو ما أنى به الوحي فى القرآن ، وما فصلته السنة النبوية الكريمة ، العملية منها ولظرفية ، فإذا ما حرج الأمر عن هذا الإطار هى نسبة أو فى العمل - فقد حرج عن أن يكون « قراءة باسم ربك » واليعة إنما هى يعة الرسوب عليه .

والله سبحانه وتعالى يقول .

﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَيِّنُكَ إِنَّمَا يُبَيِّنُكَ اللَّهُ﴾^(٣) .

ويقول : ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَصَدَّ اللَّهُ﴾^(٤)

والقرآن الكريم - د - ، وقول الرسول ﷺ وعمله كل ذلك يمثل وَحْدَةً واحدة ، هى . الإسلام .

ومن مواد السبعة التى صيغت فى أسبوب رقيق ، وهى إبحاز جميل ، قوله تعالى ﴿وَلَا يَغْنَصِيكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾^(٥) .

والمعروف هو الخير الذى انطوى فى ثياب التعاليم الإلهية ؛ وهو يتضمن كل خير ، ويتحققه تتحقق الفصيحة فى أجمل صورها .

□ □ □

(١) رواه الشيخان

(٢) سررة الملق ١

(٣) سرره المنع ١٠

(٤) السوء ٨

(٥) مسحة ١٢

ويتصل بالبيعة - أو بمفهوم الرسالة - توضيحاً وتفسيراً - بصوص لا تخصى من الكتاب
والسنة ، منها على سبيل المثال ما يلي .

عن مالك ، عن يحيى بن سعيد قال : أخبرني عبادة بن الوليد بن عباد بن الصامت ،
عن أبيه ، عن جده ، وقال :

« بَاتِعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْيُسْرِ وَالْعُسْرِ ، وَالْمَشِطِّ وَالْمَكْرِهِ ، وَأَنْ
لَا تَنَارِخُوا الْأَمْرَ عَنْهُ ؛ وَأَنْ يَقُولَ أَوْ يَقُومَ بِالْحَقِّ حَيْثُ كَانَ ، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ تَوْمَةً لَكُمْ »^(١)

وروى الإمام - بسنده - عن جابر قال .

مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ ، يَسُوعُ النَّاسَ فِي مَآرِلِهِمْ عِكَازَ وَمِجَنَّةَ ، فِي
مَوَاسِمٍ ، يَقُولُ مَنْ يُؤْوِيهِ * مَنْ يَبْصُرُنِي حَتَّى يُبْلَغَ رِسَالَةُ رَبِّي ، وَهِيَ الْحَقُّ ، فَلَا يَحِدُّ
أَحَدٌ يُؤْوِيهِ وَلَا يَبْصُرُهُ ، حَتَّى يَأْتِيَ الْفَرْجَ فَيُخْرِجُنِي أَوْ مِنْ مِصْرَ كَذَا قُلْتُ فِيهِ ، فَبَاتِيهِ
فَوْمَهُ وَدَوُو رَحْمَهُ ، فَيَقُولُونَ أَحَدُكُمْ عِلَامٌ قَرِيشٍ لَا يَفْتَنُكَ ، وَيَمْصِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَهُمْ يَشِيرُونَ
إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ حَتَّى يَعْثُرَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَنْ يَشْرِبُ قَارِيئَهُ وَصَدَقَانَهُ ، فَيُخْرِجُ الرَّجُلَ مِنْ مَبِيتِهِمْ بِهِ
وَيَقْرَأُ نَقْرَانًا ، يَنْقُبُ إِلَى أَهْلِهِ فَيُسَمُّونَ بِإِسْلَامِهِ ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ وَلَا فِيهَا
رَهْطٌ مِنْ مُسْلِمِينَ يَصْهَرُونَ الْإِسْلَامَ

ثُمَّ اتَّخَذُوا جَمِيعًا فَمَضَى حَتَّى مَتَى سَرَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَطُوفُ وَيُطْرَدُ فِي جِبَالِ مَكَّةَ
وَيَحَافُ ؟

فَرَحَلَ إِلَيْهِ مَا سَبَعُونَ رَحْلاً ، حَتَّى هَدَمُوا عَلَيْهِ فِي الْمَوْسَمِ ، فَوَاعَدُوهُ ثِيَابَ الْعَبَةِ ،
وَجَسَمَهُ عَدَدَ مَنْ رَجُلٍ وَرَحْلَيْنِ حَتَّى يَوَاقِبَ فَعَلُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِلَامَ بَأْتِيكَ ؟

قَالَ تَبَايَعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالصَّغَةِ فِي الشَّاطِطِ وَالْكَيْلِ ، وَالنَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالسَّرِّ ،
وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ ، لَا تَحَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَأَنْتُمْ ،
وَعَلَى أَنْ تَنْصَرُّوا لِي فَتَمْنَعُونِي - إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ - ، تَمْنَعُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَأَرْوَاجِكُمْ
وَأَبْنَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ الْحَقُّ ؛ فَمَضَى إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ وَأَحَدُ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَهُوَ مِنْ أَصْعَرِهِمْ
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى - أَصْعَرُ السَّبْعِينَ إِلَّا أَنَا فَقَدْ رَوَيْتُ ؛ أَهْلٌ يَشْرَبُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْصَرِبْ
بِهِ أَكْبَادٌ يَلَابِسُ ؛ إِلَّا وَحْدِي مَعَهُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ؛ وَإِنْ إِخْرَاجُهُ الْيَوْمَ مِثْلُ الْيَوْمِ لِلْعَرَبِ كَأَنَّهُ وَقْتُ

(١) أخرجه البخاري ومسلم

خياركم ، وأن تَحْصِيَكُمْ السيوف ؛ وإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فحذوه وأجركم على الله ؛ وإما أنتم قوم تخافون من أنفسكم خيفة فذروه ؛ فبيرو ذلك فهو أعدل لكم عند الله .

قالوا : أمضَ عَ يا أسعد ؛ فوالله ؛ لا ندعُ هذه البيعة ولا نَسْتَلِيهَا أبداً

قال : فقمنا إليه فبايعناه وأحد علينا وشرط ؛ ويعطيك على ذلك لجة

وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة . أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ ، قال العباس بن عباد بن بصللة الأنصاري أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الحزرج ، هل يدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ . قالوا نعم .

قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الدس ، فإن كنتم ترون أنه إذا أنهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً ، أسبتموه ، فمن الآن ، فهو والله - إن فعلتم خيراً الدني والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وأقوالُ له بما دعوتموه إليه على بهكة الأموال وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة .

قالوا : فإن نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ؛ فلما ل يدلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟

قال : لجة

قالوا : أبسط يدك ؛ فبسط يده ، فبايعوه .

عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول .

« دَأَقَ صَعَمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا » .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :

« كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْخُذُ بِأَرْبَعِ يَوْمَاتٍ لِلنَّاسِ ؛ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ ، فَقَالَ : مَا الْإِيمَانُ ؟ »

قال : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِقَوْلِهِ وَرَسُولِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ

قال : مَا الْإِسْلَامُ ؟

قال : الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ ، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤَدِيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ

قال : مَا الْإِحْسَانُ ؟ ..

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي

عَالِ أَنْ تُعْبِدَ اللَّهَ مَكَانَتْ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ عَالِ بِرَالِهِ

هذه : متى الساعة ؟

قد ما المسجون عنها يُعْتَمَدُ من السائل : وما عبرك عن أشرافها :

« إِذَا وَدِدْتُ الْأُمَّةُ رَبِّي ، وَإِذَا تَصَوَّرْتُ رَعْدَةً يُؤَلِّسُ بَيْنَهُمْ عَلَى الْيَسِيرِ ، هِيَ حَمَلٌ لَا يَعْمَلُ إِلَّا لِلَّهِ ، ثُمَّ لَا نَسِي » ﴿١﴾ إِنْ لَقِيَ عِدَدٌ غَدَاً نَسَاعَةً وَبَرًّا نَعَبْتُ وَبَعْدَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا يَدْرِي نَفْسٌ عَادَا تَكْمَلُ غَدَاً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴿٢﴾ .

ۛ اُدبر ، عقاب رسود ، قدم بر روی شیعیان همانند خنجر بر خنجرین حواء یغتم الناس دیرهم ۛ
 قال اَبو عبد الله : جعل دلالت کلمه من الایمان ۛۛ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

• الإيمان يصغر وستون شعبة ؛ وأختها شعبة من الإيمان • (١٧)

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الإيمان صبح وسعور، وصبوح وسعور
صباحه، فافصلها هو لا له لا لله، وشأها بأمره الأذى عن نصري والحياء شعبه من
الإيمان (٤)

عن "زهرى عن سالم عن أبيه ، سمع سبي ^{عليه} ، قال يعطى أحماء من الحياء ، فقال
« الحياء من الإيمان » ٤٥

عن سفيان بن عبد الله الثقفي ، قال قلت ب رسول الله صلى على الإسلام قولاً لا أسأل
 عنه أحدا بعدك وهي حديث من أسأله عنك قال « من أسأله ثم استغفر »

قُلْ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هٰٓؤُلَآءَ سُبُوٓةً ۖ سَوءٌ مِّمَّا يَمْرُؤْنَ ۚ لَآ يَنْفَعُكُمْ هٰٓؤُلَآءُ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّوْنَ ۚ لَآ يَسْرُرُكُمْ شَيْئٌ وَلَا تَجِدُ مَعَهُمْ قُوَّةً ۚ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُتِلُوا فَمَن يَسْتَعِينُ ۖ

٢٠٠٥

١٣ : في عمر الاحتقار صلى الله عليه وسلم حبيباً يهدى بهي : في ميلاد في صحبة

سَمِ رَدَّانِ الْجَدِيدِ فَعَمِي إِذَا لَمْ يَكُنْ لِي وَفِيهِ بَقِيَّةُ الْوَحْيِ وَفِيهِ بَقِيَّةُ الْوَحْيِ

١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

$$S^2 = \frac{1}{n} \sum_{i=1}^n (x_i - \bar{x})^2 \quad (2)$$

١٦٠٠ م. محمد بن حماد والشيخ أبي المصطفى بن أبي

١٤٤٠ هـ

عن أبي هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنون حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ فاشروا إسلام بيبكم » رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

قال أبو هريرة إن رسول الله ﷺ ، قال « لا يرعى الزاني حين يرعى وهو مؤمن ولا يسرق لئلا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » قال ابن شهاب فأجبنى عبد ملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن أن أبا بكر كان يحدثهم هؤلاء عن أبي هريرة ثم يقول وكان أبو هريرة يلحق معه (ولا يسهب بهبة ذات شرف يرفع الناس يديه فيها أنصارهم حين يتنهبها وهو مؤمن)

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ ، قال لا يرعى الزاني حين يرعى وهو مؤمن ، ولا يسرق لئلا يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ؛ والتوبة معروضة بعد^(٢) .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن نبي ﷺ - قال « اجتنبوا السبع الموبقات » ، قالوا يا رسول الله . وما هن ؟ - قال « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الرب ، وأكل مال التيمم ، والتوى يوم الرحف ؛ وهدف المحصنات لمؤمنات العادلات »^(٣) .

عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن أبيه ، ذكر أن نبي ﷺ - فعد علي بعيره ، وأمسك إنسان بحظاه نو يرماه - قال أي يوم هذا ؟ فسكتا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه قال « أليس هذا يوم أسحر ؟ » فدا بلى قال « فأي شهر هذا ؟ » فسكتا حتى حسا أنه سيسميه بعير اسمه . قال « أليس بي الحجة ؟ » فدا بلى قال « فأي دماءكم وأموالكم وأعراصكم بسكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ليبع لشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن ينفع من هو نوعي له مه »^(٤)

(١) رواه الشيخان وأحمد والنسائي

(٢) رواه مسلم والترمذي وابن ماجه والنسائي

(٣) رواه الشيخان وأبو داود والنسائي

(٤) رواه مسلم وأبو داود والنسائي

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية . ١٦٦

الفصل السادس من :

الهجرة

الهجرة

يا لحلال لإيمان وثباته وقوته 11

إن التاريخ نادرًا ما يتحدثنا عن هجرة خالصة محلصة لله ولرسوله هجرة إلى مكان مجهول هجرة لا يسأل المهاجر عما إذا كان مهجره سيستقبله مرحبًا ويؤويه في ألفة، أم أنه سيقبله بالجمرة والعداوة هجرة لم يُجهِّد لها المؤمن قُل، ولم يُعِد لها الحِكماء ..

إن التاريخ لا يكاد يتحدثنا عن الهجرة بالإيمان من أجل الإيمان، ولكن التاريخ الإسلامي حافل بهذه الأنواع من الهجرة

إياه ما كثر المسلمون بحكمة وظهر الإيمان، وكثر الحديث عنه ثار بأس كثيرين من المشركين من كفار قريش، بعض من من قبائلهم وعدوهم، وسجودهم، وأرادوا قتلهم عن دينهم، وتحمل المؤمنون العذاب ألوانًا في سبيل الله

ولما استمر الأمر دون فتور، قال لهم رسول الله ﷺ، شفقة عليهم ورحمة بهم.

« تفرقوا في الأرض »

فقالوا، أين نذهب يا رسول الله؟

فأشار إليهم إلى الحبشة فهاجر إليها في بادئ الأمر طائفة من المسلمين، منهم من هاجر مع أمه، ومنهم من هاجر مفردًا، ونحدو يعبدون الله مطمئنين آمين على دينهم من الفتنة، ثم قدم بعضهم إلى مكة معتقدين أن الأمور قد هدأت، فيما بين رسول الله والمشركين، فلما قدموا إلى مكة اشتد عيبتهم منهم وسقطت بهم عشايرهم، ولقوا منهم دى شديدًا

فأدى بهم رسول الله ﷺ، بالهجرة إلى أرض الحبشة مرة ثانية، فكانت محرتهم الثانية أعظمها مشقة، ولقوا من قريش صنفاً شديداً، وبالوهم بالأذى، وقال سيدنا عثمان رضى عنه، مخاطباً رسول الله ﷺ: يا رسول الله، فهجرتنا الأولى وهذه الأجرة إلى أنجاشي ولست معنا؟

فقال رسول الله ﷺ هذه الكلمة المؤثرة:

« أنتم مهاجرون إلى الله وإلى. لكم هاتان هجرتان جميعاً »

قال سيدنا عثمان: « حسبي يا رسول الله ».

وكان عدد هؤلاء المهاجرين من الرجال ثلاثة وثمانين رجلاً ، وكان عدد النساء ثمانين
عشرة امرأة .

ولم يُرَقْ لقريش أن يعد الله هؤلاء ، القوم آمنين مطمئنين لم يرقها أنهم تحصوا من
التعذيب والقتل ، فأرسلت وفداً من ساسة العرب الدهاة ، مروّداً بالهدايا إلى الحبشي :
يبيعنوا هؤلاء بنوحنين إلى مكة ليبروا عنهم العذاب من جديد
﴿وَمَكَّرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ، وَاللَّهُ حَيْرُ الْماكِرِينَ﴾^(١) .

ولم يملح الوفد ، وعاد إلى مكة بحمى حنين .

ولما علمت قريش بذلك ، ثارت ثائرتها ، ورد عصيها ، وأندمت على عمل بني تافيا
تماماً مع الإنسانية ، فقد كثير كعادتهم وعدوا فيه على ألا يكاحروا بني هاشم ولا يباعوهم ،
ولا يحالطوهم ، وكان الكاتب للصحية هو ، مصور بن عكرمة العبدري ، وكان من تقدير
الله تعالى أن شلت يده

وبهذه الصحة وهذا العهد ، حصروا بني هاشم في شعب أبي طالب

وكان ذلك في أول المحرم سنة سبع من نبوته ﷺ

واستمر بنو هاشم معرلين محصورين ، لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، حتى بيع
بهم الجهد مبغاً حظيراً ، وكان قريش تسمع أصوات صبيانهم يبكون خوفاً ومسغبة
فلا ترق قلوبهم ، ولا يتأثرون ، واستمر ذلك سنوات ثلاثة

وبينما هذه الأمور من الشدة والقسرة تجري تحت سمع الرسول وبصره ، كانت
قريش ترسل له ﷺ من يحرض عليه المال والمعى ، والسلطان والجاه ، وأملاد بجميع ألوانها ،
على أن يترك دعوته ، فلا يجدون إلى غايتهم سبيلاً .

وما ترك رسول الله ﷺ الدعوة قط كان يدعو ليلاً وكان يدعو نهاراً وكان يدعو
في كل لحظة من لحظاته .

ويروى الإمام أحمد عن ربيعة بن عباد وكان جاهلاً أعمى ، يقول رأيت رسول الله
ﷺ نصر عيسى يسوق دى الحجار يقول « يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله ،
تملحوا » ويدخل معجهاً والناس متقصصون^(٢) عيه ، فما أت أحدًا يقول شيئاً ،
وهو لا يسكت يقول « يا أيها الناس قولوا ، لا إله إلا الله تفتحو »

□ □ □

(١) سورة آل عمران ٥٤

(٢) يجمعون ويترددون

أقام رسول الله ﷺ ، بمكة ثلاث سنين ، من أول بيوته مستخفياً ثم أعلن في الرابعة . فأحد يدعو الناس إلى الإسلام ، عشر سنين ، يوهي المواسم كل عام ، يتبع الحاج في منازلهم هي المواسم بمكة ومكة ودي المجر . يدعوهم إلى أن يستمعوه ، حتى يُسمع رسالات ربه ولهم العجة ، فلا يجد قبلة تنصره أو تحجيه ، حتى إنه يسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ، ويقول : « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله فبُحرًا وتمسكوا بها العرش ، وتبدل لكم العجم . وإذا آمستم كنتم ملوكًا في لجة » .

واستمر الأمر كذلك لا يكف رسول الله ﷺ ، عن الدعوة إلى الله ، ولا يكف المشركون عن المعارضة والإبداء ، حتى كانت السنة الحادية عشرة من بيوته ، ﷺ ، وكان الإسراء والمعراج ، وارتدت من أريد ، وثبت من ثبت . وكان حادث الإسراء والمعراج هو حادث التصفية الكاملة ، وكان الفصيل بين طائفتين طائفة مؤمنة ، ثابتة على إيمانها لا تزعزعها الأعاصير . تميد لجال ولا تميد ، وطائفة مشركة قد أحكمت أمرها ، ورتبت شئونها ، وجزمت العزم على أن تقصى على الإسلام وإن حصل الرمس .

ولم يكف يعتنق الإسلام في هذه لفترة فترة السنوات الثلاث التي سبقت الهجرة ، مشرك من أهل مكة ، وبها ثبت المسلمون على إيمانهم ثبات أولى العزم . كانت هذه الفترة فترة تربية للمؤمنين وصفلهم ، وهي وإن كان الرسول - ﷺ - لم يكف فيها عن الدعوة لحظة من اللحظات - فإنها مع ذلك ، كانت تربية قرآنية رجال يؤهلهم الله ورسوله لحمل راية الإسلام ونشر دعوته .

وإذا كانت المعسكرات قد تحددت في مكة ، وإذا كانت الفترة من الإسراء إلى هجرة الرسول ﷺ ، فترة تربية وصفلهم وتعليم وتهذيب - فإن الإسلام في هذه الفترة ؛ لم يكن قد وقف راكداً ، بل بالعكس ، قد هيا الله له وسيلة الانتشار خارج مكة ، لقد ضم الرسول في معسكره المكي كل عناصر الحير بمكة ولم يبق فيها - في الطرف المقابل - إلا من لا ينحسم أمره عن طريق الدعوة وإنما عن طريق آخر

وما كان هناك من معاداة مكة ، للعودة إليها من جديد في ظروف مهيأة ، وبوسائل علانية ، لقد هيا الله الأمر لانتشار الإسلام خارج مكة .

ويقول ابن سعد في الطبقات :

وأقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو انقبائل إلى الله ، ويحرص نفسه عليهم كل سنة . بمكة ، وعكاظ ، ومي : أن يأروه حتى يبلغ رسالة ربه ، وهم العجة ، فلم تستجب

له قبيلة من العرب ، ويؤدى ويُسْتَم حتى أراد الله إظهار دينه ، ونَصَرَ بيته ، وإنجار ما وعد ، فساق إليه هذا الحى من الأنصار : لما أراد الله بهم من الكرامة »

وكانوا سنة نمر ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فأسَمُوا ، ووعدوه أن يلتفتوا به العام القادم .

وما عادوا إلى المدينة ، بشروا بالإسلام فى قومهم ، فأسَم من أسلم وكثر فى المدينة الحديث عن الإسلام

فلما كان العام الذى يليه ، حصر ثنا عشر رجلاً ، فابعوا الرسول ﷺ كما تحدثوا بذلك عن أنفسهم « على ألا يشرك بالله شيئاً ، ولا يسرق ، ولا يربى ولا يقتل أولاداً ، ولا تأتى بهتان بتفريه بين أيدينا ورجلنا ولا عصاة فى معروف »

قال « فإن وفيتم حكم الجنة ، ومن عصى من ذلك شيئاً كان أمره إلى الله . إن شاء عدته ، وإن شاء عفا عنه »

إن هذه البيعة بيعة قصيدة وحير ، إنها بيعة عن العمل «بمثل الأخلاقية العليا وشروطها

ونظر إلى لدقة فى قوله ولا نصيبه فى معروف ، إنه لم يقبل ولا نصيبه ، ويسكب ، وإنما قيد ذلك بقوله « فى معروف » وحاول أن تتأمل وثيقة البيعة هذه ، مستقر - لا ماص بأنها وثيقة إلهية

وعاد اسمعوا إلى المدينة بأخلاق أخرى ، ووجهه عليها نور الإسلام وبقلوب انعمت فى محيط الرحمة وأعلنوا يدعون إلى الله مبشرين ومنذرين .

ثم عادوا فى العام التالى ، وهم ، سبعون و يريدون رجلاً أو رجيين ، ومعهم «مرأتان ، والتفوا برسول الله ﷺ ، ومعه العباس بن عبد المطلب ، ليس معه أحد غيره

نال أسعد بن زرارة فكان أول من نكمت ، لعباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الحرح إنكم قد دعوتكم محمداً إلى ما دعوتوه إليه ، ومحمد من أعز الناس فى عشيرته ، يسمع الله ما من كان على فوه ومن لم يكن ما على فوه ، يمنعه للحسب والشرف ، وقد أتى محمداً الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجلدٍ وبصيرة باخرب ، واستقلال بعدوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة ، فارتأوا رأيكم ، وأتمروا أمركم ، ولا تغتربوا إلا عن ملائمتكم واجتماع ، فإن أحسن الحديث الصدق .

فقال البراء بن معرور قد سمعنا ما قلت ، وأنا والله ، لو كان في أنفسنا غير ما نطق به لقلناه ، ولكنا نريد الوفاء والصدق ، وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ
 قال وتلا رسول الله ﷺ عليهم القرآن ، ثم دعاهم إلى الله ورعيتهم في الإسلام وذكر
 الذي اجتماعوا له .

فأجاب البراء بن معرور بالإيمان والتصديق ، ثم قال يا رسول الله . يا أيها صاحب
 الحلقة^(١) ورثناها كابراً عن كابر .

فقال العباس بن عبد المطلب - وهو أحد بيد رسول الله ﷺ - احذروا جرسيكم^(٢) ، فإن
 عبياً غيرنا وهم ذوو نسانكم ، يَكُونُوا هم الذين يلون كلامنا منكم ، فإننا نحاف قومكم
 صبيكم ، ثم إذا بايعتم فتفرقوا إلى محالكم .

لقد تكلم البراء بن معرور ، فأجاب العباس بن عبد المطلب ، ثم قال : أبسط يدك
 يا رسول الله فكأن أول من صرب على يد رسول الله ﷺ - فيما يقال البراء بن معرور

ثم صرب السبعون كنهم على يده وبايعوه فقال رسول الله ﷺ : « إن موسى أخذ من
 بني إسرائيل اثني عشر نقيلاً ، فلا يجد أحد منكم في نفسه أن يوحد غيره ، وإنما يختار
 لي حبريل » فبما تحبهم قال للنقباء « أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الخواريين
 لعيسى بن مريم ، وأن كفيل على قومي » .

قالوا . نعم .

فقال رسول الله ﷺ : « انصوا إلى رجالكم »

فقال العباس بن عباد بن بصة : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ، لئن أحييت سميل
 على أهل مي بأسبغت ، وما أحد عليه سيف تلك الليلة غيره

فقال رسول الله ﷺ : « إنا لم نؤمر بذلك فانصوا إلى رجالكم » ولما صدر السبعون من
 عند رسول الله ﷺ طابت معه ، وقد جعل الله له منة وقوماً أهل حرب وعنت رجلة

وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين ، فبما صافوا بالأمر درعاً ، شكوا إلى

(١) أهل السلاح

(٢) كلامكم وصوتكم .

رسول الله ﷺ واستأذنه في الهجرة ، فقال لهم : « قد أُحْبِرْتُ بدار هجرتكم ، وهي « يثرب » ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها .

وأخذ المسلمون يهاجرون سر بادية عليهم آثار تربية الرسول ﷺ : من الثقة بالله ، والصبر ، وتحمل المشاق في سبيل دينهم وتوطئ النفس على أن يكونوا في جميع أحوالهم من عند الله ؛ مهاجرين إليه ؛ للعمل على إعلاء كلمته ، وبشر دينه ، ولو كره الكافرون .

وما كانت الهجرة قط - نى نظر الرسول ﷺ ، ولا هي نظر أصحابه - ركوباً إلى الدعة والمهلك ، أو ميلاً إلى الراحة والسكون

وإنما كانت محاولة مصممة على قيادة معركة في سبيل الله من جهة أخرى ، وأخذ المسلمون يهاجرون إلى الله ورسوله ، سرا ، جماعات أو فرادى ، حتى لم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، أو مريض ، أو عاجز عن الخروج . وعندئذ آن لرسول الله ﷺ أن يهاجر

ها هو ذا رسول الله ﷺ ، على مشارف مكة مهاجراً ينظر إليها على أمل واثق من أنه سيعود إليها مبشراً بدين الله عاملاً أن يعم كل بيت فيها .

ولما رُشكت أن يعيب عن بصره ، ودعها بهذه الكلمات المؤثرة

« والله ، إنك لأحب أنبل إلى نفسي ، ولولا أن أهدك أخرجوني ما خرجت » .

ثم مضى هو والصديق إلى غار ثور فاحتضيا فيه .

وبما علم مشركون بالأمر ، ثاربت نائرتهم ووطئوا الحرم على ألا يُقتل المهاجرون إلى الله من تكتيلهم .

فقد كانوا دبوا قتل الرسول ﷺ ، وما كانوا يبالون قط بقتل رجل يقول (ربي الله)

وفد كانوا أحكموا التدبير لقتله قبل أن يفرح ، ووضع مشروع المؤامرة أبو جهل ، وعرضها على الوضع التالي

أى أن تأخذ من كل قبيلة من قريش علامة ، يهدأ ، حلد ، ثم يعطيه سيقاً صارماً ، فيصربوه صربة رجل واحد ، فيمترق دمه في القاتل فلا يستطيع بو عبد مناف الوقوف

في وجه القيدل جميعها ، فبعثوا المدينة معصهم ياه **﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ حَاكِمٌ ﴾** (١) .

[□ □]

دخل رسول الله **ﷺ** هو زبؤ بكر العار محتعين ، وكان سيدنا أبو بكر حزيماً ، حوقاً على الرسول **ﷺ** ، دعاء النداء الإلهي عن لسان الرسول **ﷺ** يملؤه ثقةً وتعاوناً يقول **﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾** (٢) .

وما سمع سيدنا أبو بكر حوقاً عن مشركين أمم العار ، وأصواتهم الصاحقة التي نعن عن سخطهم وعيظهم مكثوت ، قال : « نَظَرُ أَحَدِهِمْ إِلَى مَوْضِعٍ قَدِمَتْهُ لُبَصْرًا ، وَيَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** ، وَيَقُولُ : « مَا ظَلَمَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُمَا » وَلَمَّا انْتَهَى الطَّلَبُ وَغَدَّ الْمُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ نَوَا ، حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ** ، هُوَ وَرَفِيقُهُ

وكان خروجهما من العار ليلة الاثنين لأربع نبالٍ حور من شهر ربيع لأول

وسما هم في الطريق ، لحق بهما سرقة بن مالك ، مدججاً بالسلاح ، على فرس تسابق الريح : يأسرهما حتى يعور الحائرة التي وعد بها المشركون من يأتي بالرسول **ﷺ** : فتبلاً ثم أسير

فما دنا منهما ، دعا عليه رسول الله **ﷺ** فمسح عوائم فرسه في لارض ، فقال يا محمد ، « دُعِ اللَّهَ أَنْ يَصْنَعَ فَرَسِي ، وَرَجْعَ عَيْثُ وَأَرْثُ مِنْ وَائِي ، فَفَعَلَ فَأَصْبَحَ وَرَجَعَ ، فوجد الناس يلتعنون رسول الله **ﷺ** ، فقال جعوا فقد سرت بكم ما هذا ، وقد عرفتم بصري بالأثر فرجعوا عنه

وسار الركب : تحفه رعايه الله وعديته ، حتى وصل المدينة ، حيث استقبل أرواح استقبال

وكان من أوائل الأعمال التي قام بها رسول الله **ﷺ** ، في المدينة

١ - بناء المسجد : الذي فُتس على التهوى من أول يوم

٢ - مواجاة نير المهاجرين والأنصار ، تحقيقاً لمبدأ من مبادئ الدين الإسلامي ، يتمش في قوله تعالى : **﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾** (٣) .

(١) ان عمراء ٥٤

(٢) التوبة ١٠

(٣) سورة الحجرات ١٠

والله در البوصيري حيث يقول

ويج قوم جفوا بيا بأرض	ألفه صباها والظباء
وسوء ، وحس حذع إليه !	وقنوه ، وودّه السوء !
أخرجوه منها وآواه عار	وحفته حسامة ورقاء
وكفته بسجها عنكبوت	ما كفته أخمسه الخصاء
واختفى مهم عن قريب مرآ	ه ومن شدة الظهور الحفاء
وحا المصطفى المدينة واشأ	قت إليه من مكة الأنحاء

المجرة من زاوية أخرى :

هجرة حفيظة تاريخية ، ورمز روحي جميل ، يعبر حير بعبير عما يحب أن يكون عليه
المسلم في كل فترة من فترات حياته ، بل في كل نفس من أنفسه
وسيد أن نتحدث الآن عن الهجرة كرمز عن الهجرة الروحية عن الهجرة التي لا ترتبط
بزمان ولا مكان .

والهجرة بهذا المعنى الذي يتجاوز الواقع التاريخي ويتجاوز الزمان والمكان قد وردت
في الأحاديث النبوية الشريفة وفي القرآن الكريم

يقول رسول الله ﷺ - فيما روى البخاري رضي الله عنه « المسلم من سلم
من لسانه ويده ، وأهجر من هجر ما بهي الله عنه »

وهذا المعنى الروحي نبيّه - في وصوح سافر - فيما يلي .

يقول الله تعالى :

﴿إِلَّا تَصْرُوهُ فَقَدْ بَصَرَهُ اللَّهُ ، إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَمِيًّا إِذْ هُمَا فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ
لصاحبه لَا تَخْرُجْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكُوتَهُ عَلَيْهِ ، وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ مِّنْ نَّوَاهَا ، وَجَعَلَ كَلِمَةَ
الَّذِينَ كَفَرُوا سَفَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعَلِيَّةُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾^(١)

في الآية لكريمة بصور الله تعالى ، إخراج نكهار للرسول ﷺ من مكة ، وهجرته
مسحوقاً في حُجج من الليل مفارقاً للبلدة التي وُلِدَ بها . والتي بها عشيرته وقومه ، إلى بلدة
يحد فيها حرية الدعوة إلى الله

بصور الله - تعالى - ذلك ، بأنه انتصار

ومن التعريف أن الله سبحانه وعالي ، يصوره بأنه سافر ، في الوقت الذي كان فيه

الرسول ﷺ محتباً في نعر ، هو والصديق رسول الله عليه ، والمشاركون - بحيلهم ورجلهم ، وعدتهم وعتادهم مستشرون في كل مكان يحشون عهما : جاهدين للتكامل بهما .

وما من شك في أن الهجرة كانت انتصاراً مبيناً ؛ لأنها فرار إلى الله والفرار إلى الله انتصار ، حتى ولو انتهى بالموت أو القتل .

﴿والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتِلُوا أو ماتُوا ، لَنَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ، وَإِنِ اللَّهُ لَهُوَ خَبِيرُ الرَّاقِينَ﴾^(١)

وحن مأثورون بالفرار إلى الله ؛ أي بالهجرة إليه ﴿فَمَرَوْا بِإِذِ اللَّهِ ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٢) وسيد لوط عليه السلام قال : ﴿إِنِّي مَهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)

وسيد إبراهيم عليه السلام قال : ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّئُهُدٍ﴾^(٤)

والفرار إلى الله والهجرة إليه والذهاب إليه ؛ من صفات المؤمنين الصادقين إنهم يعروى إلى الله ربهاجرون إنه كل يوم وكل وقت ، فهو هدهم وعابتهم في جميع أعمالهم

وإذا كانت هجرة بعض الناس إنما هي إلى ديار بصيها ، أو إلى امرأة يكحها ، فهجرة المؤمن الصادق خالصة لله وحده . متمحصة لوجهه الكريم .

وإذا ما كانت كذلك كان الله معه .

يقول ﷺ ، للصديق - رضي الله عنه ورضاه ﴿لَا تَحْرُجْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٥) ذلك أن هجرته كانت لله رب العالمين ، لا شريك له ، ومن كان كذلك فإن الله يُرَوِّعُ عليه السكينة ، أي طمأنينة النفس والرضى ، ويؤيده بجنود لا تراها الأعين يبدحنه في بطن رعيته ، ويشمله بحملى عديته ، ويصمى عليه - من توفيقه ورضاه - ما يجعله قرير النفس ، هادئ البال ، سعيداً ولو ألقى في النار ؛ لأنه من ولا يشعر به إلا برداً وسلاماً

وقد نظم الله للمؤمنين أمر الهجرة إليه سبحانه وتعالى

وأول مرحلة في سبيل الهجرة إليه سبحانه ، إنما هي التوبة الخالصة لوجهه الكريم

يقول ﷺ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى

(١) سورة فتح ٥٨

(٢) سورة البقرة ٥٠

(٣) سورة التوبة ٢٦

(٤) سورة الصافات ٩٩

(٥) سورة التوبة ٤٠

الله ورسوله هجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأ يسكحها
فهجرته إلى ما هاجر إليه »

فبدأ ما توجهت إليه بالأعمال إلى الله تعالى ، كانت تلك الأعمال هجرة إليه ، أما إذا لم
توجه إليه ، فإن الأعمال ولو كانت حيرة في طهرها تكون هباءً منثوراً

ومن هنا ، يتبين المؤمنون حقاً فساد الأفكار التي يروجها الخاندون عن النهج الديني
الصحيح ، من أمثال قولهم إن العلم للعلم ، أو الفن للفن ، أو الخير للخير ، أو الخير
لإرضاء الصمير . فإن كل ذلك يدعي عدم الفهم السليم للروح الدينية الصحيحة ، وهو
أيضاً - حطر على المجتمع ؛ لأن العلم والفن إذا لم يتح بهما أصحابهما إلى الله - أساساً
وعدايات - انحرفت بهما الإرادات والنيات إلى الشر والإفساد ؛ فشقت بهما الإنسانية بدل
أن تسعد

أما الخير ، فإن معرفته معرفة حقيقية ، لا تتأني إلا عن طريق الدين

وقد حاولت العقول - مستقلة عن الدين - تحديده ففحصت وتضاربت ، ولم تصل
إلى نتائج ..

والمؤمن إذا يهاجر إلى الله بعلمه ، ويهاجر إليه بفنه ؛ ويهاجر إليه بعلمه الخير

سأل الصحابي الجليل عمرو بن عسة رضى الله عنه رسول الله - ﷺ - قائلاً
أي الإيمان أفضل ؟

فقال رسول الله - ﷺ - : الهجرة ...

فقال الصحابي : وما الهجرة ؟

فقال رسول الله - ﷺ - : أن تهجر السوء ..

وعن أم أئس - رضى الله عنها - فيما رواه الطبراني بإسناد جيد .

أنها قالت يا رسول الله أرصني . فكان مما أوصاها به رسول الله ﷺ أن قال لها -

« اهجرى المعاصي فإنها أفضل الهجرة » .

على أن العبادات الإسلامية - على تعددها واختلافها - إنما هي تنسيق وتنظيم لأنواع
ولوايا من الهجرة إلى الله . نسمو بالمؤمن صُعُداً إلى انصبة بالله ، وإلى النعيم في رضوانه ،
وإلى السعادة في رحابه .

والصلاة فِراراً من البيئة والحو والمادة ، إلى الوقوف بين يدي الله ومساجاته لحظة من الزمن ، فهي هجرة إلى الله .

والزكاة انفصال عن جزء من المادة تقريباً إلى الله فهي ذهاب إليه تعالى والصوم ابتعاد عن المادة فترة من الزمن . تزكية للنفس وقربى إلى الله ، فهو ذهاب إليه عز وجل .

أما مساكُ الحج ، فإنها صُورٌ من التجرد لله : بلغت الدروة والسَّام ، وتبلورت في النداء الروحي الكريم : « سيك اللهم لييك » ، وأكرم بها من هجرة !!

وحتماً ، فإن الصورة التامة الكامنة للهجرة الإسلامية الكبرى ، إنما تتمثل في أروع مظاهرها - في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَاسْكَيْتُ وَخَافَيْتُ وَمَتَّيْتُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(١)

يقول ﷺ . (لا محرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية) جهاد في كل ميادين الجهاد ، ونية خالصة طاهرة متمحضة لله ورسوله .

فإن الهجرة الكبرى أيها الإخوة المؤمنون فإن فيها لحير كنه وبالله التوفيق

١ - النصوص

حاولنا في هذه النصوص أن نعطي صورة واضحة عن المحرر في مقدمتها وفي كيميائها ، وفي دلالتها بالنسبة للرسول ﷺ ، وبالنسبة لأصحابه وأنصاره ، على عمق الإيمان بالرسالة وبالرسول ، وعلى اليقين التام بالصدق وبالحق في أقوال الرسول ﷺ ، وفي أعماله ، وفي قيادته ، وفي تبليغه من ربه سبحانه .

جهاد في سبيل الدعوة

أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاث سنين من أول نبوته مستخفياً ، ثم أعلن في الرابعة دعاه الناس إلى الإسلام عشر سنين ، يُواهي المواسم كل عام ، يتبع الحجاج في منازلتهم في الموسم بمكة ومكة ، ودى المنار ، يدعوهم إلى أن يسموه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يحد أحداً بصره ، أو يجيه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومازها قبيلة قبيلة ، ويقول

(١) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ .

« يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتمسكوا بها لعرب وتدل لكم العجم ، وقد أمتم
كنتم هنوكا في الحجة »

وأبو لباب ورواه يقول لا تعبدوه فإنه ضايع^(١) كاذب ، فيردون عليه ﷺ أقبح الرد ،
ويؤذونه ويقولون أسرتك وعشيرتك أعجم بث ، حيث لم يتبعوك ، ويكسمونه ،
ويجحدونه ، ويكلمهم ويدعوهم إلى الله ويقول « اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا »^(٢)

٢

قل إن رسول الله ﷺ ، كان يقف في الموسم على القبائل فيقول يا بني فلان ، إني
رسول الله إليكم ، بأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، فكان يمشي حفاة أبو هب
ويقول : لا تعبدوه .

وأني رسول الله ﷺ كئيدة في منازعهم فلم يقبوا منه .

وأني بنى حبيبة في منازعهم فردوا عليه أقبح رد

وأني عامر بن صعصعة .

وكان لا يدع من العرب من كان له اسم وشرف إلا دعه وعرض عليه ما عده^(٣)

٣ أشار إلى الحبشة

علم كثر المسلمون وظهر الإيمان ، وتحدث به ثار ناس كثير من المشركين من كثر
قريش ، بمن آمن من قبائلهم - وهم يادئ دى بدء في الأغلب من صغائهم معبودهم
وسحبوهم وأرادوا فتنهم عن دينهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ « تفرقوا في الأرض » ،
فقالوا أين نذهب يا رسول الله ؟ قال : « ها هـ » وأشار إلى الحبشة وكانت أحب الأرض
إليه - أن يهاجر قبلها ، فهاجر ناس ذور عدي من المسلمين ، منهم من هاجر معه بأهله ،
ومهم من هاجر بنفسه ، حتى قدموا أرض الحبشة^(٤) .

(١) سائق : يقال صبا فلان إذا خرج من دس إلى دس غيره من قومه صبا فلان إذا طلعت وصبا
النجوم إذا خرجت من مظلمها وكانت العرب تسمى النبي صلى الله عليه وسلم الصبا لأنه خرج من دس قريش إلى
دس الإسلام ويسمون المسلمين الصباة

(٢) العبيدات لأبي سعد ج ١ ص ٢٠ - ٢١

(٣) الروي بأحوال المصطفى ج ١ ص ٢١٥

(٤) العبيدات لأبي سعد ج ١ ص ١٨٨

٤ - أول من هاجر

من قنادة قال :

« إن أول من هاجر إلى الله عز وجل بأهله عثمان بن عفان ، ومعه رقية بنت رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم ، فقدم امرأة من فريش ، فقالت : يا محمد ، قد رأيت حثثك ومعه امرأته ، قل على أي حال رأيتهما ؟ قالت : رأيت قد حمل امرأته على حجر من هذه الزبابة وهو يسوقها فقال رسول الله ﷺ : صحبهما الله إن عثمان لأوّل من هاجر بأهله بعد لوط » (١) .

٥ - المهاجرون إلى الحبشة والتجاشي

فلما دخلوا على التجاشي ، كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب ، فقال : لتجاشي ما هذا الدين الذي أنتم عليه ؟ فارتقم دين قومكم ، ثم تدخلوا في يهودية ولا نصرانية ، ما هذا الدين ؟ فقال جعفر : أيها الملك ، كنا قومًا على أشراك عبد الأوثان وماكل الميتة ، ونسبي الجوار واستحلّ المحارم ، فبعضنا من بعض ، في سفك الدماء وغيره ، لا نحل شيئًا ولا نحرّمه ، فبعث الله إلينا نبيًا من أنفسنا يعرف وده وصدقه وأمانته ، فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له ، ونصل برحمه ، ونحسن الجوار ونصلي لله ، ونصوم له ، ولا نعبد غيره . فقال له جعفر : نعم ، فقال هدم فانتل على ما جاء به ، فقرأ عليه صدرًا من المصحف حوله ، فقال له جعفر : نعم ، فقال هدم فانتل على ما جاء به ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كهيعص﴾ (٢) فيكى والله التجاشي حتى أحصل خيته ، وبكت أسافته حتى أحصلوا مصحفهم (٣) ، ثم قال : إن هذا الكلام يبرح من مشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقوا رشدين لا والله ، لا أردهم عليكم ولا أنعمكم عبداً (٤)

٦ - العودة إلى الحبشة

لقد قدم أصحاب النبي ﷺ مكة ، من هجرة الأولى ، أشدّ عديهم قومهم ، ومنظمت بهم عشائرهم ، ونفوا منهم أذى كثيرًا . فأدسهم رسول الله ﷺ ، في الخروج إلى أرض الحبشة

(١) دلائل النبوة ج ٢ ص ٦٦

(٢) سورة مريم ١

(٣) المقصود مصحفهم وهي الأنجيل

(٤) دلائل النبوة ج ٢ ص ٧٢

مرة ثانية ، فكانت حُرَّتْهُمْ الآحِرَةُ أُعْطِيَتْهُمُ مَشَقَّةٌ ، وَلَقُوا مِنْ قَرِيْشٍ تَعْيِيقًا شَدِيْدًا . وَبَنَوْهُمْ بِالْأَدَى ، وَاشْتَدَّ عَلَيْهِمْ مَا بَلَغَهُمْ عَنِ السَّحَاشِيِّ مِنْ حُسْنِ جَوَادِهِ هُمْ ، فَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ . يَا رَسُولَ اللَّهِ فَهَجَرْتَنَا الْأَوَّلَى - وَهَذِهِ الْآخِرَةُ إِلَى السَّحَاشِيِّ وَلَسْتَ مَعَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَنْتُمْ مَهَاجِرُونَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رِجْلِكُمْ هَاتَانِ الْمَهْجَرَتَانِ جَمِيعًا » قَالَ عَثْمَانُ فَحَسِبْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ (١) .

٧ - من مقدمات الهجرة إلى المدينة

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ ، وَيُعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ كُلَّ سَنَةٍ بِمَجَنَّةٍ وَعُكَاظٍ وَمَسِيٍّ ، أَنْ يُزَوِّدَهُ حَتَّى يَبْعَ رِسَالَةً بِهِ وَهَمَّ الْعِجَّةُ ، فَلَمْ يَحْدِ قَبِيْلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ بِسَتْحِيْبٍ لَهُ وَتُؤَدَّى وَتُسْتَمَّ ، حَتَّى رَآهُ اللَّهُ إِصْهَارَ دِيْنِهِ وَنَصْرَ رَبِّهِ ، وَابْتِغَاءَ مَا وَعَدَهُ ، فَسَاقَهُ إِلَى هَذَا الْخَيْ مِنَ الْأَبْصَارِ ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْكِرَامَةِ ، فَانْتَهَى إِلَى بَعْضِهِمْ وَهَمَّ بِحَقْوَبِ دَعْوَتِهِمْ فَحَلَسَ إِلَيْهِمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَفَرَّ عَلَيْهِمُ الْقَرَأَنُ ، فَاسْتَحَابُوا اللَّهَ وَلِرَسُولِهِ ، فَأَسْرَعُوا وَأَمْسَوْا ، وَصَدَقُوا وَأَوْرُوا ، وَنَصَرُوا وَوَسَّوْا ، وَكَانُوا وَاللَّهِ ، أَطْوَلَ النَّاسِ أَلْسَةً ، وَأَحْدَثَهُمْ سِيُوفًا . وَذَكَرُوا أَنْ تَوَلَّى مِنْ أَسْلَمَ مِنَ الْأَبْصَارِ ، أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَذَكَرُوا بَنِي عَبْدِ قَيْسٍ - حَرَجًا إِلَى مَكَّةَ يَتَنَافَرُونَ إِلَى عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، فَقَالَ هُمَا قَدْ شَعَلْنَا هَذَا الْخَيْلَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَرْعَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ - قَالَ - وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ الْتَيْهَانَ مِنْكَلِمِيْنِ بِالنُّوْحِيْدِ يَبْثِرُ فَقَالَ ذَكَرُوا مِنْ عَبْدِ قَيْسٍ لِأَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ - حَيْثُ سَمِعَ كَلَامَ عَتَبَةَ - دُونَكَ هَذَا دِيْنُكَ فَقَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمَا . ثُمَّ رَجَعَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ فَلَقِيَ أَسْعَدُ أَبَا الْهَيْثَمِ بْنِ الْتَيْهَانَ ، فَأَخْبَرَهُ بِإِسْلَامِهِ ، وَذَكَرَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَمَا دَعَا إِلَيْهِ

فَقَالَ أَبُو الْهَيْثَمِ : فَأَنَا أَشْهَدُ بِكَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَسْلَمَ (٢) .

فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ فَأَسْلَمُوا ، وَهَمَّ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرٍاءَ وَمِنْ بَنِي زُرَّارَةَ رَافِعُ بْنُ مَالِكٍ وَمِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ قُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ حَلْدِيَّةٍ وَمِنْ بَنِي حَرَامٍ ابْنُ كَعْبٍ عَقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ وَمِنْ بَنِي عُيَيْدٍ عَدِيُّ بْنُ سُلَيْمَةَ - جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِثَابٍ ، لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ أَحَدٌ

(١) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١٩١ - ١٩٢

(٢) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢

قال محمد بن عمران هذا عندنا أثبت ما سمعنا فيهم وهو المجتمع عليه ثم قدموا إلى
سيرة قدموا قومهم إلى الإسلام فأسلم من أسلم ، ولم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر
رسول الله ﷺ كثير^(١)

٨

عن عبادة بن الصامت قالوا لما كان العام لمقبل من العام الذي لقي فيه رسول الله ﷺ
من الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام ، وهي العقبة الأولى ، من بني النجار أسعد بن
إرة ، وعوف ومعاذ (وهما ابنا الحارث ، وهما ابنا عفراء ، ومن بني زريق ذكران بن
قيس ورافع بن مالك ، ومن بني عوف بن الحرج عبادة بن الصامت ، ويريد بن
بنة أبو عبد الرحمن ، ومن بني عامر بن عوف : عباس بن عبادة بن نضلة ، ومن بني سمرة :
بنة بن عامر بن نابي ، ومن بني سواد : قطبة بن عامر بن حليدة ، فهؤلاء عشرة من
حزج ، ومن الأوس رجلاً : أبو الهيثم بن التيهان من بني حبيب في بني عبد الأشهل ،
من بني عمرو بن عوف ، عريم بن ساعدة . فأسموا وبايعوا على بيعة النساء . على أن
شرك بالله شيئاً ولا يسرق ولا يرمي ولا يقتل أولاداً ، ولا تأتى بهتان يقتريه بين أيدي
رجلنا ولا عصية في معروف قال : « فإن وميثم فلكم الحمد ومن عشي من ذلك شيئاً كان
ه إلى الله إن شاء غلبه وإن شاء عما عنه

ولم يفرض يومئذ القتال .

ثم انصرفوا إلى المدينة فأظهر الله الإسلام ، وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن
هم ، وكنت الأوس والحزج إلى رسول الله ﷺ ابعد إليهم مقررًا يقرئنا القرآن حيث
هم مصعب بن عمير العبدي ، فحل على أسعد بن زرارة ، فكان يقرئهم القرآن ، فروى
مهم أن مصعباً كان يجمع بهم ثم خرج مع انسب حتى وافوا بلوسم مع رسول الله
ﷺ^(٢) .

عن الزهري قال لما اشتد المشركون على رسول الله ﷺ ، قال نعمه العباس بن
المصليب . يا عم ، إن الله عز وجل ناصر دينه يقوم بهون عبيهم الموت رغم قرش -

(١) الطبقات لأبي سعد ج ١ ص ٢٠٣

(٢) الطبقات لأبي سعد

حرّاً من ذات الله تعالى ، فمضى بي إلى عكاظ فأرسلني منار أحياء العرب حتى دعوهم إلى الله عز وجل ، وأن يستمعوني ويؤذوني ، حتى أبلغ عن الله عز وجل ، ما أُرسلني به

قل فقال العباس : يا ابن أخي ، امض إلى عكاظ ، فإن ماضٍ معك حتى أدلك على منار الأحياء . فبدأ رسول الله ﷺ بثقيف ، ثم استقر القبائل في سنته . فبدأ كان العام لمقبل ودنت حين أمر الله تعالى أن يعلن الدعاء . لقي السنة نفر الحررجيين والأوسيين . أسعد بن زرارة ، وأبو الهيثم بن النبهان ، وعبد الله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، والنعمان بن حارثة وعبد بن مصامت ، فتيقهم النبي ﷺ في أيام منى ، عند حجرة العقّة ليلاً ، فحسب إليهم فدعاهم إلى الله عز وجل ، وإلى عبادته والمزارعة على دينه . الذي بعث به أنبياءه ورسله فسألوه أن يعرض عليهم ما أوحى إليه فقرأ رسول الله ﷺ سورة يهوديم ﴿ وَإِذْ قَالَ يَهُودِيٌّ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَيْدَ آمِنًا ﴾ إن آخر السورة ، فترق القوم وأحبوا حين سمعوا وأجابوه

فمر العباس بن عبد المطلب وهو يكلمهم ويكلمونه . فعرف صوت النبي ﷺ فقال ابن أخي ، من هؤلاء الذين عدت ؟ قال : يا عم ، سكان يثرب الأوس والخررج قد دعوتهم إلى ما دعوت إليه من قبهم من الأحياء ، فأجبتني وصدقوني ، وذكرنا أنهم يخرجونني إلى بلادهم ؛ فمر العباس بن عبد المطلب وعقل رحلته ، ثم قال لهم

يا معشر الأوس والخررج ، هذا ابن أخي ، وهو أحب الناس إليّ ، فإن كنتم صدقتموه وأسمع به ، ورددتم إخراجهم معكم ؛ فإنني أريد أن أحد عليكم موثقاً تطمئن به نفسي ولا تحذلوه ولا تعروه ، فإن جيرانكم اليهود ، واليهود له عدو . ولا آمن مكرهم عليه

فقال أسعد بن زرارة : وشق عليه قول العباس حين أنهم عليه سعداً وأصحابه . قال يا رسول الله ائذن لنا فلججه غير مخشين بصدرك ، ولا متعرضين لشيء مما يكره إلا تصديقاً لإجابنا إياك وإيماناً بك ، فقال رسول الله ﷺ : أجيئوه غير متهمين

فقال أسعد بن زرارة : أفضل على رسول الله ﷺ بوجهه - فقال : يا رسول الله ، إن نكنا دعوة سبيلاً ، إن لبنا وإن شئنا ، وقد دعوت اليوم إلى دعوة متجهمة للناس متوعدة عليهم دعوتنا إلى ترك ديننا واتباعك على دينك ، وتلك رتبة صعبة ، فأجيبك إلى ذلك ودعوتنا إلى قطع ما بيننا وبين الناس من الحوار والأرحام القريب والبعيد ، وتلك رتبة صعبة ؛ فأجيبك إلى ذلك .

ودعوتنا ونحن جماعة في دار عز ومعة لا يطمع فيها أحد - أن يرأس علينا رجل من غيرنا قد قرده قومه وأسمعه ائمه ، وتلك رتبة صعبة فأجيبك إلى ذلك وكل هؤلاء الرسل

مكروهة عند الناس ، إلا من عزم الله على رشده ، والتمس الحير في عواقبها وقد أجبناك
 في ذلك بالسنتنا وصدورنا وأيدينا . إيماناً بما جئت به وتصديقاً بمعرفته ثبتت في قلوبنا
 ببايعك على ذلك ، وبايع ربنا وربك . يد الله فوق أيدينا ، ودمون دون دمتك ، وأيدينا دون
 يدك . سمعتك مما تمنع منه أنفسنا وأبائنا ونساءنا ، فإن سمع بدلت فبالله نفى ، وإن تغلب ،
 فبالله نصر ، وعز به أشقياء ؟ هذا الصديق ما يا رسول الله والله المستعان

ثم أقبل على العباس بن عبد المطلب بوجهه ، فقال . وأما أنت أيها المسترصر لنا بالقول
 دون النبي ﷺ . والله أعلم ما أردت بذلك ، ذكرت أنه ابن أخيت وأحب الناس إليك
 فنحن قد قطعنا القريب والبعيد ود الرحمة وشهد أنه رسول الله ﷺ . أرسه من عنده ،
 ليس بكذاب وإن ما جاء به لا يثبت به كلام البشر .

وأم ذكرت أنك لا تطعن إلينا في أمره ، حتى تأخذ موثيقاً ، فهذه حصيلة لا بردها
 على أحد أرادهم لرسول الله ﷺ ، فحد ما شئت ، ثم اتفقت إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول
 الله ، حد لنفسك ما شئت ، واشترط لربك ما شئت . فقال النبي ﷺ : أشرت لربي عر
 وجل . أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، ولنعمي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم
 وأبائكم . قالوا : فذلك لك يا رسول الله .

فقال العباس عليكم بذلك عهد الله مع عهودكم . ودعة الله مع دمتكم في هذا شهر
 الحرام والهد الحرام ، تبايعونه وتبايعون الله ربكم . يد الله فوق أيديكم لتجبت في نصره ،
 ولتشد له من أمره . وثوق له بعهدته ، سفع أيديكم ، وصرح ألسنتكم ، وصرح
 صدوركم . لا يمنعكم من ذلك رعية أشرفت عليها ، ولا رهبة أشرفت عليكم ولا يوتى من
 قبلكم

قالوا جميعاً : نعم

قال : الله عليكم بذلك راع ووكيل . قالوا : نعم

قال . انهم إنك سامع شاهد ، وإن هذا ابن أخي قد استرعاهم دمتهم واستحفظهم نفسه ،
 اللهم فكن لآلئ أخي عليهم شهيداً

فرصى القوم بما أعطاهم رسول الله ﷺ من نفسه ، ورصى النبي ﷺ بما أعطوه من
 أنفسهم .

وقد كانوا قالوا له . يا رسول الله إذا أعطيتنا ذلك فمالنا ؟

قال : رضوان الله والجنة .

قالوا : قد رضينا وقتنا .

فأقبل أبو لهب بن أبي جهل على أصحابه فقال أليس أنتم تعلمون أن هذا رسول الله إليكم ، وقد آمستم به وصدقتموه ؟ قالوا بلى قال أليس أنتم تعلمون أنه في بلد الله الحرام ، ومسقط رأسه ومولده وعشيرته ؟ قالوا بلى ، قال : فإن كنتم حادليه أو مسلبيه يوماً من الدهر لبلاء يروى بكم فالآن ، فإن اعرب سترميكم فيه عن قوسٍ واحدة ، فإن طابت أنفسكم عن الأنفس والأموال والأولاد في ذات الله عز وجل ، فما لكم عند الله عز وجل من الثواب ، خير من أنفسكم وأموالكم وأولادكم

فأجاب القوم جميعاً لا ، بل نحن معه بالوفاة وانصدق ثم أقبل على النبي ﷺ فقال يا رسول الله لعنك هذا حاربنا الناس ههنا وقصعنا ميسا وشبههم من الجوار والحيف والأرحام ، وحملنا الحرب على سبائنا (١) فكشفت لنا عن قناعها - لحقت ببدك وتركت وقد حاربنا الناس فيك ، فتبسم رسول الله ﷺ ، ثم قال « ادم ادم والمدم ادم » قال عند الله بن روحه حل بسا يا أبا هشم حتى بايع رسول الله ﷺ ، فسبقهم أبو الهيثم إلى بيعته فعلى أبيهك يا رسول الله ، علي ما بايع الاثنا عشر نبياً : من بني إسرائيل موسى بن عمران ، فقال عبد الله بن رواحة أبيهك يا رسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر من الخواريص عيسى بن مريم وقال أسعد بن زرارة أبيهك يا رسول الله ﷺ على أن أتم عهدى يهودي ، وأصدق قولى بعلي ونصرتك وكان أسعد بن حارثة أبيهك يا رسول الله وأباهك على الإقدام في سر الله ، لا أراقب فيه القريب والبعيد ، فإن شئت والله يا رسول الله ، ملنا بسيف هذه على أهل مي . فقال النبي ﷺ لم تؤمر بذلك .

وقال عباد بن الصامت : أبيهك يا رسول الله على ألا تحدثني في الله لومة لائم ، وكان سعد بن الربيع أبيهك يا رسول الله وأباهك على أن لا أعصيكما ولا أكذبكما حديثاً فانصرف القوم إلى بلادهم وأصحب مسرورين فسروا بما أعطاهم رسول الله ﷺ من الوحي ، ... حتى وافوه من العام القابل وهم سبعون رجلاً

- ٩ -

لما حصر الحجاج ، مشى أصحاب رسول الله ﷺ ، الذين أسلموا ، بعضهم إلى بعض ، يتواعدون السير إلى الحج ، وموافاة رسول الله ﷺ ، والإسلام يومئذ فاش بالمدينة ، فخرجوا

١) جاء الظاهر من الدواب مرسج الركوب ، أي حلتا على ظهر الحرب - سمع البحار

وهم سيعون يريدون رجلاً أو رجلين في حمر^(١) الأوس والحررح وهم حمسمائة حتى قدموا على رسول الله ﷺ ، مكة ، فسلموا على رسول الله ﷺ ، ثم وعدهم مئى وسط أيام التشريق ليلة النحر الأول ، إذا هدأت الرُّحُل أن يوافوه فى الشعب الأيمن إذا انحدروا من مئى بأسفل الحقة ، حيث المسجد اليوم ، وأمرهم أن لا يهبوا نائماً ولا ينتظروا عائياً قال فخرج العموم بعد هدأة^(٢) : يتسللون^(٣) : الرجل والرجلان ، وقد سبقهم رسول الله ﷺ إلى ذلك الموضع ، معه العباس بن عبد المطلب ، ليس معه أحد غيره ، فكان أول من طبع على رسول الله ﷺ ، ربيع بن مالك الزرقى ، ثم توافى السبعون ومعهم امرأتان قال أسعد بن زرارة . فكان أول من تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال يا معشر الحررح ، إنكم قد دعوتهم محمداً إلى ما دعونتموه إليه . ومحمد من أعز الناس فى عشيرته يصعبه والله ، ما من كان على قوله ومن م يكن مناعى قوله ، يصعبه للحسب والشرف ، وقد أبى محمداً الناس كلهم غيركم فإن كنتم أهل قوة وجند وبصر بالحرب ، واستقلال بعداوة العرب قاطبة . ترميكم عن قوس واحدة فارتأوا رأيكم ، وأتمروا أمركم ، ولا تفرقوا إلا عن مئى منكم واجتماع . فإن أحدث أصنفه .

فقال البراء بن معرور ، قد سمعنا ما قلت ، وإنه والله ، لو كان فى أنفس غير ما نطق به لقلناه ، وبكنا نريد الوفاء والصدق^(٤) ريدن مهج أنفسنا ، دون رسول الله ﷺ ، قال وتلا رسول الله ﷺ عليهم بقرآن ، ورعهم فى الإسلام ، وذكر اللى اجتمعوا له ، فأحياه البراء بن معرور بالإيمان والتصديق ، ثم قال : يا رسول الله بديف ، فحس أهل الحقة^(٥) ورثاها كابر عن كابر

ويقال إن أباهم بن النضبان ، كان أول من تكلم وأجاب إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وصنفه وقالوا نقله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ، ونعصوا^(٥) فقال العباس بن عبد المطلب وهو أحد بيد رسول الله ﷺ احصوا خرمكم^(٦) ، فإن عني عيوناً ، وعدتمو دوى أسانكم ، فيكونوا هم الذين يلون كلامنا منكم ؛ فإننا نحاف قومكم عليكم ، ثم إذا بايعتم فتمرقوا إلى محالكم

(١) حمر - جماعة

(٢) يتسللون - ينصرفون فى شعاء

(٣) الطويقات لأبن سعد ج ١ ص ٢٠٥ ٢٠٦

(٤) الخلة - السلاح عنه ، وقيل هى المدرج عنه

(٥) لفظوا من اللفظ وهو صوت وضجة لا يفهم منه

(٦) خرمكم - صوبكم

حكيم البراء بن معرور ، فاجاب العباس بن عبد المطلب ثم قال انسط يدك يا رسول
 فكان أول من صرب على يد رسول الله ﷺ ، البراء بن معرور ويقال أول من صرب على
 يده أبو الهيثم بن النيهال ويقال أسعد بن زرارة ثم صرب السبعون كدهم على يده وبايعوه
 فقال رسول الله ﷺ : « إن موسى أحد من بني إسرائيل اتى عشر نقيب ، فلا يجد (١) أحد
 منكم من نفسه أن يوحد غيره ؛ وإنما يحتارلى حريل » فيما تحيرهم ، قال للنقباء : « أنتم
 كفلاء على غيركم ككفالة الخواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كميل على قومي » قالوا : نعم
 فلما بايع القوم وكلموا (٢) قال رسول الله ﷺ : « انمضوا إلى رحالكم » (٣) فقال
 العباس ابن عباد بن بصفة يا رسول الله ، واندى بعثك باحق ، لكن أحست لميدى على أهل
 مبي بأسياها ، وما أحد عليه سيف تلث اليه غيره . فقال رسول الله ﷺ : « إنا م نؤمر
 بذلك فانمضوا إلى رحالكم » (٤) .

« صدر السبعون من عند رسول الله ﷺ ، صابت نفسه وقد جعل الله به منعة » (٥) وقوما
 أهل حرب وعدة وجدة .

وجعل البلاء يشن على المسلمين من اشركين ، « يعصون من الخروج فصيتو على
 أصحابه ، وتعصوا (٦) به ، وبألو منه ما لم يكونوا يألون من الشتم والأذى
 فشكا ذلك أصحاب رسول الله ﷺ ، واستأذوه في المحبرة فقال : « قد ريت دار
 هجرتكم ريت شجرة دوت بجل ، بين لابتي (وهم اخوتان) ولو كانت السرة (٧) أرض
 بجل وسباح لقلت هي هي » ثم مكث أياما ، ثم خرج إلى أصحابه مسرورا فقال : « قد
 أحبرت بدار هجرتكم وهي يثرب ، فمن أراد الخروج فليخرج إليها » فجعل القوم يتجهرون
 ويتوافقون ويتناسون ، ويخرجون ويحتمون ذلك ، فكان أول من قدم المدينة من أصحاب
 رسول الله ﷺ . أبو سمة ابن عبد الأسد ، ثم قدم بعده عامر بن ربيعة معه امرأته بلى بنت
 أبي حنمة ، فهي أول طعية قدمت المدينة ، ثم قدم أصحاب رسول الله ﷺ رسالاً ، فترلوا
 على الأنصار في دورهم ، فتوزهم ونصروهم وواسوهم .

وكان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بماء ، فل أن يقدم رسول الله ﷺ (٨) . فلما

(١) يجتد : يعض من وجد عليه يخط وجداً وموجدة

(٢) الطبقات لأبي سعد ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧

(٣) رحالكم - منازلكم يقال لئلا للإنسان وسك رحله

(٤) الطبقات لأبي سعد ج ١ ص ٢٠٧

(٥) منعة - قوة تمنع من يربهم سوء

(٦) تعصوا ، عينا وهزوا

(٧) السرة - البطن

(٨) الطبقات لأبي سعد ج ١ ص ٢١٠ - ٢١١

خرج المسمومون في هجرتهم إلى المدينة ، كبت (١) فريش وحريو (٢) واعماظوا على من خرج من قتيانهم

وكان من الأتباع بايعوا رسول الله ﷺ ، في المقبة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء ، خرجوا إلى رسول الله ﷺ بمكة ، حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة

(هجرة أبي سلمة وروجه ، وحديثهما عمًا لقيا)

— ٩ —

فكان أول من هاجر إلى المدينة ، من أصحاب رسول الله ﷺ ، من المهاجرين من فريش من بني محروم أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن محروم ، واسمه عبد الله ، هاجر إلى المدينة ، قبل بيعة أصحاب العصة بسنة وكان قدم على رسول الله ﷺ مكة من أرض الحبشة ، فلما أدته قريش وبعه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجرًا

قال ابن إسحاق فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جده أم سلمة ، روح النبي ﷺ ، قالت لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لي بعيره ، ثم حملني عليه ، وحمل معي أبي سلمة بن أبي سلمة في حجرى ، ثم خرج بي يفود بي بعيره ، فلما رآته رحل بي المعيرة بن عبد الله بن عمر بن محروم ، قاموا إليه ، فقالوا هذه نفسك عبيتا عليها ، أرئت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟ قالت فرعوا حظام البعير من يده ، فأخذوني منه ، فاب وغضب عبد ذلت بنو عبد الأسد زهد أبي سلمة ففعلوا لا والله ، لا نترك أسا عبد هادرا برعتموها من صاحب قالت فتجادبوا نبي سلمة بينهم ، حتى جمعوا يده وانظفوا به بنو عبد الأسد ، وحسنى بنو المعيرة عندهم ، ونظفوا روحى أبو سلمة إلى حديدة ، فاب ففرق بيني وبين روحى وأبى قال فكبت خرج كل غداة ، فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى تسمى ستة أو ثمانية منها ، حتى مر بي رحل من بني عمي أخذ بي المعيرة ، فرأى ما بي فرحمى ، ففقد لبى المعيرة ، ألا تخرجون هذه المسكينة ، فرقم يدها وبين روحها وبين ولدها ، قالت . فقالوا لى : إلحقى روحك إن شئت

(١) كلب اشكت

(٢) اسند غصبتهم

قالت ورد بن عبد الأسد إلى عبد ذلك أبي قال فارتحلت بعيري ، ثم أحدثت أبي موضعتة في حجرى ، ثم حرجت أريد روجى بالمدينة . قلت : وما معى أحد من خلق الله قات . فقلت : أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على روجى

حتى إذا كنت بالنعيم ، لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أما بى عبد الدار ، فقال : بى يا بست أبى أمية ؟ قالت : هلت أريد روجى بالمدينة قال : أو ما معك أحد ؟ قالت : قلت ، لا والله ، إلا الله وبى هذا قال : والله مالك من متراك ، فأحد يحطام البعير ، فانطلق معى يهوى بى ، والله ، ما صحبت رجلاً من لعرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه . كان إذا بيع المنزل أناح بى ، ثم استأخر عسى ، حتى إذا رلت استأخر بعيرى ، فحط عنه فيده فى الشجرة ، ثم تحى إلى شجرة فصطح تحتها ، فإذا دما الرواح ، قام بى بعيرى فقدمه فرجه ، ثم استأخر عسى ، وقال ، اركبى ، فإذا ركبى واستويت على بعيرى ، أتى فأحد يحطامه ، فقده حتى ينزل بى ، فلم يل يصع ذلك بى حتى أقدمى المدينة ، فلما نظر بى قرية بى عمرو بن عوف بقاء ، قال زاجك فى هذه القرية . وكان أبو سمة بها نارلاً فادخلها على بركة الله ، ثم انصرف رجلاً إلى مكة ، قال فكانت تقوى والله ، ما أعلم أهل بى فى لإسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة وما رأيت صاحباً قط ، كان أكرم من عثمان بن طلحة^(١) .

أول من قدم المدينة من المهاجرين

بقول البراء :

أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله ﷺ ، مصعب بن عمير ، وبى أم مكتوم فجعلوا يقرئان الناس القرآن قال ثم جاء عمارة ، وهلال ، وسعد ، قات ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ، قال ثم جاء رسول الله ﷺ ، قال فما رأيت الناس يرحو بشيء قط ، فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله قد جاء ، فما قدم حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ وسوراً من انفصل^(٢) ومهاجر المؤمنون ...

خرج المسمون جميعاً إلى المدينة ، فلم يبق بمكة منهم إلا رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعلى ، أو مفتون^(٣) محبوس ، أو مريض ، أو ضعيف عن الحروح

(١) الروض الأثرب ج ١ ص ١٤٨ - ١٥٠ دار الكتب الحديثة

(٢) الطباقات لأبى سعد ج ١ ص ٢٢١

(٣) مفتون . معذب

وعندئذ ، آن لرسول الله ﷺ أن يهاجر^(١)

هجرة رسول الله ﷺ ومقدماتها

لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد حملوا الدراري والأطفال إلى الأوس والجزح ، عرفوا أنها دار منعة ، وقوم أهل حنقة ونس ، فحاولوا خروج رسول الله ﷺ فاجتمعوا في دار سدوة ، ولم ينجف أحد من أهل الرأي والحجاسمهم ، ليشاوروا في أمره قال أبو جهل : أرى أن تأخذ من كل قبيلة من قريش علامة بهذا^(٢) جدياً ، ثم نعطيها سيقاً صارماً ، فيصربونه صربة رجل واحد ، فيتمرق دمه في القبائل ، فلا يدرى بوعد ما بعد ذلك ما تصنع ، فتمرقوا على ذلك وأجمعوا عليه ، وأتى حبريل رسول الله ﷺ ، فأخبره الخبر ، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة ، وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال :

« إن الله عز وجل ، قد آذن لي في الخروج » فقال أبو بكر : الصعبة يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : « نعم » .

قال أبو بكر : محمد - بأبي أنت وأمي - إحدى راحلتي هاتين ، فقال رسول الله ﷺ « بالتمس »

وكان أبو بكر اشتراهما بشمانمائة درهم من نعم في قشير ، وعللتهما وأعدهما ، ارتقاء للهجرة في صعبة السبي كما كان يشتهي ، فأخذ الرسول ﷺ - إحداهما وهي القصواء وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة ، فبات فيه على ، وتعشى برذاً أحمر حصرمياً كان رسول الله ﷺ ينام فيه ، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب^(٣) ويرصدونه^{(٤)(٥)} .

فلما أصبحوا قام على عن الفراش ، فسألوه عن رسول الله ﷺ ، فقال لا علم لي به وصار رسول الله ﷺ إلى منزل في بكر ، فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو وأبو بكر ، فمضيا إلى غار ثور فلخلا^(٦)

(١) الطبعات لابي سعد ج ١ ص ٢١١

(٢) بهذا . قوياً ضخماً

(٣) صير الباب . عرقه

(٤) يرصدونه . يتربصون عروجه

(٥) الطبعات لابي سعد ج ١ ص ٢١٢ - ٢١٣

(٦) الطبعات لابي سعد ج ١ ص ٢١٣

وكان لأبي بكر مبيحة غم يزعجها عامر بن فهيرة وكان يأتيهم بها ليلاً فيحتلبون ، فإذا كان سحر ، سرح مع الناس قالت عائشة وجهريهما أحب الحمار ، وصعها لها سفرة في جراب ، فمطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها ، فأوكب^(١) به الجراب ، وقطعت أخرى فقصيرته عصاة^(٢) ، فلم العربة ، فبدت سميت ذات البواقين

ومكث رسول الله ﷺ وأبو بكر في العار ثلاث لال بيت عده عبد الله بن أبي بكر ، واستأجر أبو بكر رجلاً من بني الدليل ، هاديًا حريثاً^(٣) يقول له عبد الله بن أبي بكر ، وهو على دين الكفر ، ولكنهما أمناه ، فارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة ، فأخذ بهم ابن أريقط يرتجز^(٤) فما شعرت قريش أين وجّه رسول الله ﷺ^(٥) .

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبي بكر

قال ابن إسحاق فحدثت عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت

لما خرج رسول الله ﷺ ، وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، معهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرج إليهم ، فقالوا أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت لا أدري والله أين أبي ، قالت فرجع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً غيظاً ، فنظم نخدي لطمة طرح منها قرطى^(٦)

أبو بكر رضى الله عنه يتحدث عن الفجرة .

عن البراء بن عازب يقول : جاء أبو بكر رضى الله عنه إلى أبي في منزله ، فاشترى منه رجلاً ، فقال لعازب ابعت ابنك بحمله معي ، قال فحمله معه . فقال له أبي يا ابن بكر حدثني كيف صنعتما حين سرت مع رسول الله ﷺ . قال : نعم ، أسرهما ليس ، ومن العد ، حتى قام قائم الظهيرة ، وحلا بطريق لا يمر فيه أحد ، فرفعت ل صخرة طويلة لها ظل لم تات عليه الشمس ، فمرلناه عنده ، وسويت نسيي ﷺ مكاناً بيدي يدم عنده ، وبسطت فيه فرة ، وقلت نعم يا رسول الله . وأنا أنقص لك ما حولك ، فام وخرجت

(١) أركت . ربطت

(٢) عصاة : رباطا

(٣) حريثا : المهر الذي يهدى لأخوات البعارة وهي نرفها الخيمة ومضاهيها ، وقيل إنه يهدى إلى خرب (ثقب) الإبرة من الطريق

(٤) يرتجز : يشد

(٥) العتبات : أي سعد ج ١ ص ٢١٤

(٦) الروص الأنف ج ٤ ص ١٨٤ ط دار الكتب الحديثة

انقص ما حوله فإذا أنا براع مُقلٍ بعمه إلى الصحرة ، يريد منها مثل الذي أردنا ، فقلت : من أنت يا علام ؟ فقال لرجل من أهل لمدينة أو مكة ، قلت : أفي عنجك لبن ؟ قال : نعم . قلت : أتحلب ؟ قال : نعم . فأخذ شاة فقت انقص الصرع من التراب والشعر والقذى ، قال : رأيت الراعي يضرب إحدى يديه على الأخرى ، ينقص ، فحلب في فُجْب كُثْبِه من بين ومعى إداوة حميتها للبي ﷺ يرتوى منها يشرب ويتوصأ . فأتيت النبي ﷺ ، فكرهت أن أوقفه ، فوافقته حين استيقظ ، فصبيت من الماء على اللبن حتى برد أسنانه ، فقلت اشرب يا رسول الله ، قال : مشرب حتى رصيت ، ثم قال ألم يأتي للرجل ؟ قلت : بلى قال : فارتحلت بعد ما قالت الشمس ، واتبعت سراقه بن مالك . فقلت : أتينا يا رسول الله ، فقال : لا تحزن إن الله معنا . فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت به فرسه إلى بطنها أرى في جلد من الأرض - شك زهير .

خروج رسول الله ﷺ من الغار :

وكان خروج رسول الله ﷺ من الغار ، ليلة الاثنين لأربع ليال خلوان من شهر ربيع الأول ، فقال^(١) يوم الثلاثاء بقدي ، فلما راحوا منها ، عرض لهم سراقه بن مالك بن جُشْم ، وهو على فرس له ، فدعا عليه رسول الله ﷺ فمرسحت قوائم فرسه ، فقال يا محمد ادع الله أن يطلق فرسي وأرجع عنك وأرد من ورائي ففعل ، فأطلق ورجع^(٢)

الوصول إلى قباء

وكان المهاجرون قد استبطأوا رسول الله ﷺ في القدوم عليهم ، فكانوا يمدون مع الأنصار إلى ظهر حرة العقبة ، فيتحبون قدومه في أول النهار ، بعد حرقتهم الشمس رجحوا إلى منازلهم .

فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وهو يوم الاثنين ليلتين حلت من شهر ربيع الأول ، ويقال لائنتي عشرة ليلة حلت من شهر ربيع الأول جلسوا كما كانوا يجلسون ، فلما أحرقهم الشمس رجحوا إلى بيوتهم ، فإذا رجل من اليهود يصيح على أطم^(٣) بأعلى صوته : يا بني قينة ، هذا صاحبكم قد جاء ، فخرجوا فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه الثلاثة ، سمعت الرجة في بني عمرو بن عوف ولتكبير ، وتبى المسلمون السلاح ،

(١) قال من القيلولة

(٢) الطبعات لابن سعد ج ١ ص ٢١٩ مخرجه لجنة النشر للجامعة الإسلامية

(٣) أطم بالمعنى بناء مرتفع

فدما انتهى رسول الله ﷺ إلى قباء ، وجلس رسول الله ﷺ ، وقام أبو بكر يذكر الناس ، وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ (١) .

الوصول إلى المدينة .

- ١ -

عن زرارة بن أوفى ، قال قال عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله ﷺ لمدينة ، أنجفل^(٢) الناس إليه ، وقيل . قدم رسول الله ﷺ قال فحشيت في الناس لأنصر إليه . قال فدما رأيت وجه رسول الله ﷺ ، إذا وجهه ليس بوجه كذاب .

قال فكان أول شيء سمعته يتكلم به ، أن قال « يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا الناس بيا ، وادخلوا الجنة بسلام » (٣) .

- ٢ -

مر رسول الله ﷺ . حانب الصحرة ، وبعث إلى الأنصار بجاءوا بني الله ﷺ ، فسلموا عندهما وقالوا : أركبا أمسين مطاعين ، قال : فركب بني الله ﷺ وأبو بكر ، وحفرا حوهم بالسلاح . قال فقبل في المدينة جاء بني الله ، جاء فاستشرفوا بني الله . يظفرون ويقفرون جاء بني الله ﷺ (٤) .

فلما كان يوم الجمعة ، ارتفع النهار ، دعا راحته وحشد المسلمون وديسوا بالسلاح ، وركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء ، والناس معه : من يمينه وشماله ، فاعترضته الأنصار . لا يمر بدار من دورهم إلا قالوا حينم يا بني الله ، إلى القوة وللمعة والثروة ، فيقول لهم حيرًا ، ويدعو لهم ويقول « إنها مأمورة فحلوا سيدها » فلما أتى مسجد بني سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم مائة (٥) .

لما أراد رسول الله ﷺ أن يتف من قباء اعترضت له هو سالم ، فقالوا يا رسول الله ، وأخذوا يحطام راحته ، هلم إلى العدد والقدة والسلاح وللمعة ، فقال « حلوا سيدها فإنها

(١) الطلقات لابن سعد ج ١ ص ٢٢٠

(٢) أنجفل الناس إليه . قهوا مسرعين عوه

(٣) الطلقات لابن سعد ج ١ ص ٢٢١ ٢٢٢

(٤) ارجع السابق

(٥) الطلقات لابن سعد ج ١ ص ٢٢٣

مأمورة « ثم اعتزمت له بنو الحارث بن الحرح فقالوا له مثل ذلك ، فقال لهم مثل ذلك ، ثم اعتزمت له بنو عدي له مثل ذلك فقال لهم مثل ذلك حتى بركت حيث أمرها الله ^(١) . عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ (المدينة) ^(٢) فنزل في حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف

فأقام النبي ﷺ أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بني النجار ، فجاءوا بالنسوف ، وكانني أنصر إلى النبي ﷺ على راحلته ، وأبو بكر رده ، وملا بني النجار حوله ، حتى أنقى بماء أبي أيوب ، وكان يحب أن يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مريض الغنم ، وأنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى بني النجار ^(٣) فقال يا بني النجار ناموسى يحاططكم هذا ، (فادروا ثمن بستانكم لأشتره) .

قالوا . لا والله ، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله .

قال أنس مكان فيه ما أقول لكم ، كان فيه قبور المشركين وحرب ^(٤) وفيه نحل ، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين فنبشت ، ثم بالحرب فسويت وباسخل فقصع ، فصعوا النحل فبلة المسجد ، وجعوا ينقلون الصخر وهم يرتحزون ، والنبي ﷺ معهم وهو يقول اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاعفوا للأصهار وانهاجرة ^(٥) و ^(٦)

— ٣ —

عن أنس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، لعبت اخبشة بحرابها ، فرخا بدنت . عن عائشة قالت لما قدم رسول الله ﷺ لمدينة ، جعل النساء والصبيان والولائد يقلن طلع الدير علينا من ثبات الوداع وخب الشكر علينا ما دعا الله داع ^(٧)

(١) الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢٢٣

(٢) من البخارى

(٣) البخارى إلى ملا من بني النجار

(٤) الحرب - يفتح للمعجمة وكسر الراء جمع غريبة ككلمة ركلم وجور الخطاى أنه خرب بضم المهملة وسكون الراء وهي المحروق المستديرة في الأرض

(٥) الحديث أخرجه البخارى في كتاب الصلاة باب هل تلبس قبور مشركى الجمالية ٦٦/١

(٦) التوبة ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٧) التوبة ج ١ ص ٢٥٢ - وذكر من قيم في كتابه القيم زاد المعاد ج ٢ ص ١٠ أن هذا التشيد حدث في استقبال النبي ﷺ حينما دنا من المدينة عند نقوله من عزوة توك ، ويعول « وبهم » (توهم) بعض الرواة في هذا ويقول إنما كان ذلك عند مقدمه المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر لأن ثبات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها للقدام من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام

عن أنس بن مالك قال لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة ، أضاء منها كل شيء^(١) .

عن البراء قال جاء النبي ﷺ - يعنى إلى المدينة في المحرة - فما رأيت أشد فرحاً منهم بشيء من النبي ﷺ ، حتى صحت نساء والنسبان والإماء يقولون هذا رسول الله ، قد جاء ، قد جاء .

عن يحيى بن يعلى ، قال قال علي بن أبي طالب يوماً ، وهو يذكر الأنصار وقصصهم وسابقتهم ، ثم قال إنه ليس بمؤمن من لم يحب الأنصار ، ويعرف لهم حقوقهم ، هم والله ، ريو الإسلام كما يُرى القلوب^(٢) في مائلهم بأسمائهم وطون أسمائهم وسجاء أنفسهم ، لقد كان رسول الله ﷺ ، يخرج في مواسم يدعو القائل ما أخذ من الناس يسحب له ويفس منه دعاءه ، فقد كان يأتي الناس لمحبه وعكاه وبمضى حتى يستقبل القائل يعود إليهم سنة بعد سنة ، حتى إن القائل منهم من دل أما لث أن يئس ما من صول ما يعرض نفسه عليهم ، حتى أراد الله عز وجل ما أراد بهذا حتى من الأنصار ، فعرض عليهم الإسلام فاستجابوا وأمرعو ، زفرو وبصروا ، وواسوا ، فحراهم الله خيراً ، قدما عليهم ، فربنا معهم في مبارهم ونقد تشاحو فيه ، حتى إن كانوا لمتفرعون على ، ثم كما في أموالهم حق بها منهم طيبة بدلت أنفسهم ، ثم بدوا مفتح أنفسهم نور سيهم ﷺ وعندهم أحسن .

عن عائشة قالت بيت رسول الله ﷺ ، في بني عمرو بن عوف ، بصع عشرة ليلة ، وأنس بمسجد الذي أنس على لتعوى ، وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته وسار يمشى معه ناس ، حتى تركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، وهو يصلي فيه رجال من مسلمين ، وكان مربداً للنمر ، سهيل وسهيل علامين يجيئ في حجر أسعد بن زرارة ، فعقل رسول الله ﷺ حين بركت به - هد أسير إن شاء الله ، ثم دعا العلامين فساومهما بالبرير ليتحداه مسجداً ، فقالا . بل نهيه لك يا رسول الله .

(١) انظر الطبعات لابي سعد

(٢) الفنو بكسر الفاء وسكون اللام - المصحح أو ظهر بعضهم أو بلغ السنة

ثم به مسجدًا ، وطفق يقلل معهم اللبن في بيانه ويقول :

هذا أنجمال لا جمال خبير هذا أنمر رؤسا وأظهر

الدهم إن الخير خير لاخره عارحم الأنصار وبها حرد^(١)

عن أبي سعيد قس سمري رجلا في لمسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم

فقال رجل هو مسجد فاء وقال الآخر هو مسجد رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ : « وهو مسجدى » أخرجه مسلم^(٢)

عن أبي سعيد قال « دحيت على النبي ﷺ ، فسألته عن مسجد الذي أسس على

تقوى ، قال فقص بقصة من الحصة ، ثم ضرب بها الأرض ، ثم قال هذا يعنى مسجد المدينة

رواه مسلم في الصحيح^(٣)

حدثنا يافع أن عبد الله بن عمر أخبره « أن مسجد كاز على رسول الله ﷺ ، مسا بالنس ، وسفقه الحريد ، وعمده حشب النحل ، فم يرد فيه أبو بكر شفا وره معه عمر وبه على سيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والحريد ، وأعاد عمده حشبا وعبره عثمان ، فزد فيه رياده كثيره . وبنى جداره بالحجر المشوشة والنقصة ، وحمل عمده من حجاره مشوشة ، وسفقه بالساج » ، روه البخارى في الصحيح

عن ابن عمر رضي عنهما « أن مسجد النبي ﷺ ، كالب سواره على عهد رسول الله ﷺ من حدوع النحل وأعلاه مظلل بحريد النحل ، ثم إنها بحرت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه . فبها حدوع النحل وبحريد النحل ، ثم إنها بحرت في خلافة عثمان . فبها فالأخر فم بر ثابته حتى لا ر أى إلى عهد عبد الله بن عمر رضي الله عنه

عن عبد الله بن زيد أن رسول الله ﷺ قال ما بين بسى ومبرى روصه من رياض الجنة » أخرجه .

(١) الروا ج ١ ص ٢٥٤

(٢) الروا ج ١ ص ٢٥٦

(٣) رلائال النبوه ج ٢ ص ٢٦٣ ٢٦٤

(٤) لائل النبوة ج ٢ ص ٢٦ ٢٦٢

عن أبي هريرة وأبي سعيد : أن رسول الله ﷺ ، قال : « ما بين بيتي ومبرى روضة من رياض الجنة : ومبرى هلى حوضى . أخرجه الشيخان^(١) »

المسجد النبوى

عن ابن عمر قال : كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنيًا بالطين وسفقه الجريد ، وعمده الخشب من الحل ، فلم يرد فيه أبو بكر شيئاً ، وراد فيه عمر وبناه على بيته على عهد رسول الله ﷺ بالطين والجريد ، وأعاد عمده خشباً ، ثم غير عثمان وراد فيه زيادة كبيرة ، وبني جدره بالحجارة لمقوثة والقصة^(٢) ، وجعل عمده من حجارة مقوثة بالساج . انهره بإخراجه البخارى^(٣)

الخطبة الأولى .

وكانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ . فيما أصر أبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعود بالله أن يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل - أنه قام فيهم : محمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال . أما بعد :

أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تَعْمَلُوا والله ، لتُصْلَحُوا أحوالكم ثم لَتَدْنُقَنَّ عَمَلَكُمْ ليس لها رافع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له رَحْمَانٌ ولا حَاجِبٌ يحجبه دونه . ثم يَأْتِكَ رسولُ قبيلتك ، وادئبت مالا وأفضلت عليكَ ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فستُطْرَقُ يَمِيناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لَيَنْظُرَنَّ قُدَامَهُ فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يرمى وجهه من النار فهو بِشَقٍّ من نمره قليص ، ومن لم يجد ، فبِكُفْرَةٍ طيبة ، فإن بها تُحْرَى الخمسة عشر مثاقيل ، إلى سبع مائة صاع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٤) .

لحظة الثانية :

والخطبة الثانية رسول الله ﷺ ، هي مسجده المبارك هي

إن الحمد لله ، أحمدُهُ وأسئله ، عود بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضِلِّلْ فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، إنا أنحسن الحديث كتابُ الله ، قد أفصح من ربه لله فى فليهِ ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ،

(١) الوفا ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٧

(٢) القصة الجسد (الجود)

(٣) الوفا ج ١ ص ٢٢٥

(٤) الروض الأنف ج ١ ص ٢٣٩ ط دار الكتب الحديث

واحداه على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن حديث وأبعده ، أجبراً من أحب الله ،
أجبراً الله من كل قلوبكم ، ولا تمنوا كلام الله تعالى وذكره ، ولا تقسُ عنه قلوبكم ، فإنه
من كل يحتر الله ويصطلي ، فقد سماه حيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد ، والصالح
من الحديث ، ومن كل ما أتى الناس من الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ،
واتقوه حقُّ ثقاته ، وصدقوا الله صالح ما يقولون بأفواهكم ، وتجاوبوا روح الله بيبكم ، إن
الله بعصب أن يُنكث عهده ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »^(١)

المدينة

عن أبي هريرة « أن رسول الله ﷺ ، قال اللهم إليك أخرجني من أحب البلاد إلي ،
فأسكنني أحب البلاد إليك ، فأسكنه الله المدينة » .

عن سعيد بن يسار يقول سمعت أبا هريرة يقول « قال رسول الله ﷺ أمرت بقربة
تأكل لقرى ، يقولون يثرب ، وهي مدينة تعني للناس كما يعنى الكير حيث الحديد »
رواه البخاري في الصحيح

عن أبي هريرة « أن رسول الله ﷺ قال : إن الإيمان ليبرز^(٢) إلى المدينة كما تأزر الحية إن
جحرها » رواه مسلم في الصحيح

عن ابن عمر قال « قال رسول الله ﷺ إن الإسلام بدأ عرباً وسعود عربياً كما بدأ
وهو يأزر بين المسجدين^(٣) ، كما تأزر حية إلى جحرها » رواه مسلم في الصحيح^(٤)

عن أبي عبد الله القراظ قال سمعت أبا هريرة ومعهذا يقولان قال رسول الله ﷺ
اللهم بارك لأمتي في مَنهم^(٥) ، وبارك لهم في صاعهم^(٦) ، وبارك لهم في مدينتهم اللهم
إن إبراهيم عبدك وخليفك ، وإني عبدك ورسولك ، وإن إبراهيم سألت مكة ، وإني أسألت
مدينته مثل ما سألت إبراهيم مكة ومثله معه إن لمدينة مثبته مدلائكه ، عن كل نفث

(١) دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٤٧

(٢) يأزر ينقسم ويجمع بعض إلى بعض

(٣) المسجد الحرام والمسجد النبوي

(٤) دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٤٣ - ٢٤٤

(٥) بلد مكيا وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز ورطلان عند أهل العراق

(٦) الصاع مكيا يساوي ثوبه أممدا

منها ملائكة يحرسونها لا يدحسها الصاعرون ولا الدجال ، من رآد أهلها يسوء أدايه الله عز وجل ، كما يدوب الملح فى الماء » رواه مسلم فى الصحيح^(١) .

عن أنس بن كعب ، قال : « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأوتهم الأنصار رسمهم العرب عن قوسٍ واحدة وكابو لا يسيو ، إلا بالسلاح ولا يصبحون إلا فيه ، فقالوا تروون أنا نعيش حتى بيت مطعنين لا نحاف إلا الله عز وجل ؟ هربت ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ دِينَهُمْ أَلَيْسَ فِيهِمْ دِينٌ ﴾ ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمّا يعبدونى لا يشركون بى شيئاً ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٢) »

(١) دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٨٧

(٢) التور ٥٥ - دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٩٩

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفضل السابح عن :

المعجزات

المعجزات

إن القرآن الكريم : يتحدث عن معجزات حسية كثيرة تحققت على أيدى الرسل ، وهي أقوالهم صوات الله وسلامه عليهم

والمثال الجص في ذلك هو جو سيدنا عيسى عليه السلام .

١ - حوه من ناحية أمه قبل الحمل :

﴿كُنَّا دَحَلُ عِيبِهَا رَكْرَكًا بِحَرْبٍ وَجَدَ عِيبَهَا رَقًا فَاسْ يَا مَرْيَمُ إِنَّكِ لَهُدَا ٩
قَالَتْ هُوَ مِنْ حُدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ يَرِيقُ مَسْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾ (١)

٢ وجوه من ناحية الحمل .

﴿وَذَكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَ مِنْ أَهْلِهَا مَكَدًا شَرْفِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا نَسْرًا سَوِيًّا

قَالَتْ أَنَّى أَعُودُ بِالرَّحْمَنِ مَكَدٌ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا فَاسْ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكَ
عَلَامًا رَكِيًّا ١١﴾ (٢)

وفوجئت مريم بهذا العجز العريب الذي لم تكن تتوقعه

ويصور القرآن الكريم معاناتها فيقول

﴿قَالَتْ . أَنَّى يَكُونُ لِي عَلَامٌ ، وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ ، وَمَ أَكُ بَغِيًّا ١٢﴾ (٣)

وجاءها الرد الخامس .

﴿قَالَ كَذَبْتَ . فَاسْ رَبُّكِ هُوَ عِىٌّ هَمِيٌّ ، وَلِيُحَعْلَ آيَةُ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِنَّا ، وَكَانَ أَمْرًا
مُقْصِيًّا ١٣﴾ (٤)

ويتابع القرآن الإخبار بما حدث ، فيقول :

(١) آل عمران : ٣٧

(٢) مريم - ١٦ - ١٩

(٣) مريم - ٢٠

(٤) مريم - ٢١

﴿فَحَمَلَتْهُ ، وَبَدَتْ بِهِ مَكَانَ قُبْصَا . فَجَاءَهَا الْحَاصِرُ إِلَى جِدْعِ الْحَمَةِ﴾^(١)

، بصورت مريم ما سيتمحصر عنه الوضع من معجزة الناس ، ومن اتهامهم لها فقالت

﴿يَا نَسِيُّ مِثْ قَبْلُ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًا مُسِيًّا﴾^(٢)

وهنا نصل إلى جو ثالث في حياة عيسى - عليه السلام - هو

٢ - جو حديثه في اللحظات الأولى لميلاده :

﴿وَمِنْ بَيْنِ تَحِيَّهِ أَلَّا نَحْرِي ، قَدْ جَعَلَ رَبُّكُمُ نُحُلًا مَرِيًّا﴾^(٣)

، الفراءات تعبر أن ماضي عيسى عليه السلام ، وذلك أن إحدى قراءات هي

﴿مَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾ .. بهتج الميم

وكان ما توقعته مريم من اتهامها

ويصور القرآن ذلك في قوله تعالى .

﴿فَأَنْتَ بِهِ قَوْمِيَّ عَمَلِهِ قَبُولُ ، مَرِيْمُ نَعْدَ حَتَّى شَبَّ قَرِيًّا ، يَا أَخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ

أَبُوكَ أَمْرًا مَبُوءً ، وَمَا كُنْتَ أُمًّا بَغِيًّا﴾^(٤)

وهنا أشيرت مريم عليها السلام إلى عيسى ، ليحاطبوه ، ويرد عليه

بقاؤه في دهشة ﴿كَيْفَ يَكُونُ مِنْ كَانَ فِي يَهْدٍ صَبًّا﴾^(٥)

ورد عليهم عيسى - وهو في الهدى - قائلا

﴿يَا عِدُّ اللَّهِ إِنِّي الْكَاتِبُ وَحَسْبِي بَيٌّ ، وَحَسْبِي مَا كُنْتُ كُنْتُ وَوَصَانِي بِانْصِلَاةٍ

وَبِرْكَاهٍ مَادَمْتُ حَيًّا وَبِرَّ بَوْلَانِي وَلَمْ يَحْصِي حَيًّا شَقًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وَلِدْتُ وَيَوْمَ

أَمُوتَ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٦)

وبعد عيسى عنه السلام . وترعرع وأصبح رجلاً مكتملاً ، وعلمه الله الكتاب

والحكمة ، والنبوة والإنجيل ، وأتته السورة ، وأرسله إلى بني إسرائيل

ويسلمنا هذا إلى الحديث عن

(١) مريم ٢٢ ، ٢٣

(٢) مريم ٢٣

(٣) مريم ٢٤

(٤) مريم ٢٧ ، ٢٨

(٥) مريم ٢٩

(٦) مريم ٣٠ ، ٣٣

٤ - معجزاته :

أما معجزته أو معجزاته ، فقد بيها القرآن في قوله تعالى :

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ، أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطُّيُورِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، فَأَنْفِخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَخُيَّ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١) ..

لقد كان جو عيسى - عليه السلام - كله خارقاً للعادة

وكانت خوارق لعادات كثيرة بالسبب لأمره ، مع أنها لم تكن بنية ولا رسالة .

وحيث يؤمن بذلك كله ،

ويؤمن بأن عيسى - عليه السلام - ما كان في استطاعته الدانية أن يحيى ذئاباً ، هو ولا أمه الصديقة ، ولو اجتماعاً له ، وإن يسلطنهما الدياب شيئاً لا يستقدانه منه .
إنهما يذاتهما لا يخرقان عادة ، ولا يأتیان بمعجزة .. إنهما بشر .. وإنما كل ذلك بإذن الله

ومن أجل ذلك ، كان عيسى - عليه السلام - يقول : عقب ذكر المعجزات : « يا ابن الله »

وقدرة الله فوق كل ذلك ، وهو سبحانه القائل

﴿وَإِنْ مِثْلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ ، حَنَفَهُ مِن رَبِّهِ﴾^(٢)

فإذا كان عيسى - عليه السلام - بشأ من غير أب : فإنه قد حمل في الوعد العادي لدى يحسن فيه الجبين عادة . أما آدم فإن أمره في حرق العادة أعرب . إنه من غير أب ، ولم يعمل في رحم أم !! .

إنما يؤمن بعيسى ، ويؤمن بجميع أجوائه . ويؤمن بحو آدم ، ويؤمن بإلقاء إبراهيم في النار فلم تحرقه ، ويؤمن بباقة صالح ، وبعضا موسى ، ويؤمن يهؤلاء القتية الذين أموا بربهم ورادهم الله هدى ، وأنهم لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنة وراودوا تسعاً ..

ويؤمن بهذا الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال :

(١) آل عمران ٤٩

(٢) آل عمران ٥٩

﴿أَتَى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ؟ فَأَمَّا اللَّهُ مَائَةٌ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ، قَالَ كَمْ لَسْتُمْ ؟
 قَالَ لَسْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ .. قَالَ بَلْ لَسْتُ مَائَةَ عَامٍ فَأَنْظِرْ بَنِي طَعَامَتِ وَشَرِبَتِ لَمْ
 يَنْسَهُ وَأَنْظِرْ بَنِي حِمَارِكَ وَلَجَعَلْتُ آيَةً لِلنَّاسِ ، وَأَنْظِرْ إِلَى عَصَمِ كَيْفَ نُسِّرُهَا ثُمَّ مَكَّسُوهَا
 حِمًا ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)
 وَيُؤْمِنُ أَيْضًا بِمُعْجَزَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَيْ وَرَدَتْ عَنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ .
 يُؤْمِنُ بِهَا عَلَى تَنَوُّعِهَا وَخِلَافِهَا ، مَا دَامَتْ قَدْ وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ فِي صَحَاحِ
 الْأَحَادِيثِ .

وَقَدْ تَحَدَّثَ الْقُرْآنُ عَنْ مُعْجَزَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمُعْرَاجِ
 ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ مِنْ مَسْجِدٍ مَحْرَمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا
 حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٢)
 وَتَحَدَّثَ عَنْ مِجْرَةِ عَصَمَتِهِ ﷺ مِنْ أَعْدَائِهِ طِيلَهُ حَيَاتِهِ ﴿وَلِلَّهِ يَفْصِلُكَ مِنَ
 النَّاسِ﴾^(٣)

وَأَيَّةُ اسْتِصْرَارِ الرُّومِ تَحَدَّثَ لِقُرْآنِ عَمَّا إِنِّيَاءً بِالْغَيْبِ ، آيَةُ لِلرُّسُولِ ﷺ^(٤)
 إِنَّا نُوْمِنُ بِحُرْقِ اللَّهِ لِلْعُدَّةِ ، بِالنِّسْبَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ ، وَبِالنِّسْبَةِ لِلْأَوْيَاءِ
 وَتَعْرِفَةُ الْعُلَمَاءِ بَيْنَ الْمَحْجَرَةِ وَالْوَلَايَةِ مَعْرُوفَةٌ وَمَسْأَلَةٌ فِي هَذِهِ أَهْوَابُ مَنْ أَنْ يَتَنَاقَشَ
 فِيهَا النَّاسُ

وَلَا مَنَاصَ مِنْ أَنْ يُؤْمِنَ بِالْمُعْجَزَاتِ لِرُسُولِ اللَّهِ - ﷺ - حَيْثُمَا تَرَدَّدَ عَنْ طَرِيقِهِ أَوْ عَنْ
 صَرَفٍ صَحِيحَةٍ - أَيْ حَيْثُمَا تَثَبَّتْهَا السَّنَةُ الصَّحِيحَةُ وَلَا شَبِيهَ فَطَمَنَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
 ﴿وَمَا مَعْنَا أَنْ تُرْمَلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٥)
 وَذَلِكَ أَنَّ سَنَةَ اللَّهِ سَحَابُهُ وَتَعَالَى قَاصِيَةٌ بَأْنُهُ إِذَا طَلَبَ قَوْمٌ آيَةَ قُدَّسَ اللَّهُ بِهَا ؛
 وَتَحَقَّقَتْ هُمْ ، ثُمَّ لَمْ يُؤْمِسُوا بِهَا وَهُمْ نَسَبُوا طَبُوهَا فَإِنَّ اللَّهَ سَحَابُهُ يَدْمَرُهُمْ تَدْمِيرُ
 وَنَقْدَ دَمَرِ اللَّهِ قَوْمَ صَالِحِ الدِّينِ طَلِبُوا لَآيَةً ، فَلَمْ تَحَقَّقْ كَفَرُوا بِهَا

(١) البقرة : ٢٥٩

(٢) الإسراء : ١

(٣) المائدة : ٢٧

(٤) قول سورة الروم

(٥) الإسراء : ٩٠

ودمر الله كل قوم صدقوا المعجزات وأُخِذوا في طلبها ، فأنزل الله عليهم الآيات اسمرود
في كفرهم ..

وما من شك في أن الله دمر أممًا لأسباب أخرى ، ترجع عادة إلى الظلم والكبر ولطعن
وخص عليا فقصصهم في القرآن الكريم ، كما قص عيسا قصة قوم صالح ..
تلك سمة الله

ولقد صلب أهل مكة - في تبحر وعناد - بعض الآيات المعينة ، ولم يعقلوها من أجل
الإيمان ، وإنما طلبوها تحت ..
يقول سبحانه :

﴿وَقَالُوا لَنْ نَبُوءَ بِكَ شَيْئًا فَتُعْزِزَ لَكَ مِنَ الْأَرْضِ يَسُوعَا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَعِيمٍ
وَعَسَى أَنْ تَمْشِيَ الْأَنْهَارَ حُلَاةً فَتَعْجِزًا ، أَوْ تَسْقُطَ السَّمَاءُ كَاسِطًا وَتَأْتِيَ
بِالسَّحَابِ ظُلُمَاتٌ مَثَلًا أَوْ يَكُونُ مَثَلًا مِنْ حُرُوفٍ أَوْ مِرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ بِرُفُوتِكَ
حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا يَقْرُوهُ قُلُوبُ سَبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كَسِبَ إِلَّا بُشْرًا رَسُولًا﴾^(١)

ولقد شرح القرآن موقفهم الذي لا إحلاص فيه ، ولكنه بعث وججود ، فقال :
﴿وَقَالُوا تَحْمِلُونَهُمْ بَأْسَ السَّمَاءِ فَنُظَلُّوا بِهِ يُفْرَجُونَ ، قَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُ بِل
عَنِ قَوْمٍ مَسْحُورِينَ﴾^(٢) .

إنهم ما كانوا ليؤمنوا مهما اتاهم الله من آيات ..
ولقد كان في مقادير الله - سبحانه - أن يثقي هؤلاء الحكيم ، ليكونوا من أنصار الإسلام
ومن حماة ..

نقد كان في مقادير الله أن أن يثقي أمثال خالد بن الوليد ، حتى يكونوا سيوف الله ، دعاء
عن دينه ، وميراث في نور نبيه ..

ومن أجل ذلك لم يُرَلَّ عليهم المعجزات التي طلبوها ..
أما الآيات التي أتت عمومًا ، فأثبتت السمة الصحيحة ، فيها كثيرة
والصفحات التالية بيان لبعض معجزات الرسول ﷺ منذئذ بالقرآن الكريم ..
وإن في هذا الباب ، لم ثبت كل المعجزات ، والأبطال بالقول كثيرًا

(١) الإسراء ٩ - ٩٣

(٢) الحجر ١٤ ، ١٥

والبعض الذى أثبتناه ، كان مرحعنا فيه أصبح الكتب وأوثق المصادر ، والله يستعان
وله الحمد والمنة .

وما من شك فى أن أشق مرحلة يصادفها كل رسول من رسل إنما هى إقناع الناس
برسالته

وقد اختلفت وسائل هذا الإقناع ، وختلفت أساليه ..

وقد بدأ الرسول ﷺ - كأسلافه - بتهليل أنه رسول ، وأنه متصل باسماء ، وأن
الوحي يرس عليه بآيات .. وقد أرسله الله تعالى بحكمة سامية رددها القرآن فى غير ما موضع ،
هى تزكية النفوس وتطهيرها ..

وتركيبتها وتطهيرها خلقيا وجماعيا مؤسسا ذلك على تطهيرها وتركيبتها من ناحية
العقيدة

﴿لقد مر الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾^(١)

﴿ربنا وابغث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
إنك أنت العزيز الحكيم﴾^(٢) .

ومن أجل ذلك ، كان إرساله رحمه للعالمين .

﴿وما أرسلناك إلا رحمه للعالمين﴾^(٣) .

ولكن لعرب سجدوا من دعوته ، وكان لابد من أن يفهمهم بآية من آيات الله ، فكانت
هذه الآية هى القرآن .

لقد تحداهم به فى عسف ، وتحداهم - متذرخا بهم - من أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم
لبعض صهير ، إلى أن يأتوا بعشر سور مثله ، ثم انتهى بهم أحياء إلى أن يأتوا بسورة من
مثله ، قل تعالى :

﴿قل لو أن جمع من الناس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان
بعضهم لبعض ظهير﴾^(٤)

(١) آل عمران ١٦٤

(٢) البقرة ١٢٩

(٣) الأنبياء ١٠٧

(٤) الإسراء ٨٨

﴿إِنَّمَا يَقُولُونَ اقْتِرَاهْ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُصَرِّياتٍ وَادْعُوا مِنْ اسْتَعْصِمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا دَرَأْنَا عَنْ عِبَادِنَا فَاْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَخِجَارَةٌ
أُتِيَتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٢) .

إِنَّ الْكَثِيرَ مِنْ أَصْلَافِ رَحِيصِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - لَمْ يَجْزُوا أَنْفُسَهُمْ تَجْرِيسًا كَامِلًا ، أَوْ شَيْءَ
كَامِلٍ لِحَدِّهِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَمِنْ يَدْعُو شَيْئًا مِنْ شَتْوِهِ إِلَّا حَقَّقُوهُ^(٣) ، وَرَأَفَ
مَا رَأَفَ ، وَبَقِيَ الصَّحِيحُ الصَّيْبُ .

وَإِنْ عَمِلَهُمْ فِي بَحْلِ الْأَحْبَارِ ، وَتَصَفَّتْهَا وَتَصَفَّيْتُهَا بِحَيْثُ وَصَحَ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ -
ﷺ كُلُّ شَيْءٍ لَعَمَلٍ جَبِيلٍ رَائِعٍ ، دَقِيقُ كُلِّ نِدْوَةٍ
وَقَدْ وَرَدَ فِي سِيرَتِهِ الشَّرِيعَةِ ، ذَكَرَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الْحَسِيَةِ وَثَبَتَ هَذِهِ الْمَعْجَزَاتُ عَنْ طَرَفِ
عَمَلِهَا صَحِيحٌ .

وَلَا مَنَاصَ لِلْمُصَصِّفِ مِنْ إِيْمَانِهَا بِهَا ، فَهِيَ ثَابِتَةٌ عَنْ طَرَفِ تَوْفَرِهَا كُلِّ شَرْطِ الصَّحَّةِ ،
وَهِيَ لَيْسَتْ بِأَشَدِّ غَرَابَةٍ مِمَّا كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِ

(١) هُود ، ١٣

(٢) الْبَقَرَةُ ٢٣٠ ، ٢٤

وَمِنْ هَذِهِ الْإِهَابِ كَرَّرَ الْقُرْآنُ لَفْظَ « مِثْلُ » وَخَنِيئَةٌ لَا يَخْصُ بِحَقِّهَا دُونَ جَانِبٍ ، وَإِنَّمَا نَعْمَ جَمِيعِ الْمُنَاحِ
وَالْوَاقِعِ أَنَّ التَّقَاشَ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مَعْجَزٌ بِأَسْلُوبِهِ ، أَوْ سَمْعِيٍّ ، أَوْ بِمَقْصَدِهِ ، أَوْ بِإِيجَادِهِ عَنْ التَّعْيِيَاتِ أَوْ بِعَمَلِ ذَلِكَ
مِنْ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ - إِنَّمَا هُوَ - هَاشَ لَا يَتَمَشَّى مَعَ الْفِكْرَةِ الْقُرْآنِيَةِ الَّتِي هِيَ فِي الْأَمْثَالِ مِنْ جَمِيعِ الْإِلَهِ
قَالَ صَاحِبُ الْبَحْرِ الْخَصِيرِ

وَالْإِهَابِ مِنْ حَسَنِ النِّظَمِ ، وَبَدِيعِ الْوَصْفِ ، وَغَرَابَةِ الْأَسْرِبِ ، وَالْأَخْبَرِ بِالْعَمَلِ مِمَّا كَانَ وَمِنْ يَكُونُ ، وَمِنْ دَعْوَى
عَمَلِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، وَالْقَصْرِ ، وَالْحُكْمِ ، وَالْمَوَاطِئِ وَالْأَمْثَالِ ، وَالصَّدَقَةِ ، وَالْأَمْرِ مِنَ التَّحْرِيفِ
وَالْتَبْدِيلِ . ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥

وَمِنْهُ الْإِخْتِلَافُ فِي تَحْدِيدِ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ فِي الْقُرْآنِ رَاجِعٌ إِلَى اخْتِلَافِ دَرَجَةِ الْاسْتَعْدَادِ الْبَصَرِيِّ ، وَالْإِنْجَاهِ
الْفِكْرِيِّ ، لِإِدْرَاكِهَا وَمَعْرِفَتِهَا .

فَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ وَجْدَ الْقُرْآنِ مُصَدِّقًا لِمَا يَدْعِيهِ مِنَ الْخُورْفَةِ وَالْإِنْجِيلِ ، وَأَخْبَرِ السَّالِحِينَ ، وَالْعِيَّاتِ الَّتِي لَا تَحِيطُ بِهَا
الْبَشَرِيَّةُ عِلْمًا - حَصَرُ وَجْهِهِ الْإِعْجَازِ فِيمَا أَتَرَكَ

وَمِنْ نَظَرِ الْقُرْآنِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَدِيعِ ، وَحَسَنِ السَّيْرِ ، وَجَرَالَةِ الْأَسْرِبِ - وَمِنْهُ مِنْ رَوْعِهِ بَسْطُهُ عَلَى السَّمْعِ شَعْوَهُ
وَرَجْدَانَهُ - حَصَرُ الْإِعْجَازِ فِي ذَلِكَ وَمِنْ أَجَالِ فِكْرِهِ فِيمَا حَوَاهِ الْفُرْقَانِ مِنَ الْأَسْرِ الْكُومِيَّةِ ، الَّتِي تَكْشِفُ عَنْهَا
الْمَعْلُومَ وَالْمَعْلُومَاتُ مَا كَانَتْ - هُوَ مُصَدِّقٌ لِمَا فِي الْعَقِيْمَةِ وَالْفَقْرِ - سَرِيحُهُمْ إِيَّاهُ فِي الْأَمَانِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ «

سُورَةُ فَصَلَتْ ٥٣ - اتَّجِهَ عَنِ الْإِتِّجَاهِ . الْخ

(٣) يَقُولُ أَحَدُ الْمُسْتَشْفِهِينَ عَنْ مُخْطَبِيهِمْ إِنَّهُمْ عَرَفُوهُ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاةِ بَيْتِهِمْ حَتَّى عَدُّوا أَسْمَاءَ الْبَيْتِ فِي
أَمْرِهِ

ثم إنها لا تنافس العقل
وما من شك في أن معجزة الرسول الكبرى ، هي القرآن ..
وإذ كان القرآن هو المعجزة الكبرى ؛ فإن معجزات أخرى كثيرة بجوار قرآن مؤيدة
له ؛ فقد ثبت لدينا ﷺ ..
القرآن أعظم معجزة .

يقول ابن خلدون في علامات الأنبياء :
ومن علاماتهم أئمتهم ، وقوع الحوارق هم ، شهادة بصدقهم وهي أفعال يعجز السر
عن مثنها ، فسميت بذلك معجزة ، وليست من جسس مقدور العباد ، وإنما تقع في غير
محل قدرتهم ..

وإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها ، وأوضحها دلالة ، لقرآن الكريم ،
المرسل على نبي محمد - ﷺ فإن الحوارق - هي الغالب - مع معجزة نوحى لدى يتبعها
سبى ، ويأتى بالمعجزة شاهدة مصدقة ..

والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الحوارق المعجز ؛ مشاهدته في عييه ، ولا يفتقر
إلى دليل معبر له كسائر المعجزات مع الوحي ، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمبدول فيه
وهذا معنى قوله - ﷺ ..

« ما من نبي إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه بشر ، وإنما كان الذي أوتيته
وحيًا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة »^(١)

يشير إلى أن معجزة متى كانت بهذه المثابة في الوضوح وقوة الدلالة ، وهو كونه من
الوحي ، كان التصديق لها أكثر لوضوحها ، فكثر المصدق «ؤمن» ، وهو التابع والأمة
ويقول صاحب الشفاء :

وعى نبي هرة ، عنه ، ﷺ ، قال
« ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان
الذي أوتيته وحيًا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة »^(٢) .
معنى هذا عند المحققين - بقاء معجزته ما بقى الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت

(١) رواه الشيخان ، وأحمد

(٢) رواه الشيخان وأحمد

للدحير ، ولم يشاهدها إلا الحاصر ها ، ومعجزة القرآن بقف عبيد قرن بعد قرن إلى يوم
القامة

عن إعجاز القرآن :

لقد كتب الكائنون من زمن بعيد عن إعجاز القرآن كتب بعضهم كتباً كاملة هي
إعجازه ، كما فعل إلامم الهافلاني قديماً ، وكما فعل مصصمى صندوق الراهمى حديثاً ، وكانوا
في ذلك متابعين لمرآة الكريم الذي تحدى العرب ، بل تحدى الإلس والحى أن يأتوا بمشبهه ،
أو يأتوا بمثل جزء منه .

ومى ذلك يقور صاحب كتاب الوفا « لنا عتبٌ لسحر فى زمن موسى عليه السلام ،
جاءهم بجسده فى معجزاته ، فتنق البحر ، وألقى العصا

وبنا علب انطب فى زمن عيسى عليه السلام ؛ جاءهم بجسده فأحب ابوتى وأبرأ الأكمه
ولما علب الفصاحة وقول الشعر ؛ والنظم والبشر فى زمن نبيا - ﷺ جاءهم القرآن ،
وهو معجز من أوجه

أحدها ما يشتمل عليه من فصاحة والبلاغة ، فى لإيچار والإطالة ، فتره يأتى بالقصة
بالفص الطويل ، ثم يعيدها باللفظ الوحير فلا يحل بمقصود الأول

والثانى مقارنته لأساليب الكلام وأوران الأشعار
وبهذين المصين تحدثت العرب ، فعجروا وتحجروا وأقروا بمصنه .
والثالث فى معجز لقرآن ما يصم من أحيار الأمم السالفة ، وسير الأنبياء التى عرفها أهل
الكتاب ، مع كون الاسى بها أمّا لا يكتب ولا يقرأ ، لا علم له بمحاسبة الأحيار ولا لكهاا
ومن كان من العرب يكتب ويفر ويحالس علماء الأحيار لم يدرك ما أحير به لقرآن

والرابع إحذاره عن العيوب المستقلة الداله على صدقه قطعاً ، بوقوعها على ما أحير ،
كقوله ﴿ قَمَّوْا الْمَوْتَ ﴾ ثم قال ﴿ وَرَ يَمَّوْه أبدأ ﴾ ^(١) وقوله ﴿ فَأَنُو سِوْرة ﴾ من
مثله ﴿ ثم قال ﴿ وَلِى تَعْمِو ﴾ ^(٢) مما فعو وقوله ﴿ فَلَ لَدى كَفروا ﴾
مستعلون ^(٣) . وعلِّو وقوله : ﴿ تَدْخُلُ الْمَسْجِدَ حَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴾ ^(٤)

(١) سورة البقرة ٩١ ، ٩٥

(٢) سورة البقرة ٢٢ ، ٢٤

(٣) آل عمران ١٢٠

(٤) النصح ٢٧

ودخلوا ، وقوله في أبي لُهب ﴿مِصْنِي بَارًا دَات يَهَب﴾ ومارته ﴿١﴾ وهذا دليل
على أنهم يهودان على الكفر وكذبت كان (٢)

والخامس : أنه محفوظ من الاختلاف والتقص .

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عَدِ غَيْرِ لَكُلِّ لَوْحٍ فِيهِ احْتِلَافٌ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿وَإِن كُنْ مِنْكُمْ

الدَّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٤)

قال ابن عقيل حفظ جمعه وآياته وسوره التي لا تدخل عنها دليل ، من حيث
عجز الحلائق عن مثلها ، فكان القرآن حافظ نفسه من حيث عجز الحلائق عن مثله

قال أبو الوفاء على بن عقيل :

« إنا أردت أن تعلم أن القرآن ليس من قول رسول الله - ﷺ - وإنما هو منقلى إليه ،
فانظر إلى كلامه كيف هو في القرآن ، وتلج ما بين الكلامين والأسويين ومعلوم أن
كلام لا أساس يتشبهه ، وما لمسي ﷺ . كلمة تشاكل مصداق القرآن

قال ابن عقيل . ومن عجز القرآن ، أنه لا يمكن لأحد أن يستخرج منه آية واحدة
معناها من كلام قد سبق ، فإنه مازال للناس يكشف بعضهم عن بعض ، يقال « المنسي
أحد من البحري » .

ويقول صاحب الوفاء ، عن إجماع القرآن

وقد استخرجت معيين محيين .

أحد من أن معجزات الأنبياء ذهبت بموتهم ، فلو قال ملحد اليوم : أي دليل على صدق
محمد وموسى ؟ فقل له محمد شق له القمر ، وموسى شق له البحر هاهنا ههنا
بحال يجعل الله سبحانه ههنا القرآن معجزة محمد - ﷺ - يبقى أبداً .. ليظهر دليل صدقه
بعد وفاته ، وجعله دليلاً على صدق الأنبياء ، إذ هو مصدقهم ومحرم عن حاكمهم

والثاني أنه أحبر أهل الكتاب بأن صفة محمد ﷺ مكتوبة عندهم في التوراة
والإنجيل ، وشهد الخاص بالإيمان ، ولعنثته بالبراءة ، وهذه شهادت على عيب لم ولم

(١) لـ ٣ ٤

(٢) راجع الوفاء ج ١ ص ٢٢٦٩

(٣) النساء ٨٢

(٤) البقرة ٩

يكى فى التوراة والإنجيل صفته ، كان ذلك ممرا لهم عن الإيمان به ولو علم حطاب وعائشة من أنفسهم خلاف ما شهد لهما به ، نقرأ عن الإيمان^(١)

وعن عجز القرآن فهو الأستاذ « ليس ديسه » الكاتب المرسى الذى أسلم ورجع إلى بيت الله الحرام ؛ وكتب الكثير فى فصل الإسلام وهى بيان مبادئه السماوية إن معنى « آيت » : « العلامات المعجزة »^(٢)

إن معجزات الأنبياء الذين سبقوا محمداً كانت فى الواقع معجزات وقتية ، وبالتالى معرضة لسببان السريع ؛ سيما يستطع أن يسمى معجزة الآية القرآنية « المعجزة الحالية » ذلك أن تأثيرها دائم ، ومفعولها مستمر ، ومن اليسير على المؤمن فى كل زمان ، وفى كل مكان ، أن يرى هذه المعجزة بمجرد تلاوة كتاب الله ..

وهى هذه معجزة جلد النعليل الشامى للاستشراب الذى أحرره الإسلام ، ذلك الانتشار الذى لا يدرك سببه الأوربيون ، لأنهم يحسون القرآن ، أو لأنهم لا يعرفونه إلا من خلال ترجمته لا تنبض بالحياة ، فضلاً عن أنها غير دقيقة

إن الجاديه الساحرة التى يمتاز بها هذا الكتاب ، الفريد بين أمهات الكتب للعالمية ، لا تحتاج ما - عن المسلمين إلى تعيل ذلك أنا مؤمن بأنه كلام الله أنزلته على رسوله ، ولكننا نرى من الطريف أن نورد هنا رأيين مستشرقين داعت شهرتهما عن جدارة يقول « سبرى » وهو أول من ترجم القرآن إلى الفرنسية « كان محمد عليماً نعتة ، وهى نعة لا نجد على ظهر البسيطة ما يصارعها على وانسجاماً إنها مركب أفعالها ، يمكنها أن تنابع لفكر فى طيراته البعد ، ونصفه فى دقة دقيقة » وهى بما فيها من نعم موسيقى تحاكي أصوات الحيوانات المختلفة ، وحرير المياه المنساب ، وهريم الرعد ، وفصف الرياح

كان محمد عبداً كما قل بتلك اللغة الأثرية التى ترجمت بروائع كثير من لشعراء ، فاجتهد محمد أن يحل تعاليمه بكل ما فى البلاغة من جمال وسحر .

ونقد كان الشعراء فى تحريرهم العربية يتمتعون من لتقدير بأسمى مكانة ولقد عسى لبيد بن ربيعة ، أنشاعر المشهور ، إحدى قصائده على باب الكعبة ، وحات شهرته وقدرته الشعرية دون أن يبرى له انفسون ، وم يقدم أحد ليداءه حائرة

(١) راجع الوفا . ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧٢

(٢) انظر فى ذلك كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ترجمناه عن العربية ونشره

در نادرة

وكانت يوم علو بحانب فصيدهه السورة الثانية من القرآن^(١) (ونس سورة الخامسة والحمسين)^(٢) ، فأعجب بها ليلد أيماء إعجاب ، رغم أنه مشرك ، واعتقوب بمحور قرينة الآيات الأولى بأنه قد هرم ، ولم يلبث أن أسلم

وفي ذات يوم سأله العجوب به عن أشعاره ، يريدون جمعها في ديوان ، فأجاب « لم أعد أنذكر شيئاً من شعري ، يد أب روعه الآيات لمرلة لم ترك بغيرها مكاناً في ذاكرتي »

ويقول استاني لين بول :
« إن أسلوب القرآن في كل سورة لأسلوب أبي يميص عاصمة وحية ، إن الألفاظ ألقاظ رجل محبص للدعوة ، وإنها لا تزال حتى لا تحمل طابع الحماسة ولقوة ، وفي ثايلها تلك الحدوة التي ألقبت بها^(٣) .
إنها ألقاظ قذت من قلب إنسان يستحين معها أن يكون منافقاً وهذا القب هم قب رجل كان له أخطر الشأن في تاريخ الإنسانية »

إن كان سحر أسلوب القرآن وجمال معانيه ، يحدث مثل هذ التأثير في نفوس مثل هؤلاء العلماء الذين لا يمتون إلى العرب ولا إلى المسلمين بصفة ، فماد تری أن يكون به من سحر يستهوى عرب الححر ، وهم الذين برب عليهم الآيات بلعتهم بشعرية الحملة ؟ ..

لا يستطيع أن يكون لنفسه عن ذلك فكرة مقاربة ، وإن كان مصعرة ؛ إلا أنهم أيهم انشاهرون حيم تتاح لكم الفرصة شاهدة الأثر الذي يمسد قلوب قوم يصور إلى الإمام ، وهو يوتل الآيات المقدسة

لقد شاهدتم أقل الأعراب شأناً نور رصوم من أسعارهم السجدة ، وقد كستهم رمان الصحراء ، حيث دافوا من لتاعب شقها يسبقون إلى مسجد ، يحبيبهم إليه - كالمعاطيس صوت الإمام ، فيصنون الاستماع إلى ترتيله ، على الاستسلام إلى يوم هادي

(١) سورة البقرة

(٢) سورة الرحمن

(٣) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

مريح ، وفي شهر رمضان يقصون الليل في الإحصات الإحصات المستعرق - آيات الله ،
بعد يوم شاق لم يذوقوا فيه طعاماً ولا شرباً

حقاً إن أعراب عصرنا الذي لم يأنو أدنى قسط من العلم لا يدركون دائماً المعنى المحرمي
للألفاظ التي يروونها الإمام ، بيد أن الموسيقى العديدة والتنوع اللطيف ، والحرس المسجّم ،
كل هاتيك الأشياء التي تلزم الآيات العجيبة ، تجد صدى في قلوبهم ، فتحمل إليهم شرحاً
قد يكون غير دقيق ، ولكنه على كل حال يشير إلى حال في قوة حصية ، وإليه تصبغ القلوب ،
بحوار هذه الآيات التي ترتل ، صادرة عن تأثير عاطفي ، يبدو معه شرح المحوئين والمطعنين
جنة لا حياة فيها

أما عرب الحجاز الذين يدركون أدق معاني اللغة القرآنية التي هي معتهم الخاصة ، والذين
حدوا السور عن مواطنهم الرسول العبري ، فكانوا لا يسمعون القرآن إلا وتتمدح نفوسهم
انفعالات هائبة مباحة ، فيصلون في مكائهم وكثهم قد سحروا فيه هذه الآيات الحارقة
نأتى من محمد ؟ ذلك الأمل الذي لم يزل حصاً من المعرفة ، اللهم إلا ما حبه به الطبيعة ،
وما امتار به من رقة الشعور ؟ ..

كلا ، إن هذه القرآن لمستحيل أن يصدر عن محمد ، وإنه لا ماض من الاعتراف بأن الله
على التقدير هو الذي أملى تلك الآيات النبوات ..

إن الرسول لم يكن محادعاً ، حين قال « إن الله هو الذي أنزل القرآن » . فقد كان
وهم كل الإيحاء بمصدره الإلهي ، فالنبوات هائلة التي كانت تنابه عند محيىء الوحي حاملاً
به ما لم يكن يعلمه ، هي لغة جديدة كل الجدة بالنسبة له ، تحذف كثيراً عن لغة النبوة
هذا الوحي الذي يعاتبه إن أخطأ ، ويلزمه بحفظ تلك الآيات دون أن يقدر على المقاومة
هذا الوحي ، خلال تلك النبوات ، لم يكن لترك لديه أدنى شك في هذا المصدر الإلهي
بقرآن ..

هذا كله ، كان يحجاب الرسول - ﷺ - بالقرآن ، أي بكلام الله ، لا حده وقد
حي الله إليه :
﴿ قل فأنو بعشر سور مثله مفريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم
مادقين ﴾ (١)

ولا عجب في أن يرى السبي الأُمى يتحدى الشعراء ، ويعترف لهم بحق نعته بالكذب إن أتوا بعشر صور من مثله ، فقد آمن بعجزهم عن ذلك^(١) ..

لقد حاول بعض المؤرخين المعاصرين أن يدعوا إلى الشك في ذلك الإحلاص العظيم المؤثر الذي اتزاه به محمد ، وحاولوا أن يصوره في صورة رجل لا مؤهلات لديه للمعظمة ، إلا الطمع المؤسس على المهارة ، ورُبهم هذا لا يصدر إلا عن شخص أعماه التعصب ، ولا يصدر إلا في زمن يشبه الزمن الذي كانت تقوم فيه حاكم التفيتش

ولقد قصي « كارلاين » في كتابه « الأبطال » على ذلك التعصب الدميم ، وتلك أحماقة العمياء ، إذ يقول متحدثاً عن محمد :

« أَسْتَطِيعُ رجل محادع أن يؤسس ديناً ؟ - كلا وري . إن رجلاً محادعاً لا يستطيع أن يقيم بيتاً من أجر » ..

إنه لو لم يكن علياً بحواص الطوب ومونة وسائر ادواد البائية الأخرى ؛ لا استطاع أن يقيم بيتاً ؛ ولو يقيم - إذا أقام - إلا أكوماً مقصبة ؛ لا يسكن أن تقوم اثني عشر قرناً ، تصم بين جدرانها ما يربو على مائة وثمانين مليوناً من الس إن بناء المحادع بهار لا شك بساعته^(٢) .

ولقد كان لعرب مواقف في شأن القرآن ؛ بدوها بموقف الوليد بن المغيرة ؛ وذكروا في ذلك روايتين ، تكمل إحداها الأخرى .

(١) بقه القرآن

لقد حقق القرآن معجزة لا تستطيع أعظم دجائع العلمية أن تقوم بها ، ذلك أنه مكن للغة العربية عن الأرض ، بحيث لو عاد أحد أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلينا اليوم ، فكان مبرراً به أن يتعاهم منهم التعاهم مع المتعاهين من أهل اللغة العربية ، بل لا وجد صعبية تذكر مع الشعوب الناطقة بالعهد ، وهذا عكس ما يحلج مثلاً - أحد معاصريه رابليه - من أهل القرن الخامس عشر ، الذي هو أقرب إلينا من عصر القرآن ، من الصعوبة في مخاضة العديد الأكبر من عوصى اليوم

وإن لغة القرآن ، وإن كانت نبت - في أصولها - في عصور بعيدة قديمة ، فهي مره طيحه ، سمع التعبير عن كل ما يجد من استكشافات واختراعات الحديثة ، دون أن يبعد شيئاً من روحها وصلاحها . وأما ما نراه من المولدات التي تستعملها الصحف العربية بنتمس أصولها الأجنبية ، فليس ذلك عن ضرورة وإنما هو نوع من الشكس والتهاون والسهل ، الذي يجد مثله غنينا عن العربيين في استعاره الاصطلاحات الخاصة بالألعاب الرياضية عن أصوله لأنجلو سكويه

(المؤلف إتبع دينه)

(٢) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرواية الأولى .

عن سعيد بن جبير أن الوليد بن أميرة اجتمع إليه امر من قريش ؛ وكان ذا من فيهم ؛
وقد حصر الموسم . فقال لهم :

يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ؛ وقد
سمعوا بأمر صاحبكم هذا ؛ فأجمعوا فيه رأيا واحدا ؛ ولا تحضروا فيكذب بعضكم بعضا ؛
ويرد قولكم بعضه بعضا .

قالوا . فأنت يا عبد شمس ؛ فقل وأنتم لنا رأيا نقل به .

قال بل أنتم فقولوا وأستمع .

قالوا نقول كاهن

قال ما هو بكاهن ؛ لقد رأينا الكهان ؛ لما هو برمرتهم ولا سجعهم

قالوا نقول إنه مجنون

قال ما هو بمجنون ؛ لقد رأينا المجنون وعرفناه ؛ فما هو بحقه ولا تحلجه

ولا وسوته

قالوا : فقول إنه شاعر .

قال ما هو بشاعر ؛ لقد عرفنا الشعر كله ؛ رجزه وهرجه ؛ ومقبوضه وبسوطه ؛

فما هو بالشاعر .

قالوا : فقول : ساحر .

قال ما هو بساحر ؛ لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بهقه ولا عقده .

قالوا : فما نقول ؟ .

قال والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعدي^(١) ؛ وإن فرعه لجناة^(٢) ، وما أنتم بقائلين

من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل . وإن أقرب القول فيه أن تقولوا هذا ساحر ، يفرق بين

المرء والماء ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وروجه ؛ وبين المرء وعشيرته . فتمرقوا عنه

بسر

عن عمرو ، أن الوليد بن أميرة قال سمعت الشعر هرجه ومريضه ، فما سمعت مثل

هذا . ثم قال ما هو بشعر ، إن عينه حلاوة ، وإن له لورا ؛ وأنه يعنو وما يعلى .

الرواية الثانية

عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رُق له ،
فبلغ ذلك أبا جهل ؛ فأتاه ؛ فقال أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا .
قال : ولم ؟

قال . ليعطوكه فإنك أتيت محمداً تتعرض لما يقوله ..

قال : قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا ..

قال . فقل له قولاً يبع قومك أنك مسكر لما قال وأنت كاره له

قال وماذا أقول فيه ؟ فوالله ما معكم أعلم بالأشعار مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً
من هذا - والله إن لقوله لحلاوة ، وإن عليه نطلاوة ؛ وإنه لمنمر أعلاه ؛ معذب أسفله ؛ وإنه
ليعتلم ما تحته ؛ وإنه ليعلو وما يُعل

فقال : والله ما يرضى قومك حتى تقول فيه

قال : فدعني حتى أنظر إليه

قال : فما فكر قال : هذا سحر يؤثر أي يؤثر عن غيره . - مرل فيه : ﴿ درني وم
حلقت وحيداً ﴾ (١) ..

موقف حبة :

كان عتبة بن ربيعة سيداً في قومه ؛ وكان حياراً صاعياً . وكان مشركاً واستمر على
شركه إلى أن هلك ؛ وإذا ذكرنا قصته ها ؛ فإننا نذكر حادثة لها معراها ، وها قيمتها ، وهو
وإن لم يؤمن بأن قصته تعبر عما كان ينبغي أن يكون

لقد قال يوماً وهم جالس في نادي قريش ، ورسول الله - ﷺ - جالس في المسجد
وحده

يا معشر قريش ؛ ألا أقوم إلى محمد ، فأكنمه وأعرض عليه أموراً ، يعله يقبل بعضها
فينعطيه أبها شاء ؟ ..

ودبك حين أسلم حرة ؛ ورأوا أصحاب رسول الله - ﷺ - يريدون ويكثرون

فقائلو . بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه ..

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال « يا ابن أخي ؛ إنك ما حيث قد عمت من السلطة^(١) ، في العشرة ، وبكامل في السب وإنك قد أثبتت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعهم ، وسفّهت به أعلامهم ، وعبت به آلتهم ، وكفرت من مصي من بائهم ، فاسمع مني أعرض عنيك أمراً ، تنظر فيها لعلك تقبل مني بعضها فقال رسول الله - ﷺ - : قل يا أبا الوليد ، أسمع .

قال يا ابن أخي إن كنت ، إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ؟ وإن كنت إنما تريد به شرفاً مودّك عينا ، حتى لا تقطع امرؤ دودك وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك عينا

وإن كان هذا الذي يأتيت رثياً تراه^(٢) ؛ لا تستطيع رده عن نفسك طلباً لك الطب ، وبدلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله - ﷺ يستمع منه ، قال فقد فرغت يا أبا الوليد . قال : نعم -

قال . فاسمع مني قال . أفعل

قال ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ، حم نزل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصحت آياته قرآن عربياً لقوم يعصون ، بشيراً وبنذيراً فأعرض أكثرهم عنهم لا يسمعون . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وهي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون . فلإنما أن بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستعصموا وريين للمشركين ، الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير ممنون^(٣) .

ثم مصي رسول الله - ﷺ - يقرأها عليه ؛ فلما سمعها منه عتبة أنصت إليها ، وانقضى يديه خديف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه .

(١) السلطة المتوسط وبنزلة المتوسطي ، والوسط خير الأمور

(٢) المعنى الذي يوحى إلى البشر بعض الأمور الغريبة

(٣) سورة نصت ١ - ٨

ثم انتهى رسول الله - ﷺ - إلى السجدة^(١) فسجد ، ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذلك » ..

فقام حثية إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض
نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بوجه غير الذي ذهب به .
فدما جس إليهم قاتوا
« ما وراءك يا أبا الوليد ؟ »

قال ورأيت أني سمعت قولا : والله ما سمعت مثله ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر
ولا بالكهانة ..

يا معشر قريش أطيعوني واحصوها بي ، وحلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه ،
فاعزلوه ، فوالله سيكون لقوله لدى سمعت منه بيا ، فإن نصيبه العرب فقد كُفيموه بغيركم ،
وإن يظهر على العرب مملكه منكمم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به »

قاتوا : سحرًا والله يا أبا الوليد بلسانه
قال . هذا رأيي فيه ، فاصعوا ما بدا لكم

القران والطفيل بن عمرو

قال محمد بن إسحاق

« وكان رسول الله ﷺ على ما يرى من قومه ، يندل لهم المصيحة ، ويدعوهم إلى
السجدة مما هم فيه ، وحملت قريش حين منعه الله منهم يحدرون الناس ومن قدم عندهم من
العرب منه .

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ، ورسول الله - ﷺ - بها ، فعشى
إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلاً شريفاً ، شاعراً نبياً فقاتلوا له يا طفيل ، يك
هدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا ، قد أعصب بنا ، وعرق جماعتنا وإنما قومه كالسحر ،
يمرق بين الرجل وبين أبيه . وبين الرجل وبين أخيه ، وبين الرجل ورواحته ، وإنما يحشى
علات وعلى قومك ما قد دخل علينا . فلا تكلمه ولا تسمع منه

(١) سورة فصل ٢٧ ﴿ وَرَأَى آيَاتِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا تَسْجُدُ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ عَاذِلُونَ ﴾

قال . فوالله ما رالوا بي ، حتي أجمعت على ألا أسمع منه شيئاً ولا أكنمه ، حتي حشوت أدبي حين عدوت إلى المسجد كرسفاً^(١) ، فرقا من أن يلمني شيء من قوله ، وأنا لا أريد أن أسمع .

قال وعدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله - ﷺ - قائم يصلي عند الكعبة - قال . فقلت قريباً منه ، فأبى الله إلا أن يسمعي بعض قوله ..

قال . فسمعت كلاماً حساً .. فقلت في نفسي . وأتكل أُمي - والله إنني لرجل لبيب شاعر ، ما يحمي على الحسن من القبيح ، وما يسمعي من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، وإن كان الذي يأتي به حساً قبلته ، وإن كان قبيحاً تركته

قال فمكثت حتي انصرف رسول الله - ﷺ - إلى بيته فاتبعته حتي دخلت عليه ، فقلت . يا محمد - إن قومك قالوا لي كذا وكذا ، للذي قالوا ، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتي سددت أدبي بكرسف (قطل) ، لكلا أسمع قولك . ثم أبى الله إلا أن يسمعيه ، فسمعت قولاً حساً ، فأعرض على أمرك .

قال : عرص على الإسلام ، وتلا على القرآن ، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ، ولا أمراً أعدل منه .

قال فأسمعت ، وشهدت شهادة الحق ، وقلت يابني الله ، إني أمرؤ مطاع في قومي ، وأنا راجع إليهم وداعيتهم إلى الإسلام ، فدع الله أن يجعل لي آية لتكون لي عوناً عليهم فيما أَدْعُوهم إليه

قال . فقال : اللهم اجعل له آية .

قال . فخرجت إلى قومي ، حتي إذا كنت بشبه تطلعتني على الخاصر ، وقع نور بين عيني مثل الصباح ، قال . فقلت اللهم اجعله في غير وجهي ، فإني أخشى أن يصبوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقني ذبيهم .

قال فتحول فوقع في رأسي سوطي ، فجعل الخاصرون يراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق ، وأنا أنهبط إليهم من الثنية

قال حتي جئتهم فأصبحت بهم ، فما نزلت أثنائي أبي وكان مشغاً كبيراً

قال . فقلت : إليك عني يا أبت ، فبست منك ولست معي

(١) الكرسف القطل

قال : ولم ؟ .. أي بني .

قال : فنت : أسلمت وبايعت محمداً ﷺ

قال : أي بني ، فديني دينك .

قال . ففعل . اذهب فاعتسل وطهر ثيابك ، ثم تعال حتى أعلمك

قال . فذهب فاعتسل وطهر ثيابه ، فعرضت عليه الإسلام ، فأسلم

قال : ثم اتنى صاحبتني ، ففعلت لها إليك عني فست منك ولست مني .

قالت : ولم بأبي أنت وأمي ؟

قال : قلت فرق بيني وبينك الإسلام ، فأسلمت

ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فابطنوا عليّ ، ثم جئت رسول الله ﷺ بمكة ، فقلت : يا بني الله إنه قد عليتي دوس ، فادع الله عنهم - قال : اللهم هذ دوساً - ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم

قال . فرجعت ، فلم أزل بأرض دوس ، أدعهم إلى الإسلام ، حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وقضى يدراً وأحدوا والحدوق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم مني من موسى ورسول الله - ﷺ - بحجير ، حتى برئت المدينة بسمين أو ثمانين بيتاً من دوس - ثم لحقنا برسول الله ﷺ بحجير ، فأسهم لنا مع المسلمين

وم أزل مع رسول الله ﷺ حتى إذا فتح الله عليه مكة فان قلت يا رسول الله ! ابغضني إلى دى الكافرين ، صم عمرو بن حممة ، حتى أحرقه .

قال ابن إسحاق : فخرج إليه ، فجعل الطفيل يوقد النار ويقول : ياذا الكفريين لست من عبادك ياذا الكفريين لست من عبادك

إني حشوت النار في هؤادك

قال : ثم رجع إلى رسول الله ﷺ - فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله - ﷺ فلما أرادت العرب خرح مع المسلمين ، فسار معهم ، حتى فرغوا من طليحة ، ومن أرض بحد كنها - ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ، ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه إلى اليمامة ، فقال لأصحابه : إني رأيت رؤيا فاعبروها لي ، رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من ممى طائر ، وأنه لقيسي امرأة فدخلتني في فرجه ، وأرى ابني يعطسي طلباً حيثما ، ثم رأيت جرس عني .

قالوا : خيرًا ..

قال : أما أنا - والله - فقد أوليتها .

قالوا : ماذا ؟

قال : أما حلق رأسي فوضعه ، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحى ، وأما المرأة التي أدخلتني فرجها : فالأرض تحملى ، فأغيب عينا ، وأما طلب ابني إياي ثم حبسه عني ، فإني أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابني

فقتل رحمه الله شهيدًا باليامة ، وجرح ابنه جراحة شديدة ، ثم استب^(١) منها ، ثم قتل عام البرموك - في زمن عمر رضى الله عنه - شهيدًا
ومما يتصل بإعجاز القرآن ، ما يلي :

روى أنه لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي - ﷺ - :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ دِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

قال . « والله ، إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسمع لمعْدق ، وإن أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر » .

وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلاً يقرأ ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ فقال سحبدُ
لفصاحته

وسمع آخر رجلاً يقرأ

﴿وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ خَلَّصْنَا نَحْيَا﴾

فقال : أشهد أن مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام .

وحكى أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - كان يوماً نالماً في المسجد ، فإذا هو بقائم على رأسه ، يشهد شهادة الحق ، ويستحبره ، فأعلمه أنه من بطرقة الروم ، ومن يحس كلام العرب وغيرها ، وأنه سمع رجلاً من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتبكم ، فتأملها ، فإذا قد جمع فيها ما أنزل على عيسى بن مريم من أحوال الدنيا والآخرة ، وهى قوله تعالى .
﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢)

(١) شمس

(٢) النور . ٥٢ - راجع النعماء ص ٢٢٠ - ٢٢١

وحكى الأصمعي أنه سمع كلام جارية ، فقال لها قاتلك الله ، ما أفصحك !

فقلت : أو فصاحة بعد قول الله تعالى :

﴿ وَأَوْحِىْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيْهِ ۖ إِذَا جِئْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي ۚ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (١) .

فجمع فى آية واحدة بين أمرين ونهيين ويشارنين .

ومن وصف القرآن للقرآن ، قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٢) .

وقوله ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۚ هُوَ كِتَابٌ مُكْنُونٌ ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۚ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ الْحَقُّ ﴾ (٤) .

وقوله : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ بِبَرَكَاتٍ بَاطِنَةٍ ۖ وَأَتَقُوا لِعَدَّتِكُمْ تَرْحَمُونَ ﴾ (٥) .

وقوله ﴿ بِهَا تَذَكُّرٌ ، مِمَّنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ، فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ، مُرَوَّعَةٍ مُصَهَّرَةٍ ، بِأَيْدِي مَسْفُوفَةٍ ، كَرَامٍ بَرَّةٍ ﴾ (٦) .

القرآن أعظم معجزة

يقول ابن خلدون فى علامات الأنبياء .

ومن علاماتهم أيضاً وقوع الحوارق لهم ، شهادة بصدقهم ، وهى أعمال يعجز البشر عن مثلها ، فسميت بذلك معجزة . ويست من جنس مقدور العباد وإنما تقع فى غير محل قدرتهم وإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة ، القرآن الكريم ، المنزل على نبيينا محمد ﷺ

(١) القصص ٧

(٢) صافات ٤١ - ٤٢

(٣) الواقعة ٧٧ - ٨٠

(٤) آل عمران ٦٢

(٥) الأنعام : ١٥٥

(٦) عبس ١١ - ١٦

فإن الحارق في الغالب تقع معايرة لروحي الذي يتلقاه السي ، ويأتي بالمعجزة شاهدة بصدقه ..

والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى ، وهو الحارق المعجز .. فشاهد في عبه ولا يقتصر إلى دليل مغاير له . كسائر المعجزات مع الوحي . فهو أوضح دلالة لاتحاد السبيل والمدلول فيه . وهذا معنى قوله - ﷺ « ما من شيء من الأنبياء إلا وأوتي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر . وإنما كان الذي أوتيته رجياً أوحى إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » ..

يشير إلى أن المعجزة متى كانت بهذه المثابة في الوصوح ، وقوة الدلالة ، وهو كونه نفس الوحي ، كان المصدق لها أكثر لوضوحها ، فكثير المصدق مؤمن ، وهو التابع والأمة

الكندي يتحدث عن إعجاز القرآن :

يقول الكندي عن الرسل :

وهؤلاء الذين اصطفاهم الله ، فعلمهم حصائص تبعده عن العلم الكسبي ، إنه « بلا طيب ولا تكلف ولا بحث ، ولا بحيلة بشرية ، ولا زمان . إنه بلا طلب ولا تكلف ، ولا بحث ، ولا بحيلة الرياضيات والحط ، ولا برمان

بل مع إرادته ، حل وتدعى بتطهير أنفسهم وإثارتها نحو بتأييده وسديده ، وإلهامه ، ورسالاته . فإن هذا العلم خاصة برسول ؛ صنوات الله عنهم . دون البشر ، وأحد خوالجهم المعجبة ؛ أعنى آياتهم العاصلة لهم من خير البشر ..

تستبين القول أن ذلك من عند الله ؛ حل وتعالى ؛ إذ هو موحود ؛ عسما معجزت البشرية بضعها عن مثله فإن ذلك فوق طبعها وحيلها فتحصع له بالطاعة والاعتقاد وتعتقد فطرها فيه على التصديق بما أتت به لرسول ؛ عندهم السلام

ويستمر الكندي في توضيح الفروع ، بين العلم الكسبي والعلم الإلهي فيقول

« فإنه إن تدبر متدبر حوارات الرسل ؛ فيما سئلوا عنه من الأمور الحسية الحقيقية التي إراد قصد التسلسول الحوار فيها بجهد حيلته التي أكتسته ؛ عندهم نظور الدعوى في البحث ، والتروى . ما يحده أتى بمثلها في الوجارة والبيان ؛ وقرب السبيل ؛ والإحاطة بالمطلوب

ثم يضرب الكندي مثلاً تطبيقاً جزئياً لما يقول ؛ وذلك

كجواب السي ، ﷺ فيما سأله لمشركون عنه مما علمه الله ، إذ هو بكل شيء عليم ،

لا أولية له . ولا نقصياً . بل سرمدًا أبدًا ، إذ تقول له ، وهى طاعته صائفة أنه لا يأتى بحواب فيما قصد به السؤال عنه ، صلوات الله عليك . يا محمد

﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ . أَنْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ السَّائِلِينَ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ الْوَاحِدَ الْحَقُّ

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ، أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ ، وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ ، فَيَكُونُ﴾ (١)

ثم يأخذ الكندى فى شرح الآيات الكريمة ، توصيحا لفكرته عن العلم الإلهى ، فيقول (٢) .

فأى دليل فى العفون النيرة الصافية ، أبيض وأوجز من أنه ، إذ كانت العظام قد وجدت بالفعل . بعد أن لم تكن .

فإنه من الممكن - إذا بطلت وصارت رميما - أن توجد من جديد . فإن خضع المتفرق أسهل من صعه من العدم ، وإن كان الأمر بالنسبة لله لا يوصف بكونه شدا أو أصعب ! وإن القوة التى أبدعت ، ممكن أن تنشئ ما أدرت .

أما كون العظام موجودة بعد أن لم تكن . لذلك ظاهر بحس فصلا عن العقل وإن السائل عن هذه للسنة الكاخر بقدرة الله ، جل وتعالى ، مُقِرٌّ . أنه هو - نفسه - كان بعد أن لم يكن . فعظمه . يد وجدا ، بعد أن لم يكن ، فإحداثه وإحيائه أمر ممكن ، ولا سبيل إلى القول بخلاف ذلك

ثم يبين ، سبحانه : أن كون الشيء من نقيضه موجود ، فيقول ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ فجعل من لا نار نارا . ومن لا حار حارًا ، فإذا كان الشيء يحدث من نقيضه - من باب أولى - يحدث من ذاته .

وقال ، سبحانه

(١) يس ٧٨ - ٨٢

(٢) سحاوون هذا الأخذ من كلام الكندى كلما كان واضحا للقارئ . فإن ما كان فيه غفاء ذكرنا معناه فى

﴿لَوْ لَيْسَ الْإِنْسَى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟﴾
ثم قال ، لما وجب من ذلك .

﴿بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾

والأمر في القضية : واضح بديهى .

ثم قال لما فى قلوب الكافرين من الإنكار من . خلق السموات لما طوا من مده زمان
حسبها قياساً على أفعال البشر ، إذ كان عندهم عملُ الأعظم . يحتاج إلى مدة أطول ، فى
عمل البشر

فكان عندهم أعظمُ الحساب أطولها زماناً فى العمل . إنه جل ثناؤه ، لا يحتاج إلى مدة
للحق والإبداع ؛ لأنه جعل : « هو » من « لا هو » ؛ فإن من بلغت قدرته ، أن يعمل أحراماً
من لا أحرام ، ويخرج الوحود من العدم ، فإنه لا يحتاج أن يعمل فى زمان .
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ ، فَيَكُونُ﴾

أى إنما يريد ، فيكون مع إرادته ما أراد . جل ثناؤه ، وتعالى ثناءؤه عن صفون الكافرين
إذ ليس (هناك) مخاطب ؛ فإن هذا - فى لغة العرب المحاطين بهذا القول - يئن مستعمل ؛
فإنما حوطينا بعادتهم فى القول ؛ فإن العرب تستعمل لشيء فى الوصف ، ما ليس فى
الطبع : كقول امرئ القيس بن حجر الكندى :

فقت له ما تمطى بصلبه وتردف أعجزاً واء بكلكل
ألا أيها اللبس الضويل ألا فجل يصبح وم الإصباح مك بأمثل

والليس لا يقار له ولا مخاطب ، ولا صلب له ولا أعجز ، ولا كلكل ولا بهوص ؛ وإنما
معناه ، أنه أحب أن يصبح .

ويحتم الكندى شرحه بالآيات الكريمة ، بهذه الكلمة لقويه لتي تؤكد فكرته بقول
« فإى بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع ، فى قور يقدر حروف هذه الآيات ، ما جمع
الله ، حل وتعالى إلى رسوله ، ﷺ فيها ، من يصاح :

أن العظام تحيى بعد أن يصير رمياً ، وأن قدرته تخلق مثل السموات والأرض ، وأن
الشيء يكون من تقيضه ؟ كنت عن مثل ذلك الألسن المنطوية المتحيلة ، وفصرت عن مثله
بهايات البشر ، وحسبت عه العقور الجزية »

هذا النمط من العلم كما وصحه الكندى . ليس مصدره حباً ولا عقلاً

إن مصدره لوحى ، إنه علم إلهى خاص بمن يصططعهم الله تعالى

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والمسلاكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الثامن

المعجزات الأخرى

عناية الله

يقول سبحانه :

﴿والله يعصمك من الناس﴾ (١).

ويروي صاحب الرقص الألف ما يلي^(١) :

خرج رسول الله - ﷺ في الصبر ، يستغيثهم في أداء دينه فيما خلا بعضهم
بعض ، فذهبوا ليجمعوا محمداً أقرباً منه إلا أن قس رجل يطهر على هذه البيت ، فيطرح
عليه صحرة يربحها منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أن
فأتى رسول الله ﷺ نحيباً ، فأنصرف عنهم ، فأمر الله تعالى به وفي صحبه ،
وفيما أرادوا بنو النضير :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّذْ بَعِثْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْ دُونِ آلِ هَارُونَ فَتَنَّا بَعْضَ النَّاسِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ فَذَلِكُمْ فِيكَ كِبْرُكُكُمْ ۚ وَلَئِنَّكُمْ فِي هَٰذَا لَمَعْلُومٌ﴾^(١٧)

أَمْتِحَانِيَّةٌ لِّلْعِلْمِ

إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد رُسم لأُمته الطريقَ الذي إذا سارَ فيه أفرادها استجابَ اللهُ
دُعائهم ، وذلك في حديث صحيح رواه ليحمدي - رضى الله عنه - فقد قال ﷺ -
فَمَا يَرْوِيهِ عَنِّي ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : مَنْ عَادَى لِي وَلًا فَقَدْ آَدَبْتَهُ بِأَحْسَنِ
عِبَادِي ، يَنْشِءُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ دُءَاءِ مَا اقْتَرَفْتَهُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزِلُّ عِبْدِي بِتَقَرُّبِي إِلَيْهِ بِأَسْوَاقٍ حَتَّى
أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْشُرُ
بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَوْ سَأَلَنِي أُعْطِيتُهُ وَلَوْ سَأَلَ عِبْدِي لِأَنْعِيَّتِهِ -
وَأَدَّ كَأَنَّ هَذَا بِأَسْئَةِ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ ، فَاتَّه - مِنْ بَابِ وَلِيٍّ - بِالسَّيِّئَةِ لِأَكْرَمِ الْحَقِيقِ عَنِ

الله

٦٧ + ٢١ = ٨٨

(٢) راجع المرحوم الأناب ج ٤ ص ٣٦٨ ط ١ دار الكتب العلمية

(٧٣) لطائفه ١٩

(٢٢) ابو الببحارى

ومن استحابة دعاء الرسول - ﷺ - ما يلي :

عن أنس بن مالك قال أصابت الناصر سنة على عهد رسول الله ﷺ فبنا رسول الله - ﷺ - يحض على المنبر يوم الجمعة ، إذ قام أعرابي فقال يا رسول الله ، هلك المال ، وجاع العيال ، فادع الله أن يسقينا .

فرفع رسول الله - ﷺ - يديه ، وما في السماء قرعة^(١) ، فثار السحاب أمثال البحار ، ثم لم يتزل عن منبره ، حتى رأينا المطر يتحادر على لحبته

قال . فمطرنا يوم ، وس العدد ، وبعد العدد ، والذي يليه في الجمعة الأخرى فقام ذلك الأعرابي ، أو رجل غيره ، فقال يا رسول الله ، تهدم الساء ، وغرق المال ، فادع الله لنا

فرفع رسول الله - ﷺ - يده ، وقال : اللهم حوّلنا ولا علينا قال فما جعل يشير بيديه إلى ناحية من السماء إلا وانفجرت ، حتى صارت المدينة في مثل الخوبة^(٢) ، حتى سار الوادي قناة شهرا

قال « وم يحيى أحد إلا حدث بالجود » أخرجه الشيخان^(٣)

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما ، أن النبي ﷺ خرج يوم بدر في ثمانمائة وخمسة عشر فارس . اللهم إنهم حقا فاحمدهم ، اللهم إنهم غداة فاكسهم ، اللهم إنهم جيع فاشبعهم ففتح الله له ، فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو جمير ، واكنسوا وشعوا^(٤)

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال .

« كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله - ﷺ - ما أكره . فأنت رسول الله ﷺ وأن أبكي بس يا رسول الله . فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة

فقال اللهم اهذه أم أبي هريرة فخرجت مستثمرا بدعوة النبي ﷺ . فلما صرت

(١) الفرعة النعمة من السحاب

(٢) الخوبة الحفرة والراد أن السحاب مازر محيطا بجوها فلهذا صعد وصحا

(٣) راجع للوفاء ج ١ ص ٣٤٦

(٤) رواه أبو داود

إلى الباب ، فإذا هو مجاف .. فسمعتُ نبي خشف قدمي ، فقالت مكانك يا أبا هريرة ! وسمعت حصحصة الماء ، فاعتسلت فلدست درعتها ، وعجلت عن حماتها ، فصحت الباب ، ثم قالت يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح ، فحمد الله وقال حبراً^(١) ..

الإنباء بالغيب

يَقُصُّ اللَّهُ سِيحَانَهُ مَا خَاطَبَ بِهِ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَام - قَوْمَهُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾

والإنباء بالغيب الماصي ، أو بالغيب الخاصر ، أي بالغيب الذي وقع بالفعل في الرمن الماصي ، والغيب الذي وقع بالفعل في الرمن الخاصر ، في مكان بعيد عن مكان المتنبئ ، أمر مأثوف ، أما الغيب المستقبل فهو معجزة أو كرامة يمنحها الله من شاء من عباده الصالحين

وقد ذكر القرآن بعضاً من ذلك ، معجزة لرسول ﷺ في قوله تعالى

﴿لَمْ عَلِمَتْ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ مُتَعَلِّقُونَ﴾ : في بضع سبب لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بصر الله يصر من يساء وهو العزيز الرحيم ، رَغَدَ لَهِ لَاحِدٌ لا يحلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ؛ يعلمون صاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون^(٢) .

ومن الأحاديث الواردة في ذلك ، ما يأتي عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - :

« إنكم ستفحسون مصر ، وهي أرض فيها القيوط ، فإذا هجموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم دمة ورحماً .. أو قال دمة وصبراً^(٣) .. »

وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال ،

(١) رده مسلم

(٢) الروم ١ - ٧

(٣) رده مسلم وأحمد

« أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن ، فصعدته على المنبر ، فقال ابي هذا سيّد ، ولعن الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين »^(١)

وعن أنس بن مالك - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ معي جعفر وريداً قبل أن يجيء بخبرهما ، وعنه كذا^(٢)

وعن جابر - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - :

هل لكم من أنماط^(٣) . قلت : وثأني يكون لنا الأنماط ؟ .. قال :

أما إنه سيكون لكم الأنماط ، فإنا أقول ها يعي امرأته تحرّى عني أنماطك فتقول « ألم يقل النبي - ﷺ - إنها ستكون لكم لأنماط ، فأدعها ؟ »^(٤) . يريد جابر أن تبعد وسائل الترف عنه ، فذكره امرأته بيشارة الرسول فيسكت

وعن أبي هريرة ، أن رسول الله - ﷺ - قال :

« بينما أنا نائم ، رأيت في يدي سواكين من ذهب ، فأهشيت شأنهما ، فأوحى إليّ من المام أن يفحهن ، ففحتهما فطار ، فأوكلتهم كذا بين يجرجان بعدى فكان أحدهما العسي ، والآخر مسيامة الكذاب صاحب اليمامة »^(٥)

وعن عائشة - رضى الله عنها - قالت :

« قلت فاطمة تمشي ، كأن مشيتها مشي النبي ﷺ فقال النبي ﷺ مرحباً بابنتي ، ثم أحسها عن يمينه وعن شماله ، ثم أسرّ إليها حديثاً ، فبكت . فقلت لها م بكيين ؟ ثم أسرّ إليها حديثاً فصحكت . فقالت ما رأيتُ كاليوم فوحاً أقرب من حزن ، فسألتها عما قال ، فقالت ما كنت لأهشئ سرّاً رسول الله ﷺ حتى قبض النبي ﷺ . فسألتها ، فقالت أسرّ إليّ أن حبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة ، وأنه يعارضني بعام مرتين ، ولا أراه إلا حصر أجلى ، وإنك أول أهل بيتي حاقاً بي فبكت ، فقال أما ترصين أن تكوني سيّدة ساء أهل الجنة ، أو ساء المؤمنين ؟ فصحكتُ لدنك »^(٦)

(١) رواه البخاري

(٢) نفس مرجع السابق

(٣) الأنماط البسط

(٤) رواه البخاري

(٥) نفس المرجع السابق

(٦) رواهما البخاري

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - أنه قال رسول الله ﷺ .

« يا هَلَك كَسْرِي فلا كَسْرِي بعده ، وإذا هَلَك فَيَصْرُ فلا فَيَصْرُ بعده . والذي نفسُ محمد بيده ، لَتَنْفِقَنَّ كَنُوزَهُما في سَبِيلِ اللَّهِ »^(١)

وعن أبي موسى . أنه كان مع رسول الله ﷺ في حائط من حيطان المدينة . فعاد رجل يستمتع . فقال النبي ﷺ ، افْحْجْ به وبَشْرِهِ بالْحِجَةِ . فإذا هو أبو بكر - رضى الله عنه . ثم استمتع برجل آخر ، فقال افْحْجْ له وبَشْرِهِ بالْحِجَةِ ، فإذا هو عمر ، فصحب به وبَشْرَتِهِ بالْحِجَةِ . ثم استمتع رجل آخر . وكان منكراً فحلس ، فقال افْحْجْ له وبَشْرِهِ بالْحِجَةِ على يدَي تعبيبه . فإذا عثمان ، فصحب له وبَشْرِهِ بالْحِجَةِ . فأخبرته يادى قال فقال لله مستعان^(٢)

وعن أبي سعيد الخدري قال - أخبرني أبو قتادة أن رسول الله ﷺ قال لعمار « تقَدِّدْ القَتْلَ الباعية »^(٣)

وعن أبي حميد الساعدي قال :

« حرجنا مع رسول الله - ﷺ - عام ثوبك ، يقال إنها ستَهْبُطُ عليكم ريحٌ شديدة ، فلا يدوم فيها رجل ومن له بغير هليوث عقده قال أبو حميد « فمقداما فيما كان الليل هبَّت عينا روح شديده ، فقام فيها رجل ، فألقته في جبل طيء »^(٤)

عن أنس - رضى الله عنه - قال .

« كنا مع عمر بين مكة والمدينة ، فرأيت اعلاناً ، وكنت رجلاً حديد البصر ، فرأيت وليس أحد يرعم أنه راه عبري ، فجعلت أقول لعمر : أما نراه فجمع لا يراه ، قال يقول عمر ساراه وأنا مستلق على فراشي ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر قال إن رسول الله ﷺ - كان يُرَبِّبُ مصارعَ أهل بدر بالأُمس يقول هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله ، وهذا مصرع فلان غداً إن شاء الله . قال عمر والذي بعثه بالحق ما حطثوا الحدود التي حدوها رسول الله ﷺ - قال فجعلوا في بئر بعضهم على حصص فاسطق رسول الله

(١) نفس المرجع السابق

(٢) الوفا وقال أخرجه ج ١ ص ٣٦١

(٣) رواه مسلم

(٤) أخرجه

ﷺ حتى انتهى إليهم ، فقال يا فلان ابن فلان ، ويا فلان بن فلان ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فإني قد وجدت ما وعدني الله حقاً ؟

فقال عمر

يا رسول الله ! كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها ؟

فقال

« أنتم تسمع ما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيئاً » (١) .

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال

« خطب النبي - ﷺ - فقال

« أحد لراية ريداً فأصيب ، ثم أحد فجعراً فأصيب ، ثم أحد فاعبد الله بن روحه فأصيب ، ثم أحد فخالد بن الوليد عن غير إمرة ففتح له ، وقال : ما يسرنا أنهم عهدنا ، قال أيوب أو قال ما يسرهم أنهم عهدنا ، وعبياء تدرهان » (٢)

عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن عبي - رضى الله عنه - قال .

« بعثني رسول الله ﷺ ، وأباً مرثد بن معاوية والربيع بن العوم ولقعد وكنانة فارس فقال انطلقوا حتى تأتوا روحمة شراح ، فإب بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، قال فادركوها تسير على بعرها حيث قال رسول الله - ﷺ . فقنا الكتاب فقالت ما معي كتاب قال فأب بها والتساة هي رحمتها ، فلم تر كتاباً فقد ما كذب رسول الله ﷺ فخرج لكتاب أو لغيره . قال :

فلما رأيت لها ، أهرت ححرها وهي محجرة بكساء ، فأخرجت ، فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ ، فقال عمر يا رسول الله لقد حاب الله ورسوله وخومين ، فدعني فلا ضرب عقه ، فقال النبي ﷺ (لحاصب) ما حبك على ما صنعت ؟ قال حاصب والله ، ما بي أن لا أكون مؤمناً بالله ورسوله - ﷺ . رد أن يكون في عدد القوم يذبح الله بها عن أهل ومالي ، وليس أحد من أصحابك إلا له هالك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال صدق ، ولا نقولو له إلا حبراً

(١) رولف مسلم

(٢) البحارى

فرض عمر : إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ، فدعنى فلا أضرب عنقه ..

وهنا أليس من أهل بدر ؟ فقال : نعم الله اصنع في أهل بدر فقال اعمدوا ما شئتم
فعد وجئت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر ، وقال الله ورسوله
علم

وفيه رلت الآية الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ
بِالْمُودَةِ﴾^(١) فالآية تثبت أنه من المؤمنين ، وهو كذلك

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في إخبار القرآن بالعيب

عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم حير

« لأعطين هذه الراية رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله .
عما أصبح الناس عدواً إلى رسول الله ﷺ - كنهم يوم حوأن بعضاًها فقال أليس على من
أبى طالب ؟ ففدوا يا رسول الله ، هو يشتكى عينيه ..

قال فأرسلوا إليه . فأبى به ، فبصق رسول الله ﷺ - في عينيه ، فبرأ حتى كأن
م يكن به وجم ، فأعطاه الراية فقل على

يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

قال « أنفذ علي رسلك ، حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم ما
يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله . لأل يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون
لك حمر النعم»^(٢)

عن أنس بن مالك ، عن حالته أم حرام بنت ملحان قالت نام النبي ﷺ . يوماً قريبا
منى ، ثم سيقظ يتنسم ، فقلت ما أصححك ؟ « قال نام من أمني غرضو على عزة هي
سبيل الله - يركبوا ثبع هذا البحر ملوكاً على الأسره أو مثل الملوك على الأسره قال فادع
الله أن يجمعني معهم ، فدعا ، ثم نام الثانية ، فجمع مثلي ، فقامت مثل قوه ، فأجابها
مثلي ، فقالت ادع الله أن يجمعني معهم . فقال أنت من الأولين » فخرجت مع زوجها

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) المصحح ١

(٣) رواه البخاري ومسلم

عبادة بن الصامت عارياً ، أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية . فما انصرفوا من غزوهم^(١) فافلين فملوا الشم ، فقربت إليها دابة لتركيها فصرعتها فماتت^(٢)

إبراء المرض

بعض الله سبحانه وتعالى ما جرى بين سيدنا عيسى عليه السلام وقرمه ، من قوله لهم ﴿إِذْ يَرَى الْأَكْمَةَ وَالْأُمَّصَ وَأُحْيَى الْمَوْتَى يَدُ اللَّهِ﴾

وعن جماعة يؤمن بأنه لا يقع شيء من ذلك إلا بإذن الله . وقد وقع من ميب عليه السلام ما يلي .

عن محمد بن حاطب رضى الله عنهما عن أمه أم جميل ست النخيل قالت : « أتيت من أرض الحبشة ، حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين ، طَبَحْتُ لِي طَبْخًا فَصَيَّيْتُ لِحَظْبٍ ، فخرجت أطعمه ، فتناولت القدير ، فانكهرت على ذراعك ، فأبى بك النبي ﷺ فقمت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا محمد بن حاطب فقتل في بيت ، ومسح على رأسك ، ودعائك ، وجعل يمسح على يديك ، ويقول أذهب اليبس ، رب الناس ، وشف أنت اشافي ، لا شفاء إلا بشفائك ، سمعت لا يعدر سقمًا ، قالت فما قمت من عنده حتى برئت منك^(٣) »

وعن علي - رضى الله عنه ، وكرّم وجهه - قال

« ما زِلْتُ مَدُّ نَعْلِ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي عَيْسِي^(٤) »

وعن إبراء - رضى الله عنه - قال :

« انتهيت إلى درجة ، فوصعب رجلي ، فوفعت في بية مضمرة ، فانكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ، فانطلقت إلى أصحابي ، فأنهت إلى النبي ﷺ فحدثته ، فقص أبسط رجلك فبسطت رجلى ، فمسحها ، فكأنما لم تشكها قط^(٥) »

وعن يزيد بن أبي عبيد قال .

(١) غزوانهم

(٢) التاجريد الصريح ج ٢ ص ١٦٦ كتاب التمر

(٣) رواه أحمد

(٤) رواه أحمد

(٥) رواه البخاري

« رَأَيْتُ أَثَرَ صَرِيَةٍ فِي سَاقِ سَلْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا مُسْلَمٍ ؟ .. مَا هَذِهِ الصَرِيَّةُ ؟ » .

قال صَرِيَّةٌ أَصَابَتْهُ يَوْمَ حَبِيرٍ ، فَقُلْتُ لِمَ لَمْ تُصِيبْ سَلْمَةَ ، فَأُثِيبُ السَّيِّئَ - ﷺ - ، فَتَمُتُ فِي ثَلَاثِ نَفَثَاتٍ ، فَمَا اسْتَكْبَرْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ » (١)

تَكْثِيرُ الْمَاءِ

ومعجزاته تكثير الماء متواترة في جملتها (جواهرها)

لقد رواها غير واحد من الصحابة ، وروى كل حادثة منها عدة من الصحابة رضوان الله عليهم وقد رُوِيَتْ فِي أَصْحَابِ الْكُتُبِ ، وَفِي نُوُثِ الْمَصَادِرِ ، وَفِي لَا نَشْكُ فِي أَمْرِهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

كَمَا بَعْدَ الْآيَاتِ بِرُكَّةٍ ، وَأَنْتُمْ تَعْدُونَهَا بِحَوِيفٍ كَمَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَمَرٍ فَقُلْ الْمَاءُ ، فَقَالَ : اظْلُمُوا عَصَةً مِنْ مَاءٍ ، فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ فَنَبِلَ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ

« حَيَّ عَلَى الظُّهُورِ ابْرَكَ ، وَالْبُرُكَةُ مِنَ اللَّهِ » . وَنَقَدَ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَسْعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - (٢) .

حدثنا هشام بن القاسم ، أخبرنا سليمان ، عن ثابت قال :

قُتِلَ لِأَسْبَ بَابُ حِمْرَةٍ حَدَّثَنَا عَنْ هَذِهِ الْأَعْجَابِ شَيْءٌ شَهِدْتُهُ ، وَلَا نَحْدِثُهُ عَنْ غَيْرِكَ قَالَ :

صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - صَلَاةَ الظُّهْرِ يَوْمًا ، ثُمَّ انْطَوَى حَتَّى قَعَدَ عَلَى الْمَقَاعِدِ لَتَّى كَانَ يَأْتِيهِ عَلَيْهَا جَرِيرٌ ، فَجَاءَ بِلَازِلٍ نَبَادَى بِالْعَصْرِ ، فَقَامَ كُلُّ مَنْ مَكَانَ لَهُ بِبَنَدِيَّةِ أَهْلِ يَقْصِي الْحَاجَةَ وَيَصُبُّ مِنَ الْوُضُوءِ وَيَقْبِي رِجَالَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ : سَبَّحَ لَهُمْ أَهْلُ بَنَدِيَّةٍ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدَحَ أَرْوَحَ (٣) ، فَهَبَ مَاءَ فَوْصِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَفَّهُ فِي الْإِنَاءِ ، حَتَّى وَسَّعَ الْإِنَاءُ كَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفَّهَا فَقَالَ يَهُودُ لَاءَ الْأَرْبَعِ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ

(١) رواه البخاري

(٢) رواه البخاري

(٣) أرواح مبعوث مطوح

« اذنوا فتوضّأوا » - ويده في الإماء - فتوضّأوا حتى ما بقي منهم أحد إلا توضّأ
قال :

قلت : يا أبا حمزة ، كم تراهم ؟

يقال : ما بين السبعين والثمانين^(١)

عن عبد الله قال :

كما مع رسول الله - ﷺ - بي سمر ، فلم يجدوا ماء ، فأتى بتور^(٢) من ماء ، فوضع
النبي - ﷺ - فيه يده ، وفرج بين أصابعه قال فرأيت الماء يفجر من بين أصابع رسول
الله - ﷺ - فقال : حيّ على الوضوء ، والبركة من الله تعالى

قال الأعمش : فأحبرني سالم بن أبي الجعد ، قال

قلت لجابر بن عبد الله : كم كان الناس يومئذ ؟

قال : كنا ألقا وخمسمائة^(٣)

عن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معه ماء ، فقال له رسول
الله ﷺ :

« اطلبوا من معه ماء » . فمعنا فأتى بماء فصبّه في إناء ، ثم وضع كفه فيه ، فجعل الماء
يخرج من بين أصابعه ، ثم قال :

« حيّ على الظهور المبارك ، والبركة من الله »

فملأت بطني منه ، واستقى الناس^(٤) .

عن أنس بن مالك ، أن سبي الله ﷺ - كان «بروء» ، فأتى بإناء فيه ماء لا يعمر
صاحبه . فأمر أصحابه أن يتوضّأوا فوضع كفه في الماء ، فجعل الماء يسبح من بين أصابعه ،
وأطراف أصابعه ، حتى توضّأ القوم . فقلت لأنس : كم كنتم ؟ ..

قال : « كنا ثلاثمائة »^(٥)

(١) الطبقات لابن سعد

(٢) التور إناء للشرب

(٣) أخرجه البخاري

(٤) رواه البخاري

(٥) أخرجه

وعن عمران بن حصين قال .

« كنا في سفر مع رسول الله ﷺ وأنا أسرى ، حتى إذا كنا في آخر الدليل ، وقعنا وقعة ، ولا وقعة أحلى عند أسفار منها ، فما أيقظنا إلا حر أشمس ، فكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ، كان يسميهم أبو رجاء ، وسميهم عوف . ثم عمر بن الخطاب الرابع . وكان رسول الله ﷺ إذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ ، لأن لا يدري ما يحدث له في نومه . فلما استيقظ عمر ورأى ما أصاب الناس ، وكان رجلاً أحرف حبيداً ، قال فكبر ورفع صوته بالتكبير ، حتى استيقظ بصوته رسول الله ﷺ - فلما استيقظ رسول الله ﷺ - شكوا إليه لدى أصحابهم ، فقال : لا صبر ، أو لا تصبر ، ارتحلوا فارتحلوا ، فسار غير بعيد ، ثم برل فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونوى بالصلاة فصلى بالناس فلما انقفل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم ، قال ما معك يا فلان أن تصلى مع القوم ؟ فقال يا رسول الله ، أصابني جنابة ولا ماء . قال عنيك بالنصيب .

ثم سار رسول الله ﷺ وشكا إليه الناس العطش ، فمر ، فدعا فلان كان يسميه أبو رجاء وسميه عوف ، ودعا علياً ، فقال : ذهب عبيدك الماء . قال فانطلقا فلقيا امرأة بين مرادتين أو سطحيحتين^(١) من ماء على بعير ، فقالا ما أين الماء ؟ فقالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة . ونعرتنا عوف .. فقالا لها : انطلقى إذن .

قالت : إلى أين ؟ .. قال : إلى رسول الله ﷺ .

قالت هذا الذي يقال له الصاي^(٢) ؟ .. قال هو الذي تعين ، فانطلقى فجاء بها إلى رسول الله ﷺ - فحدثاه الحديث . فاستزلوه عن بعيرها^(٣) ، ودعا رسول الله ﷺ - بإناء ، فأفرغ منه من أفواه المرادتين أو السطحيحتين ، وأوكأ أفواههما ، وأطلق العرائ^(٤) ، ونودى في الناس أن : سقوا واستقوا ، فسقى من شاء ، واستقى من شاء ، وكان آخر ذلك أن أعطى الذي أصابته احبابه إناء من ماء . فقال : اذهب فأقرعه عليك ، قال : وهي قائمة تنصر ما يفعل بمائها قال وأيم الله ، لقد أفلح عبها ، وإنه ليحيل إلينا أنها أشد ملاءمة منها حين ابتلأ فيها ..

فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لها ، فجمعوها من بين عجوة ودقيقة وسويقة ، حتى

(١) السطحيحة تشبه امرأة ، أو ولاء من جلدين مسطح أحدهما على الآخر

(٢) أي طباها منها النزول

(٣) جمع عزى ، وهي مصب الماء من الراوية

جمعوا لها طعاماً كثيراً ، وجعلوه في ثوب ، وحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها .. فقال لها رسول الله - ﷺ - :

« نعمين والله ، ما ريتُ^(١) من مالك شيئاً ، ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا

قال فأنت أهدأ وقد احتسبت عنهم ، فقالوا ما حبسك يا فلاة ؟

قالت العجب ، لقيت رجلاً ، فمد يدي إلى هذا الذي يقال له الصابي ، ففعل بي ما كره وكدر ، هو الله ، إنه لأشحرُ من بين هذه وهذه - وقالت بإصبعها السبابة والوسطى ، حرمتها إلى السماء تسمى السماء والأرض وإنه لرسول الله حقاً^(٢) فكان المسلمون يُعبرون على من حولها من المشركين ولا يصيرون الصُّرم الذي هي منه . فقالت يوماً لقومها ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم غمناً فهل لكم في الإسلام ؟ فأدعواها فدخلوا في الإسلام^(٣) .

عن عمران بن حصير - رضى الله عنهما - قال :

« كنا في سفر مع النبي - ﷺ - فاشتكى إليه الناس من العطش ، فزل ، فعد فلاتا

كان يسميه أبو رجاء - وسبه عوف ، ردها عينا فقال :

ادها ، فابتعيا الماء ، فاطبقا فتقيا امرأة بين مراتين أو سطوحتين من ماء ، فحاءا بها إلى النبي - ﷺ - فاسترلوا عن بعيرها ، ودعا النبي - ﷺ - بإناء ، فصرخ فيه من أهواء المرادين ، ونودي إلى الناس : اسقوا واستقوا ، فان فشربا عطشا أربعين رجلا حتى رويوا ، فملأ كل مرة ماء ودواة ، وأيم الله لقد أفلح عنها وانه يحيل إياها أنها أشد ملاءة منها حين ابتداء^(٤) .

وعن جابر - رضى الله عنه - قال :

عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله - ﷺ - بين يديه ركوة ، فتوصأ بها ، ثم أقبل الناس نحوه ، فالتوا لابس عذبا ماء فتوصأ به ، وشرب إلا ما في ركوتك ، فوضع سبي - ﷺ - يده في الركوة ، فحصل الماء بمر من بين أصابعه كأمثال العيون قال : فشربا وتوصأنا .. قيل لجابر : كم كنتم ؟ ..

(١) وزنا مصب

(٢) الوفا ج ١ ص ٢٨٤ - ٢٨٧

(٣) أخرجه

(٤) أخرجه البخاري ومسلم

لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة» (١)

لبركة في الطعام

وأحاديث البركة في الطعام كثيرة ، صحيحة مشهورة ، وهي متواترة أيضًا في جواهرها ، ومن ذلك بالنسبة لرسول الله - ﷺ - ما يلي :

روى هاشم بن القاسم ، أخبرنا سليمان ، عن ثابت قال :

« جعت امرأة من الأنصار طعِيمًا لها ، ثم قالت لزوجها اذهب إلى رسول الله ﷺ

فادعه ، وأسيره» (٢) إلى رسول الله ﷺ قال : فحاء ، فقل

يا رسول الله ، إن فلانة قد صنعت طعِيمًا وإنني أحب أن تأتينا فقال رسول الله - ﷺ - الناس «أجيبوا أن فلا» . قال : فجئت ، وما يكاد تبغى رجلاي لما تركت عند أهلي ، ورسول الله ﷺ قد جاء بالناس قال : فقلت لا امرأتي قد انتصحت ، هذا رسول ﷺ قد جاء بالناس معه ، قالت أو ما أمرتك أن تسير ذلك إليه ؟ قال قد فعلت .

قالت فرسول الله ﷺ . أعلم ، فعادوا حتى ملأوا البيت وملأوا الحجرة وكانوا في الدار ، وحيء بعث الكف موضعت ، فجعل رسول الله - ﷺ - يسطها في الإناء ، ويقول ما شاء الله أن يقول : ثم قال ادنوا فكنوا ، فإد شع أحدكم فليخز لصاحبه قال فجعل الرجل يقوم والآخر يقعد ، حتى ما بقي من أهل البيت أحد إلا شع ، ثم قال ادع لي أهل الحجرة ، فجعل يقعد قاعد ، ويقوم قائم حتى شعوا ، ثم قال ادع لي أهل الدار ، فصعوا مثل ذلك . قال وبقي مثل ما كان في الإناء . قال فقال رسول الله ﷺ «كبروا وأطعموا جيرانكم» (٣)

وعن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، قال : حدثني أبي قال

« كنا مع رسول الله - ﷺ - في عزرة ، فأصاب الدس محمصة» (٤) ، فاستأذن أساس

رسول الله ﷺ في عمر بعض ظهرهم (٥) ، وقالوا : يسعنا (٦) الله به ، فما رأى عمر بن

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) فادعه في السر لقله الطعام

(٣) الطبقات لأبي سعد ج ١ ص ١٦٠

(٤) محمصة جماعة

(٥) ظهرهم : الإبل التي يحمل عليها وتركب ، وتجمع على ظهوران بصم الظاء

(٦) يلغنا ، يوصل

الحطاب أن رسول الله - ﷺ قد هم أن يادن لهم في معص ظهروهم فإن يا رسول الله .
 كيف بدأ بحر ، نقيبا انقوم عددا جيبعا رحالا^(١) ، ولكن إن ريب أن تدعو الناس ببقيا
 أزوادهم^(٢) فجمعها ، ثم تدعو الله بيها بالبركة ، فإن الله سيبعا بدعوتك ، أو سارك لنا
 في دعوتك ندعا رسول الله - ﷺ ببقايا أزوادهم ، فجعل الناس يجيئون ساجدة^(٣)
 من الصمام ، وهو في ذلك وكان من أعلاهم من حاء بصاع من تمر ، فجمعها رسول الله
 ﷺ ثم قام فدعا ما شاء الله أن يدعو ، ثم دعا بالجيش بأوعيتهم وأمرهم أن يجثو ، فما بقي
 في لجش وعاء إلا ملئوه وبقي منه ، فصحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ،
 فقال :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أني رسول الله ، لا يلقي الله عبد يؤمن بهما إلى حجت
 عند النار يوم القيامة »^(٤)

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر أنه قال :

« كما مع النبي - ﷺ ثلاثين ومائة ، فقال النبي - ﷺ -

هل مع أحد منكم طعام ؟ . فإذا مع رجل صاع من صمام أو صوة ، فصبر ، ثم جاء
 رجل مشرك مشعان^(٥) طويل بسم يسوقها ، فقال النبي - ﷺ - أيما أم عطية ؟ ، أو
 قال : هبة . قال : بن ييح ، فاشترى منه شاء فصصت . وأمر النبي - ﷺ بسواد السمل
 أن يشوى قال . وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا قد حز رسول الله - ﷺ - حرة من
 سواد بصبه ، إن كان شاهدا أعطاه إياه ، وإن كان عاتبا حبأ له ، قال وجعل منها قصصتين
 قال فأكلنا أجمعون وشبعا ، وعضل في القصصتين^(٦) فحملناه على بعير أو كما قال^(٧)

وعن جابر ، أن أم مالك الفهرية كانت تهدي في عكة لها سم إلى رسول الله ﷺ
 فيها سواها يسألونها الإدام . وليس عده شيء - عمدت إلى عكته التي كانت تهي فيها
 إلى رسول الله ﷺ فوجدت فيها سم ، فصارال يأدم لها آدم بيها حتى عصرتة ، فأنت
 النبي ﷺ من أعصرتة ؟ قالت نعم قال لو تركته مدارال ذلك لك مقيما^(٨)

(١) رجلا : لبي لهم ظهر بركبه

(٢) أزوادهم جمع زاد

(٣) أعيد القصصة والعروة باليد

(٤) طيفلت بين صعد ج ١ ص ١٦٣ ، ورواه مسلم نحوه حدث بها في غزوة تبوك

(٥) أي نافر الرأس

(٦) هو اليد فصصت القصصتين

(٧) الوفا ج ١ ص ٢٧٩ وفيه أخرجه الشهاب

(٨) الوفا ج ١ ص ٢٨١ - ٢٨٢ وفيه انفراد بإخراجه مسلم

وعن أنس إياس قال :

« خرجنا مع رسول الله - ﷺ - في غزاة ، فأصابنا جهد ، حتى هممنا لنحرق بعض صهرا ، فأمر رسول الله - ﷺ - فجمعنا مزاولنا ، فبسط له بطعا ، فاجتمع راد القوم على الصنع . فتناولت لأحرره ، وإذا هو كريضة العر ، ونحن أربع عشر مائة ، قال : فأكلنا حتى شبعنا جميعا ، ثم حشونا جرها »^(١) .

وعن جابر بن عبد الله قال :

عسا مع رسول الله - ﷺ - في الحندق ، وكانت عدى شويهة عر جدعة سمية ، فقلت لو صنعناها لرسول الله - ﷺ - فأمرت امرأتى فصحنت لنا شيئا من شعير ، وصنعت لنا منه حبراً ، ودبحت تلك الشاة فشويناها برسول الله - ﷺ - قال : فلما أمسينا ، وأراد رسول الله - ﷺ - الانصراف عن الحندق ، قال : وكنا نعمل فيه نهارة ، فإذا أمسينا رجع إلى أهلنا ، قال . قلت يا رسول الله ، إني صنعت لك شويهة كانت عدىنا وصنعنا معها شيئا من خير الشعير ، فأحب أن ينصرف معي رسول الله - ﷺ - إلى منزلي ، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله - ﷺ - وحده .

فلما قلت له ذلك قال . نعم . ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله - ﷺ - إلى بيت جابر . قال : فنت : إنا لله وإنا إليه راجعون . فقبض رسول الله - ﷺ - وأقبل الناس معه ، مجلس ، فأخرجناها إليه . قال : مبارك وسبي ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما مرع قوم قامو وجاءه ناس حتى صدر أهل الحندق عنها^(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه - قال : قال أبو طلحة لأُم سليم

لقد سمعتُ صوت رسول الله - ﷺ - ضعيفاً ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ .

فقلت نعم ، فأخرجت أقراصاً من شعير ، ثم أخرجت حماراً لها لفت الخبز ببعضه ، ثم دسسته تحت يدي ولا شيء ببعضه ، ثم أرسلتني إلى رسول الله - ﷺ - فذهبت به ، فوجدت رسول الله - ﷺ - في المسجد ، ومعه النبس ، فسلمت عليهم ، فقال لي رسول الله - ﷺ - أرسلك أبو طلحة ؟ قلت . نعم . قال بطعام ؟ قلت . نعم . فقال

(١) انفراد بإخراجه مسلم

(٢) أخرجه

رسول الله ﷺ - لم يبق معه قوموا ، فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة ، فأنجزته ، فقال أبو طلحة : يا أم سليم ، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس ، عندي ما يطعمهم ، قال : الله ورسوله أعلم ، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ﷺ ؛ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ

همني يا أم سليم ، ما عندك ؟ فأتيت بذلك الخبر ، فأمر به رسول الله ﷺ ففعلت ، وعصرت أم سليم عكة فادمتها ، ثم قال رسول الله - ﷺ - فيه ما شاء الله أن يقول ، ثم قال آتوا لعشرة ، فأدب لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم خرجوا ، ثم قال آتوا لعشرة ، ثم لعشرة ، فأكل القوم كلهم وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً (١)

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - جاءه رجل لبس طعمه ، فأطعمه شطر وسق شعير ، فمارا الرجل يأكل منه ، وامرأته ، وصبيهما ، حتى كانه فسي فأتى النبي ﷺ فقال لو لم تكن لأكلتم منه ونفام لكم (٢) وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال :

« ذلك كان يوم عروة يومك ، نصاب الناس مجاعه ، فقال عمر يا رسول الله ادعهم بمصل أروادهم ، ثم دع الله لهم بالبركة ، فقال نعم فدعا بطعم ، فبسط ، ثم دعا بمصل أروادهم ، فحصل الرجل يجيء بكف درة ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على البضع شيء يسير ، فدعا رسول الله - ﷺ - بالبركة ، ثم قال حدوا في أوعيتكم فحدوا في وعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه قال فأكبوا حتى شبعوا ، ونصب قصبه ، فقال رسول الله ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله ، وآتي رسول الله لا يلقي الله بهما عيد غير شك فيحجب عن حجة (٣)

وعن جابر رضي الله عنه قال :

« توفي أبي وعنيه دين تعرضت على غرمائه أن يأحدوا النمر بما عليه ، فأبو فأتيت النبي ﷺ ، فقمت .

قد عذمت أن وأسى استشهد يوم أحد وبرك دياً كثيراً ، وأبى أحب أن يراك الغرماء ، فقال لي .

(١) رواه البخاري ومسلم

(٢) رواه مسلم

(٣) رواه مسلم

انهب ميدر كل تمر على باحة ، فعمت ثم دعوته ، فلما نظروا إليه كأنهم أعروى
تلك الساعة ، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات ، ثم جلس عليه ،
ثم قال :

ادع إلى أصحابك ، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله عن والدي أمانته وأنا أوصي أن
يؤدي الله أمانة والدي ، ولا أرجع إلى أحوالي بتمرة ؛ فسم الله انيادر كدها ، حتى أتى
أنظر إلى البيدرا الذي كان عليه النبي ﷺ . كأنما لم تنقص ثمرة واحدة^(١)

حين الجذع

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ، كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة
أو نخلة ، فقالت امرأة من الأنصار ، أو رجل - يا رسول الله ، ألا جعل لك منبراً ؟
قال : إن شئتم .

فجمعوا له منبراً ، فلما كان يوم الجمعة ، رفع إلى المنبر ، فصاحت لعل صياح الصبي ،
ثم نزل النبي ﷺ ، فضعها إليه . تبي أنيس الصبي ، الذي يسكن ، قال : كانت تبكي على
ما كانت تسمع من الذكر عندها^(٢)

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول .

كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ ، إذا خطب ، يقوم إلى
جذع منها صُنع له المنبر ، فكان عليه ، فسمعا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ،
حتى جاء النبي ﷺ ، فوضع يده عليها فسكن^(٣)

يقول صاحب الشفا ، عن حين الجذع . إنه في سنة مشهور مشر والحر به متواتر ،
قد حرجه أهل الصحيح ، ورواه من الصحابة بضعة عشر . منهم أبي بن كعب وجابر بن
عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل بن سعد ، وأبو
سعيد بخدري وبريدة وأُم سلمة وبنطس بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث
قال الترمذي وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفاً على جذوع
نخل فكان النبي ﷺ ، إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر سمعا لذلك

(١) رواه البخاري ، انظر جامع كرمات الأولياء للشيخ يوسف النبهاني ج ١ ص ١١٦ ١١٧

(٢) صحيح البخاري ، ج ٨ ص ٢٣٨ ط الشعب

(٣) صحيح البخاري ج ٨ ص ٢٣٧ ط الشعب

لحدّ د صوتاً كصوت العشر ، وفي رواية أنس ، حتى ارتج المسجد بجواره ، وفي رواية سهل ، وكثر بكاء الناس لما رأوا به ، وفي رواية مصعب وأبي ، حتى تصدع واشق ، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليه فسكت ، رآه عمره فقال النبي ﷺ إن هذا يبكي ما فقد من الذكر^(١) .

أراكم من وراء ظهري .

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ

هل ترون قبلي ما ما ؟

فوالله ما يحمي على خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري^(٢) .

عن أنس قال كان رسول الله ﷺ ، يُفَسِّدُ على وجهه حين أن يكبر ، فيقول براصوا واعتدلوا ، فإني أراكم من وراء ظهري^(٣) .



(١) الشفاء ص ٢٥٧

(٢) الحديث في الصحيحين انظر الوفا ج ١ ص ٣٤٤

(٣) الحديث في الصحيحين ، انظر الوفا ج ١ ص ٣٤٣ قد در الكتب الحديثة

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكمى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل السابع عن :

دلائل النبوة

فى

معجزة الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج^(١)

إن الناس - عادة - حينما يتحدثون عن معجزة الإسراء والمعراج ، يتحدثون عن جانبها الذى يتصل بقطع لمسافات ، وطى المسالك ، والترحال من سماء إلى سماء ، فى خطوات لا تُعادن بالأيام والشهور ، وإنما بالساعات والدقائق

وما من شك فى أن الإسراء والمعراج معجزة من هذه لراوية ، ومعجزة كبرى ولكنها أيضاً : آيات ودلالات على صدق الرسول ﷺ ، من روايا أخرى تتجلى نحو الجانب الأخلاقى فى تركية النفس ، واستقامة الأسرة ، وإصلاح المجتمع

وكما تعبر حياة الشخص عن صدقه أو ربه ، فإن تعاليمه كذلك تعبر عن صدقه أو ربه . وإن أصحاب الآفاق المستبصرة كما يظفرون إلى سلوك الشخص وحياته - فإنهم يظفرون أيضاً ، إلى تعاليمه ورسائله ، حتى يكونوا على بينة من الحكم عليه

ومن أجل ذلك ، تحدثنا عن الإسراء والمعراج من هذه الجوانب جميعاً ، واستقصاها فى الرواية التى تتصل بالجانب الأخلاقى والجانب الروحى ، لريل ما عني باستقوس من قصر الحديث فى الإسراء والمعراج على الجانب الذى يتصل بعنى الأرض ، والعروج إلى السماوات .

والحديث عن الإسراء والمعراج من هذه الجوانب جميعاً - إنما هو واجب من حيث إتيان الدلائل الحسية والسموية ، فيما يتعلق بصدق النبوة

وحتى من الآن ، نعتذر عن هذه الاستفاضة التى اتسم بها البحث فى الإسراء والمعراج ولقد استقصا معتمدين ، وددت أن من دلائل النبوة أن تكون آثار أسى ، وأن يكون موضع رسالته ، متسماً بالأخلاق الكريمة ، والروحانية العالية ، وأن يحتس المسبح لتسير بالحياة الاجتماعية إلى انسمو - مكانة كبرى فى رسالته ، إنما من أجل ذلك ، استقصا

(١) ؟ ترتيب الإسراء والمعراج الزمنى يسبق للبعرة ولكننا أتينا بها هنا لأنها جمعت المعجزات فى فصل مخصص وربط معجزة الإسراء والمعراج ارتباطاً محكمًا بالفصل الذى عدنا فيه عن مفهوم الرسالة ودلت أن مذهب حياة الذى ترمزه حادثة الإسراء والمعراج إنما هو توضيح من رآه أخرى لمفهوم الرسالة الإسلامية فى صدرها وفى كمالها

إن قصة الأسراء ، لا ينبغي أن يؤخذ على أنها رحمة شديدة العراية بي أعراف الناس ، وإنما على أنها - مع ذلك - رسم لكثير من جوانب حياة المسلم في معراحه إلى الله . إنها رحمة لم تنته . ولن تنتهي - من حيث توحيه المسلم إلى الله سبحانه ، إنها دلالة على النبوة من حيث هي معجزة ، وهي دلالة على النبوة من حيث هي أخلاق . يقول سبحانه وتعالى :

﴿سَبِّحْهُ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١)
ويقول سبحانه :

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ، وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ، ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ، وَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ، فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ، أَصْفَرُونَهُ هَبْ هَيَّ مَا يَرَىٰ ؟ .. وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ، عِنْدَ مَا جَنَّتُ الْمَوْءُودُ ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى . مَا رَآعَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَى ، لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾^(٢) .

هذه هي الآيات القرآنية عن الأسراء والمعراج . أما الأحاديث النبوية فإنها كثيرة مستمضة ، ولقد رويت عن أكثر من ستة وعشرين صحابياً ، يكمل بعضها بعضاً .

رواها الكثير من المحدثين ، واستفاض في ذكرها الإمام السيوطي - طيب الله ثراه - في كتابه « الحصائص الكبرى » .

وعلى هذا لا يعيبنا أن نذكر الموضوع بكل تفصيلاته ، فإنه معروف عادة للمسلمين ، وإنما الذي يعيبنا أن نذكر عن الخصوص - الجانب الأخلاقي فيه ، وجانب المعنى منه . ومجمل الأمر : أن رسول الله ﷺ ، بينما كان نائماً ، أنه جبريل ، فأيقظه وخرج معه ، فإذا أمامهما دابة يضاء ، هي البراق . وركبها رسول الله ﷺ . وسارت الدابة ، وجبريل معه على حدة نصيره - ﷺ - « لا يفوتني ولا أهوتي » حتى انتهى إلى باب المقدس . فوجد فيه إبراهيم وموسى ، وعيسى - عليهم السلام - في نفر من الأنبياء ،

(١) الإسراء آية ١

(٢) النجم آية ١ - ١٨

عَاقِبَتُهُمْ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَصَلَّى بِهِمْ ثُمَّ أَتَى بِإِنَاءَيْنِ بِأَحَدِهِمَا حَمْرٌ ، وَبِالْآخَرِ لَبَنٌ ،
فَأَحَدَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِيْنَاءَ اللَّبَنِ ، وَشَرِبَ مِنْهُ ، وَتَرَكَ إِيْنَاءَ الْحَمْرِ
فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ :

« هُدَيْتَ لِلْعِطْرَةِ ، وَهَدَيْتَ أُمَّتَكَ . وَحُرِّمْتَ عَلَيْكُمُ الْحَمْرَ »

وَتَرَوَى كَتَبَ السَّيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - صَنَوَاتُ اللَّهِ وَصَلَامُهُ عَلَيْهِ - أَتَاهُ لَيْلَهُ الْإِسْرَاءُ
أَتَى ، فَفَرَّخَ صَدْرَهُ ، ثُمَّ غَسَّه بِمَاءٍ رَمَرَمَ ، ثُمَّ حَاءَ بِطَبَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْتَلَى حِكْمَةً وَإِيمَانًا ،
فَفَرَّغَهُ فِي صَدْرِهِ الشَّرِيفِ ثُمَّ أَطْعَمَهُ
ثُمَّ كَانَ الْإِسْرَاءُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ

وَلَمَّا انْتَهَى ﷺ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، عُرِّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَحَدَ يَرْتَقِي سَمَاءً بِسَمَاءٍ
تَحَوُّرَهَا جَمِيعُهَا ، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى
وَهُنَاكَ حَيَاةُ الرَّسُولِ - ﷺ - رَبُّهُ « لِتَحْيَايَا اللَّهُ ، وَالصَّوْنَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ »
وَحْيَايَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

وَقَالَ الرَّسُولُ - ﷺ -

إِسْلَامٌ عِيْدٌ وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
وَمِنَ هَذِهِ اللَّحَظَاتِ الْحَالِدَةِ الَّتِي لَا يَبَاقِي أَنْ تَوْصَفَ ، فَحُصِّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
الصَّوْنَاتِ ، عَلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ -

وَيَبْنَعُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَيْرَ ، وَتَحَدَّثَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ، فَانْكَرَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ
وَعَارَضُوهُ ، وَبَنَعَ لِلْمُشْرِكِينَ لِحَبْرِ إِبْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَسْكِرِينَ بِهِ مِنْعَجِينَ مِنْهُ ،
فَقَالَ هُمْ ، وَاللَّهِ نَشْأَ كَمَا كَانَ قَدْ صَدَّقَ فَمَا يَعْبَحُكُمْ مِنْ ذَلِكَ ؟ ، هُوَ اللَّهُ إِيْمَهُ بِخَيْرِي
أَنْ الْحَمْرُ يَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ سَبْعِ أَوْ بَهَارٍ ، فَأَصْدَقَهُ هَذَا يُجِبُ
بِمَا يُحِبُّونَ مِنْهُ

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - لِأَبِي بَكْرٍ .

« وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ ، « الصَّدِيقُ » . هِيَ مُمْتَدَّةٌ سَمَاءً : الصَّدِيقُ »

هَذَا هُوَ الْمَوْحَرُّ مَا تَرَوِيهِ السَّيِّئَةُ مُؤَيَّدَةً بِالْقُرْآنِ ، عَنْ هَذَا الْبَيِّانِ الْحَلِيسِ

ولقد حوّل « ابن إسحاق » أن يبين الحكمة في هذا حادث ، فقدم جسمه يروى
ابن هشام الحديث الإسراء بكلمة نفيسة ، يقول فيها :

« وكان في مسره ، وما ذكر منه ، بلاء وتمحيص ، وأمر من أمر الله في قدرته وسخطه ،
فيه عبرة لأولي الأنساب وهدي ورحمة ، وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله
على يمين - فأُسرى به كيف شاء ، وكما شاء ، بيرية من آياته الكرى ما أراد ، حتى عاين
ما عاين من أمره وسخطه العظيم ، وقدرته التي يصنع بها ما يريد »

أما الإمام البوصيري ، فإنه يقول في « همزيته » المباركة .

تطوى الأرض سائرًا والسما	ت الملا فوقها به إسراء
فصيفر الليلة التي كان لمحد	تأر فيها على البراق استواء
وترقى به إلى قاب قوس	س وتلت السيادة القعساء
رتب تسقط الأماني حسرى	دونها ما وراءه هس وراء
نم وهي حدث الدس شكرًا	إد أنه من ربه النعماء
وتحدي هزات كل مرير	أو يبقى مع السيول العناء ؟

هذا النبأ الجليل يسمعه قوم ، فلا يصل إلا إلى الحوالب الظاهرية منهم ، فيأخذون في
لجس لشكلي أكان ذلك بي لبقطة . أم كان ذلك في اليوم ؟

أكان ذلك بالروح والجسد ؟ أم كان بالروح فقط ؟

أكان بيلا ؟ أم كان بهارًا ؟ ..

وهذه كلها صور من الجدل الذي يشور ، حيمه يحف وزر الإيمان في النفوس (١)

ويسمع هذا النبأ قوم ، فيصل إلى أعناق قلوبهم ، فيسجھون - في صورة طبيعية .

(١) يقول شوقي رحمه الله في قصيدته التي عارض فيها الإمام البوصيري - هذه الأبيات الحميدة

يساءسوا ، وأنب أظهر هيكلا	بالروح أم بهيكل الإمارة
بها سموت مطهرًا وكلاهما	سور وروحانية وبيضاء
فضل عليك دنى الجلال ومنة	والله يفعل ما يرى ويسد
نمشي الخرب من العولم كلما	طويت مماء قللت ممة
الله هيمنا من حظيرة قدسه	نزلنا دنالك لم يجره علاه
العرش تحتك سلة وقوا نسيم	ومناكب الروح الأمير وطله
والرسل دون العرش لم يؤدسهم	حاشا لغيرك موعده وقله

معناه العميق ، وإلى روحانيته السامية ، ويرون أن هذا أسياً يتطوى على توجيهات لا يسعى
أن يمر عليها الناس من الكرام .. من هذه التوجيهات :

١ - لقد كان رسول الله ﷺ حاتمةً سلسلة من الأنوار التي يرسلها الله إلى العالم
بين القبة والعمية ؛ يهتدي إلى الرشاد ، وثقود إلى الله ؛ يتسمو بالمؤمنين درجات في معارج
القدس ، لتصل بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو ، عن الإرشاد الإلهي
وكان الكتاب الذي أنزل عليه - ﷺ - وهو القرآن - حاتم الكتب وأكملها ، ومهيماً
عليها .

ولأن رسول الله - ﷺ - تحقق بأخلاق أكمل كتاب رباني ، فهو إذن أكمل
رسول - ﷺ - :

ومن هذا ، كانت إمامته - ﷺ - لترسل والأنبياء في بيت المقدس
ولأنه ﷺ أكمل رسول ، كان من أحسن ذلك - أقرب المقربين إلى الله ، سبحانه
وتعالى ..

لقد تخطى الأرضين والسماوات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى ما لم يصل إليه
بشر . بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه ؛ عليه السلام .
ولقد وصل - ﷺ - إلى : « قاب قوسين أو أدنى »

وكما أن معنى لدى يدل عليه بيا المعرج ، من وجود الأنبياء والرسول في السماوات ،
ومن أن الرسول ﷺ أحد يتجاوز هذه السماوات الوحيدة بعد الأخرى ، ويتجاوز
الأنبياء واحداً بعد الآخر

يقول كما أن معنى اندي يدل عليه البيا معنى مكاني فيه أيضاً ، بل وبصريق أولى
معنى روحى . أى أن لرسول ﷺ في تسميته الروحى على كل لحظة من اللحظات
قد بلغ في معارجه ، إلى درجات تجورت - في روحانيته - آتم في سمائه الأولى ثم
تجاوزت عيسى وموسى و وهكدا - حتى تجاوزت روحاً إبراهيم - عليه السلام
- في سمائه السابعة

ونقد تجاوز رسول الله ﷺ كل ذلك ، وتجاوز الكون كله ، إلى سيرة أسهوى
إلى شجرة النهاية ، ثم إلى حيث لا يسغ ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلى قاب قوسين
أو أدنى .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى - هذا هو مقام الرسول - ﷺ .
 ولكن بعض الناس ينزل بها من هذه الأفاق العليا ، والسعوات السامية ومن الرحاب^(١)
 الإلهية ينزل بها معجزاً ، فيجادل في الأسراء والمعراج .. أكان رؤياً أم كان يقظة ؟
 استعفر الله ، وأتوب إليه ..
 إن ذلك الجدل ، إذا دل على شيء فإنما يدل على ضعف الإيمان في قلب المجادل
 والمخاري .

ومن الشعر الديني الحديث في ذلك قول الشاعر الأستاذ إبراهيم عبد الفتاح من قصيدة
 في الأسراء والمعراج .

والعجم حين هوى لقد صعد الهدى	كالنجم يسبح في السماء مُصَّاءً
ما ضل صاحبكم ولم يضل لكم	إلا بما يوحى له إحياءً
صدق الموائد فلا تمار فقد رأى الـ	آيات كبرى تملأ الأرجاء
قالو يصعد في السماء وهل بها	يجد المروء ، إلا يغم هوء ؟
فاسوا الأمور بما أوه أئامهم	والمعجزات ألا تكون وراء
لا تجعلوا أمر الرسول كأمركم	أرض تنافس في العدو سماء
سهم من الفردوس حفر ركبته	أبحس ضيقاً أو يحس عناء
ووراء هذا الكسوف قسرة خالق	موق الضنون جلاله وعناء
الله أكبر أن تعدد فصله	جل الإله عن العباد عطاء
أيصمرون جلال رب قادر	ملك يده الموت والأحياء

٢ وإذا كانت التوجيهات السابقة ، إنما كانت تتدلى على مقام رسول الله - ﷺ .
 فرداد بدلت نقديراً ، وحما وانعماً ، فإن من هدى الله سبحانه وتعالى ، وتوجيهاته في بيا
 الأسراء والمعراج هذه الرميّات الأخلاقية ، التي تربط ربطاً محكمًا بين الدين والأخلاق .
 والواقع أن الأخلاق هي جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً لا يفصل منه تسع ،
 وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الإسلامي لا يسحر . مصدرها هو
 مصدره ، يلقي رثائى .

وبعض الناس - في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى .. يريد
 بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الصميم ، بيد أن ذلك خطأ يري الصميم يربى ويكون
 وتربيته وتكوينه هما شكنه ، وبرعته ، واتجاهه الذي يتكيف بحسب الثقافة والبيئة ، والعصر
 والوسط .

(١) الرحاب ، جمع رحية : المكان الواسع

إن الضمير يصح كما تصح «مريضات» وهو - إذن - مقياس للأخلاق حاطي ، وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة العامة ، ولكن المصلحة العامة كلمة غير محددة ، وكل من يتحدث باسم «المصلحة العامة» إنما يتحدث باسم فكرته هو - محرقة كانت هذه لفكرة أو غير محرقة .

والمصلحة العامة إذن كـأساس للأخلاق ، أساس غير مصموم . وبعض الناس يريد أن يرجع بالأخلاق إلى المصلحة الشخصية ، أو إلى الندة ، أو إلى المنفعة . وكل هذا وارد لعرب الأوروبي ، أو العرب الأمريكي عندما انحرف هذا العرب واتحد ، ودخل في إغواء أخلاقي .

أما وارد المشرق الإسلامي ، أو بتعبير أدق وارد الإسلام الإلهي ، فإن مقياس الأخلاق فيه ، إنما هو المبادئ الدينية إنما هو آيات القرآن وإنما هو لفصائل التي أوحاها الله سبحانه وتعالى - هذه الفصائل التي حدددها القرآن في أسبوع عربي مبين ، وتحدث عنها نبأ الإسراء والمعراج - تكون منهج حياة مؤسسة على الإيمان بالله ورسوله وهذا المنهج هو الذي نريد رسمه الآن بتوفيق الله

منهج الحياة الذي رسمته أنبياء الإسراء والمعراج

ونعود من جديد إلى أسانيد حادث الإسراء والمعراج ، في السنة الشريفة ، نقول « إن حادث الإسراء والمعراج ، ورد في روایات عدة منها الصحيح ومنها الحسن أخرجها أئمة الحديث رسول الله عليهم يدكر بعضهم ما لم يذكره البعض الآخر ، تنفق في جوهرها ، ولا تعارض في جزئياتها ، يروونها بعضهم مختصرة ، ويروونها بعضهم متوسطة ، ويروونها بعضهم مطولة ، وكل صورة منها يتعدد سدها ، أي يحذف الرواة الذين رووها . ومع ذلك تكون الصورة واحدة في جوهرها ..

الحوهر - إذن - متواتر

ورد أحداً برواية الإمام ابن حرم ، في أن متواتر ما روى بروايين ، فإن التفاصيل في أعلاها - تكون أيضاً متواترة

كل هذا مع نبوت الأمر - في جوهره - بالكتاب العزيز

ونحن إذن حينما بدأنا الحديث عن الإسراء والمعراج ، على أنه منهج الحياة

وسمى الصورُ حَيَاتَنَا من الحُرِّيَّاتِ والتَّعَاصِلِ ، وبما تَقَعُ في ذلكِ على أَرْضِ صِلَةِ ،
وسمى في الرِّسْمِ على أُنْجَاسٍ من المَرُوءِ

التوبة

وبدأ قصة الإِسْرَاءِ والمَعْرَاحِ في بعضِ رِوَايَاتِ البُخَارِيِّ ، وفي بعضِ رِوَايَاتِ عِيْرِهِ
بشئِ الصِّدْرِ .

من ذلكِ ما يرويه الإمامُ أحمدُ - بسنده - عن أنسِ بنِ مالكٍ قال « كان أنسُ بنُ كعبٍ
يحدثُ أن رسولَ اللهِ ﷺ - قال « فُرحُ سَفْعٍ يَتَنِي وأنا بمَكَّةَ » فرل جبريلُ ، فصرح
صَدْرِي ، ثم غَسَبَهُ من ماءٍ رَمَرَمَ ، ثم جاء بطَّسَبٍ من ذهبٍ ممتلئٍ حِكْمَةً وِزْمَانًا ، فأفرغها
في صَدْرِي ، ثم أَطْفَقَهُ »

هذا الحادثُ هو بالنسبة لـ - التوبة ، فإن تطهير القلب الذي حدث برسول الله
ﷺ - عدة مراتٍ في حياته ، إنما هو بالنسبة لأنواعه بمثابة التوبة
والواقع أن حياة المسلم في طريقه إلى الله إنما تبدأ بالتوبة وليس قبل التوبة من
درجة سيقها ، والتوبة التي نتحدث عنها ، إنما هي التوبة الحاصلة لنُصُوحٍ ، فإن الله تعالى
يقول

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ (١)

فأُرشِدُ - سبحانه - إلى أن التوبة المطلوبة ، إنما هي التوبة للنُصُوحِ .
ولأجل أن تكون التوبة حاصلةً نَصُوحًا ، فإنه لابد من توفر شروط
ويحدث الإمام النووي عن شروطها في كتابه المَبَارِثِ « رِياضُ الصَّالِحِينَ »
فيقول

لتوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت لمعصية بين العبد وبين الله تعالى ، لا يتعلق بحق
آدمي ، فيها ثلاثة شروط :
أحدها : أن يقلع عن المعصية .
والثاني أن يندم على فعلها
والثالث : أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدا ..

ويبايع ذلك كنه الأحاديث النبوية

« إِنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ يَدَهُ بِالْبَيْلِ يَسُوبُ مُسَيِّئُ السَّهَرِ ، وَيَسْطُرُ يَدَهُ بِالسَّهَرِ لِيَتُوبَ مُسَيِّئُ
الْبَيْلِ »

ورسولُ الله - ﷺ - يعترف بالحطئه ، كرافع لا يتأني إنكاره ، فيقول :

« كُلُّ ابْنِ آدَمَ حَاطٌّ »

ولكنه يرشد إلى الوسيلة التي تفصل بعض الحطائين ، وتحملهم مرة في الخير ،
فيقول :

« وَحَيْرُ الْحَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » .

يقول الإمام الفشيري

ومن لطائف المعراج ، « خص به أو حاله في تلك الليلة بصهاة على » ذكرها
وقد شوق قلب لبي ﷺ مريض ' مرة في حالة صلاه ، وهو بعد في حجر حليلة ،
ولمرة الثانية ليلة المعراج

وهي تحصيص قلبه بالعسل - دون غيره من البذر - إشارات :

منها أن قلب محل لعراف ، وهو المصعة التي يصلحها صلاح البدن ، وهو محل
المشاهدة . ومركز الشعور ، ومصدر الإشعاع
ولكن لا يكون لغير الحق نصيب في قلبه
ولنبيه الأمة على طهارة القلب

وإذا كان شق الصدر الذي سبق هذا الحادث لتحضير - حادث الإسراء والمعراج -
هو بالسنن النبوية فإنه أيضاً توجيه واضح ، إلى أن سجد إلى الله تعالى تائبين ،
عند الشروع في أي أمر له قيمته

إنه توجيه لنا أن ندع إلى الله تعالى ، تائبين عند الشروع في شراء وهي بيع . هي
ارتباط بزواج ، هي بناء بيت ، هي الشروع في سفر
وليست لتوبة في مثل هذا توبة من ذنب وإنما هي تنجاء إلى الله . وتشجع إني

(١) ولقد روى أيضاً في حديث أخرجه الإمام أحمد أنه ﷺ ، قد شق صدره وهو في سن العاشرة ، وهي
ثلاث سنوات ، ولجميع ص ٧ دلائل النبوة .

سبحانه بتأكيد صماء النعس ، وظهره لقلب ، من أجل أن يُسدّد الحُصّاً ، ويمسح الترهيق ،
ويحفظ معه الأحصاء ..

إنها توصل إلى الله بعمل صالح ، هو التوبة

الغاية في منهج الحياة

ويمكن للإنسان أن يتعجل السؤال عن العاية ، فنقول
إذا كان بدء الرحلة الإسلامية إنما هو التوبة ، فما نهايتها ؟
ونقول دون تردد ولا شك : ليس دون الله منتهى ..

وذلك أن الله سبحانه وتعالى ، هو العاية الأخيرة للمؤمن المبصر ..
وقد أعلن الله صراحة : أنه سبحانه ، إليه المنتهى ، فقال :

﴿وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾^(١) .

ويقول أبو سعد الحرّاز رضي الله عنه معبر عن شعور مؤمن بالنسبة لله سبحانه
« كل ما عانتك من الله سوى الله يسير ،

وكل حظ لك سوى الله قتل » .

إن هجرة المؤمن ، إليه سبحانه ، وذهابه إليه

﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾^(٢)

وقال ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ﴾^(٣)

وفرار المؤمن ، إلى الله .. ولقد أمر الله بالفرار إليه فقال :

﴿فَصَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٤)

وقد كانت مهية الرحلة التي عن مصدهم - رحلة الإسراء والمعراج - الاسهاء إلى الله
سبحانه وبه هي رحلة انتهت إلى عايتها الحسنة التي هي الله محققت

﴿وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾

(١) البصم ٤٢

(٢) العنكبوت - ٢٦

(٣) الصافات ٩٩

(٤) المبريات ٥

وأنه إذا تحدثنا عن ثمرة السلوك إلى هذا المنتهى فإنه ، بحقد قرب المسالك من هذا
المنتهى ، تكون رعاية الله له ، وعنايته به

على أن هذه الرعاية ، وهذه العناية ، تبدأ منذ الخطوة الأولى ، التي تمثل في الاستغفار
والله سبحانه وتعالى - بأمر بالاستغفار ، وبين ما يترتب عليه من آثار ، وهي آثار
ليست باهنة أو نافهة إنها آثار صحبه
يقول سبحانه

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْسِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِّرَ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنَابًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(١)
ويقول سبحانه

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ سَمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَيَمْسِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِّرَ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جُنَابًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٢)
وكلمة إزداد الأسباب استغفاراً في السلوك إلى الله ، بالنوبة والاستغفار ، كتب من ذلك
أرددت رعاية الله له ، وعنايته به حتى إذا ما انتهى إليه سبحانه ، كانت العناية المنسية ،
والرعاية الكافية ، في الدنيا وفي الآخرة

﴿إِنَّا إِنَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا حُوفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ
الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٣)
وليس معنى الوصول إلى المنتهى ، وهو الله سبحانه - الاستقرار وانسكاف الروحاني
محسب - وإنما معناه من جانب روال الملتصق والاضطرار بنفسه ، وروال هم المرور ،
وحرف الموت .. وروال كل ما يصرف الإنسان عن الله أن يفعل بؤرة التفكير ، ويحل في
أعماق النفس

معناه - من جانب حر الرقي الروحي الدائم ، لفيوضات الإلهية المستمرة المعرف
البدنية المتتالية وصولاً إلى الله وسلامه على من وصل إلى هذا المنتهى

وأمر - مع ذلك - أن يقول :

﴿رَبِّ رِذْنِي عِلْمًا﴾^(٤) . أي فيصلاً

(١) هود ٥٢

(٢) يوسف ٦٢ - ٦١

(٣) طه ١١٤

فزيادة العلم - هي عرف أولياء الله إنما هو زيادة الفهم بالسعادة

ومن أجل ذلك يقول أحد العارفين :

« نحن في سعادة لو عرفنا الموت ، لجالدونا عليها بالسيف »

وتتوّن السعادة بنون المعرفة ، ولكن باب من أبواب المعرفة مداف خاص ، فله إذن

لذة خاصة - إذا أمكن التعبير بكلمة - اللذة ، في هذا المقام

وهو يسلم إلى ما يليه .. وما يليه له مذاقه الخاص ، فله أيضاً لذته |

إنها جنة الدنيا ، في سموها وجمالها وجلالها

ولا يحجب أولياء الله عن الله ما .. وقد يكونون في نراء عريض ، فلا يصرفهم ذلك

عن الله .

وما صرف سليمان عليه السلام ملكه عن الله ..

وقد يعرض عليهم الثراء العريض فلا يعيرونه أهمية ..

ولقد قال رسول الله - ﷺ -

« حُرِّتَ بين أن أكون منك رسولاً أو عدواً رسولاً ، فاحترت أن أكون عبداً رسولاً »

وينحدث الإمام أبو سعيد الحرار عن ذلك بالنسبة إلى رسول الله - ﷺ - فيقول

وهذا النبي - ﷺ - بينما جبريل عليه السلام عنده ، إذ تعبر جبريل ، فإذا ملك قد مل

من السماء لم يزل فقط .. فقدر جبريل عليه السلام حششت أنه مل في بأمر فحاء إلى

النبي - ﷺ - بالسلام من عند الله عز وجل ، وقال له « هذه مفاتيح حرائر الأرض

تسير معك ذهباً وفضة ، مع البقاء فيها من يوم القيامة ، ولا تنقص مما لك عند الله شيء »

فهم يحتر النبي - ﷺ - ذلك وفان « أجوع مرة وأشبع مرة »

ولا يحجب أولياء الله عن الله لذة حسية ، فهم في لذة دائمة مسمرة مسمى وأنفس

ولا يحجبهم عنه مباح دنيوي أبداً كان ؛ فاستبشار قلوبهم ، بقرب الله تعالى ، وسرورها

به ، وهدووها في سكونها إليه وأمنها معه

ما بين البدء والغاية

١ - الجهاد

كيف الوصول إلى هد استهى لدى فيه الرضا ، وفيه ريادة الأور ، وتلاحقها على الدوام ، وفيه السعادة التي لا تنقطع ، وفيه مِرْصاة الله . سبحانه وتعالى - ، وحفظه وعنايته ومحبته ؟ ..

هذا ما ترسمه الرحلة المباركة فيما بين شق الصدر ، أو التوبة وبين :

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(١)

وبمجرد أن تبدأ الرحلة المباركة ، يرى رسول الله ﷺ : أمراً عجيباً . إنه يرى قوماً يزرعون ويحصدون في يوم ، كما حصدوا عاداً كما كان . فقال النبي - ﷺ - لجبريل - عليه السلام - ما هذا ؟ قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله . تصاعفُ هم بحسه إلى سبعمئة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يحلّقه ، وهو خير الرزقين .

وتنفس هذه الرؤية من التوبة مباشرة ، إلى الجهاد .. وهذا انتقال طبيعي ، فإنه إذا كانت التوبة حقاً حاصلةً نصوحاً ، استتبع - لا محالة - الجهاد : وللجهاد في الدين الإسلامي مكانة عظيمة . فقد روى الشيخان - بسندهما - عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال قلت : يا رسول الله . أي الأعمال أفضل ؟

قال : «الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله»

والجهاد في سبيل الله ، أوسع وأعم من أن يقتصر على الجهاد الحربي . إن من أنواع الجهاد في سبيل الله ، جهاد النفس ، حتى تستقيم على شربة ، وجهادها حتى تقيم على المرائض ، وجهادها حتى تقيم المرائض ، وجهادها حتى تلزم بالمصائب ، وجهادها - دائماً - حتى تتركى من بعد التوبة -

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَكَّاهَا﴾^(٢) ﴿وَمَنْ تَرَكَّاهَا فَبِمَا بَتَرَكْاهَا﴾^(٣) وجهاد الأسرة ،

(١) النجم ٩٠٨

(٢) الشمس ٩

(٣) فاطر ١٨

حتى تستقيم على أمر الله والله سبحانه وتعالى ، يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(١) وكان سيدنا إسماعيل - عليه السلام - يأمر أهله بالصلاة والركعة وكان عدد ربه مَرَضِيًّا .

ولا يُعْنَى جهاد النفس وجهاد الأسرة ، عن جهاد المجتمع وكل ذلك أنواع مسابقة من ميدان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مدأ أساسي في الدين الإسلامي .

ولأجل أن يبين الله سبحانه وتعالى أهمية الكبرى ، ذكره قبل الإيمان بالله ، مبيناً أنه صراطٌ خيرية الأمة الإسلامية ، فقال سبحانه .

﴿كُنْتُمْ حَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٢) ..

وعنى لعكس من ذلك اليهود ، فقد ﴿أَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى نَسَا دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مَكْرٍ فَعَلُوهُ ، لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣) .

ونقد بين الإسلام وسائل الجهاد بحسب الظروف والملايسات ، وبحسب الإمكانيات والاحتمالات

عن ابن مسعود رضى الله عنه فيما روى الإمام مسلم - أن رسول الله ﷺ قال

« ما من منى بعثه الله في أمة نبي ، إلا كان له من أمة خواريون وأصحاب يأخذون بسببه ، ويقبلون بأمره ثم إنها تضعف من بعدهم بحوف ؛ يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بدينه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن - ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل »

وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول

(١) التحريم ٦

(٢) آل عمران - ١١٠

(٣) المائدة ٧٨

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ،
وذلك أصعب الإيمان » ..

رِصُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المجمع ، ووجوب الأحد على يد المفسد فيه ، حتى لا يكون
الهلاك . بالصورة الرائعة التالية التي رواها الإمام البخاري عن النعمان بن بشير ، عن
رسول الله ﷺ - قال : « مثلُ لقائمٍ على حدود الله ، والواقع فيها كمثل قومٍ استهيموا
على سمسة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، وكان الذين أسفلها إذا استقوا من
الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرفنا في نصيبنا خرقاً ، ولم يود من فوقنا فإن
تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً »

وروى الترمذي عن حذيفة رضى الله عنه عن النسي ﷺ قال
« والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث
عليكم عقاباً من السماء ، ثم تذهبن عنها فلا تفتحن لکم »

وعن أبي سعيد الخدري عن النسي ﷺ - قال

« أفضلُ الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطان جائرٍ »

وإن الله سبحانه وتعالى لا يرضى الأرض من الأميين بالمعروف ، الناهين عن المنكر . فقد
جاء في الصحيحين

« لا تزال طائفة من أمتي طاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم ،
حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » ..

أما الجهاد الحربي ، فيكفي لبيان أنه من طبيعة الإسلام - أن يذكر فيه حديثين ،
أو ثلاثة ، وأن يذكر فيه آيتين من القرآن أو ثلاثاً .

وببدأً في ذلك بما روه الإمام مسلم ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ -

« من مات ولم يحُر ولم يُحَلِّث نفسه بعرو ، مات على شعبة من النفاق »

وعن أبي هريرة - رضى الله عنه - فيما رواه الترمذي - قال .

« مرَّ رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيه عمة من ماء عليه ، فأعجبته .
فقال .

« لو اعتزلتُ الناسَ فأفعت في هذا الشعب ، ولم أفعل حتى أستاذ رسول الله ﷺ -

فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ألا تحب أن يعمر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اعزرو في سبيل الله من قاتل في سبيل الله فوق مائة وجبت له الجنة »

وروى أبو داود بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلاً قال يا رسول الله ! أئذي في السباحة فقال النبي ﷺ « إن سباحة أمتي ، الجهاد في سبيل الله »

والقرآن يريد بين الجهاد بالإيمان ، بحث لا يتأتى أن يوجد لإيمان انصاف ، إلا والجهاد من عناصره

نقد اشترى الله في عقد الإيمان - من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ﴿إِنْ اللَّه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْحَيَّةَ يَفَاتِنُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بِأَيْعَتِهِمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ﴾^(١)

والجهاد بجارة مع الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِقٍ سَحَنَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تَأْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَعْمُرُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنُ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفُورُ الْعَظِيمُ﴾^(٢) .

والجهاد داخل في صدق الإيمان .

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ، وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٣)

إن الجهاد - بأوسع معانيه - إنما هو الخطرة الأولى بعد التوبة

فبعد التطهير يكون لقاء الله تعالى

(١) التوبة : ١١١

(٢) الصف : ١٠ - ١٢

(٣) الحجرات : ١٥

حياة الأنبياء والشهداء بعد الموت

إن الصلاة في ربيب الرحمة المباركة تأتي رمرها بعد الجهاد مباشرة ، وكما مرعاة لما
بين هذا الموصوع وما قبله ، يذكره هـ ، ثم يعود للتريب الطبعي في الرحمة المباركة
روى الإمام مسلم بسنده عن أنس بن مالك ، أن رسول الله - ﷺ - قال ، قال
« أتيت وفي رواية هـ » مررت على موسى بينه أسرى بي ، عند الكتيب الأحمر ،
وهو قائم يصلي في قبره »

وأخرج الإمام مسلم - أيضاً - عدة طرق ، عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول
الله - ﷺ - قال ، « مررت على موسى وهو يصلي في قبره » .

وقد أخرج الإمام مسلم في الصحيح ، من حديث عبد العزيز ، أن رسول الله ﷺ
- قال « وقد رأيت في جماعة من الأنبياء - ودا موسى قائم يصلي ، فإذا رحل صرَبٌ^(١)
جعد . كأنه من رجال شوءة^(٢) ، ود عيسى بن مريم قائم يصلي ، أقرب الناس به شهياً ،
عروة بن مسعود التقى وإذا إبراهيم قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه
- فحانت الصلاة ، فمكتهم .. » والأنبياء أحياء في قبورهم

فقد أخرج الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك ، قال قال رسول الله - ﷺ -
« أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه حُبُّ آدم ، وفيه قبض ، وفيه النُّفحة ، وفيه الصُّعقة ،
فأكثرُوا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ » ..

قالوا وكف عرص صلاتنا عليك وقد أُرمت بريدوب بفت فعال .

« إن لله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم سلام »

هذا الحديث أخرجه أيضاً الحاكم وصححه السيوطي ويقول البيهقي عنه

أخرجه أبو داود والسنجستاني في كتاب السنن ، وله وشواهد ..

(١) الصرب من الرجال هو الجعيف الضعيف

(٢) شوءة قبيلة من قبائل العرب

ثم يروى من هذه الشواهد بإساده - عن أبي مسعود الأنصاري ، أن رسول الله - ﷺ - قال : « أكثرُوا من الصلاة على في يوم الجمعة ، فإنه نَسُّ أحدٍ يصلُّ على يوم الجمعة إلا عُصِيتَ على صلاته » .. وروى البيهقي من هذه الشواهد - أيضاً - بإساده عن أبي أمامة قال رسول الله ﷺ : « أكثرُوا على من الصلاة في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أُنسى تُعرض على في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم على صلاة ، كان أقربهم مني » . وسواء أكان الإنسان بحوار الصريح الشريف ، أم كان بعيداً عنه ، فإن صلاته يبلغ رسول الله - ﷺ - فقد أخرج البيهقي في شعب الإيمان ، والأصبهاني في الترمذي ، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال رسول الله ﷺ :

« من صَلَّى على عند قبري سِتِّعْتُهُ ، ومن صَلَّى على عائناً بَنَنْتُهُ »

ومن هذا القبيل ما أخرجه الإمام البخاري في تربيته ، عن عمر سمعت النبي ﷺ يقول

« إن الله تعالى مدكاً أعطاه أَسْمَاعُ الْخَلَائِقِ » قائمٌ عن قبري ، فما من أحدٍ يصلِّي على صلاة إلا بَلَّغَهَا » .

ولقد أثبت الإمام القشيري ، حبة الأنبياء بهذه طرق وأورد أحاديث في ذلك . تذكر منها حديث عبد الله بن مسعود ، عن النبي - ﷺ -

« إن الله ملائكة سياحين في الأرض ، يسعون عن أمتي السلام »

ويقول الإمام القشيري تعليقاً على الحديث ولا يبلغ السلام إلا ويكون حباً »

وعن أبي الدرداء رضى الله عنه - فيما رواه ابن ماجه بإسناد جيد ، قال قال رسول الله ﷺ :

« أكثرُوا من الصلاة على يوم الجمعة ، فإنه مشهودٌ ، تشهد الملائكة . وإن أحداً لم يصلي على إلا عُصِيتَ على صلاته حتى يفرغ منها » .. قال أبو الدرداء قلب وبعد الموت ؟ قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحماً الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،

إن الأنبياء أحياء في قبورهم ، بشهادته رسول الله ﷺ لموسى عليه السلام ، وبرزخه الأنبياء ، وحديثه معهم ، وصلاته بهم

نما الصلاة التي كانوا يصلونها ، فإنه لم تكن حرماً وتكليفاً ، وإنما كانت شكراً وحمدًا لله على نعمه ، فليس في الآخرة تكليف ، وإن كان فيها أيضاً ترقُّ روحى لا ينتهى ، لأن اسد الإله لا ينتهى ولكل درجة من درجات هذا اسد شعور بالحمد والثناء على الله

والله سبحانه يقول .

﴿دَعُواهُمْ فِيهَا سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ، وَنَحْيَتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾^(١)

وفد بمسائل إنسان عن هذه الحياة بعد الموت .. وأهى خاصة بالأسماء ؟

ونقول : إن القرآن الكريم يشتمها - في يقين حازم - للشهداء .

يقول تعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ عَمَدٌ رُبُّهُمْ يَرْزُقُونَ ، هُوَ حَيٌّ
بِمَا أَنَاَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا حُوفٌ عَلَيْهِمْ
وَالَهُمْ يُعْزَبُونَ﴾^(٢)

وبمأساة هذه الآية ، روى الترمذي وحسنه ، وابن ماجه بإسناد حسن أبصداً وحاكم
وقال صحيح الإسناد - أن رسول الله - ﷺ رأى جابر بن عبد الله مهتماً لاستشهاده
أبيه في عزوة أحد ، قال له مطمئناً مبشراً - أَلَا حُرِّكَ مَا قَالَهُ اللَّهُ لِأَيِّكَ ؟ ..

فقال جابر . بَنِي

قال ﷺ :

« مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، وَإِنَّكُمْ أَبَاكُمْ كَفَخًا وَالْكَفَاحُ
الْمُوَجَّهَةُ قَالَ مَسْلَى أُعْطِيتُ .

قال أسألت أن أُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا نَأْتِلَ فِيكَ ثَانِيَةً ..

فقال الرب عز وجل إنه قد سبق مني لقول بأنهم إليها لا يرجعون

« أَيْ ب ، فَنَبَعَ مِنْ وَرَائِي أَيْ أَتْبَعَهُمْ هَذِهِ الْعَمَّةُ الْكُبْرَى فِي الْحِجَةِ الَّتِي يَتَسَبَّبُ
فِيهَا الشَّهِيد . فَهَبَّ اللَّهُ تَعَالَى .

﴿وَلَا تَحْسَبُ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَاءُ عَمَدٌ رُبُّهُمْ يَرْزُقُونَ﴾ وقال
تعالى ﴿وَلَا تَقُولُوا مَن يَمُوتُ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ، بَلْ أَحْيَاءُ ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾^(٣)

ويقول الإمام القشيري « فَأَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّ الشَّهَدَاءَ أَحْيَاءُ عَمَدٌ رُبُّهُمْ ، فَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَى

(١) يونس ١٠

(٢) آل عمران ١٦٩ - ١٧٠

(٣) آل عمران ١٦٩ - ١٧٠

بدت ، تنقاصر وتبه لكفة عن درجة اسوة قال الله تعالى ﴿فَارْتَعَثْ مَعَ الدِّينِ نَعْمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾^(١) فربه الشهداء هي مدرجته لثالثة بعد النبوة وقد ردت لأحد الصحبة والآثار مروية ، بما يدل على هذه الحمة وبما سبب لآيات القرآنية الشريفة عن الشهداء ، يقول ابن قيم الجوزية « إِنْ اللَّهَ تَعَالَى عَرَى بَيْنَهُ وَوَلِيَّاهُ عَنْ ثَلَاثٍ مِنْهُمْ بِي سَبِيهِ حَسَنَ تَعْرِيةٍ وَالطُّفْهِ وَأَدْعَاهَا إِلَى الرِّصَالِ بِمَا قَضَاهُ مِنْ بَقْوِهِ » وَلَا تَحْسَبَنَّ .. الْآيَاتِ »

وجمعهم في الحياة الدائمة - منزلة القرب منه ، وأنهم عده وجزياء الرزق المستمر عليهم ، وفرحهم بما آتاهم من فضله ، بوق الرضا بل هو كمال الرضا واستبشارهم ببحولهم الذين يجمعهم بهم ينم سرورهم وبعيمهم واستبشارهم بما يجدد لهم كل وقت ، من نعمته وكرامته »

ولقد أخرج أحمد في مسنده ، والطبراني بسند حسن ، عن محمود بن زياد ، عن عباس مرفوعاً « الشهداء على نارٍ نازقة نهر باب الجنة في فيه حصراً يخرج إليهم رفقهم من الجنة غدوة وعشيّة » وفي حياة الأنبياء والشهداء ، يقول القرطبي « لموت ليس بعدم محض ، وإنما هو انتقال من حال إلى حال » ..

ويدل على ذلك أن الشهداء - بعد قتلهم وموتهم أحياء يرفقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا

وإذا كان هذا في الشهداء ، فالأنبياء أحو بذلك وأولى ، وقد صح أن الأرض لا تأكل أحساد الأنبياء ، وأنه - ﷺ احتج بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس ، وفي السماء ورأى موسى عليه السلام قائماً يصلي في مره ، وأخبر ﷺ بأنه يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى ذلك مما يحصل من حمته الفطرية بأن موت الأنبياء ، إنما هو رجوع إلى أنهم عيوني عما لا يتركهم ، وبأن كانوا موجودين أحياء ، وذلك كالحق في ملائكة فإنهم موجودون أحياء ، ولا يرحم أحد من نوع إلا من حبه الله بكرمته من أحيائه » أهـ

والله ، يتحدثون عن الشهداء في استفاضه ، وما أتوا به هذه المناسبة مسألة سؤال القبر بالنسبة للشهيد

ولقد أفنى الإمام سيوصي بأن سؤال القبر ، ليس عاماً للحق ، بل يستثنى منه

الشهيد .. وفي الحديث : أنه ~~كان~~ - مثل : أئمنُ الشهيد في قبره ؟ . فقال كفى ببارقة
السيوف على رأسه فتنة

قال القرطبي في تذكره ، نقلاً عن الحكم الترمذي معناه أنه لو كان عنده بقاء ، فمر
بعد لقاء الرحيم وبري السيوف ؛ لأن من شأن الصادق ، انفراد عدد ذلك وشأن مؤمن
البدل والتسليم لله ، فلما ظهر صدق صميمه ، حيث برز للحرب والقتل ، لم يعد عليه
استوائ في القبر الموضوع لامتحان لئلا يسهل الحاصل ، من المناق

قال القرطبي وإذا كان الشهيد لا يقتل ، فالصديق من باب أولى لأنه أجل قدر
ومن يستثنى الترمذي فقد وردت فيه أحاديث ، وصنعوه ، والصغير في بلد الطرس
محباً وإن مات بغير الطاعون ، صرح به الخافظ بن حجر في كتاب « مدن الماعون »
ولست هذه الحياة البرحية ، للأساء والشهداء فحسب ، وإنما هي لجميع الناس حتى
الكفار منهم .

على أن القرآن والسنة يشيران إلى حياة لكمار بعد الموت قبل القيمة
يقول تعالى عن آل فرعون :

﴿ نَارُ يَعْصُونَ عَلَيْهَا عُدُوَّا وَعَشِيَا ، وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةِ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
عَذَابٍ ﴾ (١) ولا ريب في أن النار التي يعصون عليها ، ليست نار يوم القيمة ، فما هي
القيامة عُدُوَّ وَعَشِيَا وما فيها شروق وغروب .

ثم إن العطف يقتضي التخييل ومطلوب الآية « أن آل فرعون يعصون على النار في
الصباح وفي المساء يزور مكانهم فيها ، ومصيرهم الذي سيصيرون إليه . حتى إذا كان
يوم القيامة نادى مناد آمراً .

« أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ » أَدْخِلُوهُمْ بعد أن كانوا يُعَصُونَ عُدُوَّا وَعَشِيَا ،
أَدْخِلُوهُمْ إلى إهامة مستمرة .

على أن حادثة أصحاب القليب ، معروفة مشهورة رواها الإمام البخاري بعدة
روايات ، ورواها غيره بعدة روايات أيضاً

من هذه الروايات الرواية الآتية عن البخاري :

حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح بن عباد ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة

قال ذكرنا أنس بن مالك ، عن أبي طلحة ، أن رسول الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقدموا في طوى من أطواء بدر حيث محبت ، وكان بدا ظهر على قوم أقدم بالعرضة ثلاث ليال ، فلما كان بدر اليوم الثالث ، أمر برحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى وتبعه أصحابه وقالوا :

ما يرى يهلق إلا لبص حاجته ، حتى قام على شفة الركي فجعل ياديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان بن فلان ، ويا فلان بن فلان . أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله ؟ فإن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فقال عمر يا رسول الله من تكلم من أحساد لا روح فيها ؟ فقال النبي ﷺ « واندى نفس محمد يده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم »

هذه الروايات كلها تتكاتف وتساند ، مع الأحاديث التي رويت في عذاب القبر ومعه ، والتي تحبر أن القبر إما روضة من رياض الجنة ، أو حمرة من حمرة النار ، عند مجموعها على أن كل إنسان بدا هرق الدنيا ، وإنما انتقل من طور إلى طور ، وأنه بدا كال الجسم سبلى ، فإن الروح - مركز الشعور والإحساس والمكر - باقية - تجس وتشر وتفكر

وعن المؤمن عامة ، يحسن أن يورد القصة التالية :

أخرج البيهقي في البعث ، ولطبراني بسند حسن - عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : ما حصرت كعباً الوفاء - أنه أم بشر بيب البرء ، فقال يا أبا عبد الرحمن ، إن لقيت بشراً فآفرته مني السلام ، فقال هـ . يعمر الله لك يا أم بشر . عن أشغل من ذلك فقال .

أما سمعت رسول الله - ﷺ يقول « إن اسمه المؤمن تسرح في الجنة حيث شاءت ، وبسمة الكافر في سجين » . قال . بلى . قالت : فهو ذلك .

أما الحديث الذي صححه أبو محمد عبد الحق ، فهو ما رواه ابن عبد البر في الاستدكار والتمهيد ، من حديث ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن . كان يعرفه في الدنيا بمسلم عبده ، إلا غره ، ورد عليه سلام » . لعل السؤال يسح فيما عن يصدده هو ما نوع هذه حبة التي يحياها لأبياء والشهداء ، وغيرهم ؟

ومن أجل الإجابة على هذا السؤال ، يورد ما ذكره ابن قيم بهذا الصدد في كتابه النعيس « الروح » « إن الله سبحانه وتعالى جعل للدور ثلاثة دار الدنيا ، ودار البرج ، ودار

القرار . وجعل لكل دار حكاماً تختص بها ، وركب هذا الإنسان من تذبذب وقصر ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان ، والأرواح تبعها ، وهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات النساك والجوارح ، وإن اضمحلت النفوس خلافه ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعها ، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها ، والتذت براحتها ، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في أحكام دار البرزخ في عيها وعذابها ، والأرواح حيث تد - هي التي تباشر العذب والنعيم فالأبدان هالكة ظاهرة ، والأرواح حية ، والأبدان كالقبور هالكة والأرواح هالكة^(١) . ظاهرة ، والأبدان حية في قبورها .. فتجرى أحكام البرزخ على الأرواح ، فتري إلى أبدانها بعيداً وعدلاً ، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان ، فتري إلى أرواحها بعيداً وعدلاً ، فاحيط بهذا الموضوع علماً واعرفه كما ينبغي ، بأن عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج

وقد أرانا الله سبحانه - بطلعه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا ، من حال لائم ، فإن ما يعم به أو يعذب في يومه ، يجري على روحه أصلاً ، والبدن تبع له . وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهدًا فيرى اللائم أنه في يومه ضرب ، فيصبح وآثار الصرب في جسمه ، ويرى أنه قد أكل وشرب فسيقظ وهو يجد أثر الطعام وشرب في فيه ، ويذهب عنه الجوع والظما

وأعجب من ذلك أنك ترى اللائم قد يقوم من يومه ، ويصرب ويبطش ويدافع كأنه يقصا ، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ؛ لأن الحكماء جرى على الروح ، استعانت بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ..

فإذا كنت الروح تتألم وتنعم ، وبصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستبصار فهكذا في البرزخ بل أعظم ، فإن تجرد الروح هالك ، أكس واقوى وهي معلة يذهب م سقطع عنه كل الاقطاع

فإذا كان يوم حشر الأجساد ، وقيام الناس من قبورهم ، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً ، ومنى أعطيت هذا الموضع حقه ، تبين لك أن ما أخبر به الرسول - من عذاب القبر وبعيمه ، وصيقه وسعه ، وصمه للأجسام ، وكونه حمرة من

(١) في الدنيا

(٢) في البرزخ

حصر النار ، أو روضة من رياض الجنة - مطابق سقيل ، وأنه حق لا مرية فيه وأن من أشكل عليه ذلك ، فمن سوء فهمه ، وقلة علمه .. أ . هـ .

أما بعد فإننا نحتم هذا البحث بكلمة يفرها حجة الإسلام الإمام العزنى عن تجربة شخصية يؤيد ما هو واضح من بدهيات لحو الإسلامى ، فى هذا الموضوع ، وهى كلمة تعبر عن رأى جميع الصوفية ، وجميع فلاسفة الإشراف

ومن نوب الطريق تندى المكاشفات والمشاهدات ، حتى إنهم فى يقطتهم يشاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ، ويقتبسون منهم نواتد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال ، إلى درجات يصيق عنها نطاق الصوفى

٢ - الصلاة

ويعود إلى رحلة الإسراء . ماذا بعد زمر الجهاد ؟

ثم أتى رسول الله ﷺ - على قوم رُصِح رءوسهم بالصخر وكما رُصِح عادت كما كانت لا يعتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هـ يا جبريل ؟ قال هؤلاء الذين تناقض رءوسهم عن الصلاة المكتوبة .

□ □ □

أتى دور الفروض الدينية ، وبدأت هذه الفروض بالصلاة .
والصلاة هى الركن الثانى فى الإسلام مرتتها نبي بعد الإيمان بالله ورسوله إن لرحلة مشاركة ، ترسم المصطفى والحاصر ويستقبل إليها ترسم الحياة الإسلامية ، فى جميع أحوالها الرسمية فى جانب العقيدة والأخلاق منها والصلاة - هى الوصع الإسلامى عماد الدين ، ومن قامها فقد قام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ومثلها فى حياة المسلم ، كمثل نهر جارٍ عمر (١) على باب أحدكم ، على حد تعبير رسول الله ﷺ يعسل منه كل يوم خمس مرات وعن عبد الله بن قريط رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ - « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله » (٢) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة من لا ظهور له ، ولا دين من لا صلاة له » إنما موضع الصلاة من

(١) الفجر الكثير للاء

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط ، لا بأس بإسناده إن شاء الله

الدين ، كموضع الرأس من الجسد ، إن الرسول ﷺ رأى يوماً فيما يراه الناس -
 تمثيلاً لترك الصلاة ، يشبه التمثيل لدى تقدم يقول صوات الله وسلامه عليه
 » فانطلق فمررت على ملك وأمامه آدمي ، وبين الملك صحرة يصرب بها همة
 الآدمي ، فيقع دماغه جانباً ، وتقع الصحرة جانباً » .. ولما سأل - ﷺ - عن ذلك ، قيل
 له أولئك الذين كانوا يأمون عن صلاة العشاء الآخرة ، ويصون الصلاة لغير مواعيدها ،
 فهم يعتنون بها حتى يصيروا إلى الدار

يقول الإمام القشيري : سمعت الأستاذ : أبا علي اسحاق رضى الله عنه يقول إن
 فيما عليه السلام - أتى للأمة بالمعراج على التحقيق ، فإن الصلاة لها بمنزلة المعراج ، وقد
 كان للمعراج له عليه السلام ثلاث منازل .

من الحرم إلى المسجد الأقصى . ثم من المسجد الأقصى إلى سدة المنتهى ، ثم منها إلى
 قباب قوسين أو أدنى

فكذلك الصلاة ثلاث منازل :

القيام ، ثم الركوع ، ثم السجود - قال الله تعالى
 ﴿وَأَمْسُجًا وَاقْتَرِبًا﴾^(٢)

٣ - الزكاة

وتأتى الزكاة بعد الصلاة في ترتيب مذهب الحياة الذي نحن بصددده .. لقد أتى رسول
 الله ﷺ - على قوم ، على أقبالهم رقاع ، وعلى أديارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام
 يأكلون الصريع ويرقوم . وصعب جهنم فقال : ما هؤلاء ؟ . فقال جرير عليه
 السلام هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلام للعبيد

(١) رواه الطبرقي في الأوسط والصغير ، وقال « تفرد به الحسن بن الحكم الحيري »

(٢) العلق ١٩٠

١ من شعر الأستاذ إبراهيم عبد الفتاح في هذه اللحى

فرص الصلاة عليه غمماً فدرها	حسودون إن أحسنهم نداء
فرحت علينا في السماء الحكمة	هل يستطيع بكهده استسلام
كفى تذكر معراج في صوات	أرى بها شرفاً لنا وعلاء
وعظير من - أئمة - وحساب	صعداً تترك في السماء رجاء
كفى بهجر الأكنواك حين ظلمها	وبعد أناسيت نهبت سعاد
وسجدت بها في السرور حتى ترى	صبح استجاء فمحمد الإسلام

والركاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام . وقد حارب عليها سيدنا أبو بكر رضي الله عنه . وذلك أنه حينما انتقل الرسول ﷺ إلى الرميح الأعلى ، قال بعض القبائل من الأعراب : إنا نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ومستمر يؤدي الصلاة ، ويصوم رمضان ، ويحج . أما الزكاة فيها مادة ومال ، ولا شأن للدين بذلك ؛ وأعلنوا الامتناع عن أدائها . وكان هذا أول تمكير مسحوف من بعض المسلمين في الإسلام . يهدف إلى فصل الدين عن الدنيا أو لمادة ، أو بالتعبير الحديث - يهدف إلى فصل الدين عن الدولة .

فقال سيدنا أبو بكر : سأحاربكم .. إنه سيحارب من أراد فصل الدين عن الدولة . فقبل له : كيف تحارب من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ فكانت إجابته : إن الشهادتين هما حقوق ، إذا امتنع إنسان عن أدائها ، فإنه يحارب عليها وإن من حقوق الشهادتين أداء الزكاة .

روى الإمام البخاري - رضي الله عنه - عن أبي هريرة - نضر الله وجهه - قال : « لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر رضي الله عنه - وكفر من كفر من العرب . بسبب عدم إخراجهم الزكاة ، وامتناعهم عن تديتها - فقال عمر - رضي الله عنه - : كيف نقاتل الناس ؟ وقد قال رسول الله - ﷺ - : « أمروا أن أقاتل الناس حتى يقولوا « لا إله إلا الله » . فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله » .

فقال والله ، لأقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، والله ، لو سعوى عتاقاً^(١) كانوا يؤديونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على معصي

قال عمر - رضي الله عنه - « فوالله ، ما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه . فنقتال ، فعمرت أنه الحق .

من هذا الحديث الشريف ، يعلم أن مانع الزكاة يهدد الوصح وعلى هذه الصورة كافر ، وأنه يحارب حتى يؤديها وإلا قتل .

وقد حارب سيدنا أبو بكر رضي الله عنه - ما يعنى الزكاة ؛ لأنه رأى أن الامتناع عن الزكاة إنكاراً لما ارتداده عن الإسلام . ولم ينعمهم - فيما رأى سيدنا أبو بكر ، فيما رأى الصحابة معه صلاة أو صيام ، أو غير ذلك من الشعائر الإسلامية .

(١) أي شاة صغيرة ، وهي رواية أخرى (عتاقاً) والقصود أي شيء ولو كان يسيراً

ذلك أن الركاة ركى من أركان الإسلام ، والامتناع عن أدائها إنما هو هدم لركى من أركان الدين ..

فيها الركن الثالث يدعها من تحب عبه لمستحقها ، « ليحيى بها نفوساً ، ويشبع بها بطون ، ويمسح بها دموعاً ، ويرى بها آلاماً ، ويألف بها ثواباً وأجرًا من الله » وما من شك في أن الركاة رابطة بين الإنسان وربه . إنها رابطة رضوان من الله ، وأجر وثواب ، وساء وبركة .

ورابطة شكر من الإنسان لله تعالى ، على ما أنعم به وتفصل وأحسن وأكرم . وهي - من ناحية أخرى - رابطة بين الإنسان وأفراد المجتمع الذى يعيش فيه رابطة مودة وتعاطف وتراحم

وقد أمد الله تعالى ، المسح عن أدائها وتوعده بعداب أليم أما الذى يؤديها ، لقد ذكره الله سبحانه وتعالى ، فىمن رضى عنهم ، وأجر لهم ثوبه . يقول سبحانه :

﴿فَإِذْ تَرَكُنَّ مَأْثَرًا نَقَلْنَاهُ لَكَ الْآخِرَى ، إِنَّكَ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ، الذى كذب وتولى ، وسيسخسها الأنقى . الذى يؤتى ماله يتركى وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى ﴿١﴾

ويقول سبحانه :

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُمْ عَلَى ثَوَابِتٍ فَلْيَمْشُوا فِيهَا بِأَبْصَارِهِمْ لَعَلَّ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ، ولله ميراث السموات والأرض ، والله بما تعملون حبير ﴿٢﴾

٤ - الصدقة

وبحوار الركاة ، يحسن الحديث عن الصدقة ، سواء كما بصدد الركاة ، أو بصدد الصدقة ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَمْشَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ، فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ

(١) البقر ١٤ - ٢١

(٢) آل عمران ١٨١

مائة حبة ، والله يصاعف لمن يشاء والله واسعٌ عليم ﴿١﴾ ويقول سبحانه ﴿عَلَّمْنَا مِنْ أَعْطَى
وَأَتَى وَصَدَقَ بِأَخْسَى ، فَسَيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَأَنَا وَمَنْ يَحِلُّ وَاسْتَعَى ، وَكَذَبَ بِأَخْسَى ،
فَسَيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ، وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (٢)

ويقول سبحانه ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْفَهُ ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّاقِينَ﴾ (٣)

لقد رأى رسول الله - ﷺ صورة الممتنع عن الزكاة ، ورأى أيضا فيما يراه
صورة آكل الربا ، ورأى أن تتحدث عن الربا بعد الحديث عن الزكاة والصدقة مباشرة ، لما
يبهما من فرق : هو الفرق بين الخير والشر ..

فالزكاة والصدقة منح وعطاء ، والربا أخذ وسلب

٥ - الربا

فقد رأى رسول الله ﷺ نهراً من الدم يعور كموران المرجس ، وعلى حافتي النهر
ملائكة بأيديهم نار ، كلما طلع طالع قدموه بها ، ويقع في فيه ، مشتمل إلى أسفل ذلك
النهر ، فلما سأل رسول الله ﷺ عنهم ، قيل له : أولئك الذين أكلوا الربا بهم يعدون
بها ، حتى يصيروا إلى النار

أما في رحمة الأسراء والمعراج ، فإنه ﷺ مرّ بقوم بطونهم أمثال البيوت ، كلما
نهض أحدهم حر على الأرض ، فلما سأل عنهم جبريل ، قال : هم أكلة الربا
وللصورة البشعة للربا ، آذن الله سبحانه المتعاملين به بالحرب بعد آذن الله بالحرب
صنعين من الناس

١ - أكلة الربا

٢ - المعادين لأولياء الله ، أعلن الحرب على أكلة الربا في القرآن الكريم . ﴿مُحَادِّثُوا بِحَرْبٍ
مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٤) وأعلن الحرب على من عادى الأولياء ، في الحديث القدسي الذي
رواه الإمام البخاري
« مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ »

(١) البقرة ٢٦

(٢) البقرة ٥

(٣) البقرة ٢٩

(٤) البقرة ٢٧٩

ورمى لمرايى فى لمة الإسماء ، رجل يسبح فى بحر من الدم ، وينقى فى فمه قطع من نار يتلعه ..

« إنه يسبح فى الدماء التى امتصها من تعامل معهم ، وما أخذ من قطع القود تلتهمه برا » . تصوير فى جوفه : تحترق وتشتمل فيها .

ولا ريب أن انطرب المعارض للصدقة والزكاة الطرف سدى يفضه الله ويعص المحاسبين به هو الربا .

ولقد حارب الإسلام الربا حرباً لا هوادة فيها . حاربه لأنه مبدأ ليس بإنسانى ، واستعمل فى محاربته من التعبير أقساه .

لقد حاربه فى جملته وتفصيله ، يقول الله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(١) والمتعاملون بالربا . ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢) . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَالَّذِي لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٣) ولكنه سبحانه وتعالى ، يفتح للمعاملين بالربا ابواب توبه . يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَعْمُوا فَادْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبَسِّمُوا مِنْكُمْ رَعُوسَ أَمْوَالِكُمْ لَا تَغْلِبُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٤) .

وبى لا شك فيه . أن الرب - على أية صورة من صوره يتعارض مع الروح الدينية انعامه ، التى هى الرحمة ، والتعاون . ونذكر فى نهاية الحديث عن الصدقة والربا والزكاة قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥) .

وهى هذه الآية لكريمة يشير الله سبحانه ، إلى أن الشح والبخل وعذم الإنفاق فى سبيل الله إنما هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة

(١) البقرة ٢٧٥
(٢) ختام الآية السابعة
(٣) البقرة ٢٧٦
(٤) البقرة ٢٧٨ - ٢٨١
(٥) البقرة ١٩٥

ويقول سبحانه : ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَأَنْقَضُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْبِبِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقَضُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١) .

وفي هذه الآية الكريمة ، يرشد الله سبحانه وتعالى ، إلى أن أصحاب الأموال قد استحلهم الله سبحانه وتعالى في ماله هو ، وأنهم محرد مستحبين ، وهذا يشير إلى أنهم إذا أساءوا ، فإنه يرفع استحلهم عن المال ، فيصيحوا ولا مان لهم .
ويقول سبحانه : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرُضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، فَيضَاعِفَهُ لَهُ ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٢)

إنه سبحانه وتعالى ، يضاعفه له في الحياة الدنيا ، ثم يحول له الآخر .
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَوُفُودًا يُسْعَى بِنُورِهِمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَيْمَانِهِمْ يُشْرَكُمُ الْيَوْمَ حِجَابٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ، ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣) .

٦ - الثبات على العقيدة

نقلت هذه الرحمة المباركة من التوبة إلى الجهاد مباشرة ، ثم كانت الصلاة والزكاة ممثليين ببقية فروع العبادة .

وقد تحدثت الرحمة عن أنواع من الآثام ، باعتبارها ممثلة لما عدها ، وأن الله سبحانه ، يحاسب عبدها وعلى غيرها من المعاصي ، إذا لم يبادر الإنسان بالتوبة الحاصلة النصوح .
وقبل أن يبدأ في ذكر هذه الآثام ، يتحدث عن قوة الإيمان ، وسان المؤمنين ، والتمسك بالعقيدة ، حتى ولو أدى ذلك إلى الموت عن أي كيفة .. إن الشهداء من أجل عقيدتهم هم رائحة ركبة نسمر حتى يوم القيامة ، وإن الرائحة الزكية التي تنبعث من لأماكن التي استشهدوا فيها ، ولأماكن التي وقفوا فيها ، لتدل دلالة واضحة ، على أنهم في رياض الجنة ، محاطين بروح من نسماؤه ، ومن رحمته .

لقد شم رسول الله ﷺ - في مسراه رائحة طيبة .
فقال ما هذا ، يا جبريل ؟ قال هذه رائحة ماشطة سنن فرعون وأولادها

(١) الحديد ٧

(٢) الحديد ١

(٣) الآية الكريمة ١٢٠ من سورة الحديد

أما قصتهم فهي كما يلي : لقد شتم رسول الله - ﷺ - الرائحة الطيبة ، وسأل عنها
 حيريل ، فأحبره أنها (رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها :
 وبسما تمشط بنت فرعون ، إذ سقط المشط من يدها .
 فقالت : باسم الله ، تعس فرعون . فقالت ابنة فرعون . أولئك رب غير أبي ؟ .. قالت :
 نعم .

قلت : فأحبر بذلك أبي ؟ . قالت : نعم . فأحبرته . فدعاها . فقال : أولئك رب
 غيري ؟

قالت : نعم ، ربي وربك الله . وكان لمرأة زوج وثلاثة أولاد ، أصغرهم رضيع
 فأرسل إليهم ، فراود المرأة وروحها أن يرجعاً عن ديتهما . فأثينا فقال إني قاتنكما ،
 قالت : إحساناً منك إليما - إن فلتنا - أن نجعلنا في مكان واحد ، فتدعنا فيه جميعاً
 فقال : ذاك لك ، بما لك عينا من الحق ، فامر ببقرة من نحاس ، فأخميمت بزي ، ثم أمر
 بهم فألقوا فيها واحداً واحداً حتى بلغ الرضيع - وكانت أمه تحمله - ولشفقتها عليه تلكأت ،
 وكادت ترجع لموافقة فرعون .. فقال : يا أمه ، قسي ولا تقاعسي ، . فألت عني الحق مكان
 هذا الرضيع ممن تكلموا في المهد ، خرقاً لعادة .

ولنا بنا في تاريخ الإسلام ، مواقف مشهورة مشهودة : وقف فيها الصحابة - رضوان
 الله عليهم - مواقف من لا يُبالي على أيّ جب كان في الله مصرعته .

ففي عزوة بدر . استنار رسول الله ﷺ الصحابة في لجهاد ، فقام المقداد بن
 عمرو - رضي الله عنه - وكان من المهاجرين ، فقال « يا رسول الله أمص لما أراك فمضى
 معك » . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا
 ههنا قاعدون » ولكن « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون ، فوالذي بعثك
 بالحق لو سرت بنا إلى برك العماد ، لحالنا معك دونه حتى تبلى » .

وقام سعد بن معاذ . رضي الله عنه - ، وكان من الأنصار ، فسأل رسول الله - ﷺ -
 عما إذا كان يعني الأنصار باستشارته هذه ؟ فبما أجاب رسول الله - ﷺ - بالإيجاب ،
 قال :

« بعد أما وصدقتك ، وشهدت أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيتك على ذلك عهدنا
 ومواثيقنا على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت فمضى معك . فوالذي بعثك
 بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك . ما تخلف منا رجل واحد ،

وما نكره أن تُلَى به عذوبا عداً - يا لصبر في الحروب صدق عبد اللقاء ، نعل الله يريدك
منا ما تقر به عيذك ، فسير على بركة الله .

٧ - الرموز الخاصة باللسان

يقول العرب . « مقتل الرجل بين فكيه » .

ومن المعروف أنه مما يكب لسان على وجوههم في جهنم ؛ إنما هي حصائد أنستهم
ولقد حذر الله سبحانه - هي كثير من آي القرآن - من آثام اللسان ، وحذر رسوله
ﷺ - هي كثير من الأحاديث النبوية - عن آثام اللسان . يقول الله سبحانه وتعالى .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُوا قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُ
عَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْعِنُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَلْعَنُوا قَوْمًا بِالْأَلْسِنَةِ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ
بِهَا النَّفْسَ الْفَاسِقَ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١)

وبصور القرآن مثل المعتاب في صورة دابة الشناعة . يقول تعالى ﴿ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا أَعْجَبَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢)
فقد مثل الله سبحانه الاعتياب ، بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أحمًا ، وجعل الأح
ميتًا ، وعقب على ذلك بقوله ﴿ فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾

ولقد بالت آثم الساد في رحلة الإسراء ، قدرًا موفورًا من التشبيه والتمثيل
١ لقد أتى رسول الله - ﷺ - على قوم نُقِرَصُ أُنْسَتُهُمْ وشَمَاهُهُمْ بمقاريص من
حديد كلما قرصت ، عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء ، فقال ما هذا
يا جبريل ؟

قال - هؤلاء خطباء الفتنة ، خطباء أمتك ، يقولون ما لا يفعلون
٢ وأتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فجعل الثور يريد أن أن يرجع من
حيث خرج فلا يستطيع . فقال : ما هذا يا جبريل ؟
قال هذا مثل الرجل يكتم بالكلمة الطيبة ، ثم يندم عليها ، فلا يستطيع أن يردّها
٣ ورأى قومًا أصغرهم من نحس ، يحسثون بها وجوههم وصدورهم

(١) الحجرات ١١

(٢) الحجرات ١٢

فقال : من هؤلاء يا جبريل ؟

قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم

؛ ورأى قوماً تُقَطَّعُ أُغْصَانُهُمْ ، وتُجْعَلُ لُحْمُهُمْ ذِكْرًا ، فقال : من هؤلاء

يا جبريل ؟

قال : هؤلاء مثل النمازيں واضعاريں واللماريں

٥ - وفي إحدى رؤاه ﷺ - رأى ملكًا ، وبين يديه آدمي ، وبه الملك كلوب من

حديد ، فيصمغه في شدة الألم ، فيشقه حت يتهدى إلى أذنه ، ثم يأخذ في الأيسر فالتثم

الأيمن .. فلما سأل جبريل عنه ، قال له :

« أولئك الذين كانوا يمشون بين المؤمنين بالنعمية ؛ ليعرقوا بينهم ، فهم يعبون بها حتى

يصيروا إلى النار » .

٨ - آثام الجوارح

والجريمة الكبرى الجريمة الأساس ، إنما هي الإلحاد ، يقول سبحانه ﴿ قل هل

ستحكم بالأشعر أم بالأبصار ﴾ ، الذين صلَّ سُنَّهم في حياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسبون

صُنْعَ أولئك الذين كفروا ، آيات ربهم ولما نُفِيتْ أَعْدالُهُمْ ، فلا تقيم لهم يوم القيامة

وزنًا .. ذلك جزؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورُسلي هُزُولًا ﴿١﴾

وقد وضع الله سبحانه وتعالى للمصالحين تمثيلًا في القرآن الكريم بين فيه العمل

والأسباب ، وأوضح فيه الساتع ، وأسفر عن الصورة صراحه ، لا يحجبها قناع .. يقول

سبحانه .

﴿ وانزل عليهم بنًا الذي آتيناه آياتنا فانسخ منها فأتبعه لشيطان فكان من الغاوين

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أجلد إلى الأرض وأتبع هواه فعاث كمثل الكلب إذا نحسرت عليه

يدته أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ ﴿٢﴾

وجرائم الجوارح ذكر الله سبحانه وتعالى ، كثيرًا منها في قوله تعالى

﴿ قل تعالوا آتوا ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ،

(١) الكهف ١٣ - ١٦

(٢) الأعراف ١٢٥ - ١٢٦

ولا تقتلوا أولادكم من إبلانكم بحسب رزقكم وإياهم ولا تقربوا العواشي ما صهر منها وما بطن
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا باحق ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون .

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ويوفوا لكيل والميراث بالقسط ،
لا تكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قتلتم فاعذبوا ولو كان ذا قرى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون .

وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم
به لعلكم تتقون ﴿١﴾

وبعد ذكرت الرحلة المباركة بعصر الرموز التي تمثل آتيم الجوارح ذكرت البصص ولم
تذكر الكل . وذلك أنها ما كانت بصدد الإحصاء والامتصاص

١ - من ذلك مثلاً . أن رسول الله - ﷺ - أتى على قوم بين أيديهم لحم يصح في
قدر ، وخم من حبث ، فجمعوا يأكلون من السوء الحبيث ، ويذعنون الضيغ فقال
ما هؤلاء يا جبريل ؟

قال هذا الرجل من أمك تكون عند امرأة خلان الطيبة ؛ فيأتي امرأة حبث فيبيت
عندها ، حتى يصبح والمرأة تقوم من زوجها خللاً طيباً ، فيأتي رجلاً حبث فيبيت عنده
حتى تصبح .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿الرانية والراني فاجدوا كل واحد منهما مائة جدة ولا تأخذكم بهما رفقة من دين الله
إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عداهما طائفة من المؤمنين﴾ (٢)

٢ ثم أتى على رجل قد جمع حزمة حطب عظيم ، لا يستطيع حملها ، وهو يريد
عليها .. فقال : ما هذا يا جبريل ؟

قال هذا الرجل من أمك تكون عليه أمانات الناس ، لا يقدر على أدائها ، وهو يريد
أن يحمل عليها ،

ورسول الله - ﷺ - يقول

« لا إيمان لمن لا أمانة له » ..

(١) الانعام . ١٥١ - ١٥٣

(٢) النور ٢

٣ - وفي حديث أبي سعيد . أنه رأى أحنوة عليها حم طيب ، يس عليها أحد ، وأخرى عليها حم ثن : عليها ناس يأكلون ..

قال جبريل : هؤلاء الذين يتركون الحلال ، ويأكلون الحرام
٤ - وأنه مرّ بقوم مث فرهم كالإبل يستقمون حمرا ، فيخرج من أسفلهم ، وأن جبريل قال عنهم هؤلاء الذين يأكلون أموال البتامة صلما .
أما جراء أصحاب الآثام إذا لم يتوبوا ، فهو دخولهم في جهنم ، حيث العذاب ألوانا

وعن جهنم نقول . إن رسول الله ﷺ - أتى على واحد ، فسمع صوتا مكررا ، ووجد ريحا منتنة

فقال ما هذا يا جبريل ؟
قال . هذا صوت جهنم تقول .
« رب آتني ما وعدتني ، فقد كثرت سلاسل وأغلال ، وسعيري وخيمي وصريري وغساقتي ، وعدتي وقد بعد قعري ، واشتد حرّي ، فأتني ما وعدتني »
قال . لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت . قد رصيت .

٩ الوصول إلى بيت المقدس

ووصل رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس . وفي رواية أنس عند مسلم .
« ثم دخلت المسجد ، فصبت فيه ركعتين ؛ ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام ، بإناء من حمراء وإناء من لبن . فاحتوت اللبن .

فقال جبريل احترت المصرة ، أي احترت اللبن الذي عليه بيت الحقيقة
وقال النووي : المراد بالمطرة هنا : الإسلام والاستقامة
والحمراء في التعبير الإسلامي - هي أم الحبائث ، وأحبر الله سبحانه وتعالى أنها رجس من عمل الشيطان
وقد لعن الله . شاربها وبائعها وحاملها وانحمله إليه ، ولعن . عاصرها ، والمتجر هبها ، على أي وضع كان

والبيرة من أنواع الخمور ، وكل ما سُكر كثيره فقلبه حرام .

وفي رواية ابن مسعود نحوه أي نحو رواية أنس السابقة ثم دخلت المسجد فعرفت
السَّيِّئَ ما بين قائم وراكع وساجد . ثم أدن مؤذن ، فأقيمت الصلاة فقما صفوفًا بنظر
من يؤمنا . فأخذ بيدي جبريل فقدمي ، فصليت بهم .
وفي رواية أبي ثمامة عن الطبراني ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا ، حتى قدموا
محمدًا - ﷺ -

٩٠ - عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى

ثم عرج به ﷺ إلى السموات العلا ، فتجاوزها سماءً سماءً . حتى تجاوز الكون
كله ، وكان عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى .. الجنة التي يأوي إليها المتقون من عباد
الله . رشم رسول الله - ﷺ - ريشًا عليه باردة كريج المسك ، وسمع صوتًا
فقال : « ما هذا يا جبريل ؟ »

قال : « هذا صوت الجنة ، تقول ربِّ آتني ما وعدتني به ، فقد كثر عرقي واستبرقي ،
وجري وسندي ، وعبرتي ولؤلؤي ، ومرجاني وبعثتي ، ودمي وأكروبي ، وصحامي
وأباريقي ، ومراكبي وعسلي ومائي رلي وحري فأتني بما وعدتني
قال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي ، وعمل صالحًا ،
ولم يشرك بي شيئًا ، ولم يتخذ من دومي أندادًا ومن حشيتني ، ومن سألني فقد أعطيته ،
ومن أقرصني جازيته ، ومن توكل على كفيته إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أحيف أبدع
قد أفدح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الحاكمين .
قالت : قد رصيت .. »

٩١ - إذ يغشى لسدرة ما يغشى

في إيهام « ما يغشى » من التصحيم ، ما لا يحصى .
فكان لعاشي أمرًا لا يحيط به نطاق البيان ، ولا سعه ، داس الأدهان
وصبغة الصبوع لحكاية الخال الماصية ، استحصارًا لصورتها البديعة ، وجورًا أن يكون
بلايدان باستمرار العشيان بطريق التجدد
وورد في بعض الأخبار ، تعيين هذا العاشي .
وعن الحسن :
« عشيها نور ربِّ العرّة جلّاله »

ومحوه ما روى عن أبي هريرة :
« يغشاها نور الحق سبحانه »^(١) .

المشاهدة

يقول الله تعالى :

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى . كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٢) .

ويقول الإمام ابن حجر :

« وقد أخرج الأُمويُّ في معاريه ، عن طريق البيهقي عن محمد بن عمرو ، عن أبي
سعدة ، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - في قوله تعالى :
﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾^(٣) . قال : دنا منه ربه .

يقول الإمام ابن حجر وهذا سيد حسن ، وهو شاهد قوى لرواية شريث ، ويكون
المعنى على خرار : « ينزل ربه » .

ثم يسأل : هل رأى محمد ﷺ - ربه ؟ هل شاهد التحلل والحمد ؟

نقول قولا : إن الإمام الصاوي ذكر بمصاحبة تفسير قوله تعالى

﴿وَمَا مِمَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْنُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾^(٤)

إن هذه الآيات ، حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية ، رداً على عيبتهم . والمعنى
ليس ما أحد إلا له مقام معنوم في المعرفة والعبادة ، وامتنان ما يأمرنا الله تعالى به

قال ابن عباس . « ما في السموات موضع شبر ، إلا وعنده منتهى يصلى ويسبح » . ثم
يقول الإمام الصاوي

قيل إن هذه الآيات الثلاث ، رتب ورتبوا لله ﷻ عبد سادة فتهي ، فتأخر
جبريل ، فقال النبي - ﷺ :

أها تمارقني ؟

(١) عن الألبسي

(٢) النجم ٩

(٣) النجم ١٢

(٤) الصافات ١٦٤ - ١٦٦

فقال جبريل : ما أستطيع أن أتقدم من مكاني هذا
وأمر الله تعالى حكاية عن ملائكة ﴿وما من إلا له مقام معلوم﴾
ورقف جبريل ، واقترب محمد ..

لقد ذهب غير واحد من قوله تعالى :
﴿ثم ذنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾^(١) إلى أنه هي
أمر العروج إلى لحاب الأقدس ، ودنوه سبحانه منه - ﷻ - .
ثم عللاً فوق ذلك ، بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سارة المنتهى ، فأوحى الله إليه بما
أوحى نحمسين صلاة .. الحديث .. فإنه ظاهر فيما ذكر

يقول العلامة الطيبي ، بما يرويه الإمام الألويسي
« ولا يحصى على كل ذي لب ، بدء مقام « فأوحى » . الحمل على أن جبريل أوحى
إلى عبد الله « ما أوحى » . إذ لا يدورق منه أرباب لصوب إلا معنى المتأخاه بين المتساريس ،
كما يصيق عنه بساط الوهم ، ولا يصيقه بصادق الفهم
وكلمة « ثم » على هذا للتراخي الرتبى .

والفرق بين الوجهين . أن أحدهما وحى بواسطة وتعيين ، والآخر غير واسطة بجهة
التكريم .

وعن جعفر الصادق - عليه الرضا - أنه قال لما قرب الحبيب غاية القرب ، نالته غاية
هنية . فلاحظه الحق سبحانه بعناية اللطف . لأنه لا تتحمل غاية الهية إلا بعناية اللطف ، وذلك
مثل قوله تعالى

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾

أى كان م كان ، وجرى م جرى . هل الحبيب للحبيب ، ما يقوله الحبيب بحبيه ،
وألطف به إطفاف الحبيب بحبيه ، وأسر به ما يُسرُّ الحبيب إلى حبيه . فأحميا وم يطلعا على
سرهما أحداً

وإلى نحو هذا يشير ابن الفارض بقوله :
ولقد حدثت مع الحبيب وبينا
سر أرق من السب إذا سرى

ومعظم الصوفية على هذا ، فيقول يدنو الله عز وجل من النبي - ﷺ - ودنوه سبحانه على الوجه اللائق ..

وقال بعضهم في قوله تعالى ﴿وَمَا رَأَى الْبَصَرُ وَمَا طَعَى﴾^(١) أى « ما رأى » بصر النبي - ﷺ - ، وما التفت إلى الحجة ومرحلاتها ولا إلى الجحيم ودرجاتها ، بل كان شحصاً إلى الحق .. « وما طعى » عن الصراط المستقيم .

وقال أبو حفص السهروردي ما رأى البصر حيث لم يتحلف عن البصيرة ، ولم يتقاصر .. « وما طعى » لم يسبق البصيرة ويتعد مقامه ..

وما من شك في أن المشاهدة أرواح وألوان والمشاهدة هـ على الوجه اللائق أما كيفيتها فلا يعلمها إلا الله ورسوله

□□□

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ
إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية ٠ ١٦٦

الفصل العاشر :

طرق في إثبات النبوة

د طرق في إثبات النبوة ،

يشاوت الناس في طاعتهم التي يشنون بها النبوة - وعددا عدة طرق نعتبر - بمجرد ذكرها - عن معاستها في الاستدلال

وليس من أجل تغييرها الواضح - في حاجة إلى شيء كثير من التعليق عليها - بل إنه ليكفي مجرد ذكرها .

وحي نذكرها بعضها دون ترتيب معين .

وهذا الذي نذكره هنا ، هو في غاية السهولة .

وسيرى القارئ مزارع مختلفة - من منطق ومن الحكمة - نُجمل ما يكون المنطق ، وأنحكم ما تكون الحكمة

سرى القارئ الأدلة العقبية في أنوار شيء منها ما يرجع إلى السيرة الشخصية للرسول ﷺ ، ومنها ما يرجع إلى تعاليمه لعظمته ؛ ومنها ما يرجع إلى ثقة أصحابه فيه ، ومنها ما يرجع إلى انتمائه هو عليه السلام ، ومنها ما يرجع إلى الآثار الحميدة التي ترتبت على الرسالة . ومنها ما يخرج من بعض هذه الأدلة ، ومنها ما يجمع بينها

وبعض الذين عاشروه ﷺ مثل البعثة - أقاموا به دون استدلال ، إنهم ليعرفون فيه الصدق والأمانة وحكمة ، فمادام يعرفون بعد ذلك ؟

قد عرفوه علاناً مبركاً ، وشأناً آمياً ، ورجلاً ناصحاً - فأما بمجرد سماع الخبر وإن في ذكر هذه الألوان انديعة من منطق انبيهم ، لمتعة عقبية وروحانية بقدرى الكريم ومن تتبع منهج القرآن في إثبات النبوة ، وهذا المنهج ، اتبعه الإمام العزالي ، واتبعه عم الاجتماع الكبير (ابن خلدون)

ولأجل أن يكون منهجاً - من أوامير الأمر - وصحاً ؛ فإن نورد هنا ، شحة حافظة عن منهج القرآن ، تطلوها فكرة الإمام العزالي ، ومنهج الإمام ابن خلدون في ذلك ، ولكنها مباحة عامة تثبت النبوة من روايا كثيرة ، ثم تتبع ذلك بطرق شبه خاصة

والطريقة القرآنية هي إثبات النبوة ، هي بإيراد أدلة كثيرة تشكك في لؤدى إلى إيقين

إن القرآن الكريم ، تحدى العرب والعجم ، والإس والحق أن يأتيوا بمثله ، أو بسورة من مثله وكان لقرآن - ولا يزال - معجزة الرسول ﷺ ، وقد كتب عن ذلك في مكان آخر .

ومع ذلك ، فإن لقرآن والرسول ﷺ ، يأتيان بأدلة كثيرة أخرى ، ولا تلبث السيوة ولم الشك في أمر الرسول ، ﷺ مع أنه لو أنجزهم .
 أن حيلاً ورد الوادي ستعير عليهم لصدقوه ؛ لأنهم لم يعهدوا عليه كذب ؟
 على أنه قد لبث بهم من قبل ذلك أربعين عاماً ، فلم يحدثهم سيوة ولا برسالة !
 ذلك أن هذا الأمر ، إنما يرجع إلى مشيئة الله بحسب
 ﴿ قل لو شاء الله ما سوته عليكم ولا أدراككم به لقد بشت همكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ؟ ﴾ (١)

ويطلب إليهم القرآن أن يتفكروا في أمر صاحبهم هذا الذي مشأ يسهم وترعزع عني مرأى ومسبحهم ، بل كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم بالصدق ، والأمانة ، ورجاحة العقل ، قال تعالى :

﴿ قل إنما أعزكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفراذى ، ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ (٢)

ولم الشك في أمره مع أنه قد تجرد من كل مطمع دنيوى (٣)

(١) سورة يونس آية ٦١

(٢) سورة سبأ آية ٤٦ والتمى على ما ورد في التفسير « ملخصاً »

إنما أعزكم بوحدة إن علمتموها أصبغ الحق وبخلفهم وهي أن تقوموا بوجه الله حالاً منعرفين اثنين اثنين ووحداً واحداً « ثم تفكروا » في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به

أما الاثنان فيفكران ويعرض كل واحد منهما لمحصل فكره على صاحبه وينظران فيه متصادفين مناصبين ، لا يحيل بهما اتباع هوى ، ولا يفرهما عرف عصبية ، لا يلهج بهما المكر الصاع والنظر الصحيح على جناحه الحق رسته وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدد ونصفه ، غير أن يكابر ويعرض فكره على عقله ودعته وما استقر عنده من عذاب العقلاء ومجاري أحوالهم

والذي أوجب تفرقهم مثنى ومأدى أن الاجتماع لما ينشئ الحواضر ويعتق من الرؤية ومع ذلك يعل الإنصاف ويكثر الاعتصاف

وقد علمتم أن عمداً من الله عليه وسلم ما به من حبه ، بل علمتموه أرجح قرين عقلاً ، وأصوبهم رأياً وأصدقهم قولاً ، وأزهدهم دنياً ، فكان مظنة لأن نظروا به خير ، وإذ علمتم ذلك كما أنكم لم تغالروا بأن يأتيكم نابه (٣) التفكير الفلسفى ص ٥٨

﴿مَنْ مَا سَأَلْتَكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١)
 ولم الشكك في أمره وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ١ ومن كانت حانته هذه لا يمكنه
 أن يستعمل ما يقول من كتاب ، قال تعالى .

﴿وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحِطُوهُ بِمِثْرِ إِدَا لَارْتَابَ الْبَاطِلُونَ﴾^(٢)
 هذه الظروف ، وهذه الملابس فصلاً عن القرآن الكريم - ترشد إلى أن محمداً ﷺ ،
 كان صادقاً في دعواه^(٣)

الإمام الغزالي وإثبات النبوة

هذه الطريقة تأسى بها الإمام الغزالي
 إن الإمام الغزالي يرى أن النقص فيما يتعلق بدلائل النبوة لا يستفاد من طريق واحد ،
 وإنما تكاتف عدة دلائل ، فتفيد اليقين بمجموعها
 إنه يرى أن المعجزة بنفسها إذا استفتت لا تؤدي عند بعض الناس ، إلى اليقين
 التام

إنها لم تؤدي إلى ذلك عند فرعون ومن تبعه بآلئة معجرات سيدنا موسى عليه السلام ،
 وقالوا : ساحر كذاب

وم تؤدي إلى ذلك عند من بشر لديهم عيسى عليه السلام ، والأولاء كذبهم ، وما آمن
 به إلا القليل : الذي لا يكاد يذكر .

وهؤلاء الرسل الذين دمر الله قومهم تدميراً ، ألم يأتوا بمعجرات ؟
 لقد كان التدمير ، لأنهم طلبوا المعجرات فما أتتهم كتبوا بها وأعرضوا عنها ، ولم
 يستجيبوا لنداء الهداية

ما هي الطريقة الصحيحة فيما يرى الإمام الغزالي مابعاً في ذلك القرآن الكريم
 لإثبات النبوة ؟

إننا نتركه يتحدث عن ذلك بنفسه - إنه يقول

(١) سورة سبأ آية ٤٧

(٢) سورة الضحى آية ٤٨

(٣) التفكير الفلسفي ص ٥٩

« فإن وقع لك شك في شخص معين أنه نبي أم لا ؟ فلا يحصل يقين إلا بمعرفة أحواله .

إما بالمشاهدة ، أو بالتواتر ، والتسامع
فإنك إذا عرفت الطب ، وادققه ، يمكنك أن تعرف الفقهاء ، والأطباء بمشاهدة أحوالهم ، وسماع أقوالهم وإن لم تشاهدهم

ولا تعجز أيضاً عن معرفة كون « الشافعي » رحمه الله فقيهاً ، وكون « جالينوس » طبيباً ، معرفة بالحقيقة ، لا بالتقليد عن الغير ، بل بأن تتعلم شيئاً من الفقه والطب ، وتطلع كتبهما وتصانيفهما ، فيحصل لك علم ضروري بحما

فكذلك إذا فهمت معنى النبوة ، فأكثرت النظر في القرآن ، والأخبار ، يحصل لك العلم لضروري ، بكونه ﷺ ، على أعلى درجات النبوة . وأعصم ذلك تجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب ، وكيف صدق في قوله
« من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم » ؟

وكيف صدق في قوله .

« من أعان ظالماً سلطه الله عليه » ؟ !

وكيف صدق في قوله .

« من أصبح وهوومه همٌّ واحد (هو التوفى) (١) كساه الله تعالى هموم الدين والآخرة » (٢) !!

فإذا جرت ذلك في ألف ، وألفين ، ولاف حصل لك علم ضروري لا يتمنى فيه من هذا الطريق اطّلع اليقين بانبوسة ، لا من قسب العصا نعباناً ، وشق القمر ، فإن ذلك يد بصرته إله وحده ، وم تصمم إليه لقرائن كثيرة الحارحة عن الحصر - بما طست أنه سحر وتحويل ، وأنه من الله إصلاال ؛ فإنه تعالى « يُصلُّ من يشاء ، يرهب من يشاء » وترد عليك أسئلة المعجزات ، فإن كل مُسْتَشَدِّ إيمانك إلى كلام مظلوم في وجه دلالة معجزة ، فبحرم إيمانك بكلام مرتب في وجوه الشكالك والشبهه عيب

فيمكن مثل الحوروق ، إحدى الدلائل والقرائن في محنة بطرك ، حتى تحصل لك علم

(١) ما بين القوسين زيادة عن المجمع الصغير ، وصحاحها لبيان للمنى

(٢) وفي متن في نسخة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

« .. ومن جعل همومهم واحداً ، هم المهاد ، كساه الله هم الدنيا ، ومن تشعبت به طيول في أحوال الدنيا ، لم يبال الله في أي أودجه هلك »

ضرورى لا يمكنك ذكر مستنده على النعير ، كاسى يحبره جماعة بحبر مواتر : لا يمكنه أن يذكر أن النعير مستفاد من قول واحد معين ، بل من حيث لا يدري ، ولا يخرج عن جملة ذلك ، ولا بعين الاحاد فهذا هو الإيمان القوى العمل وأما الدوى ، فهو كالمشاهدة والأحد باليد ، ولا يوحد إلا فى طريق الصوفية ، فهذا القدر من حقيقة النبوة - كافي في العرص الذى أقصده الـ « وسأذكر وجه الحاجة إليه » (١) اهـ .

ابن خلدون وإثبات النبوة

يقول ابن خلدون ، فى مقدمة السادسة ، من كتابه النعير « المقدمة » اعلم أن الله سبحانه ، اصطفى من البشر أشخاصاً فصلهم بحطانه ، وفطرهم على معرفته ، وجمعهم وسائل فيه وبين عبادته يعرفونهم بمصالحهم ويحرصونهم على هدايتهم ، ويأخذون بحجزاتهم عن النار ويدونهم على طريق النجاة وكان فيما يلقه إليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق والأخبار الكائنات ، معينة عن البشر التى لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بواسطتهم ، ولا يعصمهم إلا بتعليم الله إياهم .. قال عليه السلام « أَلَا وَابْنِي لَا أَعْمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ » واعلم أن حبرهم فى ذلك ، من خاصته وضرورته لصدق ، لما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة

وعلمة هذا الصنف من البشر أن توحد هم فى حال الوحي عليه عن الخاصين معهم مع عظيم كآنها عشى أو عماء فى رأى العرس ، وليس منهما فى شئ ، وإنما شئ - فى خفيفة استعراق فى لقاء احد . الروحانى بإدراكهم المناسب هم ، الخارج عن مدرك البشر بالكية ثم يمر ، بل اندارك بشريه إما بسماع دوى من الكلام فينتهمه ، أو يتمثل له صورة شخص يحاطبه بما جاء به من عند الله ثم تمجى عنه تلك الحال ، وقد وعى ما أتى عليه

(١) راجع العدد من الضلال : تعقيب الطبعة السابعة

قال ﷺ وقد مثل عن الوحي :

« أحياناً يأتيني مثل صَلَصَلَةِ الْحَرَسِ ، وهو أشده على ، فيمضى على وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول »
وبدركه أثناء ذلك ، من الشدة والعظما لا يُحبر عنه ففي الحديث
« كان مما يهالغ من التزليل شدة » .

وقالت عائشة

كان يمر عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيمضم عنه وإن جبيه ليمضد عرقاً
وقال تعالى : ﴿ إِنَّا سَلَفْنَا عَلَيْكَ مُوَلَّا ثَقِيلًا ﴾^(١) .

ولأجل هذه الحالة في نرس الوحي ، كان امشركون يرمون لأبياء بالجنون ويقولون له
رئي ، أو تابع من الجن وإنما ليس عليهم ، بما شاهدوه من مظاهر تلك الأحوال .
﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾^(٢) .

ومن علاماتهم أيضاً أنه يوجد لهم قبل الوحي - حلل الحبر والركاة ، ومحانية
المدحومات والرجس أجمع .

وهذا هو معنى العصمة وكأنه منطور على النره عن المدحومات والسافرة ها ، وكأنها
صافية لحيته

وفي الصحيح أنه حمل الحجارة وهو علام مع عمه العباس ، لباء النكبة ، فحعبها في
إزاره ، فاكشف ، فسقط معشياً عليه ، حتى امشرك يارره ، ودعى إلى مجتمع ويمة ليها
عُرس ولعب ، فصابه عشى النوم إلى أن طلعت الشمس ، ولم يحصره شئ من شأنهم ، بل
بره الله عن ذلك كله ، حتى إنه - حبله - يره عن المظعومات المستكرهة ، فقد كان
ﷺ لا يقرب البصل والثوم ، فعيل له في ذلك ، فقال « إني أناجي من لا تاجون »

وانظر ، لما أخبر النبي ﷺ خديجة رضى الله عنها ، بحل الوحي أول ما فتحه وأراد

اختباره

نقلت : اجمنى بك وبين ثوبك ؛

فلما فعل ذلك ، ذهب عنه

نقلت : إنه منك ، وليس بشيطان .

ومعناه : أنه لا يقرب النساء

(١) الزم ٥

(٢) الرعد ٣٣

وكذلك سأله عن أحبّ الثياب إليه أن يأتيه فيها .

فقال البياض والحضرة

مقالت . إنه المثلث

يعنى أن البياض والحضرة من ألوان الحبر والدلائك . والسود من ألوان الشر والشياطين ، وأمثال ذلك .

ومن علاماتهم أيضاً : دعاؤهم إلى الدين والعبادة من الصلاة وصدقة والعفاف وقد استدلت السيدة خديجة رضى الله عنها ، على صدقه ﷺ بذلك ، وكذبت أبو بكر ، ولم ينجأ في أمره إلى دليل خارج عن حاله وحلقه

وفي الصحيح أن هرقل - حين جاءه كتاب النبي ﷺ يدعو إلى الإسلام - أحصر من وجد بيده من فريش ، وفهم أبو سفيان : ليسأله عن حاله ، فكان فيما سأل أن قال : بم بأمركم ؟ فقال أبو سفيان بالصلاة ، وتركاة ، والصلة والعفاف ، إلى آخر ما سأل فاجابه فقال إن يكن ما تقول حقاً فهو نبي ، وسيملك ما تحت قدمي هاتين »

والعفاف الذي أشار إليه أبو سفيان هو العصمة

فانظر كيف أحد من العصمة والداء إلى الدين والعبادة دليلاً على صحة نبوته ، وم يحتج إلى معجزة ، فلعل أن ذلك من علامات النبوة ||

ومن علاماتهم أيضاً : أن يكونوا دوى حسب في قومهم .

وفي الصحيح . « ما بعث الله نبياً ، إلا في سعة من قومه »

وفي رواية أخرى : « في ثروة من قومه »

استدركه الحاكم على الصحيحين .

وفي مسألة هرقل لأبي سفيان كما هو في الصحيح قال .

« كيف هو فيكم ؟ »

قال أبو سفيان

« هو بينا دو حسب » .

فقال هرقل :

« والمرسل تبعث في أحساب قومها »

ومعناه أن نكوب به عصاة وشوكة تسمعه عن أدنى الكفار ، حتى يسمع رسالة ربه ، وبسم
مراد الله من إكمال دينه وملكه .

إسلام خديجة رضي الله عنها

يتحدث ابن حنبل - طيب الله ثراه - عن السيدة خديجة ، رضي الله عنها ، وعن أبي
بكر ، رضي الله عنه ، في إسلامهما ، فيقول : إنهما

لم يحتاجا في أمره ﷺ إلى دين خارج عن حله وحلقه « أهـ

كيف أسلمت خديجة رضي الله عنها ؟

لقد رجع رسول الله ﷺ من الغار إلى بيته ، بعد أن فجأه الوحي في غار حراء رجع
يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد ، فقال .

« رملوني ، رملوني »

فزملوه حتى ذهب عنه الروح

فقال لخديجة أخبرها : لقد خشيت على نفسي

فالت خديجة :

كلأ ، والله ، لا يخزيك الله أبداً : إنك لتصل الرحم ، وتقري الصيف ، وتحمل الكل
وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق

وبذلك أسلمت خديجة ، رضي الله عنها ، وذلك أنها صدقت ، وأمنت ، وأقسمت
على أن الله سبحانه وتعالى متول رسول الله ﷺ برعايته وعانيته وعنت دنت بما تعرفه
عه من الرحمة والحق الكريم .

وكانت بذلك أول من اعتنق الإسلام بعد رسول الله ﷺ

وهي - وإن كانت قد ذهبت في ورقة وإن غيره - هي ما كان ذلك لنكوب الرؤية والصحف
في دهها وهي دهه ﷺ

ونقد سبق إيمانها سواها !!

والسيدة خديجة رضوان الله عليها في صلتها برسول الله ﷺ تستحق درامته
أوسع ، وتفصيلا أكثر .

ومن أجل ذلك كتبنا الآتى :

رعى الله عنها : قد كانت تسمى وريرة صدق .

وكانت تسمى : الصاهرة

وكانت تسمى : سيدة نساء قريش

قال المؤرخ الكبير ابن إسحاق ، عن السيدة خديجة رعى الله عنها

« وكانت خديجة وريرة صدق .

ويقول السهيلي ، صاحب : الروض الألف :

وخديجة بنت حويلد تسمى : الطاهرة فى الجاهلية والإسلام

وفى سيرة النعماني أنها كانت تسمى سيدة نساء قريش .

وقالت عائشة رعى الله عنها :

كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة ، لم يكذب أسماً من ثناء عليها ، واستحسان لها ،

عذكرها يوماً ، فحملتى العيرة ، فقلت

قد عوصك الله من كبيرة السن قلت فرأيت عصب عصباً فأسقط فى يدي

وقفت فى نفسى .

« لئن لم أكن أذهب عصب رسولك عنى ، لم أعد أذكرها بسوء »

فلما رأى النسي ﷺ ما قلب قال .

كيف قلت ؟ والله ، كنت بى إذ كتبتى الناس ، ورأسى يد رعى الناس ، ورقت

مها الولد وحرمتى مى . قالت : فعدا وراح على بها شهراً »

ولساها بصند التاريخ لحبة وريرة ، صدق الطاهرة سيدة نساء قريش ، وإنما يريد

أن يرسم بعض لوحات من حياتها ، ليرى منها الدرجة السامية التى كانت عليها ، روية ،

وعقلاً ، وعصرة طاهرة ، وذكاء ، وفطنة

وصفتها بالرسول ﷺ : تبدأ ، فى صورة وثيقة بعمله لها فى مالها ، متاجراً به .

ولقد غرقت بسبب ذلك ، بصورة طبيعى عن قرب . ولاحظت - متعمدة وصير

متعمدة - الكثير من الحلال الجميلة ، التى تمنى بها وحدثها غير واحد عن وكسها فى

المحارة ، وحدثها ميسرة حديثاً مثيراً يبعث فى النفس العجب والإعجاب

وبدأت ، فكرة الروح محمد تنبؤ فى نفسها الصاهرة شيئاً فشيئاً ، ولكنها ما كانت

تتعجل الأمور

وما هي دى تذهب إلى ابن عمها ورقة بن نوفل ، وتذكر له ما لاحظته من صفات محمد وأحواله ، وتذكر له ما قاله ميسرة مما رآه ، ومما سمعه ، فيقول ورقة :

« لئن كان هذا حقا يا حديجة ، إن محمداً نبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن هذه الأمة نبي ينتظر ... هذا زمانه » اهـ

وعادت حديجة من عند ابن عمها ، وقد أصبحت فكرة نروح بمحمد أكثر تبيورا وأكثر جدابة

وما كانت الجادية - في أساسها ، أو في أهدافها - تتمثل في الجانب الجسماني ، وإن كان محمد من أحسن الناس خلقا

وما كانت تتمثل في جانب الثروة ، فم كان محمد صاحب نزع عريض وإن كان عبده من لداء ما يمكنه لو أراد أن يكون من أصحاب الثروات ، وإنما كان متطلبا لجادية

هذه لسماح الخلق الكريمة ، وهذه الروحانية البديعة الشفافة ، وهذه الإشراقات التي تملأ ثم تحمت ، ثم تعود إلى لآلئها من جديد ، مفادة أخادة ، مادا يكون من الأمر !!

ودات يوم بدأت الطاهرة في الأحد في المقدمات

ولم تكن المقدمات مقدمة واحدة

أما أولاه - فيما يرى - فهو ما رواه العاكهي في كتاب . مكة . قال .

عن أنس ، أن النبي ﷺ ، كان عند أبي طالب ، فاستأذنه أن يتوجه إلى حديجة ، فأذن له وبعث بعده جارية له يقال لها بعة ، فقال .

انظري ما تقوله له حديجة

قالت بعة فرأيت عجبا ما هو إلا أن سمعت به حديجة ، خرجت إلى الباب ، وكان

مما قلت أرجو أن تكون أنت النبي دى سمعت ، فإن تكر هو ، فاعرف حقى ومنزلى . وادع الإله الذى يعنك لى

قالت . فقال لها :

... والله لئن كنت أنا هو ، قد اضطعت عدى ما لا أصيحه أبدا وإن يكن عمرى

فإن الإله الذى تصعين هذا لأجده ، لا يصيحك أبدا

وقد روى القصة : العاكهي . وروى الإمام ابن حجر ، ولم يصحها

وما من شك في أن هدف الطاهرة ، هدف نبيل .

ولقد لاحظ محمد كل ذلك حين قال لها « فإن الإله الذى تصعبين هذا لأجله »
فإنها لم تصعب هذا إلا من أجل الإله الحق الذى تعتقد أن محمدًا سيكون سوله !!
وأما المقدمة الثانية : فهي ما حدثت به نعيمة بنت مبه ، قالت

كانت حديجة بنت حويلد ، امرأة حارمة شريفة ، مع ما أراد الله بها من الكرامة والحير ،
وهي - يومئذ أوسط قريش سبًا ، وأعظمهم شرفًا ، وأكثرهم مالاً ، وكل قومها كان حريصاً
على الزواج منها لو ندر على ذلك ، ولقد طنبوه ، وبدلوا ما الأموال ، فأرسلنى دميض
إلى محمد بعد أن رجع غيرها من الشام .

فقلت : يا محمد ، ما يمنعك أن تتزوج ؟

فقال : ما يدي ما أتزوج به

قلت : فإن كُفيت ذلك ، ودُعيت إلى لجمال وخال ، والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟
قال : فمن هي ؟

قلت : حديجة

قال : وكيف لي بذلك ؟

قلت : على .

قال : وأنا أفعل .

فذهبت فأخبرتها

وأصبحت المسألة واضحة في ذهن محمد ﷺ

أما المقدمة الثالثة : فهي المقدمة المباشرة

يقول السهيلي :

« كانت حديجة امرأة حارمة ، شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته ، فلما أخبرها
ميسرة بما أخبرها به ، بعثت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت له فيما يرعمون
يا ابن عم ، إني قد رعبت فيك لقرابتك ، وسطنتك في قومك ، وأمانتك وحسن خلعتك ،
وصدق حديثك .

ثم عرضت عليه نفسها

وكانت حديجة يومئذ ، أوسط ساء قريش سبًا ، وأعظمهم شرفًا ، وأكثرهم مالاً
كل قومها كان حريصاً على ذلك منها ، لو يقدر عليه ، وتم الاتفاق على كل شيء
وجاء آل عبد المطلب - وعلى رأسهم حمزة رضى الله عنه ، وأبو طالب - إلى بيت

حديجة ، وكان في استقبالهم عم حديجة عمرو بن أسد . وابن عمها ورقة بن نوفل وهم
أبو طالب حطياً فكان مما قال :

أما بعد : فإن عمداً من لا يورث به فتى من فريش ، إلا رجح به شرقاً ونبلاً ، وفصلاً
وعقلاً . وإن كان في المال قر ، فإنما كان ظل رائل ، وغارية مسرحة وله في حديجة
بت حويد رعية ، ولها فيه مثل دث «

ورصى عمرو وقال
« وهو الفحل لا يُقدحُ نفعه »

ورصى ورقة

ونم الزواج

هذه هي اللوحة الأولى . وهي دليل وصح على الروية والصح ، وقد كاء وحسن الثاني
للأمور ، وحسن الاختيار

واللوحة الثانية جملة حق ، رائعة حق ، وإبه ليستل فيها وصوح العقيدة والصح
الباهر

فقد سارت أحياء رجاء في عش الرحمة لقد كان محمد بناسمة بحديجة الأح
والأين والروح ، وكانت حديجة نلت به الأحب ، لاسية والروحة
لقد كان بينهما حنان وعطف وحب ، وبه يسهم من من دلت ومن بعده تقدير
متبادل .

ودات يوم

« رجع رسول الله ﷺ يرحف فؤاده ، حديجة بنت خويلد رضى الله عنها ،
فقال : رملوى ، رملوى .

« فزموه حتى ذهب عنه الروح »^(١)

م يكن هذا شأن محمد ﷺ فيما مضى ، وقد لاحظت وريده لصدق : تعير محسوس
في شأن محمد ، فجلس ينتظر أن يحدثها يحدثت جلست يسرح بها الحنان ويملؤها
الإشفاق واحترمت إرادته لقد أراها الحلوة بنفسه في عرقته مسرد ، لم تفتح عليه
العرفه ، ومع حياء الشديده ، وهما عيه - قرب هواه ، وانطرب وكان الانتظار طويلاً .
وعى النهاية ، ها هو ذا يتحرك ويأتي نحو حديجة فيحدثها بما يهدئها ويسعدنها من خبر
الرحى والحديث ، ومجىء الحق وهو في عار حراء ، شاعره

(١) صحيح الإمام البخاري

« لقد حشيتُ على نفسي »

وسارع نوريره - دون فتور ، ودون تباطؤٍ و تنكؤٍ فتعز بعز فيها مصممه على ما تقول - : « كلاً ، والله ، ما يخربك الله أبداً »

لماذا ؟ لقد علت ديت قائمة :

إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المقدم ، وتقري الصيف ، وتعين على نوابي الحق !!

هذا قانون سنة رب العزة ، وأعلته الوريرة ؛ إنه قانون له مقدماته ، وله نتائج

أما المقدمات فهي كلها تبلور في كلمة ، « الرحمة »

أما النتائج ، فإنها تتبلور في « عدم الخزي »

وكان هذا أول قانون تعده نوريره بعد لوحى ، ربيده الإسلام ، ويؤكدده ، وبسه

من روايا متعددة

« الراحمون يرحمهم الرحمن »

« ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء »

« لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقى »

إلى غير ذلك من ابادى الإسلاميه التى تتعلو بالرحمة

وتشعلت حديحة نشاطاً عظيماً

لقد دخل في هذه الحياة الهداة الوديعه عصر حديد مفاحى مدهش ، سعيد عذب

وعمر حديحة شعور قوى بالمسئولية الملقاة على عاتقها ، وكانت رسول الله عبيها ،

فى المستوى الجدير بهذه المسئولية ، وكان أول شيء فى بطنها ، هو أن تصبح صورة

ما حدث واضحة في دهرها ، وعلى دهر زوجها واضحة سائياً ، وواضحة موضوعاً ،

وواضحة غايةً وهدفاً .

وأردت أن نصي تسعة بالحديث في هذا مع من يعرفون هذه الأمور في بصيرة ، وفى

سبارة ، وفي أن نطلق ، انجھت إلى روجه في حال ، وأحدث مسح عن وجهه وتمو

ببشر بوالله ، لقد كنت أعم أن الله من يفصل بك إلا حيراً ، وأشهد أنك بى هذه الأمة

لدى تشطره اليهود .

قد أهيرئى به ناصح علامى ، وبخيرى الراهب

فلم تول رسول الله ﷺ ، حتى طعم وشرب وصحت

فلما صبحك رسول الله ﷺ ، قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت من مكانها ،
 فأنت علاماً لقيه ربيعة بن عبد شمس بصراثيا من أهل بيوى . يقال له عداس ، فقالت له
 يا عداس ، اذكرك بالله ، ألا ما أحيرتى هل عندك علم من جبريل ؟ فقال
 قدوس " قدوس ! ما شأن جبريل يذكر بهذه الأرض التي أهدى أهل الأوس
 فقالت أخبرني بعلمك فيه

قال . فإنه أمين الله به وبيد النبي وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام
 ثم ركبت إلى الراهب ، وكان قريباً من مكة ، فلما دنت منه وعربها ، قال
 مالك يا سيدة نساء قريش ؟

فقلت : أقبت إليك لتخبرني عن جبريل ، فقال .

سبحان الله رب القدوس ما نال جبريل يذكر في هذه البلاد التي يعبد أهلها الأوثان ؟
 جبريل أمين الله ورسوله إلى أنبيائه ورسله وهو صاحب موسى وعيسى
 فعرفت كرامة الله محمد

وكانت خاتمة المطاف أن أتت ورقة بن نوفل ، فسألته عن جبريل ، فقالت لها مثل ذلك ،
 ثم سألت ، ما الخبر ؟

فأخبرته . أن يكتم ما تقول له ، فحسب لها فقالت له

يا ابن عبد الله ذكر لي وهو صادق - أخطأ بالله ما كذب ، ولا كذب أنه نزل
 عليه جبريل بحراء ، وأنه أخبره أنه نبي هذه الأمة ، وأقرأه آيات أنزل بها

قال . فدعبر ورقة لذلك ، وقال

نس كان جبريل قد استقرت قدماء على الأرض ، لقد نزل على خير أهل الأرض ، وما نزل
 إلا على نبي وهو صاحب الأنبياء والرسول : يرسله الله إليهم ، وعد أهدتك عنه ، عرسي
 إلى ابن عبد الله أسأله وأسمع من قوله وأحدثه ، فإنني أخاف أن يكون عبر جبريل ، فإن بعض
 الشياطين يتشبه به ؛ فيضل به بعض بني آدم ويفسد لهم ، حتى يصير الرجل بعد العقل
 الرضي - مدحاً مجنوناً .

فقامت من عنده ، وهي واثقة بالله أن لا يفعل بصاحبها إلا خيراً .

وانطلقت حديجة بمحمد ﷺ ، إلى ورقة فعلمت له خديجة .

يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك

فقال له ورقة : يا ابن أخي ، ماذا ترى ؟

فأخبره رسول الله ﷺ ، خبر ما رأى . فقال له ورقة :

هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ... والتي فيها جنة لبتي أكون حيا إذا
يخرجك قومك

فقال رسول الله ﷺ

أو مخرجي هم ؟

قال نعم ، لم يأت رجل قط ، بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك
بصريا مؤثرا

وتنفست حديجه ملء رثتها ، وبصرت إلى محمد بصره فيها ، لا يوصف من المعاني .
ودخل في صلبها به عنصر حديد إليها روجه رسول يوحى إليه أوكما حملتها سعادته التي
يحب السعيد بشره وداعته ، والعمل على أن يحظى بمثلها ، ويصيب منها الآخرون ، على
أن يطوف وأن يتحدث إلى هذا وذلك فقد حملتها على أن تجرى التجارب على حبريل
نفسه

لقد أحست السيدة الدكية أن تصعب حبريل عليه السلام موضع الاحبار والملاحظة ، وأن
تجرى عنه بعض التجارب ، لتبين أمره في رصوح أوصح ، وهي تأكيد أكد وما كان
يتأني أن يدور إلا بدهن حديجة .

بظرا لمطنتها وناعته

يقول ابن خلدون ، معتمدا على الأحاديث الصحيحة .

وانظر لما أخبر النبي ﷺ . حديجه رضى الله عنها ، عن الوحي أول ما فجأه ، وأردب
احتبزه .

فقال : اجعسي بيت ويس ثوبك

ولما فعل ذلك ذهب عنه

فقال : إنه منك ويس بشيطان

ومعه أنه لا يقرب السوء

وروى البيهقي هذه القصة في شيء من التفصيل : وذلك أن حديجة رضى الله عنها ، قالت
لرسول الله ﷺ ، فيما بين ما أكرمه الله به من نبوته :

يا ابن عم ، تستطيع أن تحبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك

فقال : نعم

فقلت : إذا جاءك فأخبرني

عينا رسول الله ﷺ عندها ، إذا جاءه حريق ، فراه رسول الله ﷺ ، فقال يا حبيب ، هذا جبريل .

فقلت أترأه الآن ؟

قال : نعم

قلت فأجلس إلى شقي الأيمن فتحول فجلس ، فقلت أترأه الآن ؟

قال : نعم

قال فتحول فجلس في جبري تحول فجلس في حمرها ، فقلت هل أترأه الآن ؟

قال : نعم .

فحرب رأسها ، فثابت حمارها ، ورسول الله ﷺ جالس في حمرها ، فقلت هل تراه الآن ؟ قال : لا

قلت ما هذا بشيطان ، إن هذا الملك يا ابن عم فائت وأشير ، ثم آمنت به ، وشهدت أن ما جاء به هو الحق .

لقد آمنت به منذ اللحظة الأولى لحديثه معها عن الوحي

قال ابن إسحاق فحدثني عبد الله الحارثي هذا فحدثني فقال

قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين ، تحدث بهذا الحديث عن حديثه ، إلا أنني سمعتها تقول أذكرت رسول الله ﷺ ، بسها وبين ذرعها ، فذهب عند ذلك جبريل عليه السلام قال البيهقي وهذا شيء كان من حديثه بصحة يستثبت به الأمر ، احتياطاً لدينها وتصديقاً

ويقول ابن خلدون أيضاً

« وكذلك سأنه عن أحب الشباب إليه أن يأتيه فيها ، فقال .

البياض والحصرة

فقلت به ملت

يعني أن البياض والحصرة من ألوان الحبر والملائكة ، وسواد من ألوان الشر ونساطين وأمثال ذلك

هذه هي حديجة سيده نساء قریش الطاهرة ، التي يصعبها اندهي فيقول
وهي من كَمَل من النساء ، كانت عاقدة ، جنية ، ذينة مصونة ، كريمة ، من اهل
الحنة

وكان النبي ﷺ ، يشي عديها ويصلها على سائر مهمات المؤمنين ، ويألف في تعظيمها
لقد كانت حقاً ، وريرة صدق .

وبعد ، فإن ما قلناه هنا ، يلخصه الإمام ابو صيرى فيقول في هرينه مباركة
ورأته حديجة ، والتقى وال
وأناهما أن العمامة السر
وأحاديث : أن وعد رسول الله
فدعته في الروح وما خ
وأناه في بيتها حنن
فأما طلت عنها الحمار لندري
فاحتفى عند كشفه الرأى حنن
فاستبالت حديجة أنفسه الكند
رهذه فيه سحبة والحياء
ح أنصه مهمات المؤمنين
بالعث حان منه الوفاء
حسن ما يبع لى الأذكى
وسدى السب في الأمور ارتداء
أهو الوحى أم هو الإعماء
ل فم عاد و أعيد العطاء
مر لدى حاولت والكحياء

أما بعد فإن يحتم الكلام عن حديجة رضى الله عنها والحديثين التاليين

عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما عرب على امرأة لرسول الله ﷺ ما عربت على
حديجة ، مما كنت أسمع من ذكره لها وما تزوجني إلا بعد موتها ثلاث سنين ولقد أمره
ربه أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صحب » أخرجاه في الصحيح
من أوجه آخر

عن أبي زرعه قال سمعت أن هرة قال « تى حنين عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال
رسول الله ، هذه حجة أتتك معها ماء فيه إدام طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ
عليها السلام من ربها ومضى ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صحب فيه
ولا نصب » .

رواه البخارى في الصحيح ، عن فتية ورواه مسلم عن ابن أبي شيبة .

(١) يعون صاحب مختار الصحاح والنصب أيضاً لتدب من جوهر ، وفي الحديث « بشر حديجة ببيت
في الجنة من قصب »

ورقة بن نوفل

لقد كان ورقة عربياً أصيلاً ، من ذروة ميقات قريش وهو - كما يروى صاحب الأغاني - .

« أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية ، وطلب الدين ، وقرأ الكتب ، وامتص من أكل دبايح الأوثان » .

طلب ورقة الدين ، ولم يكتب في طبعه باللغة العربية ، بل لعل اللغة العربية إذ ذاك ، لم تكن تسعجه بما يريد من معرفة ، فتعلم العبرانية

يقول الإمام البخاري عنه :

« وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتب العبرانية ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب »

وهو القائل هذه الأبيات الشائقة في الأوساط المؤمنة .

لا شيء مما يرى بقي شائت	بقي الإله ويُردى المال والنول
لم تغض عن هرم ، يوماً خرائثه	والخمد قد حاولت عاد فما حلدوا
ولا سيبان يد دان الشعوب له	والجن والإنس تجري بها البرد ^(١)

ولقد سئل عنه رسول الله ﷺ ، فيما بعد ، فقال « قد رأيته في اسم . كأن عليه ثياب بيضاء ، فقد أظن أن لو كان من أهل الدار لم أر عليه البياض »

وقد كان ورقة معروفاً بالعقل الناصح ، والمعرفة الواسعة ، والإخلاص المحض ، وقد كان في فترة بدء الوحي هذه « شاعراً كبيراً قد عمى ، ثم أنه مرَّ بالتحارب الكثيرة في الدين والدنيا ، فأصبح لا يرجو إلا حسن الخاتمة ، والعمل - ما استطاع - في سبيل الله من أجل كل ذلك ، انصرفت السيدة خديجة بالرسول ﷺ إليه ، وقت له « يا ابن عم ، اسمع من ابن أخيك »

عما أخبره رسول الله ﷺ ، خير ما رأى ، من ورقة دون تردد ، ولا تعثم ولا انتظار :

(١) الرد جمع برد ، وقد الرسول

« هذا هو الثموس الذي نزل الله على موسى »

قال ذلك في يمين جرم وفي إيمان مؤمن

أما الأسباب التي دعت ورقة إلى هذا القول فإن منها - لاشك - معرفته بحياة الرسول ﷺ عارفاً عن طلب المحدث الزائف ، والحاجه بفصل - وكان - وهو الأهم - بعيداً عن أن يكون عبداً لملها .

ولقد سمع ورقة حديثاً يحدد معالم صورة صحيحة محلصة بصدق الصدق ، وسمع هذا التعبير البريء عن عنصر المماجاة في الموضوع

إن الحديث لا يتسم بمنطق مروي ، ولا بتفكير مدير ، ولا بمحاولة - أيأ كالب - بتلبيس والريف - إنها البراءة المطلقة :

لقد فاجأه لمث على غير انتظار ، وعلى غير توقع ، وفاجأه بي حلوة يرجو فيها رحمة الله ، ويأمل فيها رضاءه ، وفاجأه بأمر لم يكن له على يال
« اقرأ » :

« ما أنا بقارئ »

فماجأه الملك بأمر عريب آخر ، لقد أحذه مَطَّه ، حتى سح منه الجَهْد ، ثم أرسه ، وقال له من جديد « اقرأ » وتكرر ذلك

ورجع رسول الله ﷺ « يرجف فؤاده » . قال :

« زملوني ، زملوني »

فلما ذهب الروح ، قص على السيدة خديجة رضى الله عنها ما أرى ثم قال :

« لقد خشيتُ على نفسي »

إن كل ذلك - برهان واضح على الصدق ، وعلى الإخلاص ، فإد ما أُصيف ذلك إلى ما يعرفه ورقة من حياة الرسول ﷺ فإن ثمرة ذلك التصديق والإيمان ، بيد أن النور الذي عمر ورقة ، إنما كان إشعاع قوله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(١) .

(١) العلق ١ : ١

حيثما سمع ورقة أول آية من القرآن .

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾

لم يمتد أن أمر هذا أن الذي يُتلى إنما هو وحى من السماء .

إن ﴿قرأ باسم ربك﴾ . تنص على أن القراءة لا تكون باسم وزير ولا أمير ، ولا باسم منعة شخصية ، ولا باسم مصحة إقليمية ، ولا باسم حاية مادية أيا كانت ، ولا باسم وطن أو بيعة ، وإنما هي : باسم الله .

وإذا كانت باسم الله ، فإنها تفيد الشخص باعتباره فرداً بعيد المجتمع الخاص الذي نسميه « وطناً » وتفيد المجتمع الاسلامي العام ، بل وتفيد الإنسانية جمعاء .

وإذا ما تجردت القراءة لله تعالى ، وكان هدفها الأول والأخير ، هو الله - مصدر الخير والنور ، كانت حيراً ، وكانت نوراً في جميع الأرجاء ، وفي جميع الأزمان .

وما كان يقصد القرآن قط بهذه الكلمة الأولى : القراءة وحسب ، وإنما كانت القراءة رمزاً لكل ما يأتيه الإنسان في الجانب الإيجابي ، وكل ما يتدفعه الإنسان في الجانب السلبي .

إن هذه الكلمة الأولى ، تريد أن نقول .

« اقرأ باسم ربك » تحركك باسم ربك . تكلم باسم ربك ، اعمل باسم ربك أما إذا امتنعت عن حركة أو فعل . فيسعى أن يكون ذلك أيضاً باسم ربك ، ويكون معنى الآية في النهاية . جرد حياتك كلها وكيانك كله . أسبانيا وعمايات إلى الله سبحانه وتعالى »

وإذا كانت الآية الكريمة واضحة المعنى في الجانب الإيجابي الذي بحث على القراءة ، والذي بحث على أن تكون القراءة باسم الله - فإن الجانب السلبي ، قد نزلت فيه - فيما بعد - آيات صريحة الدلالة ، واضحة المعنى ، يقول الله تعالى

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . وإنه لفسق﴾^(١)

وأما ما ربح على النصب . فهو لم يرد به وجه الله تعالى ، وهو أيضاً فسق ؛ لأنه لم يذكر اسم الله عليه كله حرام .

(١) الأنعام آية ١٢١

اقرأ .. والإخلاص

وحينما سمع ورقة هذه الكلمة الأولى لم يملك أن يس ، وماد يمكن أن تقول لشخص تجرد إلى الله ، ويدعوك أن تتجرد إليه سبحانه ؟ شخص لم يطلب مالاً ، ولا جاهاً ، ولا رعامه ، ولا ملكاً . إنه يريد أن تقرأ الإنسانية كدها باسم ربها ، وأن تقوم في كبرها كله - على أساس من تربية ربها
ماد يمكن أن تقول له ؟

أيمكن أن تقول له : إنك كذاب ؟ فما هو الصديق إذن ؟

أيمكن أن تقول له : إنك صافق ؟ فأين هو الإخلاص ؟

إن هذه الكلمة الأولى ، قادت ورقة فور سماعها - إلى الإيمان
وسم ورقة ، وراه رسول الله ﷺ في المنام ، كان عليه ثياباً بيضاً ، وقال ﷺ ، تعليقاً على الرؤيا

« فقد أظن أن لو كان من أهل الدر ، لم أرَ عليه البياض » ، رضى الله عنه

أبو بكر رضى الله عنه

كان أبو بكر كما يقول ابن كثير - صدرًا معظمًا ، ورئيسًا في قريش مكرّمًا ، وصاحب مال .

ويقول ابن إسحاق

« وكان أبو بكر رجلاً متأنها لهومه ، مُحِبًّا سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بما كان فيها من خير وشر . وكان رجلاً ناجراً ، ذا خلق ومعروف .

وكان رجل قوم يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربه وحسن محاسبته .

ويقول رسول الله ﷺ - فيما رواه ابن إسحاق

« ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت عنده كبرة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ، ما عكم (تست) عنه حين ذكرته ولا تردد فيه » .

كيف أسلم ؟

يقول ابن مسحاق :

ثم إن أبا بكر الصديق لقي رسول الله ﷺ ، هال

حق ما تقول فريش يا محمد ؟ من تركك أمتاً ، ونسفيهاك عقولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟

فقال رسول الله ﷺ :

« يا بني إني رسول الله وبه . بعثني لأبلغ رسالته ، وأدعوك إلى الله بالحق هو الله إنه

الحق أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعد غيره ، أوالاة على صاعته »

فأسلم وكفر بالأصنام ، وحلج الأنداد ، وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن

مصدق

وكل هذا الذي ذكرناه ، إنما هو تصديق لقول ابن خلدون من أن أبا بكر رضي

الله عنه ، لم يحتج في أمر رسول الله ﷺ ، إلى دليل خارج عن حاله وخلقه

وبعل القاري ، قد لاحظ أن رسول الله ﷺ ، لم يدع لمسيحة حديحة رضي الله عنها

إلى الإسلام ، وإنما قصص عليها الخبر فقط ، فأسلمت بمجرد سماعها الخبر

وكذلك كان أمر ورقة

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

ولقد كانت هناك ساذح كريمة رائعة لتعمل «سعوة إلى عميق سرائر المؤمنين ، والأمثلة

لذلك كثيرة :

منها . إسلام أبي ذر ، الذي يقول « كنت رثع الإسلام ، وأسلم قبلي ثلاثة نفر ، وأنا

الرابع ، أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت السلام عبيث يا رسول الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ،

وأن محمداً رسول الله ، فرأيت الاستبشار في وجه رسول الله ﷺ

وحديث إسلام أبي ذر ، رضي الله عنه ، حديث مستقص حيل رونه كتب السنة

الموثوق بها ، أمثال البخاري ومسلم ، وغيرهما

ونقد رونه هذه الكتب في روايات مختلفة ، اشرية بالعبير ومواعظ وذلك أنه لما بيع

أبا ذر مبعث رسول الله ﷺ ، قال لأخيه أنيس .

« اركب في هذا الوادي ، فانعم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، يأتيه الحبر من السماء ، فاسمع من قوله ، ثم اتنى »

فانصق « أنيس » إلى مكة وسمع من كلام الرسول ﷺ ، ثم رجع إلى أبي در فقال له « رأيته يأمر بمكارم لأحلاق » فقال له أبو در : ما يقول الناس له ؟ قال : يقولون : إنه شاعر ، وسحر - وكان أنيس شاعراً وتابع أنيس حديثه قال :

لقد سمعت الكهان مما يقول بقومهم ، وقد وصفت قوله عن أنواع الشعر ، فوالله ما يستقيم لسان أحد أنه شعر ، ووالله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

فقال أبو در لأخيه : هل أنت كالمى حتى أنطلق ؟ قال : نعم ، ولكن من أهل مكة على حذر ، فإنهم قد شعروا له ، وجمعوا له ،

فتزود وحمل شاة له فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول الله ﷺ ، وهو لا يعرفه ، واتبع بصيحة أخيه في أن لا يسأل عنه ، وأن يحذر أهل مكة ، حتى أدركه بعض الليل ، فاصطحب لييام ، فراه سيدنا على معرف أنه عريب ، فدعاه إلى بيت عده ، فتيه ولم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح ، ثم احمل فرسته وراده إلى المسجد ، وظل ذلك اليوم ، ثم ير النبي ﷺ ، حتى أمسى ، فعد إلى مصجعه ، فمر به على فقال :

أما إن لرجل أن يعرف مره ؟ وسار به إلى المر لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، ومرت اليوم الثالث على هذه الكيفية .

فلما كان في البيت ، سأله على رضي الله عنه قائلا :

ألا تحدثني بالذي أقدمت ؟

قال إن أعطيني تعهداً وميثاقاً لترشدني ، فعلت . ففعل ، وأخبره

وفي الصباح دها عن حذر إلى رسول الله ﷺ ، وأحد أبو در يستمع إلى القرآن الكريم ، فسلم في جلسته ، فقال له النبي ﷺ

ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيت أمرى ، فقال :

« والذى بعث بالحق ، لأصبر حتى يهاين طهرائهم فخرج حتى نبي المسجد فنادى بأعلى صوته

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فقام إليه خاصرون فاشبكوا معه في معركة حامية ، وسمرو به حتى رموه أرضاً ، فأتى الناس وأنفده منهم ولحقه عدا في

العد إلى مشيها ، وعادوا إلى مثل ما فعلوا ، وأنقذه من جديده العباس وعاد أبو در إلى أخيه ، وأعلن إسلامه ، فأقسم أخوه ، وذهب إلى أمهات فأعلنت إسلامها ، وأحد أبو در يشر بالإسلام في نومه . رضي الله عنه

قصة صماد

كان صماد رجلاً من أرد شوء ، يخصص في معالجة الأمراض العقلية كان يعالج بالرقى ، ويعالج بالأيحاء ، ويعالج باللمس والسمع . وكانت مكانته في ذلك الزمن مكانة من سمعهم نحو في العصر لحاضر بالأطباء النفسيين
ويذكر الإمام مسلم ، والإمام البيهقي قصته . فقد قدم صماد مكة ، وكان يرمى من هذه الرياح ، فسمع سفهاء مكة يقولون : إن محمداً مجنوناً .

سمع هذا الخبر ها ، وسمعه هناك ، وسمع من الجو الاجتماعي ، ومن الأخبار الكثيرة - أهمية محمد القصوى في هذه المدينة

وصدق صماد الخبر ، واهتم به اهتماماً كبيراً ، وحيل إليه أنه إذا عالجهم فقد اكتسب شهرة ، واكتسب مشوبة ، فقال أين هذا الرجل ، ثم يقول لعل الله يشفي على يدي ؟ فصبت محمداً لقت إني أرى من هذه رياح ، وإن الله يشفي على يدي من شيء ، فهم أي أنه يدعوهم إلى أن يستسبحوا له لمعالجته فقال له رسول الله ﷺ

إن أحمد الله بحمده واستعبره ، من يهدي الله فلا مضيل له ، ومن يضل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله

وتعقب عبا صماد برسول الله ﷺ ، وأنصت أذنه ، وكان كيانه كله مرعفاً بهوراً ثم قال .

والله لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل هذه الكلمات ، ثم طلب من رسول الله ﷺ ، إعدادتها ، وكان يسمع بجميع أفعاله ولم تكفه الإعادة ، فطلب من حديد أن يسمعها للمرة الثالثة ، ثم قال فور الانتهاء من سماعها .

هم يدك أبيعت على الإسلام ، وما بلغت كماتك هؤلاء ، فأمرس البحر

ومعنى أنها يدع قاموس البحر . تعملت إلى أعماق أعماق نفسه ، وامتاحت بيطانه امتراجاً كلياً ، وذلك أن قاموس البحر هو أعماق مكان فيه

ولم يمس المسلمون فيما بعد - موقف صماد هدا فكانوا إذا مرت حيوشهم على قوم صماد أحسوا إليهم وقابوا في مودة : « إنهم قوم صماد »

وكثيراً ما كانت تبلغ الدعوة إلى التوحيد قاموس البحر على حد تعبير صماد - فلا يدين من آمن ، بإبداء المشركين له في نفسه أو ماله^(١)

وها هي دي رواية أخرى عن إسلام صماد تكمل ما سبق وتوضحه :

عن عبد الرحمن العدوي ، قال قال صماد قدم مكة معتمراً ، فحسب مجلس فيه أبو جهل ، وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، فقال أبو جهل هذا رجل أدي فرق جماعنا ، وسفه أعلامنا ، وأصل من مات منا ، وعلمت أمية الرجل محب من غير شئ ، قال صماد فوقعت بي عسى كلمته ، وقلت إني رحل أعاج من لريح ، فقامت من ذلك المنجس طلب رسول الله ﷺ ، فم أصادفه ذلك يوم ، حتى كان ليل ، فحفته ، فوجدته جالساً خلف انقام يصلي ، فجلست حتى فرغ ، ثم جلست إليه ، ففت يا ابن عبد المطلب فأقبل علي ، فقال ما تشاء فقلت إني أعانج من الريح ، فإن أحت ، عانجتك ، ولا تكبر ما بك ، فقد عانجت من كان به أشد مما بك فبراً ، فسمعت قوبك يدكروب فبك حصلاً سيته من نفسه أعلامهم ، وتفرق جماعتهم ، وتصلين من مات منهم ، وعيب أنفسهم ، فهد ما فعل هذا إلا رجل به جنة فقال رسول الله ﷺ « الحمد لله الحمد لله الحمد لله وأمن به

(١) عن ابن عباس قال قدم صماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة ، وكان يرفي من هذه الرياح فسمع سمعان الناس يقولون

يا محمدًا مجنون فقال أني هذا الرجل بع الله أن يشعبه على يدي

قال فعب محمدًا فطلب إلى أرمي من هذه الرياح ، وإن الله يسقي نبي يدي من شاء ، فهم ، فقال محمد إن الحمد لله حمده وسنمه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي به أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ثلاث مرات

فقال الله بعد سمعت من الكهنة ، وحول السحرة ، ونحو السعد من هؤلاء الكلمات ، فهم يدك أبايحت علي الإسلام فبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال به وعلم قومك^٢ فقال وعلم قومي فبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية همروا بقوم صماد فب صاحب الجيس بسرية هل أصبتم من هؤلاء شئ^٣ فقال رجل منهم أصب منهم مطهرة ، فقال دوما عليهم ، فبهم قوم صماد « رواه الإمام مسلم عن صحيحه

وهو إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن الحنفى راد فيه بن الحنفى : رأى شخصاً عبده ورسوله ، أما بعد

رأه أيضاً « وقد يمس فلوس البحر به كلمات

قيل ، أبو عبد الله حافظ قال حدث أبو عبد الله بن محبوب بن يوسف ، قال حدثني أبو محمد بن شئى قال حدثني عبد الأعلى فذكره بزيادته ومعناه ، وروى عن يزيد بن ربيع عن داود بن أبي هند بزيادته وراد أيضاً و قوس بالله وتوكل عليه ، ويعود بالله من ضرر أنفسنا ومن سيئات أعمال

وَأَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ »

قال صماد سمعت كلاماً لم أسمع كلاماً قط أحسن منه ، واستعنته بالكلام فأعاد علي . قُلت : إلامَ تدعو ؟ قال : إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، وتحلج الأوثان من رقبتك . وتشهد أنني رسول الله ، فقلت : فماد لي بإفعلت ؟ قال لك الصحة ، قلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأحلج الأوثان من رقبتى ، وأتربسها ، وأشهد أنك عبد الله ورسوله ، فأقمت مع رسول الله ﷺ ، حتى غُتتْ سورُ كثيرة من القرآن ، ثم رجعت إلى قومي . قال عبد الله بن عبد الرحمن العدوي : بعث رسول الله ﷺ ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في سرية ، وأصابوا عشرين مغيراً بموضع ، وامتنافوها ، وبيع علي بن أبي طالب أنهم قوم صماد ، فقال : ردوها إليهم فردت

(النجاشي)

قال ابن إسحاق حدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المحرومي ، عن أم ستمة بنت أبي أمية بن لمعة ، روح رسول الله ﷺ قالت : « لما برلنا رص الحبيشة حاورنا به حير جار . النجاشي ، أم علي ديس ، وعهدنا الله تعالى : لا نؤذي ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعو إلى النجاشي فيأرحونهم جلدتين ، وأن يهتوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدماً كثيراً ولم يتركوا من بضارفته بطريقاً إلا أهده له هدية ، ثم بعثو بدئت عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، وأمرؤهما بأمرهم وقالوا هما : ادعها إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلم النجاشي فيهم ، ثم قدم إلى النجاشي هداياه ، ثم أسألاه أن يسميهم إليكم قبل أن يكلم النجاشي فيهم ، قالت : فخرجنا حتى قدما على النجاشي ، ونحن عنده بحير در عند حير جار ، فم يبق من بضارفته بطريق إلا ادعها إليه هديته ، قبل أن يكلم النجاشي ، وقالوا لكل بطريق منهم : إنه قد صوي إلى يدك منك ما عمناء صفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يندخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبدع لا يعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأنشروا عنه بأن يسلّمهم إلينا ، ولا يكلمهم ، فإن قومهم على بهم عيا ، وأحمد بن عابو عليهم .

فقالوا هم نعم ، ثم إنيما قدما هداياهم إلى النجاشي ، فقبلها منهم ، ثم كلمهم فقالوا

له

أيها الميت ، إنه قد صوّى لي بلدك ما عسان سعهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه ، لا يعرفه نحن ولا أنت . وقد بعث إليك فيهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائريهم ؛ لتردهم إليهم ، فهم أعلى بهم عيًّا ، وأعلم بما عابوا عندهم ، وعاتبوهم فيه ، قالت : وم يكن شيء أنص إلى عبدالله بن ربيعة وعمر بن العاص من أن يسمع كلامهم السجاشي . فقالت بصارفته حوله : صدق أيها الميت قومهم أعلى بهم عيًّا ، وأعلم بما عابوا عندهم ، فأسلمهم إليهما ، فليردوهم إلى بلادهم وقومهم . قالت : فصبت السجاشي ، ثم قال :

الله !! إدين لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروي ، ونزلوا بلادى واحترابوي على من سوى حتى ادعواهم ، فأسلمهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعهم منهما ، وأحسست جوارهم ما جاوروي .

« حوار بين السجاشي وبين المهاجرين »

قالت : ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ، ثم قال بعضهم لبعض : ما تقبلون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما علمنا وما أمرنا به سيدنا ﷺ . كأننا في دينك ما هو كائن ، فلما حاوروا وقد دعا السجاشي أساقضه فنتشروا مصاحبتهم حوله - سألمهم ، فقال لهم :

ما هذه الدين الذي فارقتم به قومكم . وم تدخلوا في ديني ، ولا في دين أحد من هذه القبائل ؟ قالت : مكان الذي كنتم جعمر من أبي طالب ، فقال له :

أيها الميت . كما قومًا أهل جاهلية . بعد الأصنام ، وتأكل نيتة . وتأتى الفواحش ، وتقطع لأرحام ، وتسيء الجوار ، وتأكل القوى من الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً ما نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعهده ، فدعانا إلى الله ، لنؤخذه ونعبده ، ويخلق ما كنا نعبد من آباءنا من دونه . من الخطارة والأوثان

وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، وبهنا عن الفواحش ، وفول الرور ، وأكل من التبن ، وقذف المحصات . وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ..

قالت : فعدد أمور الإسلام - صدقته وأما به ، وأتبعاه على ما جاء به من الله ، فعدد الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرم عليه ، وأحلّنا ما أحل لنا ، فعّدنا عليه

قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى ، وأن ستحرر
ما كنا عليه من «خبيثات» ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ،
خرجنا إلى بلادك واحترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظم عندك
أيها الملك . قالت :

فقال النجاشي هل معك مما جاء به عن الله شيء ؟ قالت فقال له جعفر . نعم . فقال
النجاشي فقرأه علي ، قالت : فقرأ عليه صدرًا من «كهيعص» . قالت
فكفى والله النجاشي ، حتى احصيت حبه ، وبكت أسافته حتى أحصلوا مصاحمهم ،
حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي :

إن هذا الذي جاء به عيسى ، ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم
إليكما ولا يكادون

قالت : فلما خرجا من عنده ، قال عمرو بن العاص : والله لأتبعه غداً عنهم بما استأصل
به خصراءهم .

قال فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أنقى الرجلين هيدا لا تفعل فإب لهم
أرحامنا ، وإن كانوا قد خالفوا ، قال :

والله لأخبرته أنهم يرعمون أن عيسى بن مريم عبد الله ، قالت
ثم غدا عنده من الغد

فقال له أيها حدث ! إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عصياً ، فأرسل إليهم فسألهم
عما يقولون فيه

قالت : فأرسل إليهم ، ليسألهم عنه فقالت

ولم يرل يا مثله قط ، وجمع انقوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن
مريم إذا سألكم عنه ؟ قالوا :

قول والله (فيه) ما قال الله ، وما جاءنا به سيد ، كائنًا في ذلك ما هو كائن
قال فلما دحوا عنده قال لهم ماذا تقولون في عيسى بن مريم ؟ قالت فقال له جعفر بن
أبي طالب : يقول فيه الذي جاءنا به نبيتنا ﷺ

هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، قالت

فضربت النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عودًا ثم قال

والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، قالت .

تتأخرت بظارقه حوله حين قال ما قال ، فقال .

وان سحرتم .. والله ، اذهبوا فأنتم شيرم بأرضي . والشيوم . الآمور - من سيكم عرم ،
ثم قال :

من سيكم عرم ، ثم قال : من سيكم عرم . ما أحبت أن لي ديرا من ذهب ، وأنى آديت
رجلاً منكم

قال لهم هشام :

ويقال ديري من ذهب ، ويقال : فأنتم شيوم ، والدبر بلسان الحيشة الجبل - ردوا
عليهما هديهما فلا حاجة لي بهما . قالت :

مخرجنا من عنده مقبوحين ، مردوداً عليهما ما جاء به ، وأقم عنده بحير دار مع خير
جار .

د المهاجرون وانتصار النجاشي ،

قالت : هو الله ، إنا على ذلك رد بل به رجل من الحيشة يزرعه في ملكه ، قالت
هو الله ، ما عشتنا حزناً حزناً قط ، كان أشد علينا من حزن حراًه عند ذلك ، تحوفاً أن
يظهر ودك الرجل على النجاشي ، فيأني رجل لا يعرف من حق ما كان النجاشي يعرف
منه ، قالت :

وسار إليه النجاشي ، وبسهما عرض النيل (النيل الأرق)

قالت . فقال أصحاب رسول الله ﷺ :

من رجل يخرج حتى يحصر فئمة القوم ، ثم يأتيها بالخير ؟

قالت : فقال الريير بن العوام : أن

قالوا قالت وكان من أحدث نقوم ساء قالت فصحواله قربه ، فجمعها في صدره .

ثم سبح عبيها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حصرهم .

قالت فدعونا الله تعالى لنجاشي بالصهور على عسوه . والممكن له في بلاده ، قالت : هو الله

إنا نعلمي ذلك متوقعون له هو كائن ، إذ صنع الريير ، وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول

ألا أبشروا فقد ظفر لنجاسي ، وأهلك الله عسوه ، ومكن به في بلاده

قالت : هو الله ما علمتنا فرحاً فرحة وقد مشها

قالت : ورجع النجاشي وفد أهلث الله عدوه ، ومكّن له في بلاده ، واسوثق عليه أمر الحبشة ، فكانا عنه في حير مرر ، حتى قدما على رسول الله ﷺ ، وهو في مكة^(١)

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

كان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة ، حتى أسلم عمر بن الخطاب ، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلياً معه ، وكان إسلام عمر بعد حرج من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة ، قال عبد الله بن مسعود

إن إسلام عمر كان فتحاً ، وإن هجرته كانت نصرًا ، وإن إمارته كانت رحمة .
وقد كنا نصلّي عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم ، قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة ، وصلياً معه ، قال ابن إسحاق

وكان إسلام عمر فيما لم يلبس أن حته وطمة بيت الخطاب ، وكانت عبد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وكانت قد أسلمت وأسلم بعدها سعيد بن زيد ، وهما مستحيان بإسلامهما من عمر ، وكان نعيم بن عبد الله النخعي من مكة ، رجل ، من بني عدي بن كعب قد أسلم ، وكان أيضاً يستحى بإسلامه فرقاً من قومه ، وكان حجاب بن الأرت يخلّف إلى طمة بيت الخطاب يقرئها القرآن ، فخرج عمر يوماً موشحاً سيفه ، يريد رسول الله ﷺ ، ورهطاً من أصحابه ، قدذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ، ومعهم رسول الله ﷺ ، عمه حمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق ، وعلى بن أبي طالب ، في رجال من المسلمين رضى الله عنهم ، ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ، وم يخرج فيخرج إلى أرض الحبشة ، فمعه نعيم بن عبد الله ، فقال له

أين تريد يا عمر ؟

فقال : أريد محمداً هذا الصبي ، الذي فرق أمر قريش ، وسفه أحلامها ، وعاب دينها ، وسب آلهتها ، فأخذه ، فقال له نعيم

والله لقد عرتك نفسك من نفسك يا عمر ، أترى بني عبد مناف تاركين تمشي على الأرض ، وقد قتلت محمداً ؟ أفلا ترحع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم ؟ قال : وأى أهل بني ؟

(١) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٤٤ - ٢٤٩

قال تَحْتِثُ وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو ، وأختك فاطمة بنت الحطاب ، فقد والله أسلما ، وتابعا محمداً على دينه ، فعليك بهما ، قال فرجع عمر عامداً إلى أخته وحته ، وعندهما حجاب بنت الأرت معه صحيفة ، فيها « طه » يقرئهما إياها ، فلما سمعوا حس عمر ، تعيب حجاب في محدد ثم أو في بعض البيت . وأخذت فاطمة بنت الحطاب الصحيفة ، فجعلتها تحت فحدها ، وقد سمع عمر حين دن إلى البيت قراءه حجاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الصحيفة^(١) التي سمعت ؟

قال ما سمعت شيئاً ؟

قال بلى والله لقد أُخبرْتُ أنكما بابعثما محمداً على دينه ، وبطش بعنه سعيد بن زيد ، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الحطاب لتكف عن زوجها ، فصرىها فشجها ، فلما فعل ذلك قالت له أخته وحته :

ثم قد أسلما ، وآما بالله ورسوله ، فاصبر ما بدا لك ، فلما رأى عمر ما بأخته من اللوم ، ولم على ما صنع ، فادعوى ، وقال لأخته :

أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنما انظر ما هذا الذي جاء به محمد ؟ وكان عمر كاتباً ، فلما قال ذلك ، قالت له أخته :

إنا نخشاك عليها ؟

قال لا تخافي ، وحلف لها بأخته ليردنها يد قرأها إليها ، فلما قال ذلك ، طمعت في إسلامه ، فقالت له :

يا أختي ، إنك نجس ، عن شركك ، وإن لا يمسها إلا الطاهر

فام عمر فاعتسل ، فأعطته الصحيفة ، وهي (طه) ، فقرأها فلما قرأ منها صدرها ، قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمته ! فلما سمع ذلك حجاب حرج إليه ، فقال له :

يا عمر ، والله إنني لأرجو أن يكون الله قد حصك بدعوة نبيه ، فإني سمعته أمس ، وهو يقول اللهم أيد الإسلام بأبي الحکم بن هشام ، أو عمر بن الحطاب .. دلة الله يا عمر ... فقال له عند ذلك عمر :

لدي يا حجاب على محمد حتى آتبه ، فأسلم فقال له حجاب :

هو في بيت عند الصفا ، معه فيه نفر من أصحابه

(١) الصحيفة الصوت الغصى

فأحد عمر سيعه فتوشحه ، ثم غمد إلى رسول الله ﷺ ، وأصحابه ، فصرع عليهم
 ابواب ، دما بمعوا صوته ، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، فصرع من حلال الباب ،
 فراه متوشحاً بالسيب ، فرجع إلى رسول الله ﷺ ، وهو نزع ، فقال يا رسول الله ، هذا
 عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيب ، فقال حمزة بن عبد المطلب :
 فادن له ، فإن كان يريد خيراً بدلناه به ، وإن كان جاء يريد شراً فلهاء بسيفه ، فقال
 رسول الله ﷺ

ائدن به فادن له الرجل ، ونهض إليه رسول الله ﷺ ، حتى لقيه في الخجرة ، فأحد
 بـحـجـرته ، أو بمجمع رداءه ، ثم حبده^(١) به جسة شديدة ، وقال
 ما جاء بك يا ابن الخطاب ؟ فوالله ، ما أرى أن تنتهي حتى يرب الله بك فارعة فقال
 عمر .

يا رسول الله ، جئت لأومس بالله وبرسوه ، وبما جاء من عند الله ، قال فكبر
 رسول الله ﷺ بكبرة ، عرّف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ ، أن عمر قد
 أسلم .

وحديث إسلام عمر ، وإن كان من أحاديث السير ، فقد حرجه لدارقطني في مسه ،
 غير أنه حرج أيضاً من طريق أنس أن أخت عمر قالت له :
 إنك رجس ، ولا يمسه إلا المطهرون فقم فاعسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أحد
 الصحيفة ، وبها سورة طه

ففي هذه الرواية : أنه كان وضوءاً ، ولم يكن اغتسالا
 وفي رواية يونس أن عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها إلى قوله
 ﴿لَتُخْرِجَنِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٢) .

فقال ما أطلب هذا الكلام وأحسنه ! وذكر هذا الحديث بطوله ، وفيه
 أن الصحيفة كان فيها مع سورة طه ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وأن عمر انتهى في قراءتها
 إلى قوله . ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ﴾^(٣)

(١) حبه جله

(٢) طه آية ١٥

(٣) نظر الروض الألف ج ٣ ص ٢٦٤ ، ٢٦٧ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧

عن عمر :

عن عبد الله بن هشام قال .

« كنا مع النبي ﷺ ، وهو أخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر .

« رسول الله ، لأب أحب إلي من كل شيء إلا نفسي » ، فقال لبي ﷺ

« لا ، والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليّ من نفسك » .

قال عمر : فأنت الآن - والله - أحب إلي من نفسي .

فقال النبي ﷺ : « الآن يا عمر »^(١) ..

قال عبد الله بن مسعود : « ما رلنا أمة منذ أسلم عمر »^(٢)

وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ قال لأصحابه لعرب في الشام وهم كبار الصحابة ، وقادة الفتح الإسلامي ، وقد عابوه ببعض صغره بواقعه الذي لا يتفق مع رئيس حكومة كبيرة « إنكم كسم أدل الناس فأعزكم الله بالإسلام . فمضى تطبوا العرب بغيره يداكم الله »

وكان عمر صاحب فراسة

عن عبد الله بن عمر قال :

« ما سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول شيء قط إني لأظن كذا وكذا . (إني لأظنه كذا) إلا كان كما يظن » ..

وعن عبد الله بن عمر قال

« ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول شيء قط « إني لأظنه كذا » إلا كان كما يظن يسما كان عمر خالسا إذ مر به رجل حميل فقال لقد أحطط طي ، أو أهدأ على ديه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم على الرجل ، فدعى له ، فقل له عمر لقد أحطط طي . أو إني على ديك في الجاهلية . أو لقد كنت كاهنهم فقال « رأيت كاليوم استقبل به رجلا مسلما ، قال فإني أعزم عليك إلا ما أخبرني .. قال كنت كاهنهم في الجاهلية »^(٣)

(١) الروا ج ١ ص ٣٨٢

(٢) البخاري في الصحيح

(٣) دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٥ بحين عبد الرحمن عثمان طه المكتبة السعيدة بالمدينة المنورة

وعن ابن عمر قال

بينما عمر رضي الله عنه جالس ، رأى رجلاً يقول قد كنت مرة ذا فراسة ، وليس لي رأيٌ إن لم يكن قد كان هذا الرجل يظن ويقول في الكهانة ، ادعوه ، مدعوه ، يقال من أين قدمت ؟ ، قال من الشام قال فأين تريد ؟ قال أردت هذا البيت ولم أكس أخرج حتى أتيتك ، فقال عمر ، ألا تحبسي عن شيء أسألك عنه ؟ قال ، بلى قال : هل كنت تنظر في الكهانة شيئاً ؟ .. قال ، نعم .

عبد الله بن سلام

عن يحيى بن عبد الله ، عن رجل من آل عبد الله بن سلام ، قال .

كان من حديث عبد الله بن سلام حين أسلم ، وكان خيراً عالماً قال .

لما سمعت رسول الله ﷺ ، وعرفت صفته واسمه وهيبته ، واندي كذا تتوقف ، فمكت مسراً لذلك ، صامتاً عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلما برز بقاء في بني عمرو بن عوف ، فأقبل رجل مني حتى أحبر بقدرمه ، وأن في رأس نحلة لي أعمل فيها ، وعمتي حائلة ست احارث تحني حائلة فلما سمعت الحبر بقدم رسول الله ﷺ ، كبرت ، فقالت لي عمتي حين سمعت بكبرى لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما راد ؟ قال قلت : ها أي عممة ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى ديه ، بعث بما بعث به ، قال فقالت يا ابن حنيفة أهو النبي الذي كنا نحبر به ، أنه يبعث مع بعث الساعة قال قلت لها نعم ، قالت فذاك إذا قال ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ ، فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم ، فأسلموا ، وكنت إسلامي من اليهود ، ثم بعث رسول الله ﷺ ، فقلت

إن لليهود قوم يُهت ، راني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك تعيبي عنهم ، ثم سأهم عني ، فيحبروك كيف أم فيهم ، قبل أن يعموا بإسلامي ؟ فإنهم إن علموا بذلك ، يهتوني وعابوني ، قال : فأدخلني بعض بيوته ، فدخلوا عليه فكلموه ، وسألوه ، قال هم أي رجل عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا سيدنا ، وابن سيدنا ، وخبرنا ، وعادنا

قال فلما برعوا من قولهم ، خرجت عليهم ، فقلت لهم - يا معشر يهود ، اتقول الله وافيدوا ما جاءكم به ، لو الله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة .

اسمه وصفته ، بإني أشهد أنه رسول الله ، وأؤمن به ، وأصدقته وأعرفه ، قالوا كذبت ثم وقعوا في .

قال . فقلت يا رسول الله ، ألم أحبك أنهم قوم بُهت ؟ أهل عذر ، وكذب ، ومجور ؟ قال . فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمى ابنة الحارث فحسن إسلامها»^(١)

□□□

ومعه رواية أخرى عن إسلام عبد الله بن سلام لا تدفع الأولى وإنما تؤيدها وتفسرها

سمع به (برسول الله ﷺ) عبد الله بن سلام وهو في محل لأهله يحترق لهم^(٢) منه . فعجل أن يصع التي يحترق^(٣) فيها ، فجاء ، وهي معه فسمع من نبي الله ﷺ ، ثم رجع إلى أهله فقال نبي الله ﷺ : أي بيوت أهلنا أقرب ؟ قال . فقال أبو أيوب أنا يا نبي الله . هذه داري ، وهذا بابي فقال اذهب فهيئ لنا مقبلاً . فذهب فهيأهما مقبلاً ثم جاء فقال : يا نبي الله ، قد هيأت لكما مقبلاً ، فوما على بركة الله فقبلاً

قال فلما جاء نبي الله ﷺ ، جاء عبد الله بن سلام رضى الله عنه فقال

أشهد أنك رسول الله حقاً ، وإليك جئت بحق ، ولقد عدت يهود أبي سيدهم ، وابن سيدهم ، وأعظمهم وابن أعظمهم ، فادعهم فسنهم على كل أن يعصوا نبي قد أسلمت ؟ فإبهم إن يعصوا نبي قد أسلمت ، قالوا في ما لسر في ، فإرسل نبي الله ﷺ إليهم ، فدخلوا عليه . فقال لهم نبي الله ﷺ . يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وإنى جئتكم بحق ، أسلموا !!

قالوا . ما نعمته ، فأعاد ذلك عليهم ثلاثاً ، ثم قال فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قالوا . ذلك سيدنا ، وابن سيدنا ، وأعظمنا ، وابن أعظمنا

قال أفأرأيهم إن أسلم ؟ قالوا . حاش لله ، ما كان ليسم

قال . ابن سلام ، أخرج عندهم ! فخرج عليهم ، فقال يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنه رسول الله حقاً ، وأنه جاء بحق ، فقالوا . كذبت ، فأخرجهم رسول الله ﷺ^(٤)

(١) فلفظ دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٥١ ، ٢٥٢

(٢) انصرف النمر . جناه

(٣) الآية التي يجنى فيها النمر

(٤) دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠

وعن لترمذى وابن ماجة وغيرهما بأسانيدهم ، أن عبد الله بن سلام قال ما قدم رسول الله ﷺ المدينة حتىه لأبصر إليه ، فلما استبست وجهه عرفت أن وجهه بس وجه كذاب (١)

□ □ □

زيد بن سعة وعلامات النبوة

قال عبد الله بن سلام . إن الله عز وجل ، لما أراد هدى زيد بن سعة ، قال زيد بن سعة إنه لم يبق من علامات النبوة شيء ، إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ ، حين بطرت إليه ، إلا اثنين لم أخبرهما به . يسبق حسنه جهله ، ولا يزيد شدة الجهل عليه إلا حسنا ، فكنت أتلفظ له ، لأن أحاطه فأعرف حلمه وجهه قال فخرج رسول الله ﷺ ، يوما من الحرات ومعه عن بن أبي طالب ، فإنه رجل على راحته كاليدوى فقال يا رسول الله ، إن قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام ، فكنت أحدثهم أنهم إن أسلموا تأهم الرق رعدا ، وقد أصابتهم ستة وشدة وقحط من ليعث وإنى أحشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دحر فيه طمعا ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعيهم به ؟ قال فظفر رسول الله ﷺ ، إلى رجل إلى جانبه أراه عليا ، فقال : ما بقى منه شيء يا رسول الله ، قال زيد بن سعة . فنبوت إليه ، فقلت له يا محمد ، هل لك أن تبعنى تمرا معلوما من حائط بنى فلان إلى أهل كذا وكذا ؟ فقال لا يا يهودى ، ولكن أبيعك تمرا معلوما إلى أهل كذا وكذا ، ولا أسمى حائط بنى فلان قال فقلت نعم ، فبأعنى فأطلق همياني فأعقبته ثمانين مثقالا ، من ذهب في تمر معلوم إلى أهل كذا وكذا ، فأعطيني نرحس ، وقال . اعمل عليهم وأعشهم بمان زيد بن سعة ، فلما كان قبل من الأجل يومين أو ثلاثة ، فخرج رسول الله ﷺ ، في جرة رجل من الأنصار ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، في نمر في أصحابه ، فلما صلى على البشارة ودنا من جدر ليحس إليه ، أئينه فأحدث بحوامع قميصه وردائه ، ويطرت إليه بوجه عيظ ، وقلت ألا تقصيني يا محمد حقى ، فوالله ، ما علمتكم يا بنى عبد المصعب إلا لطل ، وقد كان لي بحائضكم علم ، قال فنظر إلى عمر بن الخطاب وعياها يدوران في وجهه كأنه لك المستدير ، ثم رمانى بطرفه وقال : يا عدو الله ، أتقول برسول الله ﷺ ما أسمع ؟ وتعمل به ما أرى ؟ فوالدى حثه حق ، لولا ما أحادر قوته ، لصبرت بسيفي رأسك ورسول الله ﷺ يظن بن عمر في سكون وثودة وتيسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا ميث يا عمر ، أن تأمرى بحس الأداة ، وتأمره بحس التفاضى . اذهب به يا عمر فاعصيه حبه ، وردده عشري صائغا مكان ما رعته

قال ريد فذهب بي عمر فقصاني حقي ، وزادني صاعاً من تمر ، فقلت ما هذه الريادة ؟ فقال أمرني رسول الله ﷺ ، أن أريدك ، مكان ما رعتك ، فقلت أتعرفني يا عمر ؟ قال لا ، لمن أنت ؟ فقلت أنا ريد بن سعدة ، قال بخير فقلت : أخير قال فما دعاك أن تقول لرسول الله ﷺ ما قلت ، وتفعل به ما فعلت ؟ قلت يا عمر ، كل علامات النبوة قد عرفت في وجه رسول الله ﷺ ، حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ، ولا يريده شدة الجهر عليه إلا حلماً وقد أحترنهما فأشهدك يا عمر أنني قد رصيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأشهدك أن شطر ماى فإني أكثرها مالاً صدقة على أمة محمد ﷺ ، فقال عمر أو عن بعضهم ، فإنك لا تسعهم كنهم قلب أو على بعضهم قال . فرجع عمر وريد إلى رسول الله ﷺ ، فقال ريد أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فأس به وصدقه وتابعه ، وشهد مع رسول الله ﷺ ، مشاهد كثيرة ثم قتل في عرقة تبوك شهيداً مقبلاً غير مدبر رحمه الله

سلمان الفارسي رضي الله عنه

عن محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد ، عن ابن عباس قال : حدثني سلمان الفارسي قال : كنت رجلاً من أهل فارس ، من أهل أصفهان من قرية يدعى ها « جي » ، وكان أبي دهقان أرضه^(١) ، وكان يحبني حباً شديداً لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده فمأزال به حبه يابى حتى حبسني في بيت كما تحبس العجريه ، واحتشد في المحرسية ، حتى كنت فاحط لبار الذي يوقدها ولا يتركها بخير ساعة ، فكنت كدبك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أن فيه ، حتى بي أبي ثياباً له ، وكانت له صبيحة منها بعض العمل ، فدعاني فقبلي أي بي ، إله قد شعلني ما يرى من بياني عن صبيحتي هذه ، ولابد من طلاعتها ، فانطلق بيها ، فمرهم بكاء وكدا ، ولا تحبس عني ، فإنك إن أحببت عني ، شعلني عن كل شيء ، فخرجت أريد صبيحة ، فمررت بكنيسة المصاري ، فسمعت أصواتهم فيها ، فقلت ما هذا ؟ فقالوا هؤلاء المصاري يصلون ، فدخلت أنظر ، فاعجبت ما رأيت من حوهم ، فوالله ما رأيت جالساً عندهم حتى غرب الشمس ، وبعد أبي في صلي في كل وجه حتى حنته حين أمسيت ، ولم أذهب إلى صبيحته ، فقال أبي أين كنت ؟ أم أكره قلت لك لا تحبس عني . فقلت .

(١) أي سيد أهل بلده من ٣٥٨ دلال النبوة

يا أبتاه ! مررت باسم يقال لهم . النصارى ، فأعجبتى صلاتهم ودعائهم فجلس أنظر كيف يعملون ؟

فقال : أى بى ، ديتك ودين آبائك خير من دينهم .

فقلت لا والله ، ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قوم يعدون الله ، ويدعونه ويصلون له . ونحن إنما نعبد ناراً بوقدها بأبدية ، إذا تركناها ماتت فحاشى ، فجعل فى رجلى حديدًا ، وجبسى فى بيت حنله ، فبعثت إلى النصارى ، فقلت لهم :

أين أصل هذا الدين الذى أراكم عليه ؟ فقالوا : بالشام ، فقلت : فإذا قدم عليكم من هناك ناس فادبوسى ، فقالوا : نعم ، فقدم عليهم ناس من تحارهم ، فبعثوا إلى أنه قد قدم عليا تحار من تحارنا فبعثت إليهم إذا قصوا حوائجهم وأرادوا فادبوسى بانحروج فقالوا : نعم ، فلما قصوا حوائجهم وأرادوا الرحيل ، بعثوا إلى بذلك . فطرحنا الحديد الذى فى رجلى . وحققت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمت سألت من أفضل أهل هذا الدين ؟ فقالوا : الأسقف صاحب الكنيسة ، فبعثته ، فقلت له : ببنى أحببت أن أكون معك فى كنيستك ، وأعيد الله فيها معك ، وأتعلّم منك الخير ، قال : فكن معى . قال فكنيت معه ، وكان رجل سوء كان يأمرهم بالصدقة . ويرعيتهم فيها ، وإذا جمعها إليه أكثرها ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق ، فأبعضته بعضاً شديداً لما رأيت من حاله ، فلم يشب أن مات ، فمدا حذاءه لبدنوه فلت بهم إن هذا رجل سوء ، وكان يأمرهم بالصدقة ويرعيتهم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه ، أكثرها ولم يعطها المساكين فقالوا : وما علامه ذلك ؟ فقلت أنا أخرج لكم كرها ، فقالوا : فهاتيه : فأخرجت لهم سبع قلال مملوكة ذهباً وورقاً ، فلما رأوا ذلك قالوا والله لا يذوق أبداً مصيبوه على حسنة ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه فلا والله - يا بن عباس - ما رأيت رجلاً قط لا يصلى الخمس ، أرى أنه أفضل من وأشدّ اجتهاداً ولا رهاقة فى الدنيا ، ولا دأب ليلاً ونهاراً منه ، ما أعسى أحييت شبك قط قلبه حبه ، فلم أرل معه حتى حصرتة الوفاة . فقلت يا فلان قد حصرك ما ترى من أمر الله ، وإننى والله ما أحب شئاً قط حبك ، فماداً تأمرى ؟ وإلى من توصى ؟ فقال لى أى بى ، والله ما أعلم إلا رجلاً بالموصل فأتته . فإنك ستجد على مثل حالى ، فلما مات وعيب ، لحقت بالموصل فأتيت صاحبه فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والرهادة فى الدنيا ، فقلت له : إن فلاناً أوصى بى إليك أن أتيت وأكون معك ، قال : فأقم أى بى ، فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه حتى حصرتة الوفاة فقلت له : إن فلاناً أوصى بى إليك وقد حصرك من أمر الله ما ترى ، وإلى من توصى ؟

قال والله ما أعلمه أى بنى ، إلا رجلاً بصيراً وهو على مثل ما نحن عليه فالتقى به ، فلما دعاه حقت بالأحر ، فقلت له يا فلان ، إن فلاناً أوصى بى إلى فلان وفلان أوصى بى إليك ، قال ، فاقم يا بنى ؟

فأقمته عنده على مثل حاجهم حتى حصرتة الوفاء . فقلت له يا فلان ، إنه قد حصرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلان أوصى بى إلى فلان ، وأوصى بى فلان إليك ، فقال أى بنى ، والله ما أعلم أحد على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بصيراً من أرض الروم ، فأتته ، فإئت مستجده على مثل ما كنت عليه ، فلما ودرته خرجت حتى قلت على صاحب عمورية ، فوجدته على مثل حاجهم ، فأقمته عنده وكتسبت حتى كانت لى غيمة وبقرات ، ثم حصرتة الوفاء ، فقلت يا فلان إن فلان (كان) أوصى بى إلى فلان ، وفلان إلى فلان ، وفلان إليك ، وقد حصرك ما يرى من أمر الله (تعالى) فإلى من توصى بى ؟ قال أى بنى ، والله ما أعلمه بقى أحد على مثل ما كنا عليه ، أمرك أن تأتبه ولكنه قد أظلك زمانه بنى يئتم من الحرم ، مهاجرة بين خرائين إلى أرض سبعة ذات بحيل ، وإن فيه علامات لا تحصى بين كتبه حاتم البوة ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، فإن استصعبت أن تحصن إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه

فلما وارياه ، أقمت حتى مر بى رجال من تجار العرب من كلب ، فقلت لهم نعموني معكم إلى أرض العرب ، وأعطيكم عيتمتى هذه ويقرانى ؟ قالوا نعم ، فأعطيتهم إياها وحملوني ، حتى إذا جاءوا بى وادى انقرى ، ظلموني عابوني عبداً من رجل من يهود يوادى القرى ، فوالله ، لقد رأيت النحل وطعمت أن يكون البلد الذى بُعثت لى من صاحبي ، وما حقت عندي حتى قدم رجل من بى قريظة من وادى القرى ، فلتاعى من صاحبي الذى كنت عنده ، فخرج بى حتى قدم بى المدينة فوالله ، ما هو إلا أن رأيتها فعرعت بعثها ، فأقمته فى رقى مع صاحبي ، وبعث الله رسوله ﷺ بمكة ، لا يذكر لى شيء من أمره مع ما أنا فيه من الرق ، حتى قدم رسول الله ﷺ فبأه وأنا أعمل لصاحبي فى محبة له ، فوالله إنى لفيها إذ جاء ابن عم له فقال . يا فلان ، فإت الله بى قبلة^(١) والله ، إنهم - الآن - لفي قباه مجتمعون على رجل جاء من مكة ، يرفعون أنه بنى ، فوالله ، ما هو إلا أن سمعتهما ، فأحدثنى العرواء يقولون الرعدة حتى طست لأسقط على صاحبي ، وبرت أقول . ما هذا الحبر ؟ ما هو ؟ فرفع مولاي يده فلكمى نكمة شديدة ، وقال : مالك وهذا ؟ أقبل على عملك ، فقلت لا شيء . إنما سمعت خبراً فأحييت أن أعلمه ، فلما أمسيت -

(١) هم الأوس والخزرج ص ٣١٢ دلائل النبوة

كان عدى شيء من طعمه - فحمته وذهبت إلى رسول الله ﷺ ، وهو بقدر ، فقلت :
 (قد) بمعنى أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك عرباء وقد كان عدى شيء
 من الصدقة فزيتكم حق من هده سلاديه ، فما هو ذلك ؟ فأمسك رسول الله
 ﷺ يده ، وقال لأصحابه كلوا ، ولم يأكل ، فقالت نفسي هذه حلة من وصف
 لي صاحبي ، ثم رجعت ، وتحول رسول الله ﷺ ، إلى مدينة ، فجمعت شيئاً كان عدى
 ثم جئته به ، فقلت : إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة ،
 فكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه ، فقلت : هذه حلتان ، ثم حب رسول الله ﷺ ، وهو
 يبيع حنانه وعنى شملتان لي ، وهو في أصحابه ، فاسدرت به لأنظري المحتاج في ظهره ،
 فلما رأني رسول الله ﷺ اسدرتني ، عرف أنني استنبت شيئاً من وصف لي ، فوضع رداءه
 عن ظهره فصررت إلى المحتاج بين كتفيه ؟ كما وصف لي صاحبي ، فأكبت عليه أفبده وأبكي ،
 فقال لي تحول يا سلمان ، هكذا فتحت فحسنت بين يديه ، وأحب أن يسمع أصحابه
 حديثي عنه ، فحدثته يا ابن عباس كما حدثت ، فما فرغت ، قال يا رسول الله ﷺ كاتب
 يا سلمان صاحبي على ثلاثمائة دينة أحسها ، وأربعين أوقية ، وأعانني أصحاب رسول الله
 ﷺ بسجل لرجل ثلاثين ودينه ، وعشرين ودينه وعشر ، كل رجل منهم على قدر
 ما عنده ، فعرض لي رسول الله ﷺ فرساً ، فإذ فرغت فادبني ، حتى أكون ما الذي
 أصعبها بيدي ، ففعلتها وأعاني أصحابي يقول : ففعلت ما حدث بوصف حتى فرغت
 منها ، ثم حب رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، قد فرغت منها فخرج معي حتى
 جاءها ، وكنا حمل إليه النوى ، ويضعه منه ويسوى عندها ، فوالذي بعثه بالحق ، ما كانت
 منها ودية واحدة ، فأدب المخل وبفس على أنسهم فأتاه رجل من بعض المعداد بمثل
 النسيئة من الذهب ، فقال رسول الله ﷺ : أين المارسي اسمهم مكاتب ؟ فدعيت له فقال
 هذه يا سلمان ، فأدبها بما عييت ، فقلت : يا رسول الله ، وأين تقع هذه مما على ؟ قال فإن
 الله تعالى سيؤدى بها حنك ، فوالذي نفس سلمان بيده ، لورثت لهم منها أربعين أوقية فأديتها
 إليهم ، كان الرق قد حسني ، حتى فاني مع رسول الله ﷺ « بقره » و « أحد » ، ثم
 عرفت ، عشتدني لصدق ، ثم لم يمتني معه مشهد « ١٣ » هـ

وهذا المصير من آخرت لعرش قد كان محمد فيكم علامة خدنا رصاكم فيكم ،

(١) الودية بكسر الدال وتشديد الياء النفسية الصغيرة

(٢) فر بتشديد الفاء حجر لوزع مسائل النحل

(٣) رجع النص في دلائل النبوة ج ١ ص ٣٥٨ إلى ٣٦٤

وأصدقكم حديثاً ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدغيه شيب ، وحاءكم بما حياءكم به ، قلتهم : ساحر ، لا والله ما هو بساحر^(١)

أخرج الواحدى ، عن مقاتل ، قال :

كان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، يكذب النبى ﷺ في العلابية ، فإد حلاً مع أهل بيته ، قال ما محمد ﷺ من أهل الكذب ، ولا أحسبه إلا صادقاً ، فأمر الله تعالى ﴿قد يعلم أنه ليحرثك الذى يقولون فإنهم لا يكذبون﴾^(٢)

عن أنس بن مالك ، قال :

« بينما عن جلوس مع النبى ﷺ فى المسجد ، دحر رجل على حمل ، فبأحه فى المسجد ، ثم عمده ، ثم نال هم . أبكم محمد ؟ ونسبى ﷺ متكى بين ظهرانيهم ، فعلى هذا الرجل الأبيض المتكى فقال له الرجل ابن عبد المطلب ؟ فقال النبى ﷺ قد أجتد ، فقال الرجل للنبى - ﷺ - إني سألت ، فمشدد عليك فى المسألة ، فلا تجد على فى نفسك ،

فقال سل عما بدا لك فقال أسألك بربك ورب من قبك ، الله أرسلك إلى الناس كلهم ؟ .. فقال : اللهم نعم ..

قال أنشدك بالله ، الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم واليلة ؟ قال اللهم نعم

قال أنشدك بالله ، الله أمرك أن تصوم هذا لشهر من السنة ؟ قال اللهم نعم

قال أنشدك بالله ، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أعدائنا فتقسمها على فقراء ؟ فقال النبى - ﷺ - اللهم نعم

فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول ، من رعى قوماً وأنا صيام من تبعه أحو بنى سعد بن بكر »

□□□

(١) التمام من ١٥ وروى هذا بصورة أكثر استعاضة وإن كان الجوهر واحداً
(٢) الأنعام آية ٣٣

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الحادي عشر : عن :

مواقف

مواقف^(١)

٩

الجهر بالدعوة

عن ابن عباس قال : لما أنزلت : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢) صنع رسول الله ﷺ ، على لصفا فقال : « يا معشر قريش » . فقلت قريش : محمد على الصفا يهتف ، فأقبلوا واجتمعوا فقالوا : مالك يا محمد ؟ قال :

« أرأيتم لو أحبرتمكم أن خيلاً يسفح هذا العجل ، أكنتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم . أنت عندنا غير متهم ، وما جرئنا عليك كذباً قط ، قال :

« فبني سدري لكم بين يدي عديب شديد ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني زهرة ، حتى عدد الأفخاذ من قريش .

« إن الله أسمى أن أنذِرَ عشيرتي الأقربين . وإنني لا أملك لكم من الدنيا منعة ، ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله »^(٣)

□□□

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال قام رسول الله ﷺ ، حين أنزل الله عز وجل : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قال : يا معشر قريش ، أو كلمة نحوها : « اشترؤا أنفسكم ، لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف ، لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب ، لا أعني عنك من الله شيئاً »^(٤) ويا صديقة عمة رسول الله ﷺ ويا فاطمة بنت محمد^(٥) سليمان ما شئت من مالي ، لا أعني عنك من الله شيئاً »^(٥) . هـ

(١) هذه المواقف التي يذكرها ما تيسر اليقين نطلق عند الرسون صلى الله عليه وسلم برسائه ، وبين قوة ثقته بصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرسول ، وقوا لإيمانهم بالرسالة ، وهي إجابته عن سؤال مرسل هل يرد أحد منهم سحابة لديه ؟

(٢) الشعراء ، آية ٢١٤

(٣) الميعقات ١٨٤

(٤) صلى الله عليه وسلم كذا في اليونانية من غير رقم لا تصحيح

(٥) صحيح البخاري ج ٧ ص ٧ - ٨ ج ١ الشعب

الاستمرار في الدعوة :

تحدث كتب السيرة عن سَعْيِ فَرِيشَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ؛ لِيَهَيِّئَ مُحَمَّدًا ﷺ ، عَنِ الاستمرار فِي الدَّعْوَةِ

وَلَمَّا التَّمَقَّى الْقَرِيشِيُّ بِهِ ، قَالُوا : يَا يَا طَالِبَ ، إِنْ ابْنُ أُخَيْكَ قَدْ سَبَّ آهَتَنَا ، وَعَابَ دِيْنَا ، وَسَفَّ أَحْلَامَنَا ، وَصَلَّ أَبْدَانَنَا ، فَمَا أَنْ تَكْفَهُ عَنَّا ، وَإِنَّمَا أَنْ تَحُلِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ - فَإِنْ عَنِ مِثْلِ مَا عَنِ عَلَيْهِ مِنْ جِلَافِهِ - فَكْفَيْكَ ؟ قَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ ، قَوْلًا رَفِيقًا ، وَرَدَّهُمْ رَدًّا حَمِيلًا فَاَنْصَرَفُوا عَنْهُ .

وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، بَظَهَرِ دِينَ اللَّهِ ، وَدَعَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ شَرَى الْأَمْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، حَتَّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ ، وَصَاعُوا ، وَأَكْثَرَتْ فَرِيشَ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُ ، فَتَدَامَرُوا عَلَيْهِ ، وَحَصَّنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالُوا لَهُ يَا أَبَا طَالِبَ ، إِنْ لَكَ سَنًا وَشَرَفًا وَمِرْلَةً فَبِئْسَ ، وَإِنَّا قَدْ اسْتَنْهَيْتُكَ مِنْ ابْنِ أُخَيْكَ فَمِمَّنْ نَهَى عَنْهُ ، وَإِنَّا وَاللَّهِ ، لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا ، وَسَمِيَةِ أَحْلَامِنَا ، وَغَيْبِ آهَتِنَا ، حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا ، أَوْ تَبَارِزْهُ وَبَيْنَا فِي ذَلِكَ ، حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ ، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ ثُمَّ انْصَرَفُوا عَنْهُ فَعَظُمَ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ وَلَمْ يَطْبُقْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ وَلَا خَدْلَانَهُ .



فَبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَالَهُ . يَا ابْنَ أُخْتِي ، إِنْ مَوِئْتُ قَدْ جَاءَنِي ، فَتَصَوَّرْ لِي كَدًا وَكُدًا ، لِلدِّيِّ كَانُوا قَالُوا لَهُ ، فَأَبَى عَلَى ، وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أَطِيقُ :

فَعَصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّهُ قَدْ بَدَأَ لَعْنَهُ فِيهِ يَدُو ، وَأَنَّهُ حَادِلُهُ وَمُسْلَمُهُ ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَانْقِيَامِ مَعِهِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : يَا عَمَّ ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أُتْرِكَ هَذَا الْأَمْرُ - حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ أَوْ أَهْلُكَ فِيهِ مَا تَرَكْتَهُ .

قَالَ ثُمَّ اسْتَعِيرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَبَكَى ، ثُمَّ قَامَ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : أَقْبِلْ يَا ابْنَ أُخْتِي ، قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : اذْهَبْ يَا ابْنَ أُخْتِي ، نَفْسُ مَا أُحِبُّكَ ، فَوَاللَّهِ ، لَا أُسَلِّمُكَ لَشَيْءٍ أَبَدًا

الرسول ﷺ في الطائف .

لما نُوْفِيَ أبو طائف ، اجترأ قريش على رسول الله ﷺ وبالت منه ، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة ، ودلت هي بيال بقية من شوال سنة عشر من حين نبىء رسول الله ﷺ . فأقام بالطائف عشرة أيام لا يدع أحداً من أشrafهم إلا جاءه وكلمه ، وعحمد دعاهم إلى الإسلام أخوة ثلاثة ، وهم سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم عبد ياليل ، ومسعود وحسب بنو عمرو بن عَمِير بن عوف ، فجلس إليهم بدعاهم إلى الله ، وكذبهم لما جاءهم له من نصرته على الإسلام والقيام معه على من حاله من قومه ، فقال أحدهم هو يعنى بصرته بمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر أما وجد الله أحداً أرسله غيرك ؟ وقال الثالث والله ، لا أكسبك أبداً لك كسب رسولاً من الله - كما تقول - لأب أعظم حظاً من أن أرد عليك الكلام . ولكن كنت تكذب على الله . ما يعنى أن أكسبك

فقام رسول الله ﷺ من عندهم ، وقد يئس من حبر ثقيف وأغروا به سفهاءهم وعبيدئهم . يسبونه ويصيحونه به ، حتى اجتمع عليه الناس وأنحشوه إلى حائط نعتة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان بشعه

فعمد إلى ظل حبله^(١) من عنب فجلس فيه ، وأبى ربيعة ينظروا إليه ، ويريدون ما يلحق من سفهاء أهل الطائف

فلما اطمأن دل فيما ذكر « اللهم إني أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك عصب على فلا أبالي . ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات . وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن تنزل بي عصيتك أو تجعل عني سخطك ، لك العتبي حتى تصي ، ولا حول ولا قوة إلا بك »^(٢) .

فلما رأى ابن ربيعة عتبة وشيبة من نفي ، دعوا علاماً هما صردبا يقال له عداس فقلبا له حداً قطعاً من هذا العصب ، فضعوه في ذلك الصب ، ثم ذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل

(١) الحبل الكرم

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٩ ، ١٥٠ ط الخليلي

له يأكل منه ففعل ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، فلم وضع رسول الله ﷺ يده ، قال : بسم الله ، ثم أكل

هضر عذّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد

فقال له رسول الله ﷺ : ومن أي البلاد أنت ؟ وما ذاك ؟

قال : أنا نصراني ، وأنا رجل من أهل بيتوى .

فقال له رسوله الله ﷺ : من قرية رجل الصالح يونس بن متى ؟

قال : ذلك أخي ، كان نبياً ، وأنا بيني

فأكب عذّاس على رسول الله ﷺ ، فقبل رأسه ويديه ورجليه

قال يقول يا ربعة أحدهما لصاحبه .

أما غلامك ، فقد أفسدته عليك

فما جاءهما عذّاس فقالا له ويلك يا عذّاس . مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه

وقدميه ؟ قال يا سيدي ما هي الأرض خير من هذا الرجل بعد أن حيرني بأمر لا يعنمه إلا بي^(١) .

- ٤ -

أشجع الناس

عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ، ولقد مرع أهل المدينة ليلة ، فخرجوا نحو الصوب ، فاستقبلهم النبي ﷺ ، وقد استبرأ الحجر ، وهو على فرس لأبي طلحة عركي ، وهي عنقه السيف وهو يقول لم ترأعوا ، لم ترأعوا ثم قال وجدناه محراً ، أو قال : إنه ليحر^(٢) .

- ٥ -

فاطمة رضي الله عنها

أحبر علي بن فاطمة عبيد السلام . سكت ما بلغني من الرُحى ، ثم يطحن ، فسمعته أن رسول الله ﷺ ، أتى سحر . فأنته بسأله خادماً ، فلم توافقه ، فذكرت لعائشة ، فحاء النبي

(١) الروا بأحوال المصطفى ج ١ ص ٢١٣ ، ٢١٤

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٤٧

ﷺ ، فذكرت ذلك عائشة له ، فأتانا ، وقد دخلنا^(١) مصباحاً ، فذهبنا لنقوم ، فقال مكانكما ، حتى وجدت برد قدميه على صدري ، فقال ألا أدلكما على خير مما سألتكما ، إذ أحسنا مصاحبكم ، فكبرا لله أربعاً وثلاثين ، وأحمده ثلاثاً وثلاثين ، وسبحه ثلاثاً وثلاثين ، فإن ذلك خير لكم مما سألتما^(٢) .

- ٦ -

في حفر الحندق :

عن أنس رضي الله عنه قال جعل المهاجرون والأنصار محفرون الحندق حول المدينة ، ويقفون التراب على متوبهم (طهورهم) ، ويقولون :
محسن الدينس بايعوا محمداً على الجهاد^(٣) ما بقيا أبداً
والنبي ﷺ يحييهم ويقول « اللهم إني لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة »^(٤)

□□□

عن الراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ ، يوم الأحزاب ، يقل التراب ، وقد وارى التراب يخاص بطنه وهو يقول
اللهم لو لا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا نصيبنا ، فأنزل^(٥) سكيه عليه ، وثب الأقدام إن لاقبنا . إن الألى قد بعوا علينا ، إذا رادوا فبئس أئبنا^(٦) .

٧

الله المانع

عن جابر بن عبد الله قال عزروا مع رسول الله ﷺ ، قبل حجة ، فبما فعل رسول الله ﷺ ، فقلبت معهم ، فأدركته القاذية في وادٍ كثير العصاه^(٧) ، فبرر أصحاب رسول الله ﷺ ، تحت الشجرة ، وبرر رسول الله ﷺ ، تحت سمره ، فعلى بها سبعة

(١) أخرنا

(٢) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٢٠ ط

(٣) وفي رواية على الإسلام

(٤) صحيح البخارى ج ٧ ص ٢١ ط الشعب

(٥) أنزل السكيه

(٦) صحيح البخارى ج ٧ ص ٢١ ط الشعب

(٧) العصاه : شجر عظيم له شوك

قال حابر فتمت نومة ، ثم إذا رسول الله ﷺ يدعوننا ، فحشده ، وإذا أعرابي حده جالس ، فقال رسول الله ﷺ .

إن هذا احتشط سيقى وأنا نائم ، فستيقظت وهو في يده صلتاً^(١) . فقال لي من يصعلك مني ؟ قلت - الله ، وها هو ذا جالس ، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ^(٢)

- ٨ -

ابن مظهر بن يوثر جوار الله :

ما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ، ﷺ من اللاء ، وهو يعدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة ، قال والله ، إن عدوئى وزوجى آمن بجوار رجل من أهل البصرة وأصحابي ، وأهل ديني يقولون من اللاء والذي في الله مالا يصيبني نقص كبير في نفسي ، فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس ، وقت دمتك ، قد رددت بيت حوارك فقال له لم يا ابن أخي ؟ لعله آذاك أحد من قومي ؟ قال لا ، ولكنني أُرصى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بعيره ؟

قال فانطبق في المسجد فاردد على حوارى علانية . كما أجرتك علانية قال فانطلقا فخرجنا حتى أتيا المسجد ، فقال الوليد هه عثمان قد جاء يرد على حوارى

قال صدق ، قد وجدته وفياً كريم الجوار . ولكنني قد أحيت أن لا أستجير بعير الله ؟ فقد رددت عليه حواره ، ثم انصرف عثمان ، وليد بن ربيعة بن مالك بن جهمر بن كلاب في مجلس من قريش يُشعلهم ، فجلس معهم عثمان ، فقال وليد « ألا كل شيء ما خلا الله باطل »

قال عثمان : صدقت ، قال

« وكل نعيم لا محالة زائل »

قال عثمان : كذبت ، نعيم الجنة لا يروى

قال وليد بن ربيعة : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤدي جليستكم ، فمتى حدث هه فيكم ؟

فمن رجل من القوم إن هه سعية في سفهاء معه ، قد فارقوا دينه ، فلا تحبب في

(١) صلتاً مجرداً من غشيه ، بمعنى مصلب

(٢) الوفا بأحوال المصطفى ﷺ ج ١ ص ٣٢٦ والحديث أخرجه البخاري ومسلم

بمسك من قوله ، فردّ عليه عثمان حتى شربى أمرهما . فقام إليه ذلك الرجل ، فذمّ عيه ، فحصرها ، ولوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال .

أما والله يا ابن أخي ، إن كانت عيبك عما أصابها لعنة ، لقد كنت في دمة مبيعة .

قال يقول عثمان بل والله إن عيبى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب احتها في الله وإني لفي جوار هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد : هلم يا ابن أخي ، إن شئت فعُدْ إلي جوارى ، فقال : لا ،^(١)

- ٩ -

أبو بكر رضى الله عنه وابن الدغنة :

التقى ابن الدغنة ، بأبي بكر في الطريق خارج مكة ، فقال ابن الدغنة أين يا أبا بكر ؟ قال أخرجني قومي وآدوبي ، وصيّقوا عني

قال ولم ؟ فوالله أنك لثري العشرة وعين على النواثب ، وتفعل المعروف ، وتكسب المعدم ، أرجع وأنت في حوارى ، فرجع معه ، حتى إذا دخل مكة ، قام ابن الدغنة فقال . يا معشر قريش ، إني قد أجرت ابن أبي قحافة ، فلا يمرضنّه أحد إلا بحير فكفوا عنه ، وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بى جُحج ، فكان يصلي فيه ، وكان رجلاً رقيقاً ، إذا قرأ القرآن استبكي قالت فيقف عيه الصبيان ، والعبيد والناس ، يحجبون لما يرون من هيئته فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة ، فقالوا له .

يا ابن الدغنة ، إنك لم تجر هذا الرجل ، ليؤدّيته إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي ، وكانت له هيئة ونحو (مطهر كريم) فحسن تتخوف على صبياننا ومساكيننا وصعقتنا أن يمشهم ، فأنه صرّه أن يدخل بينه فليصع به ما شاء

فمشى ابن الدغنة إليه ، فقال له يا أبا بكر ، إني م أجرك لنؤدى قومك إليهم قد كرهوا مكانك الذي أنت فيه ، وتأدوا بذلك منك ، فادخل بيتك ، فاصع فيه ما أحببت ، قال . أو ردّ عليك جوارك وأرضى بحوار الله ؟ قال . فردّد على حوارى قال : قد ردّدته عليك ، قلت فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش ، إن ابن أبي قحافة قد ردّ على حوارى ، فشأنكم بصاحبكم قال ابن اسحاق وحدثني عبد الرحمن بن العاصم عن أبيه

(١) الروض الأثرف ج ٢ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤

القاسم بن محمد قال لقيه سميه من سمهاء قريش ، وهو عائد إلى الكعبة ، فحنا على رأسه
 ترأبها ، فان همرأى بكر الوليد بن سميرة ، أو العاص بن وائل ، قال فقال أبو بكر :
 ألا ترى إلى ما مع هذا السفيه .

قال : أنت فعلت ذلك بنفسك . قال : وهو يقول :

أى رب !! ما أحلمت ، أى رب !! ما أحلمت ، أى رب !! ما أحلمت^(١)

- ١٠ -

بلال رضى الله عنه

هل أنك حديث أمية بن حنف ، وقد علم بإسلام عبده بلال ، فم يكن له من هم إلا
 النص المحجل في إداقته العذاب ألواناً ؟

لقد أحاط عنقه بحبل من ليف النخيل الحثيث ، وأسلمه إلى أيدي الصبيان الذين لا سبيل
 لرحمة في قلوبهم ، فأحدوا يعيشون بجره كحيوان ، يحرقونه إلى الإمام ، ويحرقونه إلى الوراء ،
 يحرقونه يمناً ويحرقونه شمالاً ، والحبل يخرق في عنقه ، حتى حرقوه محرقاً دائماً ، غير أن
 بلالاً ، رغم كل ذلك لم يبدُ عليه التأثير ، فما كان من أمية إلا أن مع عه ، بضعم والشراب ،
 وكان يخرجهم إذا حميت الظهيرة ، فطرخه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة
 العظيمة فوضع على صدره ، عنة هذا الرمل الذي جعلته حرارة الشمس ، كالبحر ، كان يلقي
 أمية بلالاً ويقول له « لا ترس هكذا حتى يموت أو يكفر بمحمد وتعيد اللات والعزى »

تُحاه كل هذا كان بلال الصبور يكتفي برفع سبائه إلى السماء مكرراً « أحمّد
 أحمّد » يظهر بذلك حنقه لسيده الذي يبعث به الحرّة أن جعل لله شركاء ، برعمه
 من حش أو حجارة ، وكان تأكيد الأحدية لله تعالى ، يشير في روعه أنه شهيد الإيمان ،
 ويبعث في نفسه عدوية فائقة الوصف ، فلا يشعر معها بأليم العذاب .

وكان ورقة بن نوفل يمرّ به وهو يُعذب ، فلا يفتر عن قوله « أحمّد أحمّد » فيقول ورقة
 « أحمّد أحمّد » والله يا بلال ثم يقل على أمية بن حنبل ، ومن يصنع ذلك به من سى جمع ،
 فيقول : أحلف بالله لئن تلتتموه على هذا لأنحسنه حاناً .
 وشاءت الأقدار أن يمرّ أبو بكر بالرمضاء ، حيث كان يُعذب بلال ، ويشهد هذه المض

(١) الفروس الأنف ج ٢ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧

البشع ، فقال في اشمزاز ألا تحشى عقاب الله يا أمية حينما تدبى هذا المسكين العذاب ألوانا ؟ فأجاب في برود صارح : إنك أنت الذى أفسدته ، فأنقذه بما ترى قال أبو بكر : عندي علام أسود أقوى منه وأجلد ، وهو على دينك ، أعطيكه به ؟ قلت ، هو لك . فعطاه أبو بكر علامه ذلك ، وأخذ بلالا فأعتقه^(١) .

- ٩١ -

أول صحابي جهر بالقرآن :

قال ابن اسحاق : وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ ، بمكة ، عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال . اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا ، والله ما سمعت قرئش هه القرآن يُجهرُ لها به قص ، فمن رجل يُسمِعُهُمْ ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا قالوا إنا نحشاهم عليك ، يا بريء رجلاً له عشيرة يسمونه من القوم يا أرادوه ، قال دوى عبد الله سيمعنى ، قال عبد الله بن مسعود حتى أتى المقام فى الصبحى ، وقرئش فى أئديتها ، حتى قام عبد المقام ثم قرأ . « بسم الله الرحمن الرحيم » رافعاً بها صوته ﴿الرحمن علم القرآن﴾ قال ثم استقبلها يقرؤها ، قال فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد ؟ قال . ثم قالوا إنه يتلو بعض ما جاء به محمد ، فقاموا إليه . فجعلوا يصرون فى وجهه ، وجعل يقرأ حتى يلج منها ما شاء الله أن يطلع ، ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا فى وجهه ، فقالوا له هه الذى حشيت عليك ، فقال ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ونحن شتم لأعاديهم يمشيها عدداً ، قالوا لا . حسبتك ، قد أسمعتهم ما يكرهون .

- ٩٢ -

إسلام عمرو بن عبسة :

عن عمرو بن عبسة قال « أتيت رسول الله ﷺ ، فى أول ما بعث ، وهو بمكة ، وهو مستحف ، فقلت ما أنت ؟ فقال أن سى ، فقلت وما السى ؟ قال رسول الله ، قلب الله يسبك ؟ قال نعم ، قلت بم أرسلك ؟ قال . بأن عبد الله وبكمبر الأوثان ، وبصل الأرحام ،

(١) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قلت : نعم ما أرسلك به ، فمن تبعك على هذا ؟ قال حر وعبد . . يعنى : أبا بكر وبلا قال وكان عمرو يقول : لقد رأيتنى وأن رابع إسلام ، قال . فأسلمت ، قلت فأتيت يا رسول الله ؟ قال لا ، ولكن الحز بعومك ، فإذا أخبرت أنى قد خرجت فأتينى .

هذا حديث رواه جماعة عن أبى أمامة وأخرجه مسند من حديث شداد بن عمر^(١)

- ١٣ -

إسلام خالد بن سعيد

عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : « كان إسلام خالد يعنى ابن سعيد بن العاص - قديماً ، وكان أول إخوته أسلم . وكان يندو بإسلامه أنه رأى في النوم ، أنه وقف به على شفير النار ، فذكر من سمعها ما الله تعالى أعظم به ، ويرى في النوم كأن فيه يدفعه فيها ، ويرى رسول الله ﷺ ، أحد بحقوقه لا يبع ، فصرع من بومه ، وقال أحلف بالله إن هذه رؤيا حق ، فأتى أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه ، فذكر ذلك له . فقال أبو بكر أريد بك خير هذا رسول الله ﷺ ، فأتبعه ، فبذل مستبحة ، وتدخل معه في الإسلام . إنه يأخذ بحجرك أن تدخل فيها ، وأبوك فليقع فيها ، فلقى رسول الله ﷺ وهو بأحياد فقال يا محمد إلام تدعو ؟ فقال : أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . وتخلع ما أنت عليه من عبادة ححر لا يسمع ولا يبصر ، ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يدري من عبده بمن لم يعده قال خالد : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وشهد أنك رسول الله ، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه وتمييز خالد ، وعدم أبوه بإسلامه ، فأرسل في طلبه ، فأتى به ، فأنه وصربه بمقرعة في يده حتى كسرها على رأسه ، وقال والله ، لأضعنك القوت فقال خالد إن معننى فإن الله يرزقنى ما أعيش به وانصرف إلى رسول الله ﷺ وكان يلزمه ويكون معه^(٢)

- ١٤ -

حجرة بن عبد المطلب :

عن محمد بن إسحاق ، قال حدثني رجل من أسلم - وكان داعية - أن أبا جهل اعترض رسول الله ﷺ عند الصف ، فداه ، وشتعه ، وقال مه ما يكره من العيب لديه ، فذكر ذلك لحجرة بن عبد المطلب ، فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس ، فصربه بها صربة

(١) راجع من ٤٢١ ، ٤٢٢ ج ١ دلائل النبوة

(٢) من ٤٢٢ ، ٤٢٤ دلائل النبوة

شجّه مه شجرة مكرّة؛ وقام رجال من قريش من بني محزون إلى حمرة ، ليصروا لها جهن
منه ، فقالوا : ما براك يا حمرة إلا قد صيأت

فقال حمرة وما يصنعى وقد استبان لي منه ؟ أنا أشهد أنه رسول الله وأب الذي يقول
حق ، فوالله ، لا أنزع ، فامعوني إن كنتم صادقين .

فقال أبو جهل . دعوا أبا عمارة ، فإني والله ، لقد سبت ابن أخيه سبا قبيحاً ، فلما أسلم
حمرة ، عرف قريش أن رسول الله ﷺ ، قد عمر وامتنع ، فكفوا عن بعض ما كانوا يساونونه
منه ، وقل حمرة في ذلك شعراً

قال ابن إسحاق ثم رجع حمزة إلى سته ، فأتاه الشيطان ، فقال أنت سيد قريش ،
اتبع هذا الصابي ، وتركت دين آبائك ؟ فلهوت حبر لك ، صعبت ، فأقبل على حمرة
يبته ، فقال ما صعبت ؟ اللهم إن كان رشداً وجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاحصن لي
بما وقعت فيه محرجاً

فبات ليلة لم يبت يمشيها من وسوسة الشيطان حتى أصبح ، فعاد على رسول الله ﷺ
فقال يا ابن أخي ما فعلت في أمر لا أعرف المخرج منه ، وإقامة مثلي على
ما لا أدري ، أرشد هو أم عي شديداً ؟ فحدثني حديثاً فقد شبهت يا ابن أخي أن
تحدثني ؟

فأقبل رسول الله ﷺ ، وذكره وأعطاه ، وبشّره ، فلقى الله في نفسه الإيمان بما قال
رسول الله ﷺ ، فقال أشهد أنك لصادق ، شهادة الصدق ، فأظهر يا ابن أخي دينك
فوالله ، ما أحب أن لي ما أظلمته السماء ، وأنى على ديني الأول
فكان حمرة رضى الله عنه ممن أعز الله به الدين ^(١)

- ١٥ -

هجرة صهيب .

عن صهيب قال قال رسول الله ﷺ ، رأيت دار هجرتكم سبعة بين طهراني حمرة .
فإما أن تكون حجر ، وإما أن تكون يثرب ، قال وخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة ، وخرج
معه أبو بكر رضى الله عنه ، وكنت قد همت بالهجرة معه فصدني فنيان من قريش فجعلت

(١) انظر من ٤٥٩ ، ١٦٠ من كتاب دلائل النبوة للبيهقي

ليأتى تلك أقوم لا أفعد ؟ فقالوا : قد شبعه الله عكم بخصه ، ولم أكن شاكياً ، فاموا فخرجت
فدعني منهم ناس بعد ما سرت يريدنا ، ليردوني . فقلت لهم :
هل لكم أن أعطيكم أواقى من ذهب وتحتو سبيل ، وتوثقوا إلى الله فمعلوا ، فسقتهم
إلى مكة ، فقلت : حبريراً تحت أسكمه الباب ، فإن تحتها الأواقى ، وذهبوا إلى غلامه فحدوا
الحسين وخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ في قباء ، قبل أن يتحون منها ، فلم رآني
قال : يا أبا يحيى ربح البيع ، ثلاثاً ، فقلت : يا رسول الله ! ما سيقى إليك أحد ، وما أحرك
إلا حبريل عليه السلام (١) .

- ١٦ -

هجرة عمر وقصة عياش معه :

خرج عمر بن الخطاب ، وعياش بن أبي ربيعة المحزومي ، حتى قدما المدينة فحدثني
بافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : أتعدت ،
لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعياش بن ربيعة (واسمه عمرو ويُقَبُّ د الرُحَيْن) ،
وهشام بن العاص بن وائل السهمي ، التناصب من أصاة بن عمار ، فوق سرف ، وقلنا
أينا لم يُصنح عبداً ، فقد جُس ، فليُنص صاحبه ؟

قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناصب ، وحُس ع هشام ، وفتى
فافتش ، فلما قدما المدينة ربا في بني عمرو بن عوف بقاء ، وخرج أبو جهل بن هشام
والخارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأحدهما لأمهما ، حتى قدما
عينا المدينة ، ورسول الله ﷺ ، بمكة فكُتبا ، وقالوا : إن أمك قد بدت أن لا يمر
رأسها ، مُشَطَّ حتى تراك ، ولا تستطل من شمس حتى تراك ، فرق لها فقلب له : يا عياش ،
إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو أدى أمك بقمل
لا منشطت ، ولو قد شئت عنها حر مكة لاسطلت . قال : فقال : أير قسَم أمي ، رى
هالك مال فاحده قال : فقلت : والله إليك لتعلم أبي لمن كثر قریش مالاً ، فلك نصف
مالي ولا تذهب معهما

قال : فأبى على إلا أن يخرج معهما ، فبأبى إلا ذلك ، قال : قلت له : أم إذا قد فعلت
ما فعلت ، فحد باقتي هذه ، فإنها باقة بحية دلون فأنرم ظهرها ، فإن رابتك من القوم ريب ،

(١) دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦

فأخرج عبيها فخرج عبيها معهما ، حتى إذا كانوا بعض الطريق ، قال له أبو جهل يا ابن أخي ، والله لقد استملطت بعيري هذا ، أفلا تُعقبني على ماقتك هذه ؟
 قال - بن - قال - فأناج ، وأناحا ليتحور عليها ، فلما استورا بالأرض غدوا عبي ، فأوثقه وربطاه ، ثم دخلا به مكة وفتياه فافتن
 قال ابن اسحاق . فحدثني به بعض آل عيَّاش بن أبي ربيعة أنهما حين دخلا به مكة ، دخلا به نهاراً ، موثقاً ، ثم قالوا . يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهاكم كما فعلت بسفهيها هـ(١)

- ١٧ -

الوليد بن الوليد ، وعياش ، وهشام .

قال ابن هشام حدثني من أئق به أن رسول الله ﷺ ، قال وهو بالمدية من له بعياش بن أبي ربيعة ، وهشام بن العاص ؟ .
 فقال الوليد بن الوليد بن أميرة . أنا لك يا رسول الله بهما ، فخرج إلى مكة فقدمها مستحمياً ، فلقى امرأة تحمل طعناً ، فقال لها أين تريدين يا أمه الله أقلت . أريد هذين المحوسين نعبهما . فتبعها حتى عركت موضعهما وكان محوسين في بيت لا سقف له ، فلما أمسى تسور عليهما . ثم أخذ مروة ، فوضعهما تحت قيديهما ، ثم صبر بهما سبعة مقطعهما ، فكان يقال سبعة « ذو المروة » بذلك ، ثم خدعهما على بعيره ، وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فقال .

هل أنت إلا أصبع دميست في سبيل الله ما أقيمت

ثم قدم بهما على رسول الله ﷺ (٢) . ولقد كان من دعاء رسول الله ﷺ ، في فترة من الفترات في صلاته ، أن يقول اللهم انج الولد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبي ربيعة ، والمستضعفين من المؤمنين

- ١٨ -

آل ياسر :

عن هشام بن أبي عبد الله ، عن حماد أن رسول الله ﷺ ، مر بعمار وأهله وهم يعدون ، فقال : أبشروا آل عمار وآل ياسر ، فإن موعدكم الجنة

(١) الروض الأنف ج ٤ ص ١٧٠ ، ١٧١

(٢) الروض الأنف ج ٤ ص ١٧٠ ، ١٧٢

عن سفيان عن منصور عن مجاهد ، قال : أول شهيد في الإسلام استشهد أم عمار ،
سُمية ، طعنها أبو جهل بحربة في قلبها

- ١٩ -

الزيرة

عن هشام بن عروة عن أبيه ، أن أب بكر ، أعتق من كان يعذب في الله سبعة ، وذكر
مهم ، الزيرة ، قال فذهب بصره وكانت ممن يذب في الله على الإسلام ، فتأبى
إلا الإسلام ، فقال المشركون ما أصاب بصره إلا آلات والعرق ، فقالت كلاً والله ،
ما هو كذلك فرد الله عليه بصره

٢٠

النصر بن الحارث :

عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : قام النصر بن الحارث بن كندة بن عذمة بن
عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فقال : يا معشر قريش ، إنه والله ، لقد نزل بكم أمر
ما ابتسم بمثله . لقد كان محمد فيكم علامة حدثاً ، أُرصدكم فيكم وأُصدفكم حديثاً ،
وأعظمكم أمانة ، حتى إذا رأيتم في صدأعيه شيب وجاءكم بما جاءكم ، قلتم : ساحر ،
لا والله ، ما هو بساحر ، قد رأينا السحرة ونفثهم وعفدهم ، ونسب كاهن . لا والله ،
ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعا سجعهم وقتلهم شاعر ، لا والله ، ما هو
بشاعر ، لقد رأينا الشعر وسمعا أصابعه كلها هرجه ، وهريصه ، وقتلتم مجنون ،
ولا والله ، ما هو بمجنون ، لقد رأينا الحنون فما هو بحنونه ولا وسوسته ولا تخيبطه

يا معشر قريش ، انظروا في شأنكم ، فيه والله ، لقد نزل بكم أمر عظيم

وكان النصر من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسول الله ﷺ ، ويبه
العداوة^(١) .

يسمعون القرآن مستحفين :

عن ابن إسحاق قال : حدثني الزهري قال : حدثني أبو جهل وأبا سفيان
والأحس بن شريق ، خرجوا لئلا يستمعوا من رسول الله ﷺ ، وهو يصلي بالليل في بيته ،

(١) من ١٤٨ ، ١٤٩ ج ١ دلائل النبوة

وأحد كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر ، تفرقوا ، فجمعتهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رأيتم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كانت الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا .

فلما كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق فقالوا : لا يرح حتى نعاهد ، لا بعد ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأحبس بن شريق ، أحد عصاه ، ثم خرج حتى أتى أب سميان في بيته ، فقال : أخبرني يا أبا حصصة ، عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها ، فقال لأحبس . وأنا ، وأبى حلمت به . ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عنده ؟ فقال ماذا سمعت ؟ قال : تنارعن نحن وبني عبد مناف الشرف . أطعموا فأطعمنا ، وخملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثبنا على الركب ، وكنا كقفرسى يهان قالوا ما نرى يا أبا الوخي من السماء ، فمتى ندرك هذه ؟ والله لا يؤمن به قِدْء ، ولا يصدق . فقام عنه الأحبس بن شريق « ١ » اهـ
سيتنم الله أمر دينه .

عن بياد بن بشر وإسماعيل بن أبي خالد ، قالا : سمعنا قيساً يقول سمعت حباباً يقول : أتيت رسول الله ﷺ ، وهو متوسد برده في ظل الكعبة ، ولقد لقينا من امشركين شدة شديدة ، فقلت : يا رسول الله " ألا تدعو الله لنا ؟ ففعل ، وهو محمر وجهه فقال : إن من كان قبلكم ليمشط أحدكم بأمشاط الحديد ، ما دون عظمه من خم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن ديه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه ، فيشق باثني ، ما يصرفه ذلك عن ديه ، ولينم الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صعاء إلى حصير موت ، لا يخاف إلا الله عز وجل (زاد بيان) : والدئب على عسه .

هجرة مصعب بن عمير

يقول صاحب الروض الأنيب .

ذكر هجرة مصعب بن عمير وهو المصري ، وهو أول من سمي بهداً - أعني المهرى ،

(١) ص ١٥٢ ، ٤٥٣ ج ١ دلائل النبوة

يكنى . أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً وأعطرهم ، وكانت أمه شديدة الكلف به ، وكان يبيت وقعب سوسى^(١) عند رأسه يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم ، أصابه من الشدة ما غير لونه ، وأذهب لحمه ، وبهكت جسمه ، حتى كان رسول الله ﷺ ، يسطر إليه ، وعليه هرة قد رمىها ، فيكنى بذلك يعرف من نعتة ، وحملت أمه حين أسلم وهاجر - ألا تأكل ، ولا تشرب ولا تستعمل بظن حتى يرجع إليها ، فكانت تقف لشمس حتى تسقط مغشياً عليها ، وكان يهوا يحشون لهاها بشجار^(٢) ، وهر عود فيصبون فيه الحساء ، لكلا يموت وكان رسول الله ﷺ يذكره ، فيقول : « ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ، ولا أنعم رخصة من مصعب بن عمير » ذكره الواقدي ، وذكر أيضاً بإسناد له قال : كان مصعب بن عمير ، فتى مكة « شاباً وجمالاً وسيناً » وكان أبواه يجابه ، وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب ، وكان أعطر أهل مكة بلبس الحصرمي من النعال^(٣) .

وذكر أن مرّ له كان على أسعد بن زرارة « منزل بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب ، من منزل فلان على فلان ، فهو بالفتح ، لأنه أراد المصدر ، ولم يرد المكان »^(٤) فقد روى الدارقطني ، عن عثمان بن أحمد بن السماك ، بسنده عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : أدد النبي ﷺ ، بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله ﷺ ، أن يجمع بمكة ، ولا يذى هم ، يكتب إلى مصعب بن عمير « فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى الله بركعتين قال : فأول من جمع مصعب بن عمير ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فجمع عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك »^(٥)

إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

قال ابن اسحاق : وحديثي عبيد الله بن المعيرة مَعْقِب . وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن سعد بن زرارة ، خرج بمصعب بن عمير ، يريد به دار بني الأشهل ،

(١) المقعب : القدح الضخم الجاني ، وخيس : تمر يخلط بسم وألفه . فيعجن شديداً ، ثم يتمر منه بوه ، وربما جعل فيه سوسى

(٢) أشجار : عود يجعل في سم الجدوى لئلا يرضع ، وحديث مكة الرسول ﷺ حين كان يرى مصعباً رواه الترمذي بسند صحيح

(٣) نسبته إلى حضير بروت ، وهي نعل خالية الفس

(٤) انظر الروض الأنف ج ٤ ص ٩٧ - ٩٨

(٥) انظر الروض الأنف ج ٤ ص ١٠١ - ١٠٢

وذا ربي ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن الأشهل بن حاند
أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بي ظفر

قال ابن هشام - واسم ظفر : كعب الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس ،
قالا . علي بن يقطين لما : يتر مرق ، فجلسا في الحائط ، واجمع إليهما رجال عن أسلم .
وسعد بن معاذ ، وأسيد بن حصير ، يومئذ سيدا قومهما من بني الأشهل ، وكلاهما مشرك
على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد بن معاذ لأسيد بن حصير لا أيا لك ، انطلق إلى
هدين الرجلين قد أتيا دارينا يسقها صُغعاء ، فأجرهما واللهما على أن يأتي دارينا ، فإنه
لولا أن سعد بن زُرارة من حيث قد علمت ، كلفيتك ذلك . هو ابن حائلي ، ولا أجد عليه
مقدماً ، قال : فأخذ أسيد بن حصير حربته ، ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زُرارة ، قال
لمصعب بن عمير . هذا سيد قومك قد جاءك ، فاصدق الله فيه^(١)

قال مصعب إن يجلس أكلمه ، قال فومف عليهما متشتما^(٢) ، فقال : ما جاء بكما
إليما . تسعها صغعاء ؟ اعترلانا إن كانت لكما بأنكمما حاجة ، فقال له مصعب : أو
يجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره ؟

قال انصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه
القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرنا في وجه الإسلام قبل أن يتكلم . في إشرافه
وتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخبا في
هذا الدين ؟ قالاه : نغتسل فتصهر ، وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصي فقام
فاعتسل وصهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما . إن ورائي
رجلاً ، إن أتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسارسته إليكما الآن ، سعد بن معاذ ،
ثم أحد حربته وانصرف إلى سعد وقومه . وهم جلوس في ناديهما . فلما نظر إليه سعد بن
معاذ مقبلاً ، قال :

أحلف بالله لقد جاءكم أسيد ، بعير أبوجه اندى ذهب به من عندكم ، فلما وقف على
النادي قال له سعد : ما فعلت ؟

قال كلمت الرجيين ، عو الله ما رأيت بهما بأساً وقد بهيتهما ، فقالا فعل ما أحببت ،

(١) النظر للروض الأنت ج ص ٧٥ - ٧٦

(٢) كاشف الوجوه

وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة بقتلوه ، وذلك أنهم قد حرموا أنه
بني خاتمتك ليحمرورك ، قال :

فقام سعد مُصعباً مبادراً ، تحوّل لدى ذكره من بني حارثة فوجد الخربة من يده ، ثم
قال : والله ما أراك أعيت شيئاً ثم حرج إليهم ، فلما رأها سعد مطمئناً ، عرف سعد
أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشمتاً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة
يا أبا أمية ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أنتعشنا في دارنا
بما نكره ؟ - وقد قال أسعد بن زُرارة لمصعب بن عمير أي مصعب ، جاءك والله سيّد
من وراءه من قومه . إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال
فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رصيت أمر ورعيت فيه قسته ، وإن كرهته
غزينا عنك ما تكره ؟

قال سعد^(١) أنصت ، ثم ركز الخربة وجلس ، يعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه
القرآن ، قائلاً عرفنا والله في وجهه الإسلام ، قيل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهيله ، ثم قال
لها قال : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخستم في هذا الدين ؟

قالا نغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين قال
فقام فاعتسل وطهر ثوبه ، وشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ خريته ، فأقبل
عامداً إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حصير .

قال فلما رآه قومه مقبلاً ، قالوا تحلف بالله ، لقد رجع إليكم سعد بغير انوجه الذي
ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون مري
فيكم ؟ قالو : سيدنا وأعضنا رأيا ، وأبست نقيية .

قال فبد كلام رجالكم وسألكم على حرام ، حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالوا فوالله
ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة ، ورجع أسعد ومصعب
إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام^(٢)

إسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال لما انصرفنا مع الأحزاب في الحندق ، جمعت
رجالاً من قريش ، كانوا يرون مكانى ، ويسمعون مني ، فقلت هم . تعلمون والله إنني لأرى
أمر محمد يدعو الأمور عتوا كبيراً ، وإنني قد رأيت رأياً فما يرون فيه ؟ قالوا وما رأيت ؟

(١) انظر الروض الأنف ج ٢ ص ٧٦ - ٧٧

(٢) انظر الروض الأنف ج ١ ص ٧٧ - ٧٨

قال : رأيت أن يلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن صهر محمد على قوم ، كما عهد النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد ، وإن ظهر وقومنا فخرج من قد عرفوه ، فلن يأتينا منهم إلا خيرة ، فقالوا : إن هذ الرأي قال . ففعلت لهم فاجتمعوا ل ما يهدى به ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم . فجمعنا به أدماً كثيرة ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ؛ فوالله ! إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابيه قال : فدخل عنده ، ثم خرج من عنده ، ففقت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دحيت على النجاشي فسأته إليه فأعطانيه فصبرت عنه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أتى قد أحزأت عنها حين فقت رسول محمد ، قال فدخلت عنده فسجدت به كما كنت أصنع ، فقال مرحباً بصديقي ، أهديت من بلادك شيئاً ؟ قال قلت : نعم أيها الملك ، أهديت لك أدماً كثيراً . قل : ثم قدمته إليه فأعجبه واستهواه ، ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطيته لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرفنا وحيارنا ؛ قال فعصب ثم مده يديه فصرّب بهما أنفه صرة ظنت أنه قد كسره ، فلو انشفت لى الأرض لدحيت فيها فرماً منه ، ثم قلت : أيها الملك ! والله لو حلست أنك تكره هذه ما سألتك ، فقل : أئسألى أن أعطيتك رسول رجل يأتية الناموس الأكبر الذي كان يأتى موسى لنقته ؟ قلت : أيها الملك ! أكذلك هو ؟

قال ويحك يا عمرو ، أطعنى وأتبعه ، فإنه والله ، معى الحق ، ولتظهرن على من خانعه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قال . قلت فتبايعى له على الإسلام ؟ قال نعم فبسط يده وبايعته على الإسلام ، ثم خرجت لى أصحابي ، وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله ﷺ ، فلقيت خالد بن الوليد - وذلك قبيل الفتح - وهو مقيم من مكة ، ففقت إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال . والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبي أذهب والله أسلم . فقت . والله ما جئت إلا أسلم فقدمنا على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم ذبوت ففقت : يا رسول الله : إني أبيعك على أن يعمر لى ما تقدم من دسى ، ولا أذكر ما تأخر .

فقال رسول الله ﷺ : يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تعجب ما كان قبلها ، فبايعته ثم انصرف ، رواه الإمام أحمد (١) .

(١) جامع كرمات الأرواء الشيخ يوسف النبهاني ج ١ ص ١٨ ، ١٩

ومن حكماء العرب أكرم بن صيفى بن رباح

وكان من حديثه - كما ذكر الألبوسى - أنه لما ظهر النبى ﷺ بمكة ، ودعا إلى الإسلام ، بعث أكرم ابنه حُيَيشًا ، فأتاه بحبره ، فجمع بهى تميم وقال يا بهى تميم ، لا تحضرونى صفيها^(١) فإنه من يسمع يحل^(٢) . إن السفيه يؤمن من فوقه ويخط من دونه ، لا حير فيمن لا عقل به . كبرت مى ، ودخلتى دنة ، فإذا رأيتم مى حُشًا فقبلوه ، وإن رأيتم مى غير ذلك فقوموى استقم .

إن بهى شافه هذا الرجل مشافهة ، وأتاني بحبره ، وكتابه يأمر به بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويأخذ به بمحاسن الأخلاق ، ويدعو إلى توحيد الله تعالى ، وجميع الأركان . وترك الخلف بالهمز . وقد حلف (عرف) دوى الرأى مكتم أن الفصل فيما يدعو إليه وأن الرأى ترك ما ينهى عنه

إن أحق الناس بمحبة محمد ومساعدته على أمره ، أنتم ، فإن يكن الذى يدعو إليه حقًا ، فهو نكم دوى الناس ، وإن يكن باطلاً كنتم أحق الناس بالكف عنه والستر عليه ، وهذا كان أسقف بجران يحدث بصفته ، وكان سميان بن مجاشع يحدث به فيه ، وسبى ابنه محمد فكونوا بهى أمره أولًا ، ولا تكونوا آخرًا اتوا طائعين قبل أن تأتوا كارهين

إن الذى يدعو إليه محمد هو لم يكن دينًا ، لكن هو أخلاق حسن حسًا ، أطلعوى واتبعوا أمرى ، أسأل لكم أشياء لا تنزع منكم أبدًا ، وأصبحتم عر حى هى العرب وكثرهم عددًا ، وأوسعهم دارًا ، فإنى أرى أمرًا لا يحسنه عزيز ولا دل ، ولا يلزمه دين إلا عز ، إن الأول لم يدع لآخر شيئًا ، وهذا أمر له ما بعده ومن سبق إليه عمر المصطفى افتدى به الناس ، والعزيمة حرم « والاختلاف عجز »

فقال مالك بن نويرة : قد عرّف شيخكم

فما أكرم ولى الشحى من الحنى ، وهنى على أمر لم تشهد وم يسقى « فذهب مثلاً^(٣) ثم قال مالك ما أسى عليك على العامة يا مالك ، إن الحق إذا قام رفع الباطل ،

(١) من يسمع أخبار الناس ومعانيهم يبع من نفسه عيبهم مكروه « عن جمع مجمع الأمثال للميداني

(٢) لتكبير النفسى للذكور عبد الحليم محمود ج ١ ص ٣٣

فتبعه مائة نفس ، وخرج إلى رسول الله ﷺ فلما كان في بعض الطريق ، عمد حيش إلى رواحلهم فحرقها ، وشق ما كان معهم من مراده وهرب ، فحضر أكنم العطش ، فمات ، وأوصى من معه باتباع رسول الله ﷺ ، وأشهدهم أنه أسلم فأُتِلَ فيه ﴿١﴾ ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ﴿٢﴾ (٢).

أُرسل قريش عروة بن مسعود الثقفي يقيم رسول الله ﷺ ، بالعودة إلى المدينة حينما جاء مكة معمرًا ، فلما عاد عروة خاطب قريشًا قائلًا يا معشر قريش إني قد جئتكم كسرى في ملكه ، وقيصري في ملكه ، وانحاشي في ملكه ، وإني والله ، ما رأيت منكًا قط يعظمه نومه ، كما يعظم أصحاب محمد محمدًا ، ولقد رأيت حوله قوماً لم يسلموه بسوء أبدًا .. فانظروا رأيكم ؟ اهـ .

إنهم أصحاب محمد ﷺ ، وانظر إن شئت في التاريخ ، فتجد الكثير من أصحاب الأنبياء والرسل ، كان موقفهم على النقيض من ذلك .



(١) سورة البقرة آية ١٧٧
(٢) الزلزال أحمر - المصطفى - ١ ص ٩٣

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

افضل الثاني عشر عن :

مواقف لبعض الغربيين

كان من الممكن أن يذكر الكثير من آراء الغربيين في رسالة الإسلام ورسولها ولكن
سبق أن كتبنا في ذلك ، بشيء من الاستعصاء في كتابنا « أوروبا والإسلام » ويكتفى في
ذلك بما يلي :

برنارد شو يكرم نبي الإسلام

يقول الأستاذ عز الدين فرج في كتابه (نبي الإسلام)
« لا معدُّ برنارد شو كاتباً وفيلسوفاً إنجليزياً عظيماً وحسب ، بل هو من طليعة المفكرين
والعلاسة في العالم أجمع .

ومن أحصى خصائص هذا الفيلسوف الكبير أنه جرى ، إلى أبعد حد ، وصرخ إلى أبعد
حدود الصراحة ، فإذا بُدئ رأياً في يوم من الأيام ، فهو رأى يؤمن به كل الإيمان ، ويعتقد
بصحته وصوله إلى حد كبير .

وهي أثناء سياحته في بيماني بالهند ، كتب رسالة أوضح فيها رأيه في صلاحية الدين
محمدى لجميع الأمم في كل زمان ومكان ، وأشاد بفصل هذا الرسول ، وعظمته وعبقريته
قائلاً

« لقد وصفت دائماً دين محمد موصح الاعتبار السامي ، بسبب حيويته العظيمة ، فهو
الدين الوحيد الذي يلوح في أنه حائز أهمية العيش لأطوار أحياء المختلفة ، بحيث يستطيع أن
يكون جذاباً لكل زمان ومكان »

ثم استطرد يقول : « لا مشاحة في أن العالم يعنى أهمية كبيرة على نبوءات كبار الرجال ،
فقد تبأت بأن دين محمد سيكون مقبولاً لدى أوربا في العدد القريب ، وقد بدأ يكون مقبولاً
لديهم اليوم ، ولقد صور أكثيروس القرون الوسطى ، الإسلام بأحدث الألوان مما يسبب
الجهل ، أو بسبب التعصب الدميم .

ولقد كانوا - في الواقع - يعمرون على كراهية محمد وكراهية دينه . وكانوا يعترضونه
حصصاً للمسيح

ولقد درسته - باعتباره رجلاً عظيماً - فرأته بعيداً عن محاصصة المسيح بل يجب أن
يُدعى : مفكر إنسانية

وإنني لأعتقد أنه لو بولى رجل مثله حكم العالم حديث ، تنجح في حل مشكلاته ،
بصريقة تحلب إلى العالم السلام والسعادة اللذين هو في أشد الحاجة إليهما . ولقد أدرك في

القرن التاسع عشر معكري محلصون ، أمثال كارلايل وجوته وحيون ، الفقيمة الداتية لدين محمد ﷺ .

وهكذا ، وحده تحول حسن في موقف أوربا من الإسلام ، ولكن أوربا في القرن لراهن تقدمت في هذا السيل كثيرًا فبدأت تعيش عقيدة محمد ، وهي القروب القادمة ، قد تذهب أوربا إلى أبعد من ذلك ، فتعرف بفائدة هذه العقيدة في حل مشاكلها ، بهذه الروح يجب أن تعهوا بوءتى .

وفي الوقت الحاضر ، دخل كثير من أبناء قومي من أهل أوربا في دين محمد ، حتى ليمكن أن يقال إن تحول أوربا إلى الإسلام ، قد بدأ .

هكذا وصف أكبر كاتب إنجليزى الإسلام وبه الكريم

وهكذا شهد له أكبر فلاسفة أوربا

لقد سجن برنارد شو كلمانه هذه ، بعد بحث ومكير ورويه ، وبعد أن عرف أن دين هذا النبي ، وضع لكل مشكنا - اجتماعية واقتصادية - اخل المناسب لها الذي يصح لكل زمان ومكان

لقد سجن هذا الكاتب الكبير كلمانه ، بعد دراسة عميقة لقواعد هذا الدين وما فيه من آيات بينات ، ولولا أنه درس هذا لمصرع دراسة عميقة وافية ، لما قال

لقد بدأت أوربا الآن ، تتعشق الإسلام ولن يمضى القرن الحادى والعشرون ، حتى نكون أوربا قد بدأت تستعير به في حل مشاكلها .

لقد نظر برنارد شو إلى العرب قبل الدعوة المحمدية ، فوجدهم في فساد رفوصى ، ووحشية وهمجية ، وحرب وفل مائم يقتول الناس ، وضطروب في النساء نظرة احتقار وسحرية ، وآرام أشد الأم بهية بالأسباب وساميا بالأباء ، فكانت كل صلة ترعم أنها الفريد في معاصرها ، وقد عتوا في هذا لانهاء ، حتى جعلوا لإيلهم وخبوهم أنسابا يرفعونها بها على سائر الحيون والإيل ، فبدأت بس نعتهم من القبائل والشعوب ، واحتلف معهم في انعة والتقاليد ؟ ثم نظر إليهم بعد دعوة هذا النبي الكريم فوجدهم خفا جديدا ،

لا فرق بين عربى وعجمى إلا بالتقوى والعمل الصالح ووجدهم في تقدم ورنى وحصاية تمتد أطرافها في الشرق وعرب ، ورأى كيف داب لهم لمالك والأمصار في سهولة ويسر ، وكيف رصيت به الشعوب على اختلاف أجناسها ، وكيف ازدهرت العلوم وانتعشت الفنون على أيديهم ، ورأى كيف أصبحت امرأة إنسانا محترما له ما لرجال من احترام وحقوق ..

نقد درس برنارد شو أمة محمد ﷺ ، فوجدته قائمة على الأصول والمبادئ الأخلاقية ، لا على الأمور المعيشية والمطالب المادية ، كما هو الحال في المدينة الأوربية ، فرأى بدلت أول أمة في تاريخ العالم ، قامت على مبادئ عالية ، وقواعد سامية ، وأسس روحانية .
لقد رآها أمة ديمقراطية بأوسع معاني الكلمة . رآها ديمقراطية ؛ لأنها لم تعترف بالفروق الصنعية والامتيازات الاستقرائية ، رآها لا تفرق بين ذكر وأنثى ، وبين سيد ومولى ، إلا بالخير والعمل الصالح المنتج . رآها أمة تؤمن بتكافؤ الفرص ، وتفتح الباب أمام العاملين من كل بيئة وحس ولون ؛ لكي ينال قصب السبق كل من سمت همته وعلت كفايته

نقد درس برنارد شو أمة هـ النبي ، فوجدتها ديمورية ، لأن الحكومة قُيدت فيها بكتاب إلهي ؛ لا يأتيها الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذه أعظم صعوبات الأمم الدستورية ، وقد حقق هذا الكتاب كل أغراض الحكومة الدستورية ، فجعل الحكم شورياً ، وحذف الامتيازات الفردية والصنعية والنحسية ، ومحا الفوارق في الحقوق والواجبات بين مختلف الطبقات ، وأحصع الجميع لمبادئ واحدة لا فرق بين حاكم ومحكوم ، وفيرص وأمسود ، وذكر وأنثى .
هذه هي الأمة التي قامت على الدعوة المحمدية

ألا يحق لبرنارد شو أن يصف هـ النبي الكريم بأنه مفق الإجابة ؟
ألا يحق له بعد هذا كله أن يقول :

« إنني أعتقد أن رجلاً كمحمد ، أو سلم ردمم أحكم في العلم ؛ بأجمعه ؛ لثم له النجاح في حكمه ؛ ولقاده إلى الخير ، وحل مشكلاته على وجه يكفل السلام والطمأنينة والسعادة المشودة »



درس برنارد شو الحياة الإسلامية ، وأدرك أنها قائمة على التكافل والتضامن والتعاون بين الأفراد والشعوب ، ورأى في ذلك سر النجاح

فأمرأة والرجل متكافلان في الحياة الدنيا من نفس واحدة ، بعضهم من بعض يتم كل منهما الآخر ، وأساس الصلة بينهما المودة والرحمة ، والرجال أنصاف تلتهم أنصافها الأخرى في كنف النساء ، ومن بروج ، فقد عصم نصف دينه ، وفي كل هذه للعاني يقول القرآن الكريم ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودةً ورحمة ﴾ (١)

رُغِي مَوْصِعَ آخَرٍ .

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ ؕ ؕوَلْتَكُنْ مِنْكُمْ رِجَالٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَلَا يُضْمِنُونَ أَفْئِيرُ﴾^(١) .

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً يَسِيرَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) .

والعسى والفقير ، والعامل والمعمور . متكافون في هذه الحياة الدنيا ، يشد بعضهم أزر بعض . ويتعارفون على البر والتقوى ، فسفير حق معلوم في مال العسى ، وفي ذلك دُغْمٌ للمجتمع أولاً ، والأسرة ثانياً ، والدولة ثالثاً ، وأكبر الكفاية في الإسلام أن يبس الرجل شعبان وحاربه حوائج . وأجر العامل حق مكفول . ومن صلحه بياه أو خزه عنه ، فقد أثم إثمًا عظيمًا . وتعرض بقلب الدنيا وخزي الآخرة ، وعنى الفقير والعامل أن يصدق ويصنحًا ويؤديا عملها كاملاً ، فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .
والحكم والحكم متكافلان . على الحاكم العدل و مساواة والرعاية ، وعلى المحكوم الطاعة والصيحة والمعاونة .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَذُوبُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ﴾^(٤)

هكذا كان التكافل وحسن العمل قوام حياة الجماعة التي جاء بها الإسلام خفيف ، فمادام فعل المضامع والأهواء والنظم لأرضية مادية التي صنعت بها وربا على الناس يوم أن انتهت إليها قيادة اسشرية ؟ بدلت بعمة الله كفرًا ، وحدث السافر والتحامم محل هذا التكافل والتعاون ، وفشيت في تحقيق العدالة والإحاء والسلام على وجه الأرض .

ألا يحق بعد هذا كله أن يسجل (برارد شو) كسبه لحالدة وقوله « وبني لأعتقد أنه لو تولَّى رجل مثله حكم العالم الحديث ، سيجع في حل مشكلاته ، بطريقة تحسب إلى العالم السلام والسعادة ، وطمينية التي هو في شد حاجة إليها

(١) النساء ١٣٤

(٢) النحل ٩٧

(٣) النساء ٥٨

(٤) النساء ٥٩

وهذه الصيحة التي أُنطقها مراراً شوع الإسلام وببهِ ، تتفق إلى حد كبير مع حقيقة (مستر كان تر) التي ألقاها في حفل كبير جامع ، دل « يمتد الدين الإسلامي الآن ، من مراكش إلى أنقرة ، ومن رنجار إلى الصين ، ويحطو في داخل أفريقيا خطوات كبيرة ، وتعنقه أمم كثيرة ، وقد حفظا بنفسه وثبتت قدمه في الكونغو التي صارت بلدًا إسلاميًا (وبخاصة السودان وهي أشد بلاد الكونغو بأسًا) .

أما في الهند فإنَّ الممدن العربي - الذي كان يهدم أركان الوثنية - يمهّد الطريق للدين الإسلامي لا غير : فاهلُ الهند البالغ قدرهم ٢٥٥ مليون نسمة (منهم ٥٠ مليون مسلم ، وسكان أفريقيا بأجمعهم ، أكثر من النصف منهم مسلمون ، وهذا يس على أن الإسلام في تزايد وانتشار »

ثم استعرد يقول :

« لقد أود الإسلام لتمدد أكثر من النصرانية ، وبشر رايه انسيواه والأخوة ، وهذه الأدلة نذكرها بطلاً عن تقارير الموصيين الإبحير ، وعما كتبه أغلب السواح من النتائج الحسنة التي نتجت من الدين الإسلامي ، وظهرت آياتها منه ، فإنه عندما تتدين به أمة من الأمم السودانية تحتفى بينها - هي الحار - عدة الأوثان ، واتسع الشيطان ، والإشرار بالعرير الرحى ، وتحرم أكل لحم إنسان ، وقتل الرجاس وود الأطنان ، وتصرب عن الكهنة ، ويأخذ هبها بأسباب لإصلاح وحب الطهارة ، واجساد الحياث والرحس والسعى نحو إحراز معاني ، وشرف النفس

ويصبح عندهم قرى الصيف من الواحات الدينية ، وشرب الخمر من الأمور العنسة ، ولعبُ اسمر والأرلام محرماً ، والرقص القبيح ، ومحالطة النساء احتلاطاً ذوب غير بعيداً ويحسبون عفة المرأة من المصائل ، ويتمسكون بحسن لشماثل

أما العلو في الحرية والهنك وراء الشهوات البهيمية - فلا تحيزه الشريعة الإسلامية ، والدين الإسلامي ، هو الدين الذي يعمم النظام بين سورى ، ويقمع النفس عن هوى ، ويحرم إراقة الدماء ، والنسوة في معاملة الحيوان والأرفام ، ويوصى بالإسسية ، ويخص على الحيرات والأخوة

ويقول بالاعتدال في تعدد الزوجات ، وكبح حماح الشهوات .

(١) حسب تعداد ذلك الوقت

ويذكر الأستاذ الندوي رأى جين ويعلق عليه

ويقول جين « لم ينجح في الامتحان العسير ، رسول من الرسل الأولين من بداية أمره كما نجح محمد ﷺ ، حين عرض نفسه يادى دى داء بصفه رسولاً يوحى إليه على الدين عرفوه صغفه البشرى ، وعرفوه أكثر مما يعرفه غيرهم فعرض رسالته على روجه وعينه العتيد ، وابن عمه ، وصديقه القديم الذى لم يتحول عنه ولم يحدله ، وهؤلاء هم الذين سبقوا لناس إلى الإيمان بسوته ، إن نصيب الأنبياء انقلب إلى حق محمد ، وتغير عما كان عليه ، ليس مصى من الرسل هم يكن محمد غير محبوب إلا من الدين م يعرفوه » هذه الشهادات ، على أن من كان أعرف الناس برسول الله ﷺ ، وأقربهم إليه ، كان أشدهم إيماناً برسالته ، ولما أرسل لآخرين فكان الأجانب والعرباء الذين م يعرفوهم إلا قليلاً ، وهم الذين سبقوا إلى الإيمان بهم ، وتأخر عن الإيمان بهم وتلك دوائرهم وأهل بيوتهم ، والذين كانوا أكثر معرفه بهم

وهكذا كان المؤمنون برسالة محمد ﷺ ، هم أعرف الناس بحقيقته ، وأكثرهم إيماناً على اختلافه وحسه وهديه ، وقد لقي كل منهم من مسيل هذا الإيمان ، بلاءً عظيماً ، وامتحاناً شديداً ، حتى إن خديجة روح النبى ﷺ ، قصت معه ثلاث سنوات محصورة في شعب أبى طالب تقاسى معه الجوع وانظماً وانماقة للمهلكة

وأبو بكر صاحب النبى ﷺ ، يوم صاقت به أرض مكة ، وخرج معه مردياً طلام الليل حائلاً يترقب ، والعدو في أثرهما يتعمد مواطني أقدامهما ، فقام أبو بكر بحى الصحبة ، وكان الوفى بعهد الصداقة

أما على ، فبات على فراش الرسول الذى كان يشركون قد بيتو منك به وعنده ريد حل من النبى الكريم محل الولد يعطيه عليه ورأفته به ، فمما جاء أبوه الذى وئد من صفيه يطلب رداً له عليه ، حيره رسول الله ﷺ بين أن يصحب أباه أو أن يبقى تحت جناحين من عصف الرسول ورأفته ، فحار صحنه النبى ﷺ ، على الرجوع مع أباه إلى بيئته

تولستوى

ويقول الأستاذ عز الدين فرج

لقد كان هذا الفيلسوف الروسى كأنه مصنف فعندما رأى تحاشل أهل لأديان الأخرى على الدين الإسلامى ، هزته «عبرة على الحق إلى وضع عجلة عن سبى الإسلام ، وبعض تاريخ حياته فقال فيها

« وُلِدَ نَبِيُّ الْإِسْلَامِ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ مِنْ أُنُوسٍ فَقِيرِينَ ، وَكَانَ فِي حَدَاثَةِ سَنَةٍ - رَابِعَةٍ يَمِيلُ إِلَى الْعُرْلَةِ وَالْأَعْرَافِ فِي الْبَرَارِيِّ وَالصَّحَارَى ، مُتَأَمِّلًا فِي اللَّهِ خَالِقِ الْكَوْنِ

فَقَدْ عَدَّ الْعَرَبُ الْمَعَاصِرُونَ لَهُ أَرْبَابًا كَثِيرَةً ، وَبَالَعُوا فِي التَّقَرُّبِ إِلَيْهَا وَاسْتَرْصَائِهَا ، وَأَقَامُوا هَاهُنَا الْعِبَادَاتِ ، قَدَمُوا لَهَا الصَّحَابِيَا الْمُحْتَلِفَةَ .

وَكَانَ كُلُّمَا تَقَدَّمَ بِهِ لِعَمْرٍ - أَرَادَ اعْتِقَادًا بِعَسَادِ تِلْكَ الْأَرْبَابِ ، وَأَنَّ هُنَاكَ إِلَهًا وَاحِدًا حَقِيقِيًّا ، بِحَمِيعِ النَّاسِ وَانْشَعَبَ

وَقَدْ أَرَادَ إِيمَانُ مُحَمَّدٍ بِهِدَى الْفِكْرَةِ . فَقَامَ يَدْعُو أُمَّتَهُ وَأَهْلَهُ إِلَى فِكْرَتِهِ ، مَعْنًى أَنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ هَدْيَتَهُمْ ، وَعَهْدَ إِلَيْهِ إِثْرَةَ بِصَائِرِهِمْ . وَهَدَمَ دِيَانَتَهُمُ النَّاطِلَةَ ، وَرَاحَ يَعْزِزُ عَنْ عَقِيدَتِهِ وَدِيَانَتِهِ .

وَحَلَاصَةُ هَذِهِ الدِّيَانَةِ الَّتِي نَادَى بِهَا هَذَا الرَّسُولُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ - لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ - وَبَدَلَتْ لَا يَجُوزُ عِبَادَةُ غَيْرِهِ . وَأَنَّ اللَّهَ عَادِلٌ وَرَحِيمٌ بِعِبَادِهِ ، وَأَنَّ مَصِيرَ الْإِنْسَانِ الْبَهَائِيِّ ، مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهِ وَحْدَهُ ، فَمَنْ أَمَرَ بِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُؤْجِرُهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِذَا مَا خَالَفَ شَرِيعَةَ اللَّهِ ، وَسَارَ عَلَى هَوَاهُ ، فَإِنَّهُ يُعَاقِبُ فِي الْآخِرَةِ عِقَابًا أَلِيمًا ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْمُرُ النَّاسَ بِمَحَبَّتِهِ وَنَجْمَةٍ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَنَجْمَةَ اللَّهِ تَكُونُ بِالصَّلَاةِ ، وَنَجْمَةَ النَّاسِ تَكُونُ بِمُشَارَكَتِهِمْ فِي السَّرَاءِ وَالْأَصْرَاءِ ، وَإِنْ أُنْذِرُوا يَوْمُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، يَسْعَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَبْدُلُوا وَسْعَهُمْ بِإِبْعَادِ كُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ إِثْرَةَ الشَّهَوَاتِ لِلنَّفْسِ . وَالْإِبْتِعَادُ عَنِ الْمُلَذَّاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَإِنَّهُ يَتَحَنَّنُ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَحْدُمُوا الْجَسَدَ وَيَعْدُوهُ ، بَلْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْدُمُوا الرُّوحَ وَيَهْدِيَهُ . وَمُحَمَّدٌ لَمْ يَقُلْ عَنْ نَفْسِهِ إِنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ الْوَاحِدِ ، بَلْ اعْتَقَدَ أَيْضًا ، بِسُوءِ مُوسَى وَعِيسَى وَقَالَ : إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يُكْرَهُونَ عَلَى تَرْكِ دِينِهِمْ

وَفِي سَبِي دَعْوَتِهِ الْأَوَّلَى ، اخْتَمَلَ كَثِيرًا مِنْ اصْطِعَادَاتِ أَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ الْقَدِيمَةِ ، شَأْنُ كُلِّ نَبِيٍّ فَهُوَ نَادِي أُمَّتِهِ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَكِنْ هَذِهِ الْاصْطِعَادَاتُ مِمَّا تَشْتَمِلُ مِنْ عِزْمِهِ ، بَلْ ثَبَرَتْ عَلَى دَعْوَةِ أُمَّتِهِ .

وَقَدْ ائْتَرَّ الْمُؤْمِنُونَ كَثِيرًا مِنَ الْعَرَبِ بِتَوَاضُعِهِمْ وَرَهْمِهِمْ فِي الدُّنْيَا ، وَحُبِّ الْعَمَلِ وَالْقِسَاعَةِ ، وَبَدَلُوا جَهْدَهُمْ فِي مَسَاعِدَتِهِ إِخْوَانَهُمْ فِي الدِّينِ . عَدَدُ حُبُورِ الْمُنَاصِبِ بِهِمْ وَلَمْ يَحْصَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ طَوِيلٍ ، حَتَّى أَصْبَحَ النَّاسُ الْمُخِيطُونَ بِهِمْ يَحْتَرِمُونَهُمْ احْتِرَامًا عَظِيمًا وَيَعْظَمُونَ فَتْرَهُمْ ، وَرَاحَ عَدَدُ مُؤْمِنِينَ يَتَرَدَّدُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ ۞

وَمِنْ فَصَائِلِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُ أَوْصَى حَيْرًا بِالنَّسِيحِيِّينَ وَالْيَهُودَ وَرَجُلًا دِينَهُمْ ، فَقَدْ

أمر بحسن معاملتهم ، وقد بلغ من حسن معاملته لهم أنه سمح لأتباعه بالتزوج من أهل الديانات الأخرى ، ولا يحفى على أصحاب البصائر العالية ، ما فى هذا من التسامح العظيم » ثم ختم كلمته قائلا .

« لا ريب أن هذا السبب ، من كبار الرجال يصلح للدين الذين خدموا لمصلحة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخرا أنه هذى أمته يرمتها إلى نور الحق ، وجعلها تحج بسلام ، وبكف عن سفك الدماء ، وتقديم الضحايا ، ويكفيه فخرا أنه فتح لها طريق الرقى والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يعور به إلا شخص أرنى قوة وحكمة وعلمًا ورجل مثله ، جدير بالإجلال والاحترام »

محمد عبده وتولستوى :

ولقد كانت آراء هذا الفيلسوف الروسى موضع تقدير الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، فكتب هذا الفيلسوف يقول :

« أيها الحكماء الجليل مسيو تولستوى » .

لم يحظ بمعرفة شخصك ، ولكنى أحرم التعارف مع روحك استطع عينا نور من أفكارك ، وشرقت فى آفاقنا شمس من أدراك ألفت بين نفوس العقلاء ، رمست ، هداك إلى معرفة سر العظرة التى فطر الناس عبيد ، ووعظت بين العبيد نبي هدى لبشر إليها ، فادكت أن الإنسان جاء هذا الوجود ؛ ليس بالعلم ، ويشمر بالعمل ، ولأن تكون ثمرته نعتا تزدح به نفسه ، وسعيا يبقى ويربى حسنه . وشعرت بالشفاء ندى رمل الناس ، دبحوه من سنة مصره ، ولما استعملوا قواهم التى لم يسخوها إلا ليسعدوا بها فيما كدر راحتهم ورزع طمأنينتهم

وسطرت بصرة فى الدين مرت حبب النفايا ووصب بها إلى حقيقة التوحيا ، ورفعت صونك بدعو الناس إلى ما هداك الله إليه وتقدمت أمامهم بعمل تتحمل نفوسهم عيه . فكما كتب بقوة هاديا للعقول ، كتب بعملك حائا للعرائم وانهم ، كما كانت «وك صبا يهدى به صباور ، كان مثلك نبي العمل اماما يقتدى به مستشدين ، وكما كان حودك بربيعا من الله بلاعباء ، كان مدد من عبايه لضعفاء الفقراء

وإن أرفع مجد يلقه ، وأكبر جرع يلقه على متاعبك فى النصح والإرشاد هو هذا الذى سجدوا له الماعنون بالحرمان والإبعاد حتى من رؤساء الدين ، سوى اعتراض

منهم علوه ساس أنك لست من انقوم الصالحين ، فاحمد الله على أن فارقوك في أقوالهم ، كما كنت فارقتهم في عقائدهم ..

هذا ، وإن نفوسا تشقة إلى ما يتجدد من آثار قلمك ، فيما تستقبل من أيام عمرك ، وإننا نسأل الله أن يمد في حياتك ، ويحفظ عيتك فواك ، ويفتح أبواب القلوب بهم قولك ، ويسوق النفوس إلى الناسى به فى عملك .

والسلام

عن كتاب « نبي الإسلام فى مراة الفكر العربى »

ويقول بعض ساداتنا الأفاضل :

إخوانى ، أريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر حرر إن الرسول ﷺ لم يمض حياته كلها بين أحبابه واصحابه ، بل قضى أربعين سنة من عمره فى مكة قبل أن يبعث ، فكان بين أهله من مشركى قريش ، وكان ينعاظيهم لثخارة ، ويعاملهم فى أمور الحياة ليل نهار ، وهى حياة يومية لما تطوى عليه من أخذ وعطاء ، ومن شأنها أن تكشف عن أخلاق المرء ، فيتبين للناس فسادها وصلاحتها ، وهى عيشة طويلة طريفة ، كثيرة سمعطاتها ، وعرة مسائلها . تعرّضها وحدات مما قد يصدر عن المرء من حياته وإحمار عهد ، وأكل مان بالاصل ، وعفت من الحديعة والحياة ، وتصنيف الكيل ، وسجن الحرق ، وإحلاف الوعد

وإن الرسول ﷺ ، جتار هذه السبل شأنكه الوعة ، وحرص منها سائما نصي . ثم يصبه شىء مما يصيب عامة الناس ، حتى لقد دعوه « الأمين »

وإن قريشاً بعد بعثته وإعلانه نبوة كانوا يودعون عنه ودائعهم وأموالهم بعضهم ثقتهم به ، وقد علمتم أنه ﷺ ما هاجر من مكة حيف فيها عليا ، ليرد ما كان لديه من نودائع إلى أهله ، فقريش حذتته سند الخلاف فى دعوته ، ولم يتركوا سبيلاً إلى ذلك إلا سبكه ، فمأطروه ، وعاندوه وصدها عن سببه ، وألقوا عليه سلباً حشاشاً حذور وهو يصلى ، ورموه بالحجارة ، وأردوا قتله . وكادوا له كيدهم ، وسموه سحراً ، ودعوته شاعراً ، وقصدوا رده ، وسحبوا حمله ، لكنهم لم يجزوا أحد منهم على أن يقول شيئاً فى أخلاقه . ولا أن يرميه بهجانه ، أو يثبت عنه الكذب فى أمور وإحلاف له . أو يحضر بدمه ، أو

نقص العهد

وإن من ادعى النبوة وقال إن الله يوحى إليه فكانه أدعى العصمة والبراءة من جميع الناس ، ومساوئ الأعمال

ألم يكن يكفى قريشاً - ردهم على الرسول أن يدكروا أموراً عمل فيها الرسول بغير الحق ، وأن يشهدوا عليه بأن أحصهم وعداً ، أو خانهم في أموالهم ، أو كذبهم في شيء مما قاله لهم ؟

إن قريشاً أنفقوا أموالهم وبدلوا نفوسهم في عداوة الرسول ، وضحوا بصدقات أكبادهم في قتاله ، حتى قتل منهم وجرح كثيرون ، لكنهم لم يستطيعوا أن يمسوا دينه الصاهر ، ولا أن يصموا بشيء في عظيم أخلاقه .

وكانت أحوال الرسول وشأنه وهديه ظاهرة لجميع الناس معروفة لهم مستوى في ذلك أحبابه وأعداؤه ، ولم يحفّ عليهم شيء من أمره .

كان عظماء قريش مجتمعين ذات يوم في ناديهم فجرى ذكر الرسول ﷺ ، وفيهم أنصرب بن مدرث . وكان رجلاً ذاهية محمداً ، وعالماً بالأخبار ، فقال لهم يا معشر قريش ، لقد أعياكم أمر محمد ، وعجزتم عن أن تدبروه فيه رأياً لما أصابكم به ، إن محمد قد نشأ ليكم حتى يبع مبيع الرجال ، وكان أحب الناس إليكم ، وأصدقهم فيكم ، واتحدتموه أمياً . فلما وخطه الشيب ، وعرض عليكم هد الأمر ، قتلتم - ساحر ، وكاهن ، وشاعر ، ومجنون - تالله ، لقد سمعت كلامه ، فليس فيه شيء مما ذكرتم

وهو جهل كان أشد الناس عداوة لرسول ، وقد قال له ذات يوم : يا محمد ، إني لا أقول إنك كاذب ، لكنني أجهل الذي جئت به ، وما تدعوا إليه ، فأمر الله هذه الآية ﴿لقد علم أنه ليحرك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يحدون﴾^(١)

ويقول الأستاذ الكبير أبو الحسن الندوي

« وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، تصوير البعثة محمدية وحصلها في كتابه . « الجواب الصحيح » يقول رحمه الله :

« وسيرة الرسول ﷺ من آياته ، وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته ، وأمثه من آياته ، وعظم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صاحبي أمته من آياته »

والم ير قائماً بأمر الله على أكمل طريقه وأتمها ، من الصدق والعدل والوفاء . لا يحفظ

(١) سورة الأنعام ٣٣ - تراجع من ٢٦ في سبب قول هذه الآية

له كذبة واحدة ، ولا ظلم لأحد ، ولا عذر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعداهم ، وأولاهم بالعهد ، مع اختلاف الأحوال عليه من حرب وسم ، وأمن وخوف ، وعنى وفقر ، وقلة وكثرة ، وظهوره على العدو تارة ، وظهور العدو عليه تارة ، وهو على ذلك كله ملزم لأكمل الطرق وأتمها ، حتى صهوب الدعوة في جميع أرض العرب - التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أحرار الكهان ، وطاعة المحنوق في الكفر بالحق ، وسمك الدماء المحرمة ، وقطيعة الأحكام ، ولا يعرفون حرة ولا معاداً ، عصاروا أعم أمة الأرض وأديبهم وأعنفهم وأقصمهم ، حتى إن البصاري لما رأوهم - من حين قدموا الشام - قالوا ما كان ينبغي صححو مسيح بأفصل من هؤلاء ، وهذه آثار عمنهم وعملهم في الأرض ، وآثار غيرهم : يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين

ولما تنعى الرسول ﷺ أمر به أن يدعو دوى قرياه إلى الإسلام ويسر عشيرته الأقربين صعداً لجبل ، وبادى به معشر قريش ، فلما اجتمعوا قال هل كنتم مصنفين إن قلت . إن حيثما ند بلع سفع هذا الحل ؟ قالوا ما جرب عليك كذباً قط

« صحيح البخارى - سورة تبت » (١)

يقول صاحب « الرسالة المحمدية » :

كان الواعظ الدائع الصيت الأستاذ حس على رحمه الله يصدر في (بته) قبل خمسين عامًا محلة (نور الإسلام) ، وقد قال في جزء منها إن صديقاً له من الزهامة قال له إني أرى رسول الإسلام ، أعظم رجال العالم وأكملهم فقال له الأستاذ حس على

وبماذا كان رسول الإسلام عندك أكمل رجال العالم ؟ فأجاب لأنى أحد في رسول الإسلام خلافاً مختلفة ، وأخلاقاً جمّة ، وخصالاً كثيرة لم تراها اجتمعت في تاريخ العالم لإنسان واحد في أن واحد - فقد كان ملكاً دانت له أوطانه كلها بصرف الأمر إليها كما يشاء ، وهو مع ذلك - متواضع في نفسه يرى أنه لا يمتد من الأمر شيئاً ، وأن الأمر كله بيد ربه ، وتراه في عسى عظيم - ثأته الإبل موقرة بالخرائن إلى عاصمته ، ويقوم مع ذلك محتاجاً ولا يوقد في بيته نار لطعام الأيام تطوال ، وكثيراً ما يطوى عبي الحروع ، ويراها قائداً عظيماً يقود انجد القبل العدد ، لصيف العدد فيقاتل بهم ألقاً من لحد المدحج بالأسحة الكاملة ، ثم يهزمهم شر هزيمة ، ويحده موحياً بسلام مؤثراً بصلح ،

(١) الرسالة المحمدية للسيد سيمان النبوى ص ٧٢ - ٧٣

ويوقع شروحه الهدية على القرطاس بقبب مطمئن ، وجاش هادئ ، ومعه ألوف من أصحابه من كل شجاع ناسل ، وصاحب حماسة وحمية تملأ حواشيه . وشاهده بطلاً شجاعاً يصمد وحده لآلاف من أعدائه ، غير مكترث بكثرتهم

وهو مع ذلك رقيق القلب ، رحيم رءوف ، متعطف عن سفك قطرة دم ، وراه مشهور المكر بجزيرة العرب كلها ، بينما هو لا يفوته أمر من أمور بيته وأروجه وتولاده ، ولا من أمور الفقراء المسكينين ومساكينهم ، ويهتم بأمر الناس الذين يسوا حالهم وصدوا عنه فيحرص على إصلاحهم ، وبالجملته إنه إنسان يهمه أمر العالم كله ، وهو مع ذلك منبش إلى الله ، مقطوع عن الدنيا ، فهو في الدنيا وليس فيها ؛ لأن قلبه لا يتعلق إلا بالله وبما يرضى الله ، لم يتغم من أحد قط بدات نفسه ، وكان يدعو لعدوه بالحير ، ويريد لهم الحير ؛ لكنه لا يدعو عن أعداء الله ، ولا يتركهم ، ولا يرال يدر الدين فد صدروا عن سبيل الله ويوعدهم عذاب جهنم . وراه زاهداً في الدنيا عابداً يقوم الليل لذكر الله ومسجانه ، كما تتصور من شمائله أنه الحدي الأسفل المقاتل بالسيف ، وتراه رسولاً حصيفاً ، ونبياً معصوماً ، في الساعة التي تحبسه فيها : « تمنا للبلاد ظاهراً بالأهم ، وإنه يصطليح على حصيره من حوص ، ويتكى على وسادة خشوها من سيف حيمه يحظر على بالنا أن ندعوه سبيل العرب ، ونادى به مكا على بلاد العرب .

ويكون أهل بيته في فاقة وشدة ، عقب استقباله لأموال العظيمة آتية إليه من أنحاء الجزيرة العربية ، فتكون في فناء مسجده أكواماً ، ونائبه بيته وفدة كيد فاطمة تشكر إليه ما يكابده من حمل القرية ولطحن الرحى ، حتى مجلت يدها وأثرت القرية في جسمها والرسول يومئذ يقسم بين المسلمين ما أقام الله عليهم من عبيد وخرب وإمائها ، فلا تمان بيته من ذلك ، إلا دعاه لها بكلمات يعلمها كيف تلتعو بها ربه

وحده ذلك يوم صاحبه عمر ، فجال بصره في الحجرة ، فلم يجد إلا حصيراً من حوص قد اصطحج الرسول عليه وأثر في حبه ، كل ما في البيت صاع من شعير في وعاء ، وعلى معربة منه شر معلق على وند ، هذا كل ما كان يملك رسول الله يوم كان به نصف العرب فيما رأى عمر ذلك لم يتمالك نفسه من دموع تدررها عساه ، فسأله رسول الله ﷺ ما يبكيك يا عمر ؟ فقال مالي لا أبكي ، إن فيصر وكسرى يتمتعان بالدنيا ويسعمان بعصمها ، وإن رسول الله ﷺ لا يحدث إلا ما أرى ، فقال له الرسول ﷺ - « أما ترصني يا عمر ، أن يكون ذلك نصيب كسرى وفصر من نعم الدنيا ، وتكون لنا الآخرة خالصة من دون الناس ؟ »

وعندما أُخَذَ النبي ﷺ بجيوشه لفتح مكة ، قام أبو سفيان ابن حنيفة العاص عن النبي ﷺ ، يطرأ إلى معاهدين من المسلمين تقدمهم الأعلام الكثيرة ، وكان أبو سفيان لا يراى على ما كان عليه من مخالفة للإسلام ، فراه ما رى من كثرة جموع المسلمين ومن انصوى إليهم من القبائل المسلمة ، وأنهم يرحفون على بطحاء مكة كأنسبل الحارث لا يصده صدد ، لا يسمعه شيء ، فقال لصاحبه يا عاص ، إن ابن حنيفة أصبح ملكاً عظيماً ، فتحاه العاص - وهو يرى غير الذي يراه أبو سفيان - ليس هذ من المنكر في شيء يا أبا سفيان .. هذه مودة ورسالة .

وعندى لطائفي وهو ابن حاتم الدائع انصبت لدى نصرب به الأمان في الحور والأسحرة كان سيد طيء ، وحضر مجلس رسول الله ﷺ ذات يوم ، وهو لا يراى على مسيحة ، فشهد إعظام لصحابة الرسول ، وعينهم عدة الجهاد من الأسحرة والأسحرة لداغ ، فاشتبه عليه أمر النبوة بأمر السنتال تساء في نفسه أهذا منك من نبوك ، أم رسول من رسل الله ؟ وفيما هو كذلك ، جاء ابن النبي ﷺ امرأة فبيرة من إماء المدينة ، وقالت له أريد يا رسول الله ، أن أسر إليك شيئاً فقال لها « أنصري في أي سركك لمديته شئت أجدو لك » ثم بهض معها وفصي د حاجتها ، فمما رأت ابن حاتم انصبت هذا اتوصع العصيم من الرسول العظيم وهو بين أصحابه في مثل عظمة الملك - نحلي عنه ظلام الباطل ، وتبين به حق وصدقاً ، وليس أن هذ الأمر من رسالات الله ، فعند إلى صديقه سرعه عنه ، ودخل مع أصحاب رسول الله ﷺ ، في نور الإسلام

وهي الحملة إن كل ما ذكره أنا ، ليس من لإعراق في الشء ، ولا من نباعة في مدح ، بل هو من حقائق الواقع التي سجلها التاريخ بأصح ما استطاع أن يسجل به حقائقه^(١)

□ □ □

﴿ لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً ﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الثالث عشر : عن :

محمد صلى الله عليه وسلم
بشراً . . . رسولا

محمد الرسول البشر

وهذه مجموعة من النصوص والأبحاث ، تنتهى بإعطاء صورة عن رسول الله ﷺ ، من الجانب الجسماني والروحي .

روى الإمام أحمد بسنده - عن أبي أمامة - قال

قلت : يا رسول الله . ما كان أول بدء أمرك ؟

قال : دعوه أبي إبراهيم . وبشرى عيسى بنى . ورأى أمي أنه خرج منها نوراً أضاءت به قصور الشام .

يصر ذلك قول الله سبحانه وتعالى فيما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة الآية (١٢٩)

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ فِيكُمْ أَنْبَاءَ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ .

وقوله سبحانه . ﴿وَأَمَّا إِذَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ « سورة الصف الآية ٦ » .

وعن أبي موسى فيما رواه البيهقي قال كان رسول الله ﷺ يسمى لما نفسه أسماء فقال « أن أحمد ، ومحمد ، والحاشر ، والمنفى ، وبني تنويه والملحمة »

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال « سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأن الماحي الذي يمحوا الله به لكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمه . وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد » ، رواه البخاري في الصحيح عن أبي ليلى ، ورواه مسلم عن عبد بن حميد عن أبي ليلى ، وأخرجه مسلم من حديث ابن عبيدة وعقيل عن الزهري والبخاري من حديث مالك بن أنس عن الزهري .

من صفاته :

عن لبراء رضى الله عنه ، قال كان رسول الله ﷺ ، أحسن الناس وجهاً ، وأحسن خلقاً ليس بالطويل الباهل ولا بالقصير أخرجه في الصحيح

يقول البراء بن عازب قال : « كان رسول الله ﷺ مبروعاً ، بعيد ما بين منكبين ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، عليه حلة حمراء ، ما رأيت شيئاً أحسن منه » روه البحري في الصحيح عن أبي عمر حمص بن عمر ، وأخرجه مسلم من حديث عنده عن شعبة ^(١) .

ويقول « كان رسول الله ﷺ مبروعاً ، بعيد ما بين منكبين ، أعظم الناس وأحسن الناس ، جُمته إلى أذنيه ، عليه حلة حمراء ما رأيت شيئاً قط أحسن منه » أخرجه في الصحيح من حديث شعبة ^(٢) .

« أما كلامه فهو فصل لا فصول ولا تقصير وكان ﷺ دعيماً . ليس بالجاهل ولا البهيم : يعظم النعمة وإن دقت لا يذم منها شيئاً » .

وعن أبي هريرة ، قال : « ما رأيت شيئاً أحسن من النبي ﷺ : كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه منه ، كأن الأرض تطوى له ، إنا لمجتهدي ، وإنه غير مكثرت ^(٣) » .

عجلت لهم طيائهم

عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب في لقبة ^(٤) قال : « فجلست فسمعت رأساً في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد لبصر ، إلا أهبط ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع علي أمتك ، فقد وسع على فارس والروم ، وهم لا يعبدون الله فاستوى فقال : أفعى شئت أنت يا بن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيائهم في الحياة الدنيا ، فمت » استعمر الله يا رسول الله ^(٥) .

لم يكن فاحشاً :

عن عبد الله بن عمر يقول « إن رسول الله ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وإنه كان يقول : « إن حياركم أحسكم أخلاقاً » - رواه مسلم في الصحيح - ^(٦)

(١) دلائل النبوة ص ١٦٧

(٢) دلائل النبوة ص ١٧٨

(٣) دلائل النبوة ص ١٥٩

(٤) قصة زيارته الرسول ﷺ وتأنه لقبة ما رآه عنه من منافع الدنيا

(٥) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٤٩

(٦) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٣٥

لا يجابه .

عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقول « مال بال أنفام يقولون كذا »^(١) فكان لا يسميهم بأسمائهم حتى لا يسبب لهم حرجاً من وصف أي هوية له :

عن أبي هريرة قال « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إلا اشتهاه أكله ، وإلا تركه » ، (أخرجه البخاري في الصحيح من حديث سفيان الثوري وشعنه وأخرجه البخاري ومسلم من حديث الثوري)^(٢) .

يتسم

عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستحجماً صاحبكاً حتى أرى منه هوائه ، إنما كان يتسم »
رحيم بالأطفال

عن أنس بن مالك قال « ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ » وذكر الحديث
عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله ﷺ من أنفكه الناس مع صبي »^(٣)
لم يكن فاحشاً :

روى الترمذي بسنده عن عائشة رضى الله عنها ، إنها قالت عن حق رسول الله (لم يكن فاحشاً ولا متعشاً ، ولا مسجاً)^(٤) في الأسواق ، ولا يحزى السيئة بالسيئة ، ولكن يعمو ويصمغ ، أو قال يعمو ويعمر) شك أبو دارد ورواه الترمذي من حديث شعبة وقال : حسن صحيح

وعن مسروق عن عبد الله بن عمرو^(٥) قال (لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متعشاً) ، وكان يقول . (إن خياركم أحسنكم أخلاقاً) ورواه مسلم من حديث الأعمش به^(٦)

(١) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٣٧

(٢) رواد مسلم في الصحيح

(٣) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٤٦

(٤) المسحاب الذي يرفع صوته لئلا يخطئه

(٥) الحديث في صحيح البخاري ١٣٢/٣ ج ١ الأميرة جدنا عم بن حفص حدثنا في حديث الأعمش ،

لحديث شعبي عن مسروق قال كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو يحدث إذ قال .. إلخ

(٦) شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم لابن كثير ص ٢٠ - ٢١ ط الحلبي

أنس ووصف الرسول ﷺ :

عن أنس قال (كان الرسول ﷺ من أحمل الناس ومن أخود سائر ومن أشجع سائر) رواه البخاري في الصحيح عن سليمان بن حرب رواه مسلم عن سعد بن منصور

وقال « لم يكن رسول الله ﷺ سبأ ولا فحشاً ولا لعناً كان يعون لأحد عند المعتة ما له تربت جيبه » رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سنان

بعثت داعياً ورحمة

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله ﷺ ، بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً ، كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم بها

وروى أن النبي ﷺ ، لما كسرت ربيعته وشج وجهه يوم خيبر ، شق دلت على أصحابه شديداً ، وقالوا لرد دعوت عليهم ، فقال « بئس لم أبعث ناعماً ولكني بعثت داعياً ورحمة إليهم هذا قومي ، فإنهم لا يعلمون »

وروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال بي بعض كلامه « بئس أنت وأمي » رسول الله ، لقد دعا نوح على قومه ، قال ﴿ رب لا تدركني الأرض من الكافرين دياراً ﴾ ولو دعوت عندي مثلها هلك من عند أحرابي وصي صهرك وأزمت وجهك ، وكسرت راعيتك ، فبئس أن تقول إلا حيرا فقلت « إليهم اعتر لقومي فإنهم لا يعلمون »

- قال القاضي أبو الفاضل وفقه الله انظر في هذا القول من حجاج الفصل ، ودرجات الإحسان ، وحسن الحق وكرم النفس ، وعناية الصبر وحلم إدام يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عرف عنهم ، ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فعلاً « اعتر » أو « هد » ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله « لقومي » ثم عتذر عنهم بحبهم فقال : « فإنهم لا يعلمون »

من وصف السيدة عائشة

عن عائشة قالت (ما ربي رسول الله ﷺ ، صرب حادماً قط ، ولا صرب امرأة به قط ولا صرب بيده شيء قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا يبل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن يكون لله ، فإذا كان لله انتقم له ، ولا تعرض عليه أمر إلا أجاز الذي

هو أيسر إلا أن يكون إنمًا ، فإن كان إنمًا ، كان أبعد الناس منه » رواه في الصحيح عن أبي كريب عن أبي معاوية^(١) .

يتنصر للحق :

لا يعصبه الدنيا وما كان لها فإذا تعرضى الحق ، لم يعرفه أحد ، وم يعلم يعصبه شيء ، حتى يتنصر له ، لا يعصب لنفسه ولا يتنصر لها^(٢) .

أبلغني حاجة الصغماء :

قال وأبغوى حاجة من لا يستطيع إبلاعى حاجته ، فإنه من أبلغ سلطانا حاجه من لا يستطيع إبلاعها إياه - ثبت الله قدميه يوم القيامة

عمله ديمة

عن علقمة قال سألت عائشة رضى الله عنها كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ هل كان يحضر شيئاً من الأيام ؟ قالت « لا ، كان عمله ديمة ، وأنىكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ ، يستطيع ؟ » رواه مسلم في الصحيح

ويقول صاحب دلائل النبوة

وجمع له ﷺ ، العلم والنصر فكان لا يعصبه شيء ولا يسفره وجمع به الحذر في ربح أحده بالحسنى قال سعيد والعلوى بالحسنى ليُقضى به ، وتركه انقيح يسهى عنه ، وفي رواية العلوى يساهى عنه ، وجهاده ، الرأى فيما أصلح أمته ، وانقيام فيما جمع لهم الدنيا والآخرة ، وفي ورية العلوى وانقيام هم فيما جمع لهم أمر الدين والآخرة » ﷺ^(٣)

قال ابن إسحاق ، كان يسمى الأمين « بما جمع لله فيه من الأخلاق الصالحة »^(٤)

أدب القرآن .

عن عتبة العموى في قوله (تعلى) ﴿ وإنت نعلى حنق عصم ﴾ قال (أدب القرآن)^(٥)

(١) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٣٣

(٢) دلائل النبوة ج ١ ص ٢١٤

(٣) دلائل النبوة ج ١ ص ٣١٧

(٤) الشعراء ص ١٠٤

(٥) دلائل النبوة ج ١ ص ٢٢٢

أجود الناس :

عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان ، حين ينفقه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه في ليلة من رمضان فيدارسه القرآن قال فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ، رواه البخاري في الصحيح ^(١)

حليم

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال « كنت أُمشي مع رسول الله ﷺ ، وعليه برد بحراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي وجنبه حديدة شديدة ، حتى بصرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء ، من شدة حديثه ، ثم قال « مَرَى مِنْ مَالِ اللَّهِ أَلَدَى عَدَاكَ ، فَأَتَيْتُ إِلَيْهِ فَصَحَّحْتُ ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ » - في ج ٧ ص ١١٥

وروي أن أعرابيًا حذوه يطلب منه شيئاً ، فأعطاه ، ثم قال أحسنت إليك ؟ قال الأعرابي لا ، ولا أجمت ، فعصيب أسسمون وقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كفوا ، ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه ﷺ ، وراده شيئاً ، ثم قال أحسنت إليك ؟ قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خير ، فقال له النبي ﷺ : « إياك قتلت ما قتلت ، وفي نفس أصحابي من دمك شيء ، وإن أصبت أهل بين أيديهم ما قتلت بين يدي ، حتى يذهب ما في صدورهم عليك ، إن هذا الأعرابي قال : نعم ، فلما كان العداة ، ر العشي ، جاء فقال ﷺ « إن هذا الأعرابي قال ما قال ، فزدناه ، فزعم أنه رضى أكدلت ، قال نعم جزاك الله من أهل وعشيرة خيراً ، فقال ﷺ . مثلي ومثل هذا مثل رجلٍ له ناقة شردت عليه ، فأبغها الناس ، فلم يزلوها إلا نهوراً فبداهم صاحبها حذر يسي ويرى ناقتي ، فإني روي بها منكم وأعمى ، فتوحها بين يديها ، فأخذ لها من قمام الأرض ، فردها ، حتى جاءت واستأجنت ، وشد عليها رحمتها ، واستوى عليها ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال ، فقتلتموه دخل النار ^(٢)»

شجاع

عن شعبة عن أبي إسحاق قال رجل سريء بن عازب رضى الله عنهم « أفرتم عن رسول الله ﷺ ، يوم حنين ؟ قال بلى رسول الله ﷺ . لم يهر . إن هودون كانوا قومًا رماة وإنما لما لقياهم ، حمد عليهم فانهزموا ، فأقبل المسلمون على الغنائم ، واستقنونا

(١) دلائل النبوة

(٢) الشفاء ص ٩٦ ، ٩٧

بالسهام . ، فأما رسول الله ﷺ ، لم يصر ، فليقد أئنه وإنه لعلى بعلة السواء ، وإن أب سميان (من الخارث) أحد بدجامها ، والنبي يقول أنا نبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب . (خ) .

عن البراء رضى الله عنه قال له رجل : « يا أبا عمارة ، وليتم يوم حزين ؟ قال لا والله ، ما ولى النبي ﷺ ، لكن ولى صرعان الناس فليتهم هوار باليل ، والنبي ﷺ على بعلة السواء ، وأبو سميان من الخارث أحد بدجامها ، والنبي ﷺ يقول : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » .

جوهر خلق رسول الله ﷺ .

ومع كل ما سبق ، فإننا نحب - بتوفيق الله - نحدد الصفة التي تحلى بها رسول الله . فكانت الأساس والمصدر لكل خلق كريم .

لقد صنعت السيدة عائشة رضوان الله عليها ، عن خلق رسول الله ﷺ صفات (كان خلقه القرآن)

ومع أن هذا الوصف من أم المؤمنين واضح وصوحاً لا لبس فيه ، فإننا مع ذلك نحارل له تحديداً ، نراه ضرورياً . وبينما نراه حتماً :

ذلك أن الأخلاق القرآنية نحدد الخصال الكريم في حده الأدنى ، وترسم القصيدة ، في درجاتها الأولى ، ثم لا يقتصر القرآن على ذلك ، وإنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق . ويوجه إلى السامع منها ، ويقود إلى انشراح العلي من درجات المقربين

إنه يتحدث عن « مقتصد » وعن « السابق بالحجرات » . إنه يتحدث عن أصحاب اليمين « ويتحدث عن « المقربين » ، ويبين أن المقربين ، أقل عددًا من أصحاب اليمين ، فهم ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين

أما أصحاب اليمين ، فإنهم ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين ، على حد التعبير عن أصحاب اليمين وعن المقربين في سورة الواقعة .

ولنصرب لذلك مثلاً :

إن مقابلة السيئة بالسيئة عدل .

يقول الله تعالى : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾ (١) .

ولكن القرآن مع بيان عداة هــ . يذكر درجة أعلى من الحق الكريم ثلاث هي درجة « كظم الغيظ » .

وهــ . ادى مع مقدرة على مقابلة السبعة بالسبعة يكظم غظه ، اسمى من ميزان الأخلاق الكريمة ، من ادى يقابل السيئة بالسيئة

ولا يعف القرآن عند هــ الحد ، ذلك أنه يرسم درجة ثالثة من الحق الكريم ، وذلك أنه يتحاور « مقابلة السيئة بالسيئة » « وكظم الغيظ » بـ « العفو »

والعفو مع القدرة اسمى من « مقابلة السيئة بالسيئة » وسمى من « كظم الغيظ » ثم يتحاور القرآن كل ذلك ، بـ الدرجة العليا درجة نصير وهي لإحسان يقول تعالى ﴿وحرء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا وأصح فأحره على الله﴾

ويقول سبحانه وتعالى ﴿والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين﴾ ، إنها درجات من لحق الكريم ، كلها كريمه ، بيد أنها تتفاوت ، فبما بينها ، من كريم إلى أكرم ، كتفاوت الناس في الشرف من شريف إلى أشرف

ويحق لنا الآن أن نتساءل

أتريد السيدة عائشة رضى الله عنها ، حينما نصمه ، ﷺ بأن حبه لقرآن يريد الحق القرآنى لكريم في حده الأسمى ؟

أم تريد في حده الأوسط ؟ أم هل تريد في حده الأسسمى ؟

وبحل لنا القرآن هذه المسألة ، فيحدد بصورة عامة وبطريقة مجمدة الدرجة التى وصل إليها لرسول ، ﷺ ، من الحق القرآنى فيقول سبحانه رسول الله ﷺ ، ﴿وَأنتَ حقى حنى عظيم﴾

يقول صاحب الشفاء « أثنى عليه بما منحه من هباته ، وهده إله وأكد ذلك ، تسبما بتمجيد بخزفي الكيد ، فقال تعالى ﴿وَأنتَ على خلقٍ عظيم﴾

قيل القرآن وقيل الإسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس له همة إلا الله اهـ قال الواسطى « أثنى عليه بحسن قبوله لما أسماه إله من بعبه ، وفصله بذلك على غيره ؛ لأنه جله على ذلك الحق » اهـ

وقد تحدث الصحابة والتابعون عن هذه الآية الكريمة .

قال ابن عباس ، رضى الله عنهما معناه « لا دين أحب إلى الله ، ولا أرضى عنه منه ، وهو دين الإسلام »

وقال قتادة « هو ما كان يأمر به من أوامر الله ، وينهى عنه ، من نهى الله تعالى ، ولمعى إنش على الخلق الذى أمرك الله به فى القرآن » اهـ .

ومع ذلك ، ومع كل ما قل فى هذه الآية الكريمة ، من أنها تكريم ، ومحمد ، ومدح ، وثناء . ومع إيماننا بأنها تنصص كل المعانى الكريمة التى قيت والمعانى الشريفة التى ستقال . فإنا نرى أن الأمر ما زال بحاجة إلى بيان الدرجة بياناً تاماً

فقد يتساءل بعض الناس عن هذا الخلق العظيم ، أكان يشارك رسول الله ﷺ ، فيه شئ مكرم ؟ أكان يشاركه فيه رسول مجبى ؟ أكان يشاركه فيه مثل مقرب ؟

ثم يكن سيدنا إبراهيم على خلق عظيم ، وهو خليل لأمره لمس ؟

ثم يكن سيدنا إسماعيل على خلق عظيم ، وكان عبد ربه مريضاً ؟

ثم يكن سيدنا عيسى على خلق عظيم ، وقد جعله الله مباركاً أينما كان ؟

على نبينا وعليهم جميعاً الصلاة وأركى التسليم

واللائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ، ويعملون ما يؤمرون ومنهم جبريل وميكائيل وحملة العرش - أليسوا على خلق عظيم ؟

أيشارك أحد من هؤلاء رسول الله ﷺ فى درجه ؟

أيما يكون رسول الله ، ﷺ فى الخلق العظيم ؟

ويسمى القرآن الكريم بهذا التحديد ، إسماً يرضى اقتضه إلى المعرفة ، ويشرح صدور خبير لرسول الله ﷺ .

إن القرآن يحسم الأمر حسماً ، لا يدع فيه مجالاً للبس . ويسفر عنه إسفاراً لا يدع مجالاً لريب ..

يقول الله تعالى لرسوله الكريم

﴿لَئِنْ صَلَّيْتُ وَسَكَيْتُ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لَشَأْنُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^١

هذه الآلة القرآنية الكريمة ، تحدد درجة الأخلاق القرآنية التي وصل إليها نرسول ﷺ
إنها دروتها وسامها

ولقد بعث ﷺ ، لیتتم مكارم الأخلاق .

إنه ﷺ ، بعث لیتتم المكارم الأخلاقية .

لیتمها بداته ، سلوكه ، ولیتمها ، بقوله ، برسائه

إنه لم یبعث لیشر لأحلاق الكریمة فحسب ، وإنما بعث لیتتم مكارمها ومكارم
الأخلاق لم تكن قبل الرسول ، صلوات الله وسلامه علیه قد تمت ، إن أول المسلمين
لم یكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة ، كان ینقصها أكمل صفة
مكارم الأخلاق ، وهی اسلام الوجه الله : إسلاماً تاماً .

إن الكائنات لم تكن قد وصلت : لافی می مرسل ولا فی ملك مقرب ، فی ندوة
من اسلام للوجه الله ، واندوة من اسلام الوجه الله أو أول المسلمين والتحیران سواء .
إنما هو الندوة من مكارم الأخلاق .

إن الكائن الربانی : إن أول المسلمين ، أولهم بإطلاق ، أولهم بالنسبة لملائکة ، وأولهم
بالنسبة لبی آدم أولهم قديماً ، وأولهم حديثاً ، وأولهم فی الأبد . إن أول اسمی م یكن
قد وجد بعد .

وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت الكائنات كلها بذلك ناقصة

كان الكون ناقصاً مادة ومعنى ، كان ینقصه أن تعطر أرضه بأركی الأجساد ، وأن
یتعطر جوهه بأركی الأرواح ، وكان لأبد من وجود کائن بهذه المنبة یکمل الله به الدین .
وینم به النعمة ، ویرصی رسالته دیناً عاماً حائلاً بالإنسانية جمعاء . هو اسلام الوجه الله ،
ونزل القرآن محمداً اسلام الوجه الله وسائل ، ومحمداً اسلام الوجه الله غایات . محمداً اسلام
الوجه الله صرحاً وسالِب ، ومحمداً له یواعث وأهداف

ومن أجل أن الإسلام هو اسلام الوجه الله ، والسليم له ، والاستسلام ما یجبه ویرضاه

كان من یتبع غیر الإسلام دیناً فلی یقبل منه

وكیف یقبل منه ما یتنافى مع اسلام الوجه الله ؟ .

إن اسلام الوجه الله ، هو جوهر التدين . إنه دین القیمة . إنه الدین الوحید

و نحن الوحيد النص لإلهى المريد فى العدم كله ، لدى بين كيفية إسلام الوجه لله
إنما هو القرب

وإد ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه لله ، كان بذلك فى حروة الإنسانية ، وفى الدروة
من مكارم الأخلاق

و يتفاوت الناس فى إسلام وجوههم لله ، لا بد من أن يكون أحدهم الأول ، فكان رسول
الله ، ﷺ ، أولهم بإطلاق معنى .

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ « الأنعام ١٦٢ »

ولم يصف القرآن بأول المسلمين شخصاً آخر غير الرسول ﷺ ، ولو لم يوجد أول
المسلمين المتمم لمكارم الأخلاق - ذلك الذى كانت صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب
العالمين لو لم يوجد هذا الكائن الربانى لظل العالم مستشرفاً إليه ليكمل به ، ولظل العالم
ناقصاً مادةً وروحاً

فلما وجد ، ﷺ ، انتهت حكمة الله بوجوده ، و برسالته إلى ما بيَّنه الله تعالى بقوله
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١)
صوات الله وسلامه عليه يا سيدى يا رسول الله .

وما من شك فى أن الأخلاق الكريمة التى حث عليها القرآن الكريم ، وتابعها لرسول
ﷺ : متأسفاً مع الحث عليها - لا تكاد تحصى ، منها ما يلى

عن أنس عن لى ﷺ اقل : ثلاث من كثر فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ؛ من كان
الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء : لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود إلى
الكفر بعد أن أئقده الله مه - كما يكره أن يقذف فى النار .

عن أنس قال . قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن عبد ، حتى أكون أحب إليه من أهله
وماله والناس أجمعين » .

عن عبد الله بن عمرو - رضى الله عنهما - عن النبى ﷺ - قال . « لمسلم من سلم
المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » (ج)

عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . (ح)

حدث شعبه عن ربيد ، قال : سألت أبا وائل ، عن مرجئه ، فقال : « حدثني عبد الله أن النبي - ﷺ - قال : « سيئات المسمم فسوق ، وقتاله كفر » . (ح)

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ . قال : « كل سلامي من الناس عليه صدقة » كل يوم تطبع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة ، ويعين الرجل على دابته ليحمل عليها ، أو ترفع له عليها صدقة . (خ ج ٧ ص ٤٣)

عن أبي مسعود عن النبي - ﷺ - قال : « إذا أنص الرجل على أهله يحبسها ، فهو له صدقة » . (ح)

حدثنا الحكم بن نافع ، قال : أخبرنا شعيب عن الزهري ، قال : « حدثني عامر بن سعد عن سعد بن أبي وقاص أنه أخبره أن رسول الله ﷺ ، قال : « إنك لن تنقى نقية بيتي به وجه الله ، إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في (هم) امرأتك » . (ح)

عن عبد الله بن عمرو ، قال : رسول الله ﷺ : « أربع من كن فيه ، كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه ثلاثة منها ، كان فيهما كذب حتى يدعها إذا حدثت كذب ، وإذا عاهد غمراً ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خدعهم فخر » .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ ، قال : « دية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتمن حان »

المستولية

عن ابن عمرو رضى الله عنهما قال : « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « كنكم راع ومسعود عن رعيته ، والإمام راع ومسعود عن رعيه ، والفرجل راع في أهله ومسعود عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيته ، والخدام في مال سيده راع ومسعود عن رعيته » قال وحسبت أن قد كان والفرجل راع في مال أبيه » . (ح)

وكان الصبحية لا يرفعون صوتهم فوق صوته ﷺ

عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ ، تنقذ ثابت بن قيس ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه ، فأناه فوجدته جالساً في بيته متكئاً رأسه ، فقال : « شئت ؟ فقال

شر كان يرفع صوته فوق صوت نبي ﷺ ، فقد حبط عمله وهو من أهل الأرض تأتي
الرجل فأخبره أنه قال كذب وكذب ، فقال موسى بن أنس فرجع المرة الأخيرة ببشارة عظيمة ،
فقال اذهب إليه فقل له : إنك لمس من أهل النار ولكن من أهل الجنة^(١)

وأحيها وروحها يومُ أحد ، فقالت ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا حيرا ، هو بحمد الله كما تحيين ، فلما رأيته قالت .. كل مصيبة بعدك جلل^(١)

خصائص هذه الحصاره وسماها .

إن هذه الحصاره الإبراهيمية المحمدية لا تعرف الوثنية والشرك ، ولا تسمح به في لون من الألوان ، في أى مكان و زمان . فكل دعاء إبراهيم وأكبره **﴿واجبى ونى أن يعبد الأصنام﴾**^(٢)

وكان أكبر وصيه ودعوته للأثم والأفراد حميعاً . **﴿فاجنبوا برجس من الأوثان واجنبوا قول الزور . حمى الله غير مشركين به﴾**^(٣) .

إنها لا تعرف لتهالك على الشهوات ، والتكالب على حطام الدنيا ، والتسحر على جيف المادة ، والتقاتل فى سبيل بحكومات والمناصب .

إنها دعوة لم تزل عقيدتها **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**^(٤) .

إنها حصاره لا تعرف الفصل بين الإنسان والإنسان ، والتمييز بين الأنوار والأوطان ، فالناس كلهم لادم ، وادم من تراب لا فصل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى

﴿يا أيها الناس إن حققناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وعبان لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾^(٥) وقد قل خانم الرسل ﷺ . « ليس ما من دعا إلى عصبية ؛ وليس ما من قاتل على عصبية ، وليس ما من مات على عصبية^(٦) » وقال من حتم بالأنصار ومن حتم بالمهاجرين . « دعوها فإنها فتنة »^(٧) .

إنها حصاره تُعرف فى العقيدة ؛ بالتوحيد ؛ وفى الاجتماع ؛ باحترام الإنسانية والسوية بين أفرادها ، وفى دائرة الأخلاق والنهج بتقوى الله والحياء والتواضع ، وفى ميدان الكفاح باسمى للأخرة والجهاد لله ، وفى ساحة الحرب . بالرحمة والباطمة

(١) ابن مسحق والبيهقى

(٢) سورة إبراهيم . ٣٥

(٣) سورة الحج . ٣٠ ، ٣١

(٤) سورة القصص ٨٣

(٥) سورة الممتحن ١٣

(٦) رواه ابن دود

(٧) رواه البخارى

الإسانية ، وفي أنواع الحكومات بترجيح جانب الهداية على جانب الجبلة ، والخدمة على الاستخدام وتعرف في التاريخ بخدمة الإنسانية المحلصة ونقاها من برائس الجاهلية والدعوات الطاعة ، وفي العالم : يأثرها الراهرة الراهية ، وحيراتها المنشرة الباقية إنها حصرة عجت مع اسم الله ومراقبته ، وصعقت بصعقة الله ؛ وقامت على أسس الإيمان فلا يمكن تحريكها عن اصابع الدينى واللون الربانى والروح الإيمانى (١) (٢)

أدب القلمان

حتى القلمان .

عن سلمة بن الأكوع ، رضى الله عنه قال مر سبى ﷺ على نهر من أناس ينصبون ، فقال النبى ﷺ « رمؤ بى إسماعيل فإن أباكم كان رمى ، رموا وأنا مع فلاں قال فأمسك أحد العريقين يديهم ، فقال الرسول ﷺ مالكم لا ترمون ؟ فابو كيف رمى وأنت معهم ؟ قال النبى ﷺ : ارموا فلانا معكم كنكم » (٣)

ويقول صاحب كتاب الشفاء .

وكانت شعرات من شعره فى فلسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالاً إلا ررق النصر

وكانوا متبركين بحمل شيء من آثاره .

كانت فى فلسوة خالد بن الوليد ، شعرات من شعر الرسول ﷺ ؛ فسقطت فلسوته فى بعض حروبه ، فشد عليها شدة أنكر عبيه أصحاب النبى ﷺ كثرة من قُتل بها فقال لم يفعلها بسبب الفلسوة ، بل لما تصبته من شعره ﷺ ، لئلا أمسك بركتها ، وتقع فى يدي المشركين

وروى عمر وصفاً يده على متعد النبى ﷺ من حسر ؛ ثم وضعها على وجهه - وهذا كان مألوف رحمة الله ، لا يركب بدمية دابة ، وكان يقول استحيى من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بخمار دابة (٤)

وهى الصحيح عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنها خرجت حبة طيله وقالت كان رسول الله ﷺ يلبسها ، فحرق بعصها بدمصى يستسقى بها ، وأحر القاصى أبو عى

(١) رسالة (ملة إبراهيم وحضرة الإسلام) للمؤلف جدير بسير من ١٣ ، ١٤ ، ١٥

(٢) النبوة والأبيد فى ضوء الفرق من ٧٦ ٧٨

(٣) صحيح البخارى ج ٧ من ٤٥ - ٤٦

(٤) السماء من ٤٨ د ٢

عن شيعه أبي القاسم بن أنعمون قال كانت عذبة قصعه من قصاع النبي ﷺ ، فكنا نجعل فيها ماء لنعرضي فيمتشون بها^(١)

وعن ابن سيرين قال قرب بعده عذبة شعر النبي ﷺ ، أصباه من فل أنس أو من قبل أهل أنس فقال لأن يكون عذبة شعره ، أحب إلي من الدنيا وما فيها (ح)
وعن ابن سيرين عن أنس ، أن رسول الله ﷺ ، لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره . (ح) .

ازدادت المحبة في الآثار النبوية

ووصل الأمر في حب النبي ﷺ إلى هذه الصورة الثانية

عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال

« رأيت رسول الله ﷺ بي قبر حمراء من آدم ، ورأيت دالا لأحد ووصوء رسول الله ﷺ ، ورأيت الناس يسدرون دالا ، بوصوء ، فمن أصاب منه شيئا مسح به ، ومن لم يصب منه شيئا أخذ من بلل يده صاحبه

ويأتون إليه بآياتهم .

عن أنس بن مالك قال

كان رسول الله ﷺ - إذا صلى لعداة جاء خدم المدينة بآياتهم فيها ماء فما يؤتى بإناء إلا عمس به فيه ، فربما جاءوه في العداة الباردة فيعمس يده فيها

رواه مسلم في الصحيح

وبعد فقد روى الإمام البخاري بسنده .

عن أنس قال النبي ﷺ .

« لا يؤمس أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وسائر أجمعين » (خ)

وهل أذاك حديث جلعل أم سلمة ؟

عن عثمان بن موهب قال

كان عبد أم سلمة جلعل من عصاة صحبه فيه شعر الرسول ﷺ وكان (فكان) إذ أصاب إنسانا لحمي ، بعث إليه وخصصته فيه ، ثم يصحبه الرجل على وجهه قال بعضي

(١) لشمس ص ٢٧٨

أهل إليها فخرته إذ هو هكك وأشر إسرائيل - ليراوى ثلاثة أصابع وكان فيه شعرت
 حمر رواه البخارى فى الصحيح عن مالك بن إسماعيل عن إسرائيل^(١)

وفىما روى البخارى عن موصوء

عن أبى جحيفة قال

« خرج عبنا رسول الله ﷺ بالهاجرة ، فأتى موصوء ، فوصا فحصل لئس يأحدون من
 فصلك وصوته فيسمون به » .. (خ)

وفى عروة عن السور وغيره يصدق كل ، أحد منهما صاحبه ، وقد بوصا لئس ﷺ ،
 كادوا يقتلون على وصوته (ح)

روى البخارى بسنده

عن عقبه بن عامر أن لئس ﷺ خرج يوماً فوصى على أهل أحد صلاته على باب ، ثم
 انصرف إلى المنبر فقال

« إني فرضكم^(٢) ، وأنا شهد عليكم ، إني والله لأنظر إلى حوصى الآن وإنى قد أعطيت
 حترن مفتاح الأرض ، وإنى والله ، ما أخاف عدى أن يشركوا ، ولكن أخاف أن نأفوا
 عليهم »

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ،

« لا يقتسم ورثى ديناراً » : ما تركت - بعد وفاة بسائى وموثة عملى - فهو
 صدقة » (خ) .

عن عمرو بن الحارث عن رسول الله ﷺ أنى حويرة بس الحارث فقال

« ما نرا رسول الله ﷺ - عند موته درهماً ولا ديناراً ، ولا عبداً ولا أمة ولا شيئاً ،
 إلا بعلته البيضاء ، وسلاحه ، وأرضا جمعها صدقة » (ح)

عن أبى بردة قال أخرجت ما عائشة رضى الله عنها كساء ملبداً ، وفاب فى هذا
 برع روح سبى ﷺ ، وراد سيمان عن حميد عن أبى بردة قال أخرجت إلى عائشة زاراً
 عيطاً مما يصنع بانيص ، وكساء من هذه التى يدعونها^(٣) الملبدة^(٤)

(١) دلائل النبوة ص ١٧٦

(٢) أى مقسمكم لأهلى لكم

(٣) مدعويها

(٤) صحيح البخارى ج ٧ ص ١٠١

قال رسول الله ﷺ .

أنا أول الناس حروخاً إذا دعوا ، وأنا خطيئهم إذا وعدوا ، وأنا مبشرهم إذا يسئوا ، لواء الحمد بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر^(١)

عن أنس بن مالك قال كان النبي ﷺ أحسن الناس (وجهاً) وأجود الناس : وأشجع الناس . ولقد فرغ أهل المدينة ليلة مركب فرساً لأبي طلحة عريان فخرج الناس يردونهم برسول الله ﷺ قد سبقهم إلى الصوت ، قد أسير لحبر ، وهو يقول من نزعوا : وقال النبي ﷺ لقد وجدناه بحراً (أو) إنه بحر ، قال حماد : وحدثني ثابت أبو بدسي عنه - قال « فما سبق ذلك الفرس بعد ذلك قال وكان فرساً (يبطاً) رواه البخاري في الصحيح^(٢) » .

وقال علي رضي الله عنه : إن كان يدحمي الناس ويروي اشتد الناس واحمرت الحديق ، اتقينا برسول الله ﷺ ، فما يكون أقرب إلى العدو منه ، وقد رأيتني يوم بدر وهو سود يسبي ﷺ وهو أقرب من العدو . وكان من أشد الناس يومئذ بأساً ، وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ ، إذ دنا العدو ، لقربه منه^(٣) .
ويقول الإمام ابن كثير :

وذكرت في التفسير عن بعض السلف أنه استبط من قوله تعالى ﴿مقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحوض المؤمنين﴾^(٤) أن رسول الله ﷺ كان مأموراً ألا يهر من المشركين إذا وجهوه ، ولو كان وحده من قوله « لا تكلف إلا نفسك » .
وقد كان ﷺ من أشجع الناس ، وأصبر الناس ، وأجندهم ، ما فرط من مصابه وهو تولى عنه أصحابه .

قال بعض أصحابه : كنا إذا اشتد الحرب ، وحمل الناس ، تقى برسول الله ﷺ .
ففي يوم بدر ، منى ألف مشرك نقيصة من حصي فالتهم أجمعين حين قال « شهدت الوحوه » . وكذلك يوم حنين كما تقدم ، وفر أكثر أصحابه يوم أحد ، وهو ثابت في مقام مبرح معه ولم يبق معه إلا اثنا عشر ، قتل منهم سبعة وبقي لخمسة ، وفي هذا الوقت قتل أبي بن خلف لعنه الله فعجله الله إلى النار .

(١) الشفاء ص ١٦٨

(٢) دلائل النبوة ط ص ٢١٢

(٣) الشفاء ص ٨٩

(٤) التيسر ٨٤

ويوم حين ولي الناس كلهم ، وكان يوم ثلثي عشر نهاراً ، وثبت هو في نحو من مائة من الصحابة ، وهو راكب يومئذ بعثه وهو يركض بها إلى نحو سدو ، وهو يومه باسمه ويعتبر بدست هائل « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » حتى جعل العباس وعلى وهو سنان بن حارث بن عبد المطلب ، يتعمقون في تلك البعثة ، ليطعنوا سيرها خوفاً عليه من أن يصل أحد من الأعداء إليه .

وما زال كدس حتى نصره الله وأيده في مقامه ذلك وما تراجع الناس إلا والأشلاء مجذلة بين يديه ﷺ

النصوص لا تعدل

وعند النوم .

عن أنس بن عمار قال قال النبي « إذا أتيت مصحفاً فتوضأ وصوأك لصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل

« اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأتخأت ظهري إليك ، رعة ورهة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، اللهم آمين بكتابك الذي أرسلت به ، وببيتك الذي أرسلت به ، فأت على انظره ، واحفظه من أن يترككم به قال مرددتها على النبي ﷺ ، فبما بعث اللههم آمين بكتابك الذي أرسلت به فلب ورسولك ... قال لا .. وبيتك الذي أرسلت به »

وكان من دعائه :

اللهم إني أسألك رحمة تهدي بها قبي ، وتجمع بها أمري وتدم بها شعبي ، وتصبح بها عابتي وترفع بها شاهدي ، وبركي بها عملي ، ونهمي بها رشدي ونرد بها نفسي ، وتعصمي بها من كل سوء اللهم إني أسألك لقور في نقصاء ، وبرر الشهداء وعيش السعداء والتصر على الأعداء^(١) .

النبي العابد

ألف السك والعبادة والخطوة طملاً وهكدا النجاء
وإذا حلت الهداية قباءً نشطت في العلة الأعضاء

إن أول آية نزلت من القرآن الكريم إنما هي

(١) النشاء ص ٦

﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١) وقد كانت هذه الآية بمرحمة بوجهها ، ومفهوما وجوها - شعاراً عاماً وتوجيهاً شاملاً ، مما كانت تعني بروحها ، بقراءة محسب ، وإنما كانت تعني أنه - منذ هذه اللحظة يجب أن يكون كل أمر باسم الله فعلاً كان هذا الأمر أو تركاً .

ولقد نأكد هذا الاتجاه وأصبح سافراً فيما بعد بل نقد أصبح من الأوامر المخصوصة على المسلم ، يقول الله تعالى لرسوله ﷺ

﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحايي مِمَّا تَنَاهَى اللَّهُ عَنِ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)

على أن المسألة : أشمل من ذلك وعم ، إذا كان يتأتى لشعور ولعموم بعد هذا رب الله سبحانه قد أخبرني قرآنه بكريم أنه ما حق الحق والإس إلا للعبادة ، يقول سبحانه

﴿وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدوا﴾^(٣)

فعبادة الخلق العبادة ، وسبب الحق العبادة ، ولثمرتها التي يجب أن يعمل الإنسان على تحقيقها إذن إنما هي العبادة ، ومن هنا كانت التوجيهات المتوالية للعبادة .

﴿أقم الصلاة لذنوك الشمس في غساة الليل ، وقرآن الفجر إن فرب الفجر كان مشهود ، ومن ليل فتهجد به ناعلة لك غساة أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ، وقول رب أدحسي مدح صدق ، وأحرجي مدح صدق وجعل لي من ذلك سلطان بصير﴾^(٤)

﴿واسجد واقترب﴾^(٥)

﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾^(٦) .

﴿وأمر حكيم ربك عبيد داعية ، وسبح محمد ربك حين تقوم ، ومن أنبل مسبحه وأديار السجود﴾^(٧)

-
- (١) العلق ١
(٢) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣
(٣) البقرة ٥٦
(٤) الإسراء ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠
(٥) العلق ١٩
(٦) الحجر ٩٩
(٧) الطور ٤٨ ، ٤٩

وما من شك في أن الله سبحانه لا تبصره معصية ، ولا تمنعه طاعة ؛ إنه سبحانه المعنى المطلق ، والمنعطي لمطلق ، إنه سبحانه ألوهيات ، الرزاق ، المعنى ، إنه القائم بنفسه وغيره هو المحتاج

وما كانت عبادة إلا لأجل تكميل الإنسان ، فمن فصل الله على عباده ، أن فتح لهم باب الكمال على مصراعيه عن طريق العبادة ؛ فائدة العبادة راجعة إلى العائد بنفسه ، فصلاً من الله ورحمة ، إنها راجعة إليه في الدين ، وراجعة إليه في الآخرة ، ويشمل الوجهين قومه تعالى .

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجبه حياة صيه ؛ ولنجريهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾^(١)

ومن عدية الله بالأمة الإسلامية ، ورسوله الكريم أن ولي كلمات الوحي من الوحي كانت توجهها برسول والمسلمين ، أن تكون أعمامهم كلها عباده ، لأن ما كان باسم الله كان عبادة ، ولو كان أكلاً أو شرباً مثلاً .

واستجاب الرسول ﷺ لهذا لوجه السامي ، الذي نزل من الأيام الأولى لرسالته ؛ واستمر طيبة الوحي

إن الرسول ﷺ حينما فتحه الوحي ، فعاد يرحف بوجهه إلى مفرقه «تظاهر وقال » رملوي رملوي « ، وبرل عليه قوله تعالى

﴿ تأبها أنزل قم الليل إلا قليلاً ، نصفه أو انقص منه قليلاً ، أو رد عنه ويرتل القرآن ترتيلاً ﴾^(٢) .

وكذلك الشأن في كل ما يعترض المسلم من صيق أو كرب أمر بالعبادة مثل :

﴿ فاصبر على ما يقول ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن أول الليل فاسبح وطراف النهار لعنك قرصى ﴾^(٣)

وهما علق سبحانه الرضى ، وطمأنية النفس ، وسكينة الفؤاد ، على التسبيح ، والذكر ، والعبادة ، ويشير الله إلى ذلك أيضاً فيقول

(١) النحل ٩٧

(٢) المزمل ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

(٣) طه ١٣

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ ، وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾^(١) .

واستجاب الرسول ﷺ استجابة كاملة للتوجيه الإلهي ، فجعل من كل أعمال الحياة عبادة ، إذ أنه كان يعملها باسم الله ، فقد جعل صلاته ؛ ونسكه ؛ وجعل حياته بأكملها ؛ بل ومماته أيضاً لله رب العالمين ؛ لقد جعل كلامه ؛ رصمته ؛ وجعل حركته وسكوته ، وجعل يومه ويظفته ؛ بل جعل أنفاسه عادة لله سبحانه فكان ذلك توجهه به إلى الله فكان عبادة له ، وهذه الاستجابة الكاملة هي التي جعلت من رسول الله صلوات الله وسلامه عليه نول المسلمين .

أولهم من حقق الله العالم إلى أن يطوى الله لأرض وما عليها باعتبار أن الدين عند الله - سد الأول إلى الأبد إنما هو : الإسلام .

لقد صبر الرسول ﷺ الحياة كلها عبادة لا تقتصر ودا ، استجاب إلى عبادة ، فقد استجاب إلى قوة ؛ أريد فيما تحفل من الجهاد عبادة ، ومن العمل عبادة ومن نعم عبادة ومن الكفاح عبادة ، ومن السعي على المعاش عبادة ، ومن ، ومن هل يصعب المجتمع أم يقوى ؟ ، وهل يأمن أهله أم يحافون ؟ وهل سعدون أم يشقون ؟ .

ومهما يكن من شيء ، فقد استجاب الرسول ﷺ استجابة تامة لما أراد الله سبحانه وتعالى ، ولقد تحدث الله عن هذه الاستجابة ذكرها لها ، فقال سبحانه .

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾^(٢) ، ويصعبه وثقلته^(٣) .
ويذكر الآن بعض الأحاديث التي تصور هذا الجانب من حياة الرسول ﷺ ، ومن وراء إصباح هذا الجانب من حياته ﷺ أهداف .

- ١ - تأملي المسلمين به قدر الاستطاعة
- ٢ - رضاء النعس وطعامية الأكلية ، من الباحة التعسية ، عيس هلاك علاج للشد والحيرة والردد بعدد في نهاسه العبدة ، والنصيحة المجربة التي تسدي غشاك إنما هي « صل »

فالصلاة خير علاج للاضطراب الديني ، بل للاضطراب النفسي أي كان

(١) ج . ٣٩ ، ٤٠

(٢) للزمل : ٢

ومتى وجدت النفس المظلمة - والنفس المظلمة لا وسيلة لوجودها إلا بالعبادة فإن الكثير من الأمراض الجسمية ينسبها يرون بإقرار أطباء الأجسام أنفسهم ، ثم إنه - بإقرار أطباء الأجسام أيضاً لا يكون الإنسان المظلم عرضة لما يتعرض له غير المظلم من أمراض جسمية .

٣ . وهذه الأسوة بالرسول ﷺ التي برحوها : ستكون سبباً في تفريج الصيق المادي

﴿ وبنو آدم أهل أمرى سوء ، وتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ (١) .

﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (٢) .

وهذه الأحاديث التي يذكرها لا يوجد فيها حديث ضعيف ، ومع أن الأحاديث الضعيفة يعمل بها في فضائل الأعمال ؛ فإنها قد تحريماً تحريماً كاملاً ألا تذكر فيما يلي - إلى آخر الكتاب - حديثاً ضعيفاً .

الصلاة

عن السيدة عائشة رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ ، كان يقوم من الليل حتى تنمطر قدماه .

فقلت له : ناد تصنع هذا يرسل الله ، وقد عمر الله لك ما تقدم من ديك وما تأخر ؟ !
قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً !
أما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال :
صليت مع النبي ﷺ ليلة فطال القيام حتى هممت بأمر سوء .

قيل : وما هممت به ؟

قال : أجلس « وأدعه » .

ولعل لابس مسعود عذره ، فقد كان ﷺ ، يقرأ الركعة الأولى مثلاً : سورة البقرة ، وفي الثانية آل عمران ، وفي الثالثة سورة النساء ، وكان يطيل القيام ويطيل الركوع ، ويطيل السجود كان يطيل كل ذلك ؛ حينما كان يصعب منه سجوداً في جوف الليل ، أما إذا كان مع الناس فإنه يجمع .

(١) الأعراف - ٩٦

(٢) النحل - ٩٧

وقد ورد في السنة الصحيحة إطالة الرسول ﷺ القراءة في الركعات التي يصليها في الليل ، وبسبب هذه الإطالة كانت هذه الركعات لا تتجاوز إحدى عشرة ركعة .
 « عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة ، فإذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين ، ثم صبحح عن شقه الأيمن حتى يحس أن مؤذنه فيؤذنه ؟ »

وكان الرسول ﷺ : يستغرق في صلاته الليلة ويكفي .

ويقص مطرف بن عبد الله عن أبيه قال

أحب النبي ﷺ . وهو يصلي ولحوقه أزيز المرحل يعني ييكى .

ولصلاة أهمية كبرى يوصحها الرسول ﷺ بقوله :

« إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة »

وكان ﷺ يتوصاً لكن صلاة

عن أنس رضي الله عنه قال « كان رسول الله ﷺ ، توصاً لكل صلاة ، فبين له كيف كنتم تصنعون ؟ قال - يعجزني أحداً الوصء ما لم يحدث »

والأحاديث التالية تبين بعض أحوال الرسول ﷺ في الصلاة كان عند الإقامة يقول « أقامها الله وأدامها » « وكان ﷺ يذهب إلى الصلاة طأطأ رأسه »

قالت عائشة رضي الله عنها (لم يكن ﷺ على شيء من النوافل أشد تعهداً منه على ركعتي الفجر)

عن سماك بن حرب قال (قرب لحاير بن سمره أن كتب تحاليس رسول الله ﷺ ؟ قال نعم كثيراً ، كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي منه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام)

(وكان ﷺ يدخل في الصلاة ، فيريد أطاقتها فيسمع نكاء الصبي فيتجوز في صلاته مخافة أن يشق على أمه)

(وكان ﷺ يقرأ سورة « الجمعة » في الركعة الأولى ، وبـ « إذا جاءك المسفقون » في الثانية) عن جابر بن مطعم قال « سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب سورة « طور » وكان ﷺ يقرأ في المغرب سورة « ورسالات عرفا » وإنها لأخر ما سمعته من رسول الله ﷺ .

وعن أم هانئ بنت حارثة بن النعمان قالت (ما أحدث « ق والقرآن مجيد » إلا عن
 رسول الله ﷺ ، يقرأها كل جمعة على مسيراد تحلب الدار)
 كان ﷺ يقرأ في صبح الجمعة « ثم نزل » السجدة ، و« هل أتى على الإنسان
 حين من الدهر » رواه الشيخان

من حديث أبي هريرة ، وإنما كان يقرأهما كامدين ، وقراءة بعضهما خلاف السنة
 « كان ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة سورة « سبح اسم ربك الأعلى » وسوره
 « هل أتاك حديث الغاشية » .
 وكان « يكثر أن يقول ، في ركوعه وسجوده « سبحان الله ربنا وبحمدك ، انهم
 يعرفون »

« وكان ﷺ ، يقول بين التشهد والنسيب اللهم غفر لي ما قدمت وما أخرت ؛
 وما أسررت وما أعلنت ، وما أشرت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا
 إله إلا أنت »

« وفي السجود يقول ﷺ انهم أتى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من
 عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، ولا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »
 « وعن حذيفة ، كان يقول ﷺ في ركوعه سبحان ربى العظيم ، وفي سجوده ،
 سبحان ربى الأعلى »

« وعن عائشة رضي الله عنها - كان ﷺ يكثر أن يقول ، في ركوعه وسجوده ،
 (سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم أعمرني) يتأول القرآن ، رواه مسلم ومعنى يتأول القرآن
 يعمل بما أمر به ، كما في قوله تعالى ﴿ المسيح بحمد ربك واستعصره إنه كان تواباً ﴾ (١)
 فكان ﷺ ، يقول هذا الكلام البديع في الحزلة المستوفى ما أمر به في الآية .

الصيام

أما إذ حشا إلى رمضان وإلى الصيام ، على وجه العموم فالأحاديث التالية ، توضح
 بعض الأمر كما أن أحاديث الصلاة التي رويها ، إنما بيئت إشارات ومخات مط ، فكذلك
 لأمر في أحاديث الصيام .

فمرص صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، فتوى سيدنا رسول الله ﷺ وقد صام
 سبعة رمضان

عن عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر الأوهر من رمضان ، أحيا الليل ، ويقط أهله وجد وشد المنزر »

وعنها قالت « كان ﷺ يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره ، وفي العشر الأخير ما لا يجتهد في غيرها » .

« كان يعتكف العشر الأوهر من رمضان حتى توفاه الله تعالى »

« كان النبي ﷺ ، يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً »

« إذا دخل العشر الأخير طوى فراشه ، واعتزل النساء ، واعتزل بين الأداني ، وجعل العشاء سحوراً » .

« روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ واصل ، فواصل الناس ، فشق ذلك عليهم فنهاهم رسول الله ﷺ أن يواصلوا ، قالوا إنك تواصل ، قال « لست كهيبتكم إني أظل أطعم وأسقى »

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ لا يهبط الأيام البيض في حصر ولا سفر ، وهي ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .

وعن حصبة رضي الله عنها . « أربع م يكن النبي ﷺ يدعهم صيام عاشوراء ، والعشر - أي تسع دى الحجة - والأيام البيض من كل شهر ، وركعتا الفجر »

« كان صلوات الله عليه وسلامه ، يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس »

« كان النبي ﷺ ، يصوم ثلاثة أيام من مرة كل شهر » .

ومن العادة الذكر

روى مسلم وأحمد عن النبي ﷺ « لا يقعد قوم ، يذكر الله ، إلا حمتهم الملائكة وعشيتهم الرحمة ورئت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »

وعن عائشة رضي الله عنها قالت « كان صلوات الله وسلامه عليه يذكر الله على كل أحيانه » .

« مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحى وميت » وأفضل الذكر قراءة القرآن :

« ومن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، وحسنة بعشر أمثالها لا أنور » ألم حرف ،
وبكى ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف »

« إن الذي يس في جوفه شيء من الفراء كالبيت الخرب »

« اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه »

ويصير جبريل عليه السلام ، فاعد عند النبي ﷺ سمع نقيصاً من فوقه مرفوع رأسه فقال
عند باب من السماء فتح اليوم ولم يفتح بعد إلا اليوم ، فنزل منه مدادٌ فعلم . هذا مدادٌ نزل
إلى الأرض ولم ينزل قط إلا اليوم . فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما ، ثم يؤتيتن مني
فبذلك « فاحذرا الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن يقرأ بحرف منها إلا أعطيته »

« لأن لا إله إلا الله أسس التوحيد ، وتعبير عن التوحيد ، وقد ذكرت بلفظها وبمعناها
في القرآن على أنحاء شتى قال صفوت لله وسلامه عليه

« لنصل الذكر لا إله إلا الله »

عن أبي موسى رضى الله عنه قال « نال لي رسول الله ﷺ ألا أدلك على كنز من كنوز
الحجة »

يعلم نبي يا رسول الله

قال ، « لا حول ولا قوة إلا بالله »

« قال رسول الله ﷺ لغيت لإبراهيم عليه السلام ، ليه أسرى مني ، فقال يا محمد أفرى أمتك
منى السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها عيمان ، وأن جبرها سبعون
الله ، ولحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر »

وكل ﷺ يقول يا أعل صوبه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ،
وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه له النعمة
وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل ، لا إله إلا الله مخلصنا له الدين ، ولو كره الكافرون »

وقال « من قال لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير ، من يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيط
عه مائة سيئة ، وكانت له حريراً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل
منه إلا رجل عمل أكثر منه »

وقال « من قال سبحان الله وحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهُ وإن كان مشرباً بالبحر »

وقال « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى ، عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء ، فإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال أدركتم العشاء »

وقال « الصهور مشطر الإيمان وأحمد الله تملأ لساناً ، وسبحان الله والحمد لله ، تملأ أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلوة نور ، والصدقة برهان ، والصبر صياء ، والقرآن حجة لك أو عيبك ، كل الناس بعدو ، فباتع نفسه فمغنمها ، أو موبقها »
وقال : « إن أحب الكلام إلى الله . سبحان الله وبحمده » .

وقال « لأن أقول سبحان الله ، وأحمد الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس »

وقال « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقلتان في الميزان خبيبتان في الرحمن سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »



الدعاء

وقال صلوات الله عليه وسلامه « الدعاء هو العبادة »
« ما أحسن أوقات الدعاء فإن الأحاديث التالية تذكر بعضها »
« أغرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثر الدعاء ، فقم أن يسجد لك »
« قيل لرسول الله ﷺ ، أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل الآخر ، ورأس النجوم »

« دعوة المومنين لأخيه بطهر العيب » مستجابة ، وعند استماع من كل كعب دعا لأخيه بحير قال ملك الموكل به : آمين ، وذلك بمثل »
« لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، ما لم يستعجل قيل : رسول الله ، ما الاستعجال ؟ قال : يقول ، قد دعوت الدعاء فمهم ربه يستجاب لي فيستجيب عند ذلك ويترك الدعاء »

« ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى ، بدعوة إلا أن الله بها ، أو صرف عنه من السوء مثلاً ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ، فقال رجل من القوم : إذن بكثرة ، قال الله أكثر »

« كان ﷺ ، يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك » ومن جوامع دعائه ما
 على .
 « أتاه رجل فقال : يا رسول الله ، كيف أقول ، حين أسأل ربي ؟
 قال : « قل اللهم اغفر لي وارحمني ، وعافني ، وارزقني ، فإن هؤلاء تحمض لك دينك
 وأحرقنك »
 ومن جوامعه ﷺ :

« اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والعصمة
 من كل بر ، والنور بالجنة ، والنجاة من النار »

عن أبي أمامة رضى الله عنه قال دعا رسول الله ﷺ ، بدعاء كثير لم يحفظ منه شيئاً
 قلت : يا رسول الله دعوت بدعاء كثير لم يحفظ منه شيئاً
 فقال : « ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله ؟ تقول اللهم إنا نسألك من خير ما سألت
 منه نبيك محمد ، ونعوذ بك من شر ما استعذك منه نبيك محمد ﷺ ، وأنت حستان . وعليك
 البلاع ، ولا حول ولا قوة إلا بك » اهـ

« اللهم إني أعوذ بك من مكرات الأخلاق ، والأعمال ، والأهواء »
 « اللهم أهمني رشدي ، وأعني من شر نفسي »
 عن شهر بن حوشب قال : قلت لأبي سلمة رضى الله عنها ، يا أبا سلمة ، ما كان أكثر
 دعاء رسول ﷺ إذا كان عندك ؟

قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » اهـ
 « اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمرى ، وأصلح لي ديارى التي فيها معاشى ،
 وأصلح لي آخرتى التي إليها معادى ، واجعل لي الحياة ريادةً في كل خير ، واجعل الموت
 راحةً لي من كل شر »

« اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك »
 « اللهم اجعل في قنبي نوراً ، وفي بصري نوراً ، وفي سمعي نوراً ، وعن يميني نوراً ،
 وعن يساري نوراً ، وتحتي نوراً ، وأمامي نور ، وخلفي نوراً ، واجعل لي نوراً »
 « ربنا آت في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، ولنا عذاب النار » .
 ومن أدعيته صلوات الله وسلامه عليه : الصلاة -

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه قال لرسول الله - عيسى دعاء أدعوه به في صلاتي
 قل ، « قل اللهم إني صلّمت نفسي صمًا كثيرًا ، ولا يعبر الذنوب إلا أنت فاعف عني
 معصرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت العفور الرحيم »
 وكان صلوات الله وسلامه عليه يقول بين السجنتين « اللهم عفرني ، وارحمني ،
 واغفرني ، وعافني ، وارزقني » .

« عن معاذ رضي الله عنه ، أن الرسول ﷺ أحد بده وقال يا معاذ ، والله ، إني
 لأحبك ، ثم توصيت يا معاذ لا تدعني في دير كل صلاة ، أن تقول : اللهم أغني عني
 ذكرك ، وشكرك ، وحسن عبادتك »

وعند الإططار في الصرم

« الحمد لله الذي أغاثني فصمت ، ورزقني فأطرت »

« اللهم لك صمت ، وعني رزقك أفطرت ، فتقبل مني ، إنك أنت السميع
 العليم »

عند الكرب :

« يا حي يا قيوم ارحمتك أستغيث »

وعند الكرب أيضًا .

« لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش
 الكريم »

أما إذا كان الكرب شديدًا فيحس أن يكرر الإنسان دعاء الرسول ﷺ عند عودته من
 لطائف وهو من روائع بينه ودقيق ما جاته ، « اللهم إليك شكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ،
 وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي إلى من تكلني ؟
 إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي عصب فلا أبأس ؛ ولكن
 عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصبح عليه أمر الدين
 والآخرة ، من أن تنزل بي عصيبك ، أو تجل علي سخطك ، لك العتبي حتى ترصني ، ولا حول
 ولا قوة إلا بك » .

وإذا خاف قوميًا قال « اللهم يا محمد في محوهم ، ومعوذ بك من
 شرورهم »

لسداد الدين :

« ألا أعلمك كلمات عظمى رسول الله ﷺ ؟ لو كان عليك مثل جبل دينا أداه الله عتقك ، قل : اللهم اكفني بحلالك عن حرامك واعني بفصلك عن سواك »

وعند الخروج من البيت

« عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من قال إذا خرج من بيته بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله يقال له هدي وكفيت ووفيت وتحي عنه الشيطان »

عند النوم واليقظة

« إذا أحد أحدكم مصجعه من الليل وضع يده تحت حبه ثم يقول اللهم باسمك أموت وأحيا ، وإذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيا ما بعد ما أماتنا وإليه استبور »

عند الأكل -

« الحمد لله الذي أطعمني هذا ، وورقنيه من غير حول مني ولا قوة » .

عند المجلس الجديد

« اللهم لك الحمد أنت كسوتيه ، أسألك خيره وحير ما صنع له ، وأعوذ بك من سره وشر ما صنع له »

وإذا رأى أهلال :

« اللهم أهده عيسا بالأمم والإيمان ، والسلام والإسلام ، ربي وربك الله ، هلا وسعد وحير »

وعندما ينتهي المجلس ويتفرق الحاضرون يقول

« سبحانك اللهم وعمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستعيرك وأتوب إليك »

وعندما يودع شخصا :

« كان رسول الله ﷺ يودعنا فيقول : « ستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »

ويقول السيد سيحان الندوي .

ومن أفصل سيرته وأعمالها أنه بعد ما أوحى إليه لم يأمر أتباعه وأصحابه بأمر إلا وقد سبقهم إلى بعمل به ، فبعد ما أسس إلى ذكر الله ومحبة ، ولو رأيت حياته نفسها

رأيتها ملائمة لهذه الدعوة ، لأنه لم تكن تمضي عليه ساعة من نهار أو ليل إلا ويدكر الله بقبه ويحمده بلسانه ، فكان لسانه رطباً بذكر الله لا يفتري عنه طرفة عين ، فإذا أكل أو شرب ، ذكر اسم الله ، وإذا فرغ من ذلك ، حمد الله ، وإذا أخذ مصجعه أو استيقظ من نومه ، ذكر الله ، وإذا نهض أو جلس ، صبح الله أو حمده ، وإذا لبس حديقاً ، شكر الله ، حتى إن ذكره ودعوته التي حفظها الناس عنه في مختلف الأحوال شجعت برعاها واستعاً من كتب الحديث ، وجمعت في كتاب (الحصن الحصين) الذي يسع مائتي صفحة ، ومن قرأ هذه الأدعية يقضي العجب ويوقن بأنه ﷺ كان يحب الله ويحشده ويهاب جلاله ، فكان كما وصف الله في القرآن عباده الصالحين ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾^(١) وكما شهدت عائشة بأنه ﷺ ، كان يذكر الله ولا يفصل عن ذكره أبداً

وأمر الناس بالصلاة وحضهم على إقامتها واحفاضة عليها أشد الحفاضة

فماذا تحسبون الرسول كان يعمل في نفسه بما كان يأمر به غيره ؟

إنه ﷺ ، كان يقيم الصلاة ويحافظ عليها ، أكثر من غيره ، كان لمسلمون يقيمون الصلوات المفروضة حمساً وكان ﷺ يتنوع بالزيادة على ذلك في صلاة الصبح ، وصلاة الإشراف ، وصلاة التهجد ، وكان عامة المسلمين يصلون سبع عشرة ركعة المكتوبة عندهم ، وكان هو ﷺ ، يصلي في اليوم واللييلة خمسين إلى ستين ركعة من المكتوبة والنوافل ، لقد سقطت عن عامة المسلمين فريضة التهجد بعدما فرصت عليهم الصلوات الخمس ، لكن الرسول كان يقوم الليل ويصلي صلوات لا تقف عن حسيه وطولها ، حتى كانت قدماه تورمان من طول القيام ، فقالت له عائشة يوماً : وقد رأيت ما يعاني ﷺ في قيام الليل إن الله قد عمر لك ما تقدم من ذلك وما تأخر ، فما بالك يا رسول الله تلقى العناء وتتعب هذا لتعب الشديد ؟ فأجابها ﷺ : «أولاً أنكون عبداً شكوراً» ؟ وكان في هذه الصلوات معنى محبة الله أعلى عنده ﷺ من معنى الخوف ، فكان يطيل الركوع حتى يحبل إلى من يراقبه أنه ربما قد نسي السجود ، كان يقيم صلاته من بدء الوحي في بدء بيت الله أمام مشركين لذين كانوا يعادونه ويؤذونه بدءاً شديداً ، وقد هجم عليه بعض المشركين وهو في الصلاة - فلم يترك صلاته خوفاً منهم .

وكان جسه يتجافى عن المصحح ، وكان قديلاً من الليل ما يهجع ، ويبست ساخذاً أو قديماً والناس ينام ، واشد ما يكون إقام الصلاة حين ينتقي الجمعان في ساحة الحرب

والسيوف مصنتة وأرماع مشرعة والقلوب رجمة ، ومع ذلك فإنه يد حاد وقت صلاة
والحرب كما وصفا ، اصطف المسمون بصلاة وسهم إمامهم ، فيتناوب بعضهم الصلاة
وبعضهم الحرب ورايتهم ثابت - في المحالين إلى أن يؤدوا فريضة الله ، لا يسمعهم عنها
مانع^(١) .

وأمر المسلمين بالصوم ، وليس على المسلمين إلا صوم رمضان ، ولكن ما ظنكم بمرسور
ﷺ وصومه ؟

إنه قلما كان يمر به شهر ، أو أسبوع من شهر ، إلا كان يصوم فيه
تقول عائشة :

كان ﷺ يصوم حتى بص أنه من يفطر ، وهي المسلمين عن صوم الوصال ، لكنه يواصل
الصوم يومين ، من ثلاثة أيام متواليه لا يأكل فيه ولا يشرب ، وذلك الذي يقال له صوم
الواصل . وكان بعض الصحابة يحب أن يفندى به في ديث ، فيقول ﷺ ، « لست كأحدكم ،
أيكم مثلي ؟ إن ربي يطعمني ريسقيني »

وربما كان يصوم شهرين متوالين شعبان ورمضان ، وكثيراً ما يصوم الأيام البيض
(الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) من كل شهر ، وكان يصوم ستة من شوال
ويوم عاشوراء من المحرم ، وكثيراً ما كان يصوم يوم الاثنين ويوم الخميس من كل أسبوع ،
كذلك كان دأبه وهديه في الصوم

وأمر المسلمين ببناء الزكاة وإتفاق المال في بحر ، لكنه بدأ ذلك نفسه ، وقد علمت
شهادة أم المؤمنين حديجة به في ذلك ، يوم قال به إن يحمل الكل ، وتعين عن نوائب
الحق ، وتكسب المعدم ، إنه لم يأمر أسس أن يسعوه في ترك لذي ، ولم يدل هم صحتهم بكل
ما في أيديكم من أموال ، ولم يحبرهم بأن مكتوب السموات موصدته أبوابها في وجوه
الأعياء ، وإنما الذي أوصاهم به أن يصلحوا بعض أموالهم كما قال عز وجل ﴿ وَنُفِصُوا رِقَابَهُمْ ﴾^(٢) .

هذا بينما رسول الله نفسه لم يكن يحرر من المال شيئاً في بته كان يدعو في سبيل الله
جميع ما كان يملكه ، ولم يكن قدلاً ما كان يأتيه من خمس الغنائم من ذهب وفضة وسماع
غيره من عرص الذهب ، فكان يحرر عنه كله لميرة من الفقراء والمساكين

(١) الرسالة المحمدية لسيد صيدان النوري ص ١٠٧ - ١٩

(٢) السجدة ١٦

ولم يكن يتمتع هو ولا أهل بيته بمتع الحياة الدنـيـة ، فكان حصـه وحـط أهـل بيـته من الدنيا الفقـر والتـعـف .

وكان سببه بعد أن فـجـح أـرض خيـبر أن يورع على رُوحه من الطعام والحبوب ما يكفيهم عامًا ، لكنه قبل أن ينقصى العـم ، كان ينفق ما ورعه على رُوحه فيمسهم الجوع والنسب ، لأنه كان يفتي على المحتاجين وعلى الصيـوف مما يجده في بيوت أرواحه

يقول عبد الله بن عباس إن رسول الله ﷺ ، كان أسحـاب وجـود ، وهو أسحـى ما يكون في شهر رمضان ، وم يقل لسائل « لا » فـط طـول حـيـاته ، وم يأكل شيئاً وحده مهمـا كان قليلا ، بل يشرك فيه أصحابه ، وقد آذ بسـ أن « من مات وعـبه دين فدينه على نفسه » وما ترك من ميراث فميراثه يورثه .

جاءه يومًا عـرـبـي ، فقال يا محمد ، إن هـذا امـال يسـ لك ولا لأبيـث فأوفر منه جملي ، فحـمـنه رسول الله ﷺ من الشـعـير والتمـر ، وم يمسحط عليه ما غـظـله من القـول ثم قال : بما أنا فاسـم وحازر والله هو المعطى

يقول أبو ذر كنت يومًا أمشي مع رسول الله ﷺ في حرة المدينة ، فاستقيمت حين أحد ، فقال أبو ذر ؟ قلت لبـث ب رسول الله ﷺ قال ما يسـني أن عـدى مثـل أحد ذهبا مسـ على ثلاث بـال وعـدى مـه ديار ، إلا شيء أرصده لـدي^(١)

النبي المجاهد

إن رسول الله ﷺ نـدى كان يقوم اللـس حـي تـعـطـر قـدمـه ، والـدى كان في كثير من الأحيان يواصل في الصيـد ، هو نـدى يقول ، « والـدى نفس محمد بيده ، لو ددب أن أغزو في سبيل الله فقتل ، ثم أعزو فأقتل ، ثم أعزو فأقتل »

وهو انقائل « من مات وم يعر ولم يحدث نفسه بعـرو مات على شعبه من العـاق »

إن سـي عـابـد هو السـي لكـافـح ، وإن سـي الرـحـمة ، هو سـي الجـهـاد ؛ وم كان لجـهـاد فـط في الإسلام ، إلا في سبيل الله ، فد ما حـرح عن سبيل الله لم يكن إسلاميا ، وكل ما في سبيل الله إنما هو رحمة

(١) الرسالة محمدية ١٠٩ - ١١

وليس من شأننا ، أن نتحدث عن العزوات سرّاً ورتبياً وتفصيلاً ، وإنما نذكر منها
عبراً ، حتى تنتهي إلى فتح مكة

وأول ملاحظة هي أن الرسول اعاد لم يرجع في غزوة قص ، وكان الأبطال
يتراجعون ، وانصناديد من مهاجرين والأبطال يعززون أحياناً ، ولكنه صلوات الله وسلامه
عليه ثبت ثبات الجبال الراسيات ، لا يتراجع عن موقفه ، ولا يروى عن مكانه ، وقد ثبت
في مكانه في غزوة أحد التي عب فيها المسلمون ، وكان مشركون فيها يودون يكن
ما استطاعوا أن يقصروا عليه صلوات الله وسلامه عليه

ووقف ثبات في غزوة حنين ، وقد فر المسلمون ، على كثرتهم بذلك ، وكيف يمكن
لأكمل رجل في الوحود أن يفر وأن يرجع وهو أوثق أسس بالله وبرسالته ؟

ولقد كان واضحاً فيه صولات الله وسلامه عليه ما يقوله سيدنا علي وهو من هو - بطولية
ومروسية - « كنا إذا حمى الوطيس أي الحرب اتقى برسول الله ﷺ أي حتمنا به
وفيه ، فيكون أقربنا إلى العدو » .

وكان صلوات الله وسلامه عليه مع التجائه إلى الله تعالى يدعوه ويستغيث به ، ويستحزه
وعنه بالنصر يحكم الأمر إحصائياً ، بحيث لا يدع فيه نغرة هكذا كان أمره في جميع
أمره ، لقد نظم الجيش في عزوه بدر تطبيعاً محكماً ، ثم اتجه إلى الله يدعوه ، وكان دائماً
متفائلاً ، كان متفائلاً حتى ولو كان العدو عشرة أمثال المسلمين

لقد كان المشركون في غزوة بدر ثلاثة أمثال المسلمين ، فخرجهم المسلمون يادن الله
وكان انهزم المسلمون في غزوة أحد شدة في القعدة ، وما كان ذلك إلا لأهم
حائلاً - متأولين - أوامر الرسول ﷺ ، غير أن تفاؤله بصوات الله عليه وسلامه - لم يفارقه
 لحظة ؛ إذ أنه بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد مباشرة ، أمرهم صلوات الله وسلامه عليه ،
نم شعثهم ونصميد جرحهم ، والاستعداد لوراء ، لحوص المعركة من جديد

ومن مظاهر تفاؤله بصوات الله وسلامه عليه ، أنه في غزوة الأحزاب ، وقد جمع شره
من جميع أرحاء الحرية ؛ يسانده اليهود والعاديون يقصو على الإسلام في مديته ، يقصوا
عليه ديب ، ويقصوا عليه دابة ، يقصو عليه عقبة ، ويقصوا عليه جبالاً ، وقد كان
المسلمون يعملون في حفر لحندق حمية هم ، ومنهم من وصبوا لعدو إليهم في النخبة
الخرقة يروى البراء بن عازب رضي الله عنه : القصة الكلبة حسماً رواها الإمام أحمد
- « أمرنا رسول الله ﷺ بحفر حندق ، فعرضت لنا صحرة في مكان من الحندق لا تأخذ

فيها المعنول ، فشكروا إلى رسول الله ﷺ فحده ثم هبط إلى الصحرة فأحد المعنول وفات
بسم الله ، فصرب صرية فكسر ثلث الحجر وقال الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام ؛ والله
إني لأبصر قصورها الحجر من مكاني هذا ، ثم قال بسم الله ، وصرب أخرى ، فكسر
ثلث الحجر ، فقال . الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر مدائن ؛ وأبصر
قصورها الأبيض من مكاني هذا ، ثم قال بسم الله ، وصرب صرية أخرى فقع بقية الحجر .
فقال ، الله أكبر ، أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا »
وأشاع هذا التناول الثقة والاضمئنان في المسلمين وإن كان قد دعا إلى السحرية في
وسط المشركين والوثنيين الذين قالوا : إن محمداً يعمهم ويمسهم وهم لا يأمنون عن أنفسهم
الآن

هذا التفاؤل وهذه الثقة في الله لم تفرق الرسول فقط في كفاحه للتحويل الدائب الذي
استمر إلى نهاية حياته الشريفة
ومن أمثلته السنة ما قاله صلوات الله وسلامه عليه لأبي بكر وهو في العار عند هجرتهما
في المدينة لقد كان سيدنا أبو بكر حزيناً ؛ خوفاً على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ،
فجاء النداء الإلهي على سنان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، بمنوة ثقة وتفاؤلاً
« لا تخرب إن الله معنا » وما سمع سيدنا أبو بكر حق تعالى المشركين أمام العر وأصواتهم
الصاحبة التي تعلن عن سحقهم وعظمتهم المكبوت قد لو نظر أحدهم إلى موقع قدمه
لأبصر ، ويسم رسول الله ﷺ ويقول « ما صلت بثين لله ثالثهما ؟ »

الجهاد

ويقول صاحب كتاب (الروض الأنف)

برول الأمر لرسول الله ﷺ في القتال

بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد لميث بن هشام ، قال . حدثنا
رياذ بن عبد الله السكائي ، عن محمد بن إسحاق بن عيسى وكان رسول الله ﷺ قبل بيعة العقة
لم يودد له في الحرب ولم تحلل له لدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله وانصر على الأذى ،
وانصعح عن الجاهل .

وكانت قرينش قد اصطهدت من أتبعه من المهاجرين حتى فتوهم عن دينهم وهوهم من
بالادهم ، فهم من بين مفتول في ذبه ، من بين معدب في يديهم ، وبين هارب في البلاد

فراراً منهم منهم من أُرِصَ الخيشة ، ومنهم من بالندية ، وهي كل وجه ؛ علما عشت قريش
 على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة ، وكذبوا بيته ﷺ ، وعذبوا وهو
 من عبده ووحدته ، وصدف بيته ، واعتصم به به - أدب الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال ،
 والانتصار للمسلمين من طغمة وبعي عندهم ، فكانت الآية أنزلت في بدنه في حرب ،
 وإحلاله له الدماء ، والقتال لمن يعي عندهم ، فيما يلعب عن غررة من الربير وغيره من بعماء
 قول الله تبارك وتعالى ﴿أَذِينَ بَلَدِينَ يَمُتُونَ بِأَنَّهُمْ صُغُرُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ، الذين
 أخرجوا من ديارهم بعير حتى لا أن يقولوا ربنا الله ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض
 لفسدت صوامع وبيع وصناعات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً وليس ضرب ناله من يضره
 إن الله يقوى عزيز الذين إن مكانهم في لأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرؤا بالمعروف
 ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴿١﴾ ، أي أنى إنما أحلت لهم القتال لأبهم ظلموا ، ولم
 يكن لهم دس فيما بينهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا طهروا أقاموا الصلاة ،
 وآتوا الزكاة ، وأمرؤا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، يعي النبي ﷺ - وأصحابه رضي
 الله عنهم أجمعين

ثم أنزل الله تبارك وتعالى عنه ﴿وَفَاتَنَاهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئَةً﴾ أي حتى لا يفتن
 مؤمن عن دينه ﴿وَيَكُونَ لِلدِّينِ لِلَّهِ﴾ (٢) ، أي حتى يُعقد الله لا بعدون غيره (٣)
 وبعد ، فقد كان رسول الله ﷺ وهو من كبار محامدين لا يحسن ولا يقوم إلا على
 ذكر

ومن أحاديثه في الجهاد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (والذى نفسي بيده ،
 بولا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يمحلقوا على ، ولا أحد من أهلهم عنه -
 ما يحدث عن سرية تعرف في سبيل الله ، والذى نفسي بيده ، لو دُفب أنى قتل في سبيل
 الله ، ثم أحيا ثم قتل ، ثم أحيا ثم قتل ، ثم أحيا ثم قتل ، (١)

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (رباط يوم في

(١) الحج ٣٩ - ٤١

(٢) البقرة ١٩٣

(٣) الروض الأنف ج ٤ ص ١٤٦ - ١٤٧

(٤) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٠ ط الشعب

سبيل الله خير من الدنيا وما عليها . وموضع موصل أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ،
والروحنة يروحها العبد في سبيل أو العدو خير من الدنيا وما عليها (١)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (اتقوا الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا يمان
في وتصديق برسي ، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة . . ولولا أن أشق
على أمتي ما قعدت خلف سرية أبداً ، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيى ، ثم أقتل ،
ثم أحيى ، ثم أقتل .) (خ) .

عن سالم أبي النصر مولى عمر بن عبيد الله - وكان كاتباً له - قال « كتب إليه عبد الله
ابن أبي أوفى رضى الله عنهما فقرأته أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها
انتظر حتى مات الشمس ، ثم قام في الناس خطيباً قال (أيها الناس لا تسموا لقاء العدو ،
وسموا الله العافية ، وهذا لقيتموهم فاصبروا ، واعلموا أن الجنة تحت طلال السيوف » ثم
قال .

« اللهم مرسل الكتاب ، ومُخْرِجَ السحاب ، وهارم الأحزاب ، اهزمهم وانصرونا
عليهم » (٢) .

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٤٣ ط الشعب

(٢) صحيح البخاري ج ٧ ص ٦٢

مواقف في غزوة بدر

۱- روبا عاتكة :

كانت عائكة بنت عبد المطلب سائحة بمكة ، وهى عمه رسول الله ﷺ ، وكانت مع
أخيها العباس بن عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبل بدر ، وقيل قدوم صمصم عليهم ، ففرغت
مها ، فدرسلت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب من ليثتها ، فجاءها العباس ، فقالت - رأيت
البيلة رؤيا قد أشعقت منها ، وحشيت عن قومك الهنكة قال وماذا رأيت (١) ؟

قالت : من حدثك حتى تعاهدني أنك لا تذكرها ، فإنهم إن سمعوا آدونا وأسمعونا ما لا نحب . معاهدها العباس ، فقالت :

رَأَيْتُ رَاكِبًا أَقْبَلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، يَصِيحُ بِأَعْيِ صَوْتِهِ : يَا آلَ عُدْرَ ، اُحْرَجُوا فِي لَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ ، فَأَقْبَلَ يَصْبِحُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَصَاحَ ثَلَاثَ صَبِيحَاتَ ، وَمَالَ عَلَيْهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَلِصَّبِيَاءَ ، وَفَزَعَ لَهُ النَّاسُ أَشَدَّ الْفَزَعِ ، قَالَتْ : ثُمَّ أَرَاهُ مِثْلَ عَلَى صَهْرِ الْكَعْبَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ ، فَصَاحَ ثَلَاثَ صَبِيحَاتَ ، فَقَالَ : يَا آلَ عُدْرَ وَيَا آلَ فَجَرٍ ، اُحْرَجُوا فِي لَيْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ ، ثُمَّ أَرَاهُ مِثْلَ عَلَى ظَهْرِ فَيُ قَيْسٍ كَذَلِكَ يَقُولُ يَا آلَ عُدْرَ ، وَيَا آلَ فَجَرٍ ، حَتَّى أَسْمَعُ مِنْ بَيْنِ الْأَحْشَبِيِّينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى صَحْرَةٍ عَظِيمَةٍ فَرَعَهَا مِنْ أَصْدِهَا ، ثُمَّ رُسِمَهَا عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، فَأَقْبَتِ الصَّحْرَةُ هَذَا حَسْرَةً شَدِيدَةً ، حَتَّى إِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَصْلِ الْحَبَلِ ، ارْهَقَتْ فَلَا تَعْمُ بِمَكَّةَ دَارَ ، وَلَا بَيْتًا ، إِلَّا قَدْ دَخَلَتْهَا فَلَقَتْهُ مِنْ تِلْكَ الصَّحْرَةِ ، فَقَدْ حَشِيَتْ عَلَى قَوْمِهَا فَمَزَعَ الْعَبَّاسُ مِنْ رُؤْيَاهَا ، ثُمَّ حَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا ، فَلَاقَى الْوَلِيدَ بْنِ عُبَيْدَةَ بْنِ رَبِيعَةَ مِنْ أَمْرِ تِلْكَ لَيْلَةٍ ، وَكَانَ الْوَلِيدُ حَالِيًا لِلْعَبَّاسِ ، فَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا عَاتِكَةِ ، وَأَمَرَهُ إِلَّا بِذِكْرِهَا لِأَحَدٍ ، فَذَكَرَهَا الْوَلِيدُ لِأَبِيهِ عُبَيْدَةَ وَذَكَرَهَا عُبَيْدَةَ لِأَخِيهِ شَيْبَةَ ، وَارْتَفَعَ الْحَدِيثُ حَتَّى يَبْعَ أَيَا جَهْلٍ بَيْنَ هَاشِمٍ ، وَاسْتَفْصَلَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ

فلما أصبحوا ، عدا العباس يطوف بالبيت ، فوجد في المسجد أبا جهل ، وعتبة وشيبة
ابن ربيعة ، وأمية ، وأبى بن جعفر ، ورملة بن الأسود ، وأبا الليثري في نفر من قريش
يتحدثون ، فلما نظروا إلى العباس ناداه أبو جهل ، يا أبا العفضل ، إذا قصيت حلواتك وهم
اليسا .

(۱) رواہ البحری فی الصحيح عن الحمیدی وکخرجاه من اوجہ أخر الثور دلائل ج ۲ ص ۵۶ ، ۵۷

فدما قصي صواغه جاء فجلس إليهم ، فقال أبو جهل ما رؤيا رأتها عاتكة ؟ فقال ما رأت من شيء

فقد أبو جهل أما رصيتم يا بني هاشم يكذب الرجال ، حتى جئتمونا يكذب النساء ؟ إنا كنا وإياكم كهرسى رهاك فاستبقنا لمحد ، فلما تحاكت لركب ، فقتل منا بني هاشم بقى إلا أن تقولوا منا بية ، فما أعلم في قريش أهل بيت أكذب امرأة ولا رجلاً منكم . وادعه أشد الأذى .

وقال أبو جهل . رعمت عاتكة ؛ أن الراكب قل . اخرجوا في ليلتين أو ثلاث ، فلو قد مصت هذه الثلاث نبيست قريش كذبكم ، وكتبنا سجلاً . إنكم أكذب أهل بيت في العرب : رجلاً وامرأة !!

أما رصيتم يا بني قصي ، أن ذهبنم بالحجابه والندوة والسقية والنوء والرفادة ؛ حتى جئتمونا ببني منكم ؟ 1

فقال العباس . هل أنت متبر ؟ فإن الكذب يك ، وهي أهل بيتك

فقال من حصرها ما كنت يا أبا الفصل جهولاً ولا حرقاً

وقى العباس من عاتكة فيما أفضى عليها رؤياها دى شديداً (١)

فدما كان مساء الليلة الثالثة من الليلة التي رأت عاتكة فيها الرؤيا ، جاءهم الراكب الذي بعث به أبو سفيان ، وهو صمصم بن عمرو العناري فصاح فقال . يا آل غالب بن فهر ، انعموا فقد خرج محمد وأهل يثرب يعترضون لأبي سفيان فاحرروا غيركم . فصرعت قريش شد لمرع ، وأشفقوا من رؤيا عاتكة

٢ - امض يا رسول الله لما أردت

أتى رسول الله ﷺ ، الحبر عن قريش بمسيرهم يجمعون غيرهم ، فاستشار رسول الله ﷺ عباس فقال أبو بكر فأحسن . ثم قام عمر فقال فأحسن

ثم قام عذاد بن عمرو فقال يا رسول الله امض ما أمرت به ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى . اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعسون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون . فوذي بعثك بالحق ، لو سرت ما في برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

فقال له رسول الله ﷺ حيراً ، ودعا له به ، ثم قال أشيروا علي أيها الناس ، وإنما يريد

الأبصار ، وذلك أنهم عدد الناس ؛ وكانوا حين ما يحوه بالعقبة ، قالوا يا رسول الله !! إنا نرى من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمامنا . تصعك مما يصع منه أنفسنا وأبداننا وساءنا ؛ فكان رسول الله ﷺ يتخوف أن لا تكون الأبصار ترى من عليها نصرته إلا بأمديه وأنه ليس عندهم أن يسير بهم إلى العدو بغير بلادهم ، فلما قار ذلك رسول الله ﷺ ، قال سعد بن معاذ : والله لكأنك يا رسول الله تريدن . قال : أجل .

قال سعد بن معاذ : لقد آمانا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق ، وأعطيناك على ذلك عهدونا وموائيق . على السمع والطاعة . فامض يا رسول الله لما أردت . ونحى معك ، مولدى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لحصاه معك . تحب من واحد وما نكره أن نفى عدونا عدا . إنا لصبر عند حرب ، صدق عند اللقاء ، ونحل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله . فسر يديك رسول الله ﷺ ، ثم قال : سيروا وأشيروا ، فإن الله عر وحل ، قد وعدني إحدى الصبائتين . والله ، لكأننى أنظر الآن إلى مصارع القوم .

٣ - أشرت بالرأى :

نزل الرسول يدراً ؛ فسبق قريشاً إليه ، فلما جاء أدنى ماء من بدر ، نزل عنده فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله ، أهذا منزل أنزلك الله ؟ ليس لنا أن سعاد ، ولا نقصر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟

فقال رسول الله ﷺ : بل هو الرأى ، والحرب ، والمكيدة .

فقال الحباب يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، ولكن اتھص حتى يجعل القلب (الآبار) كلها من وراء صهرك ، ثم عور كل قليب بها إلا قليلاً واحداً ، ثم اخفر عليه حوصاً هقاتل القوم مشرب ولا يشربون ، حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؛ فقال : قد أشرت بالرأى ، ففعل ذلك فعورت القلب ؛ ونهى حوصاً على المقلب الذى نزل عنده فملء ماء ، ثم قدوا فيه الآية ؛ وأقبلت قريش حين أصبحت ؛ يقدمها عتبة بن ربيعة على حمل له أحر

فما رآهم رسول الله ﷺ يحيطون من الكتب قال اللهم هذه قريش ، قد أقبت بحيلائها وفجرها تخادك وتكذب رسوك . اللهم فاحهم^(١) العداة

(١) أى اصبهم بالإحر ، أى بصلاب والفرام . انظر دلائل النبوة ج ٢ ، ص ٣١٩ ، ٣٢١

٤ - من عواطف الشباب :

عن عبد الرحمن بن عوف قال : « إني نواف يوم بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالى ، فإذا أنا بين علامتين من الأبصار حديثة أسنانهما ، فتعجبت أن أكون بين أصلع منهما ، فغمرنى حدها فقال : يا عم ، أتخوف أنا جهن ؟ قلت نعم ، وما حاجتك إليه ؟ قال : أحببت . إنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسى بيده إن رأيت لا يمارق سوادى سواده حتى يموت الأعرج منا ، فتعجبت لذلك ، فعزيتي الآخر فكان لي مثله ، فلم أتسب أن تطرت إلى أبى جهن يقول في الناس : فقتت : ألا تريان !! هده صاحبكم الذي تسللان عنه ، فابتدره بسيطيهما ، مصر به حتى قتلاه ، ثم انصرف إلى النبي ﷺ ، فأخبره فقال : أيكما قتله ؟ قال كل واحد منهما أن قتله ، قال مسحتما سييكم ؟ قال لا ، قال . فظفر بي السيفين فقال كلا كما قتله ، وقضى بسلبه لمعاد بين عمر ، والآخر معاد بين عفراء » (١)

٥ - سواد :

أحد رسول الله ﷺ ، يعدل جيشه ككتف ، في صفوف متلاصقة كالبيان المرصوص ، وأحد يكبح شكيمه هؤلاء المتهورين ، الذين يريدون أن يتقدموا الجمع إلى القتال ، فيلاقوا ، بلا شك ، مصرعهم دون فائدة تعود على المسلمين من ذلك من هؤلاء سواد بين عرية ، فقد برز من صفه ، مصر به رسول الله ﷺ بقدح (٢) كان بيده ، وقال : استؤيا سواد

فقال : يا رسول الله ، أوحشتني ، وقد بعثك الله بالحق والهدى ، فأقدي (٣) ، فقال رسول الله ﷺ : اقتصر مني . فقال سواد كيف وقد صرحتني على بطي العربان ؟ فكشف له رسول الله ﷺ ، عن بطنه ، وقال : استقد يا سواد ، فاعتقه سواد فقل بطنه فقال ما حدث علي هذا يا سواد ؟

فقال يا رسول الله ، حصر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جدي جديك ، فدعا له رسول الله ﷺ ، فحبر (٤)

(١) رواه البخاري في الصحيح ، به مسم عن يحيى بن يحيى انظر دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٥٨ ، ٣٥٩

(٢) القدح : السهم

(٣) اقتصر من نفسك

(٤) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلف

٦ - إلى جنة

وحاء المشركون لملاقاة المسلمين يوم بدر ، فقال رسول الله ﷺ لا يقدم أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ، فذبا المشركون ، فقال رسول الله ﷺ ، « قوموا إلى جنة عرصها السموات والأرض » قال : يقول عمر بن الخطاب الأنصاري ' يا رسول الله جنة عرصها السموات والأرض ؟ قال : نعم .

قال : بخر ، بخر

فقال رسول الله ﷺ : ما يحملك على قولك بخر ، بخر ؟

قال لا والله يا رسول الله ، إلا رجاء أن أكون من أهلها

قال : فإنك من أهلها ، فأخرج ثمرات من قره^(١) ، فجعل يأكل مهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه ؛ إنها لحياة طويلة قال : فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل^(٢) .

مواقف

ابن عمر وغزوة بدر :

عرضت على رسول الله ﷺ يوم بدر ؛ فاستصعري قدم يقبى ، مما أتت على بيته قط منها من السهر والحزن واليكاء ، إذ لم يقبلى رسول الله ﷺ . فلما كان في العام المقبل عرضت عليه ؛ فقبلني ، فحدثتني الله على ذلك لو كان غير الجنة .

عن سيمان بن بلال ؛ رضى الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ ، لما خرج إلى بدر ، أراد سعد بن حيشمة وأبوه جميعاً الحروح معه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمر أن يخرج أحدهما ، فاستهما ، فقال حيشمة بن الحارث لأبيه سعد رضى الله عنهما إنه لا بد لأحدهما من أن يقيم ، فأقيم مع سائلك فقال سعد - لو كان غير الجنة لأثرتل به . إني أرجو الشهادة في رجلي هذا فاستهما ، فخرج مع رسول الله ﷺ ، إلى بدر فاستشهد .

(١) أى جبة الشاب

(٢) رواه مسلم في الصحيح ، انظر دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٠٧

من آثار غزوة بدر .

جلس عمير بن وهب الجمحي ، مع صفوان بن أمية ، بعد مصاب أهل بدر من قريش في الحجر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤدي رسول الله ﷺ وأصحابه ، وينقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر .

قال ابن هشام : أسره رفاعه بن رافع أحد بني زريق .

قال ابن إسحاق - حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير قال فذكر أصحاب القليب ومصابيهم ، فقل صفوان والله ، ما في العيش بعدهم خير ، قال له عمير صدقت والله ، أما والله لولا ذنبي علي ، يس لي عسى فصاء ، وعيال أحشي عليهم الصبغة بعدى - ركبنا إلى محمد حتى أقتنه ، فإن لي قبلهم عنة نسي أسير في أيديهم ، قال . فاعتسمها صفوان ، وقال علي ديت ، أنا أقصيه عث ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ، بقوا ، لا يسعي شيء ويعجز عنهم

فيها عمر بن الخطاب في نهر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويدكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم من عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب . حين أناح على باب المسجد متوشحاً لسيف فقل هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا بشر ، وهو الذي حرش بيننا وحرزنا للقوم يوم بدر

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ ، فقال يا بني الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه اقل فأدخله عنى فان فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبه به ، وقال لرجال من كانوا معه من الأنصار ؛ ادخلوا على رسول الله ﷺ ، فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الحبيث ، فإنه غير مأمون ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فمما رآه رسول الله ﷺ ، وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال . أرسله يا عمر . اذن يا عمير ، فلما ثم قال : أفعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقل رسول الله ﷺ

قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، السلام . تحية أهل الحق . فقال أما والله يا محمد إن كنت بها لخديت عهد ، قال : فما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسبوا فيه .

قال . مما بال السيف في عنقت ؟

قال : فَبُحِثَ اللَّهُ مِنْ سِوْفٍ ! وَهَلْ أُغْنَتْ عَنَا شَيْئًا ؟

قال : أَصْدُقْنِي ، مَا نَدَى جَعْتَ لَهُ ؟

قال : مَا جَعْتَ إِلَّا لِدَاكَ ؟

قال : بَلْ قَعَدْتَ ثَمْتَ وَصَفْرَانَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي الْحَجَرِ ، فَذَكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَيْسِ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ قُلْتُمْ : لَوْلَا دِينُ عَلِيٍّ ، وَوَعْيَانُ عَدِيٍّ ، لَهَرَجْتَ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا ، فَتَحْمِلَ لَكَ صَمَوَانُ بَدْيُكَ وَعِيَالُكَ ، عَلِيٌّ أَنْ تَقْتُلَنِي لَهُ . وَاللَّهِ حَاطِلُ بَيْتِكَ وَبَيْتِ دَدِكَ

قال عمير : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَذَكَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَكَدُكَ مَا كُنْتَ تَأْتِيهِ بِهِ مِنْ حَبْرِ السَّمَاءِ ، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْيِ ، وَهَذَا أَمْرٌ مَ يَحْصُرُهُ إِلَّا أَنَا وَصَمَوَانُ ، هُوَ اللَّهُ ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ مَا أَنَّكَ بِهِ إِلَّا اللَّهَ ، فَحَمْدُ اللَّهِ الَّذِي هَدَانِي إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَسَاقِي هَذَا الْمَسَاقِ ، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَفَهَرُوا أَحَاكِمَ فِي دِينِهِ ، وَأَقْرَأُوهُ الْقُرْآنَ ، وَأَصْلَقُوا لَهُ أُسْبِرَهُ ، فَدَعَبُوا ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ جَاهِدُ عَلَى إِطْفَاءِ نَارِ اللَّهِ ، شَدِيدَ الْأَدَى لِمَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تَأْذُنَ لِي ، فَأَقْدُمَ مَكَّةَ ، فَأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَهْدِيهِمْ ، وَالْأَدْيَتُهُمْ فِي دِينِهِمْ ، كَمَا كُنْتُ أَدْعِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ ؟

قال : فَأَذِنَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَحِقَ بِمَكَّةَ . وَكَانَ صَمَوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ حِينَ خَرَجَ عَمِيرُ بْنُ وَهَبٍ ، يَقُولُ : أَبْشُرُوا بِوَقْعَةِ تَأْيِيدِكُمْ الْآنَ ، فِي أَيَّامٍ تَنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ .

وَكَانَ صَمَوَانُ يُسْأَلُ عَنْهُ الرِّكْبَانُ ، حَتَّى قَدِمَ رَاكِبًا فَحَبَرَهُ عَنْ إِسْلَامِهِ ، فَحَلَفَ إِلَّا يَكَلِّمَهُ أَبَدًا ، وَلَا يَنْفَعَهُ بِمَعِ أَبَدًا .

قال ابن إسحاق : فَمَا قَدِمَ عَمِيرُ مَكَّةَ أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَيُؤَدِّي مِنْ حَاقِهِ أَدَى شَدِيدًا ، فَاسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ

الشباب في المعركة

تَدَاخَلَ الشَّبَابُ فِي سِنِّ الْحُمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً فَأَكْثَرَ ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يَرِيدُ كُلُّ مِثْمٍ أَنْ يَصْفَرَ بِالْإِلَادِ بِهِ فِي الْمُسَاهَمَةِ فِي شَرَفِ الْعَمَلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

لَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ ﷺ سَمُرَةُ بْنُ حَنْدَلٍ ، وَجَاءَ إِلَيْهِ رَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ، وَهُمَا ابْنَا خُمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً ، لَرَدِّهِمَا فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ رَافِعًا وَرَافِعًا ، فَجَازَهُ ، فَهَذَا أَجَارُ رَافِعًا قِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا ، فَجَازَهُ ، وَلَكِنَّهُ ﷺ رَدَّ . أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَحَدُ بَنِي مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ ، وَرَدُّ الْبَرَاءِ بْنِ عَارِبٍ أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ .

وعمر بن حرم ؛ وأسيد بن ظهير ، رد جميع هؤلاء لصغر سهم ، على الرغم من أنهم كانوا في شوق شديد لخصم المعركة .. معركة الشرف في سبيل الله

وقد بعث مرحمتهم أقصاها حينما أجازهم ﷺ شرف المساهمة في غزوة الحندق ، أما من كان أكثر من خمس عشرة سنة ، وكان في حالة تمكنه من الحرب ، فقد أجازهم رسول الله ﷺ

الشيوع في المعركة :

(أ) لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد ، رفع حسيل بن جابر وهو اليمان : أبو حديفة بن اليمان ، وثبت بن رقتش في الآطام مع النساء والصبيان ، قال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران : لا أبا لك ، ما تنتظر هؤلاء ، بقي الواحد منا من عمر إلا ظمء^(١) حمار .. وإنا بحس هامة^(٢) اليوم أو غد . أولا تأخذ أسيفا ثم تلحق برسول الله ﷺ ؟ لعل الله يرفقنا شهاده مع رسول الله ﷺ !! فأخذ أسيفهما ثم حرحا حتى دخلا في الناس ولم يعلم بهما .

فأما ثابت بن وهش فقتله المشركون ، وأما حسيل بن جابر ، فاحتضت عليه أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه . فقام حديفة : أبني ، فقالوا : والله إن عرفناه^(٣) وصدقوا . قال حديفة : يعرف الله لكم وهو أرحم الراحمين . فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فنصلى حديفة بدينه على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيرا

(ب) كان عمرو بن الحموم رجلا أعرج شديد لعرج ، وكان له يول أربعة مثل الأسد . يشهدون مع رسول الله ﷺ انشاهد ، فلما كان يوم أحد ، أرادوا حبسه وقتلوه إن الله عز وجل ، قد علمك .

فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، وانحروح معك هؤلاء ، إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة .

فقال رسول الله ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ، فلا جهاد عليك

(ج) الظمه مقدار ما يكون بين الشريطين ، وأقصر الأظماء ظم ، والحمار لأنه لا يصبر عن ذلك فعرب مثلا كعرب الأجل

(٢) الهامة طائر يخرج من رأس القتيل فيما ترغم أساطير العرب : إذ قتل فلا يزال يصيح سقوى سقوى حتى يترحم بأثره فضرته العرب مثلا سموم

(٣) أي ما عرفناه

ونال ليه ما عليكم أن لا تصعوه ، لعل الله أن يرفقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم
أحد

فدائون في المعركة

كان كل هم المشركين أن يقتلوا رسول الله ﷺ ، فلما انكشف المسلمون في المعركة .
معرفة أحد حاول المشركون أن ينتهروها فرصة هددوا بها رسول الله ﷺ في كثرة كثيرة
تريد قتله .

فقدم ريد بن السكس في سر خمسة من الأنصار ، فقاتلوا دون رسول الله ﷺ ، رجلاً
ثم رجلاً . يُقْتَلُونَ دونه ، حتى كان آجرهم ريد . فقاتل حتى أثبتته الجراح ورمى دون
رسول الله ﷺ أبو ذؤانبة بنفسه يقع ليل في صهره وهو مُنْحَنٍ عيه حتى كثر به
النبل .

وفاتت دون رسول الله ﷺ ، أم عمارة وهي سبية بت كعب ، تقول أم سعد بنت
سعد بن الربيع : دخلت على أم عمارة فقلت لها : يا خالة ، أحبريني خبرك ؟

ف قالت : خرجت أول النهار أنظر ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى
رسول الله ﷺ ، وهو في أصحابه والدولة والريح^(١) للمسممين

فلما انهرم المسممون ، انخرت إلى رسول الله ﷺ ، فقامت أباحر القتال ، وأذب عه
بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خلصت الجراح إلى .

قالت أم سعد ، برأيت عني عاتقها جرحاً أجوف له عور فقلت - من أصابك بهذا ؟

قلت : ابن قمئة ، أقماه الله

ثم تابعت حديثها قائلة : لما ولي الناس عن رسول الله ﷺ ، أقبل ابن قمئة يقول : دلوني
على محمد ، فلا نجوت إن جأ . فاعتصمت له أنا ومُصعب بن عمير وأناس ممن ثبت مع
رسول الله ﷺ ، فصرى هذه الضربة ولكن لقد صرته على ذلك ضربات ، لكن عدو الله
كانت عليه درعان

ثم جاء المسممون فأجلوا المشركين عن رسول الله ﷺ ، ولقد قال رسول الله ﷺ عنها .
ما التعت يميناً ولا شمالاً ، إلا وأراها تقاتل دوني .

(١) أي أن النصر لهم

يوم كله لطلحة :

عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أبو بكر رضى الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال ذلك يوم كله لطلحة رضى الله عنه ، ثم أنشأ يحدث ما ذكر الحديث ، وفيه فأنهيا إلى رسول الله ﷺ ، وقد كُسرَت رِباعيته ، وشُجَّ في وجهه . وقد دخل في وجهه حَقْنًا من حَلْقٍ لِعَقْرِ ، فان رسول الله ﷺ : عليكما صاحبكما

يريد طلحة رضى الله عنه ، وقد عرف ، وذكر الحديث وفيه ثم أنشأ طلحة رضى الله عنه ، في بعض تلك الحمار ، فإذا بصع وسبعون بين طعة ورمية وضربة وإذا قد قطعت أصبعه فأصبحنا شأنه .

ريح الجنة :

عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد : لطيب سعد بن الربيع رضى الله عنه ، وقال إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله ﷺ ، كيف تجدك ؟

قال فحملت أطراف بين القتي فوجدته وهو في آخر رمي ، وبه سبعون ضربة ، ما بين طعة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم ، ففتت له يا سعد ، إن رسول الله ﷺ ، يقرأ عليك السلام ويقول لك : أصبرني كيف تجدك ؟ .

قال على رسول الله السلام ، وعليك السلام . قل له ، يا رسول الله ، جدي نجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله ، أن يخصص إلى رسول الله شيء يكرهه ويمكم عين تطرف .

غسلته الملائكة .

دخل حنصة بن أبي عامر على روجه أول ما دخل به ، فودى بالجهاد في عزرة أحد ، من لهنه

فخرج مسرعاً إلى المعركة وأظهر صريراً من البسالة والشجاعة ، حتى تاه سهم مفاجئ فاستشهد ، وبعد المعركة قال الرسول ﷺ « لقد رأيت حنصة بن أبي عامر يُغسله الملائكة بماء الخمر في صحائف المصصة بين السماء والأرض » .

فذهب الصحابة إليه وهو في القتلى فوجدوا شعره يقطر ماءً فقالوا لرسول الله ﷺ ،

فقال ادعوه إلى رويته فاسألوها فذهبوا إليها فقالت : إنه عُرس بي أو ليلة فقط ، ولما سمع الداعي من الجهاد ، خرج مسرعاً وهو جنب . فرجعوا إلى النبي ﷺ فأخبروه فقال : « من أجل ذلك غسلته الملائكة »

كل مصيبة بعدك هبة .

عن سعد بن أبي وقاص قال . مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني ديار ، وقد أصيب زوجها وأبوها وأخوها مع رسول الله ﷺ بأحد فلما نأوا لها قالت : وما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، وهو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أروني حتى أنظر إليه ؟ قال فأشير لها إليه ، حتى إذا رآته قالت : كل مصيبة بعدك جنس تريد صغيرة .

غزوة أحد والثقة في نصر الله

شاعت حكمة الله سبحانه وتعالى ، أن يُعَلِّبَ المسلمين في أحد حكمة الله في كل ما يحدث ، وهو سبحانه يتلى بالسراء كما يتلى بالضراء وكل شيء عنده بمقدار ، وما إن انتهت المعركة وأصاب المشركون من المسلمين ما أصابوا ، حتى عاد أعداء الله راجعين ، وظن المسلمون أنهم إنما رحلوا قاصدين المدينة ليمروها ، ويقيموا بها من المرجع ويأسروا النساء والأولاد ، يشق على المسلمين ذلك ، فم تومن امرئمة من عزيزتهم ولم تفت في عضدهم ، وكان إيمانهم الذي لا يتزعزع ، وثقتهم في نصر الله ، وتوكلهم عليه سبحانه وتعالى . كان ذلك - دافعاً لهم أن يوطنوا أنفسهم على أن يسبقوهم إلى المدينة ، ليبارلوهم فيها ، فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه

أخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ؟ وما يريدون ؟ فإن هم حبسوا الحيل وامنطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبو الحيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، هو الذي نفس بيده ، لئن أردوها لأسيرن إليهم ، ثم لأناجرهم فيها ، قال علي فخرجت في آثارهم ، انظر ماذا يصنعون ، فحبسوا الحيل وامنطوا الإبل ، وواجهوا مكة

ولكن المشركين بعد أن ساروا في طريق مكة . تلاحقوا فيما بينهم ، فعاد بعضهم لم تصنعوا شيئاً اه أصبتم شوكتهم وحدهم ، ثم تركتموه وقد بقي منهم رعوس يجمعون لكم ، فارجعوا حتى تستأصل شأفتهم

وقال لبعض الآخر لا محمداً قتلتم ، ولا الكواكب أردقتم . يكسما صغصم . رجعوا ؛ وبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فذهب المسلمين إلى اندهاب خلاقاتهم ، والسير

ورعهم . ليرعيتهم ويرعيتهم أن بالمسلمين قوة وجندا ، ويلعبت نعمة رسول الله ﷺ في نصر الله أن لم يأت بانهاب للاقاة العدو ، إلا أن حصر الواقعة فقط ، اللهم إلا خبر من عبد الله الذي قال لرسول الله ﷺ

« يا رسول الله ، إني أحب ألا تشهد مشهداً إلا كنتُ معك » .

وأحاب المسلمون دعوة رسول الله ﷺ ، وسوا بداهه ، وساروا في طريق القوم ، حتى بعوا حمراء الأسد

ولما علم المشركون بذلك ، قالوا : يرجع من قائل ، وساروا في طريقهم إلى مكة وأنزل الله سبحانه ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بَعْمَةً مِنْ اللَّهِ وَفَصْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَصْعَقُ الْإِنْسَانُ﴾ الذين استجابوا به وارسول من بعث ما أصابهم الفرح ، للذين أحسوا منهم واتقوا أجر عظيم ﴿١﴾



مرّ بنى سميان وكان حينئذ قائد المشركين - ركب من عبد القيس ، فعان لهم أبو سميان . أين تريدون ؟ قالوا : يريد لنديه ، قال : ولم ؟ قالوا : يريد الميرة قال : فهل أنتم مبطلون عنى محمد ، رسالة أرميلكم بها إليه وحمل لكم في مقابل ذلك ، ربياً بحكاظ إذا وافيمون ؟ قالوا : نعم . قال : إذا وافتم محمد ، فأخبروه أنا قد جمعنا نسير إليه ، وإلى أصحابه نستأصل بقيتهم .

ومر للركب برسول الله ﷺ وهو حمراء الأسد - فأخبروه بالذي قال أبو سميان وأصحابه ، فكان رد الفعل عند رسول الله ﷺ ، وأصحابه ما صوره الله تعالى بقوله ﴿الَّذِينَ قَالُوا هُمُ النَّاسُ الَّذِينَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبَا اللَّهُ وَرَعِمَ الْمُكْفِلُ . فَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ وَفَصْلَ لَمْ يَنْسَهُمْ سَوْءَ مَا بُعِثُوا بِهَا وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٢﴾ .

بعض من أصابهم الفرح

عن أبي السائب رضى الله عنه أن رجلاً من بني عبد الأشهل قال شهدت أحداً وأح
ى ، فرجعتا جريحين فلما أدرك مؤذن رسول الله ﷺ ، بالخروج في طلب العدو ، قلت لأحى أو قال لى أتفوت عروة مع رسول الله ﷺ ؟ والله ، ما لى من دابة ركبها ، وما ما

(١) آل عمران : ١٧١ ، ١٧٢

(٢) آل عمران : ١٧٣ ، ١٧٤

إلا جريح ثقيل ، مخرجاً مع رسول الله ﷺ ، وكنت أسير جرحاً منه ، فكان إذا طُيب
 حمله مرة ومشى مرة حتى انتهياً إلى ما انتهى إليه المسلمون
 أجند ربح الجنة :

عن أنس رضي الله عنه قال : عاب عني أنس بن أنصر عن قتال بدر فقال : يا رسول الله ،
 عبت عن أول قتال قاتلت المشركين . لكن الله أشهنتي قتال المشركين ، ليرى الله ما أصنع
 فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال : انهم إلي أعثر إليكم عما صنع هؤلاء ،
 يعني أصحابه ، وبرأ إليكم مما جاء به هؤلاء ، يعني المشركين . ثم تقدم فاستقبله سعد بن
 معاذ ، فقال : يا سعد بن معاذ ، الجنة ورب النضر . إني أجند ربحها من دون أحد .
 قال سعد : هما استطعت يا رسول الله ما نصنع . قال أنس : فوجدنا به بصع ولما نبين
 صرية بسيف ، أو طعنه برمح ، أو رمه بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد قتل به المشركون ،
 فما عرفه أحد إلا أخته بيبائه . قال أنس : كما نرى ، أو نظن أن هذه الآية نزلت به وهي
 أشباهه ﴿ من المؤمنين رجال صنفوا ما غاهدوا الله عليه ﴾ إلى آخر الآية ^(١)
 لله العزة ورسوله :

سمع عبد الله بن عبد الله بن أبي أنس والده قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليحرجن الأعر
 منها الأدل ؛ لما قداموا المدينة ، قام عبد الله على بابها بالسيف لأبيه ، ثم قال : أنت القاتل
 لئن رجعنا إلى المدينة ليحرجن الأعر منها الأدل ؟ أم والله لتعمرن مرة بك أو لرسول الله
 ﷺ ؟ والله لا يأويك ظلها ، ولا تأويه أبداً ، إلا بدر من الله ورسوله ولم يسمح به
 بالدخول ، حتى أرسل إليه رسول الله ﷺ ، يأمره بأن يحل سنده ^(٢)

يقول صاحب كتاب « النبوة والأنبياء » معقاً على ذلك ، باعتباره شعوراً عما عد الدين
 أخلصوا وجوههم لله من الصحابة ، أنصاراً ومهاجرين . « وذلك كله ، استطاعوا أن يصنعوا
 ردوسهم ومهبحهم على أكفهم وراحاتهم ، وهانت عليهم الحياة . وطالت لهم هجره
 الأوطان ، ومخر الإحوان ، والشهادة في سبيل الله . ولذلك استطاعوا أن يقولوا ، عد
 وقعه بدر : إن أمرنا تبع لأمرك ، فوالله ، لئن سرت حتى سمع البرك من عمداك ، لسيرو
 معك ، والله لئن استعصمت بما هدا البحر ، لحصناه معك » ^(٣)

(١) صحيح البخاري ج ٧ ص ٢٣ ط الشعب

(٢) تفسير الطبري

(٣) ناله سعد بن معاذ (ماذا حسر العدم يا حطاطه المسمى) فخطر النبوة والأنبياء في ضوء المرقاة ص ٨٠

بين الأبوة والنبوة

ولم يجد أبو سفيان - رعم دهائه ولباقته - عوناً من أحد ، حتى ولا من أمه أم حبيبة ، زوجة رسول الله ﷺ ، التي يلمع بها النور من الشرر ، أن صوت فراش رسول الله ﷺ ، حتى لا يحس عليه أبوها ، فلما سألت - مستفراً - رعبت بو عن الفراش ، أم رعبت بالفراش عنه . قالت : هو فراش رسول الله ، وأنت مشرك محس . فأنصرفت مضطربة قائلاً : « والله لقد أصابك من بعدى شر » . وأحفظ أبو سفيان ، مما أصابها شر ، ولكنها كراهية الشرك ، ولكنها المحبة القوية العميقة لرسول الله ، ﷺ .

عز الدين وعز الملك

وعسكر الجيش في مر الظهران ، ولما مر الجيش بأبي سفيان بعد أن أمه العباس ، رضى الله عنه ، قال ، بعقليته الجاهلية ، للعباس :
يا أبا العاص لقد أصبح منك ابن أخيك عظيماً .
فقال العباس بعديته الإسلامية - ويحك ، إنه ليس بمك ، ولكنها نبوة
قال أبو سفيان : نعم .

عفو القادر

وحينما اجتمعت قريش إليه نظر إليهم وقال : « يا معشر قريش ما تروون أنى فعل بكم ؟
فقالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .
فقال وهو يكي - : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » أقول لكم ما قاله ، أحي يوسف
إلا حوته : ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾^(١)

التبرع بالمال بعد النفس

وحصر رسول الله ﷺ أهل النسي على السفكة في سبيل الله وأعلن رسول الله ﷺ ، أن

مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، فَلَهُ الْجَنَّةُ ، فَتَسَابَقَ الْمُسْلِمُونَ رِجَالًا وَنِسَاءً فِي التَّبَرُّعِ . النِّسَاءُ يَحْيِيَهُنَّ وَبِمَالِهِنَّ ، وَالرِّجَالُ بِمَا يَسْتَطِيعُونَ .

هَذَا هُوَ دَا أُبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ يَأْتِي بِكُلِّ مَالِهِ ، وَكَانَ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَيَسْأَلُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هَلْ أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ شَيْئًا ، فَيَقُولُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَبْقَيْتُ لِمَنْ أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَيَحْيِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بِمِائَةِ أَوْقِيَّةٍ مِنَ السَّهْبِ الْخَالِصِ

وَيَحْيِي سَيْدَنَا عِثْمَانَ بِثَلَاثِ مِائَةِ بَعِيرٍ ، وَبِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَيَضَعُ الدِّنَانِيرَ فِي حِجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَسَرُّهُ أَنْ يَرَى بِيَدِهِ يَسْجُلُ بِهَا ، وَيَسْجُلُ يَدُهُ فِيهَا بِقَلْبِهَا وَيَقُولُ : أَنْتُمْ أَرْضٌ عَنْ عِثْمَانَ ، فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ ، وَيَقُولُ : مَا عَنِ عِثْمَانَ مَا عَمِلَ بِهَذَا الْيَوْمَ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبَلَغَ أَنَّ ابْنَ يَاسِينَ بْنِ عَمِيرٍ بْنِ كَعْبِ النَّضْرِيِّ لَقِيَ أَبَا لَيْلَى وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْفَلٍ وَهُمَا يَتَكَيَّانِ فَقَالَ : مَا يَتَكَيَّكُمَا ؟

قَالَا : جُنَا . سَوَّاهُ اللَّهُ ﷻ ، لِيَحْمِلَنَا مِنْ بَعْدِ عَدُوِّهِ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ وَلَيْسَ عِنْدَ مَا نَقْوَى بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ ، فَأَعْصَاهُمَا بِأَصْحَابِهِ فَارْتَحَلَاهُ ، وَرَوَّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ تَمَرٍ ، فَمُحَرَّجَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ . رَأَى يُونُسُ بْنُ بَكِيرٍ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَا :

وَأَمَّا عُبَيْدُ بْنُ رِيْدٍ فَمُحَرَّجٌ مِنَ النَّبِيِّ ، فَصَنَعَ مِنْ بَيْنِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يَكْبِي وَتَقَارُ . لِلَّهِمَّ بِكَ أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ وَرَعَيْتَ فِيهِ ، ثُمَّ لَمْ تَحْمَسْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِسُنِي عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مِظْلَمَةٍ أَصَابَنِي فِيهَا مَالٌ أَوْ جَسَدٌ أَوْ عَرَضٌ ..

ثُمَّ أَصْبَحَ مَعَ النَّاسِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : وَأَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ هَذِهِ النَّبِيلَةُ ؟ فَلَمْ يَهْمُ أَحَدٌ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيْنَ الْمُتَصَدِّقُ ؟ فَلْيَقُمْ » فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَحْبَرَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبَشِّرْ ، هُوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَقَدْ كَتَبْتُ فِي الرِّكَازَةِ الْمُتَقَبِّلَةَ »

وَإِنْ كَانَ عَمْرًا :

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْحُدُقِ ، حَرَّحَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ مُعَلِّمًا لِبَرِيٍّ مُشْهَدَهُ ، وَهُوَ مُقْبِعٌ بِأَحْدِيدٍ فَنَادَى مَنْ يَبَارُ ؟

فَقَامَ عَنْهُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ : أَنَا لَهَا ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ

فَعَالَ إِنَّهُ عَمْرُو بْنُ أَبِي جَيْشٍ

ثم نادى عمرو : ألا رجل يبارر ؟ فحمل يؤثمهم ، ويقول نبي جنتكم التي ترعمون أن
من قتل منكم دحينا ؟ أملا تبررون إلى رجلا ؟

فقدم على رضى الله عنه قال : أنا يا رسول الله .

فقال إنه عمرو ... اجلس .

ثم نادى الثالثة

فقام على رضى الله عنه فقال . يا رسول الله أنا .

فقال إنه عمرو .

فقال وبن كان عمرًا فأتى له رسول الله ﷺ ، فمشى إليه وهو يقول إني لأرجو أن
أقيم عليك بالحنة الجائر ، من صرية بحلاء يهوى ذكرها عند الأهرار

فقال له عمرو : من أنت ؟

قال : أنا عي .

قال : ابن عبد مناف

قال : أنا عي بن أبي طالب .

فقال يا بني أحي ، من أعمامك من هو أسوأ منك ، بإني أكره أن أهريق دمك

قال على رضى الله عنه ونكى والله ، لا أكره أن أهريق دمك ، فعصب ، فبرر وبل
سيفه كأنه شحنة بار ، ثم أقبل نحو على صلى الله عنه معصيًا ، واستقبله على بحرته ، فصره
عمرو في بيصته ففقدوها ، وأئت فيها السيف ، وأصاب رأسه فشحنه ، وصره على رضى الله
عنه على جبل عاتقه فسقط ، وسمع رسول الله ﷺ التكبير ، ثم أقبل على رضى الله عنه ، نحو
رسول الله ﷺ ووجهه يتهدل فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه هلا استتب
درعه ؟ فإنه ليس للعرب درع خير منها

قال : ضربته فأتقاني بسوءته ، فامتنحيت أن أسلمه

□ □ □

بها عمة الرسول ﷺ :

عن عاذ قال : كانت صعبة بنت عبد المطلب في حصص ، قالت فمر رجل من اليهود ،
فجعل يطوف بالحصص ، وقد حابت به قريضة المسلمين ، وقطعت ما بينها وبين الرسول

ﷺ من عهود ، وليس يسأ ويستم أحد يدفع عا ، ورسول الله ﷺ وأصحابه في عور
عنوهم : لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إليها ، إن أنانا أت

علما رأيت اليهودي يطوف بالحصن ، قالت إني والله ، ما آسؤه أن يدل على عورتنا من
وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه

فالت فأحدثت عموداً ثم برت من الحصن إليه ، فصرته بالعمود حتى قتلتها ، فلما فرغت
منه ، عدت إلى الحصن ، ولم تأخذ من سلبه شيئاً ، وقالت لم يصح من سلبه ، إلا أنه رجل

اللهم أخبر عنا نيك

يقول الإمام البخاري :

باب هل يستأبر الرجل ؟ ومن لم يستأبر ، ومن ركع ركعتين عند القتل . حدثنا
أبو اليمان أخبرنا شعب عن الزهري ، قال أخبرني عمرو بن أبي سفيان بن أمية بن جارية
الأنصاري ، وهو حبيب لبي زهرة . وكان من أصحاب أبي هريرة أن أبا هريرة رضى الله
عنه قال بعث رسول الله ﷺ عشرة رهط مصرية عبياً^(١) ، وأمر عبيهم عاصم بن ثابت
الأنصاري حد عاصم بن عمر ، فانطلقوا حتى إذا كانوا بأهدة - وهو بين عسما ومكة -
ذكروا خي من هديل يقال لهم بنو حيان فمروا بهم قريباً من مائتي رجل ، كلهم رام فاقصصوا
آثارهم ، فلما رأهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى غدف وأحاط بهم القوم ، فقالوا لهم . انزلوا
وأعظونا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم أحداً ، قال عاصم بن ثابت أمير
السرية أما أنا فوالله لا أترى اليوم في دمة كافر ، اللهم أخبر عن نيك فرموهم بالنيل فقتلوا
عاصماً في سبعة . فرر إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم حبيب الأنصاري ، وابن
دثنه ، ورجل آخر ، فلما استمكوا منهم أطلقوا أوتار فسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث
هذا أول العبر ، والله لا أصبحكم ، إن هؤلاء لأسوة يربد القتل فحروه وعانجوه على أن
يصحبهم فأبى فقتلوه ، فانصقوا بحبيب وابن دثنه ، حتى ناعوها بمكة بعد رقعة بدر .
فابتاع حبيباً بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان حبيب هو الذي قتل
الحارث بن عامر يوم بدر ، فلبث حبيب عندهم أسيراً ، فأخبرني عبيد الله بن عياض أن بست
الحارث أخبره أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستجد بها فأعارتها ، فأخذ ابن إلى

(١) يستطيعون أمير العدو

وَأَنَا خَافَةٌ حِينَ أَتَاهُ ، قَابَتْ • بَوَاجِدَتُهُ يَجْلِسُهُ عَلَى فَحْلِهِ وَالْمُرْسَى بِيَدِهِ ، فَهَرَعَتْ فَرْعَةُ عَرَفَهَا حَبِيبٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ تَحْشُرُ أَنْ أُقْتَلَ • ؟ مَا كُنْتُ لِأَهْلٍ دَلِيلٌ .. وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ حَيْرًا مِنْ حَبِيبٍ .. وَاللَّهِ لَقَدْ رَجَدْتُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِصْفِ عَنَبٍ فِي يَدِهِ ، وَإِنَّهُ لَمُرْتَقٍ فِي الْحَدِيدِ ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ إِنَّهُ يَرِيقُ مِنَ اللَّهِ رَوْقَهُ حَبِيبًا ، فَمَا حَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتَنُوهُ فِي الْحِلِّ ، قَالَ حَبِيبٌ - دُرُومِي رُكْعٌ رَكْعَتَيْنِ مَتْرُكُوهُ فَرُكْعٌ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : لَوْلَا أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي حَزَرٌ لَصَوَّيْتُهَا .. اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا

وَسَيِّدُ أَبِي حَبِيبٍ أَقْبَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرُوعِي
وَدَلَّكَ فِي دَانِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ بِأَرْكَانٍ عَلَى أَوْصَالٍ شَيْءٍ مَمْرُوعِي

فَقَتْلُهُ بَيْنَ الْخَارِثِ ، فَكَانَ حَبِيبٌ هُوَ الَّذِي مَنَعَهُ لَوْ رَكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، قَتَلَ صَبْرًا ، فَاسْتَحَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصَيْبٍ ، فَخَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ حَبْرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ بَأْسٌ مِنْ كَهْمَارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حَذَرُوا أَنَّهُ قَتَلَ : لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ يَعْرِفُ بِهِ ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عِظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَبَعَثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَمَةِ مِنَ السَّيْرِ الْحِلِّ فَحَمَلَتْهُ مِنْ رُسُومِهِمْ ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنَ لَحْمِهِ شَيْئًا
(خ ج ٢ ص ٨٢ ، ٨٣)

﴿لكن الله يشهد بما أنزل
إليك أنزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾

[صدق الله العظيم]

سورة النساء الآية : ١٦٦

الفصل الرابع عشر : عن :

الخاتمة

من توجيهات القرآن

- ١ -

(١) يقول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿لقد من الله على المؤمنين ، إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (١) .

وآيات القرآن كثيرة في هذا المعنى ، تؤكد كلها أن بعثة الرسول ﷺ ، كانت نعمة عظمت من الله - سبحانه - على جميع المؤمنين ، وأن هذا الفضل من الله سبحانه وتعالى ، إنما هو ممة كريمة من لدن رب كريم .

ذلك أن هذا الرسول ﷺ إنما هو ناسك صدق ، في تدبیر آيات الله ، فهو يتلوها على المؤمنين

إنه يتلوها عليهم بعد أن تلاها على نفسه ووعاها وبشرتها روحه ، فانطبع بها وعشه . ومن أجل ذلك ، كان هذا الرسول ﷺ مصدر تركية لهم ، إنه وقد أصبح طابعة آيات الله ، أصبح من أجل ذلك - مصدر تركية بالمثل والقدوة والتأسي للمؤمنين . لقد تركى بآيات الله ، وقد ركنه آيات الله ، وإنه يتلوها ويحيها فهو يشر بها بقوله ، أو تلاوتها ويشر بها بمسلكه ، فهو بقوله يتلوها وهو بمسلكه يرسمها ويعلمهم الكتاب : إنه لا يتلو محسب ، وإنما يعلم أيضا ، إنه يشرح ويحصر ، وينطبق ويقوم تطويق الآخرين إذ يحرفوا وإنه يعلم القرآن

وهو يعلم القرآن بعد أن انطبع به ، وبعد أن أصبح هو قرآنا . لقد أصبح فكره قرآنا ، وأصبح عواطفه قرآنا ، وأصبحت إرادته قرآنا ، ولقد عبرت عن ذلك السيدة عائشة ، رضوان الله عليها ، خير تعبير وأخصره ، حسنا سئمت عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت رضوان الله عليها « كان حنقه القرآن »

وما كان يأتي أن يكون غير ذلك ، وكلمة السيدة عائشة رضوان الله عليها ، إنما هي

(١) آل عمران : ١٦٤

كسمة بدهية عند كل متبصر . فالقرآن كان يظن مبادئ يعتقد الناس أنها مجرد مبادئ نظرية ، يستحيل تحقيقها في الخارج . لو لم تطبق فعلاً ، ولو لم تتحقق واقعياً ، وكان لابد من أن تتحقق بالفعل ، وكان لابد من صورة حية تتمثل فيها هذه المبادئ . تتمثل فيها ذاتياً ، وتتمثل فيها جهة تطبيقها على الغير ، وقبادة الغير إلى الأحاد بها في صورة تقترب منها بقدر الاستطاعة

ولو لم يكن الأمر كذلك لظل الناس يؤسسون بأنها مجرد مبادئ (ب) بيد أن هذه الصورة الحادثة بالأحلاف - كما يحب الله سبحانه لبي الإسلام - قد تحققت بالفعل . حققها رسوله الكريم ﷺ ، وحققتها في ذاته ، وحققتها في مجتمعه . حققها سلوكاً ، وحققتها واقعياً . هو في نفسه على أكمل ما يكون التحقيق ، تطبيقاً في مجتمعه ، على الصورة التي استطاعها هذا المجتمع .

ونقول على الصورة التي استطاعها هذا المجتمع ؛ لأن لكل نظام من الأنظمة ، حداً أدنى : لا يتأتى أن يكون النظام بدونه ، وحداً أعلى يتسمى نحوه المخلصون . وقد تحققت الصورة الإسلامية - في حدها الأعلى - في الرسول ﷺ ، وكان بذلك - بعض القرآن أول المسلمين وتوسم الآيات القرآنية :

كيف ، وم كان الرسول ﷺ أول المسلمين ؟ يقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَسَلَّمْتُ وَنَحْيَيْتُ وَمَنَّا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

لقد كانت أعمانه وحياته كلها بن ومماته - لقد كان كيانه كله حركة وسكوناً ، حياة وموتاً - لله رب العالمين فكان بذلك أول المسلمين . ولقد تحققت صورة على تفاوت لا يرب عن حده الأدنى ، في آلاف من الصحابة رضوان الله عليهم

لقد وجد المجتمع الإسلامي بالفعل : ولقد اتفقت بذلك فكرة هؤلاء الذين رأوا في الماضي - أو يرون في الحاضر أن الإسلام مبادئ لا تطبق : مبادئ نظرية ، مبادئ حيالية ، يستحيل تطبيقها

(١) الأنعام ١٦٣ ، ١٦٤

لقد تحقق الإسلام بالفعل ، فأصبح مجتمعاً أسلم نفسه لله ، وإن مجتمعاً يسلم نفسه لله ، لا يتأتى أن تتمحص الإنسانية عن خير مه

هذا المجتمع الذي وحد . إنما كان ثمرة من نمار جهاد لرسول ﷺ وكفاحه ، في أن يخرج بالعلم ، لصورة التي أوحاه الله إليه لقد كان أثراً لتلاوة الرسول ﷺ آيات الله ، وتركية الرسول ﷺ لمن حوله بمشبه لقرآني ، ولتعميمه صبرات لله وملازمة عبده القرآن لمن حوله .

وشرعت روح رسول الله ﷺ القرآن وامتثلت به ، وصفت بصفاته ، وتركت بركاته ، واستندت بوره ، فاضت بالحكمة أثراً من آثار بداية التامة ، وتبيحة سور يعمر القلب ، ويسمى بتلاً في لقواد فكان لرسول ﷺ يعلم الكتاب ، ويعم الحكمة ، وما الحكمة إلا أحدث الرسول ﷺ . يبر بها قلوباً ، ويرشد بها عمولاً . ويقرب بها عباد الله إلى الله ، وكما أن لكتاب من عند الله ، من الحكمة أبيض من عند الله ، يقول الله تعالى ﴿وَأَنزَلَ لَكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَمَلَكُم مَّا م تَكْر تَعْمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١) .

وما كان رسول الله ﷺ يطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى آيات الله يتنوها ، وكتاب الله يعلمه ، والحكمة لتي أنزها على قلبه ، يعظ بها . يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه .

ذكر الله بكتاب وهو القرآن وذكر الحكمة . فسمعت من أوصى من أهل العلم بالقرآن يقول . الحكمة مسة رسول الله وهذا يشبه ما قال . والله أعلم لأن القرآن ذكر أتبعته الحكمة وذكر الله مثته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة فلم يحجر والله أعلم - أن يقال الحكمة ها ها إلا مسة رسول الله

ودلت أنها مقرونة مع كتاب الله ، وأن الله فترص طاعة رسوله ، وحتم على الناس اتباع أمره . فلا يحوز أن يقال نقوب فرص إلا لكتب الله ، ثم مسة رسوله ؛ لما وصف من أن الله جعل الإيمان برسوله مقرون بالإيمان به

ومسة رسول الله ، مبية عن الله معني ما أراد ، دليلاً على خاصة وعامة ، ثم قرن بحكمة بها بكتابه فأتبعها إليه ولم يحصل هذا لأحد من خلقه غير رسوله

(ج) هذه الصرة لتي ترسمها الآية الكريمة التي صدرت بها هذ انقال هي الصورة

التي تصادف سيدها إبراهيم ودعا الله سبحانه بها حينما كان يرفع الفوائد من البيت واسماعيل فقال عليه السلام :

﴿ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم﴾^(١) .

ولقد صادفت دعوة سيدها إبراهيم مافسره الله أولاً ، لقد وانقت التقدير الإلهي الأسمى الذي أراد سبحانه به أن يكمل الدين ويتم النعمة على المؤمنين ، وأن يكون حاتم الأديان ، هو الدين ، الأسمى الحائز الذي لا دين سواه ، والذي يرصاه الله ولا يرصى غيره وهو الإسلام

﴿اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عبككم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾^(٢)

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾^(٣)

ولا يتأتى من عرف منطق وفي منطق الحق وفي بدهة العقول أن يكون الدين الحائز شعباً آخر غير إسلام الوجه لله .

وما دام الرسول ﷺ أو المسلمين وما دام الدين عند الله هو الإسلام ، فالرسول إذن أول النبيين على الإطلاق به وصل إلى الدرجة التي سبق بها جميع من مضى ، وسبق بها جميع أبناء عصره ، وسبق بها من سيأتي بعده ، إنه أول المسلمين في الماضي البعيد وأندضى الذي يتدنى منه بدء الإنسانية .

وما من شئ في أن آدم عليه السلام كان مسلماً ولكنه لم يكن أول المسلمين ، ولقد كان روح مسلماً ولكنه لم يكن أول المسلمين وهكذا كان الأنبياء جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم ، من المسلمين ولكن لم يكن أحد منهم أول المسلمين وما كان ينأى أن يكون أحدهم أول المسلمين ، لأن الدين الذي جاءوا به صلوات الله عليهم وسلامه وإن كان إسلاماً - فإن الصورة الكاملة التامة للإسلام إنما هي القرآن

﴿وأولنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه﴾^(٤)

يقول سبحانه ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾^(٥)

(١) البقرة - ١٢٩

(٢) المائدة - ٣

(٣) جزء من آية ١٩ آل عمران

(٤) المائدة - ٤٨

(٥) الزمر - ٥٥

وهو أول المسلمين في الحصر ، وهو أوهم في المستقل ، إلى أن تبدل الأرض
والسموات ، وإلى ما بعد ذلك من آيات الله السرمدية ، صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي
يا رسول الله .

- ٢ -

يقول الله تعالى عن طابع الرسالة الإسلامية وعن طابع نرسول ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

لقد كان إرسال الرسول ﷺ ، رحمة ، يد مبررة إلى الرسالة الإسلامية ، وكان إرساله
رحمة يد نظرا إلى شخصيته يقول ، صلوات الله وسلامه عليه : « إنما أنا رحمة مهداة »
لقد كان رحمة مهداة من حيث الرسالة ، وكان رحمة مهداة من حيث الذات

لقد كان ينتسب صلوات الله وسلامه عليه إلى الرحمن رساله ، وينتسب إلى الرحمن
صفاته ، وكان ينتسب إلى الرحيم رساله ، وينتسب إلى الرحيم صفاته ، إنه رساله
وصفات ، يسير في حياته باسم الله الرحمن الرحيم ، مبشرا « باسم الله الرحمن الرحيم » ،
إنه نبي الرحمة ، وإنها رسالة الرحمة ، والله سبحانه وتعالى قد ربي رسوله على عبه ، واصطنعه
لنفسه ، صشاؤه على الرحمة فهو صلوات الله عليه وسلامه رحمة مدد ميلاده

وإن يد أردنا تعبيراً محملاً جامعا معاني الرحمة التي انصفت بها نبي الرحمة ، فربما وجدته
في وصف أسيدته حديثه رسول الله عليه وسلم ، حيم فاحاه الوحي وحدثها
به ، وقال ما : « لقد حشيت على نفسي »

فقال رضى الله عنها ، مورا « كلا والله ما يحريك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل
الكل ، وتكسب المعدم ، وترى الصيف ، وتعين على نوائب الحق »

إن هذا الوصف الصادق للرسول ﷺ إنما يعبر في كل جملة من جمعه عن الرحمة « وهو
وصف اتسم به الرسول ﷺ صفة حياته » والآية القرآنية ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾
لا تحصيل فيها ، لا من ناحية نوع الرحمة ، ولا من ناحية موضوع الرحمة ، ويشرح هذه
الآية في شمولها وعمومها ، يشرحها في دقة وهي عمق موقف كريم من مواقف التوجيه
النبوي ، لقد كان الرسول ﷺ يتحدث عن الرحمة ويدعو إليها ويعرف بمسرتها من الدين
فقال بعض الصحابة رسول الله عليهم « يا رحمن أروجا وولادا وأهلب »

(١) سورة الأنبياء ، ١٠٧

فهم يرص هذا القول رسول الله ﷺ لأنه فهم قاصر محدود لما يسعى أن يكون عاما شاملاً ، إنه تقييد المطلق ، ولذلك رد عليه الرسول ﷺ بقوله : « ما هذا أريد ، إنما أريد الرحمة العامة » . وما من شك في أن من الرحمة الأرواح والأولاد والأهل ، وقد حث على ذلك رسول الله ﷺ صلوات الله وسلامه عليه .

بيد أن ما أراد الرسول ﷺ إنما هو أن تتعبر الرحمة في الكيان الإنساني كله ، حتى تصبح وكأنها من نظراته وطبيعته وحياته ، فيكون الإنسان وكأنه قيس من الرحمة الإلهية بشرها إذا سار ، وبشرها إذا جلس ، وبشرها إذا كان ، وبشرها حيثما حل .

وإذا كان كذلك فإنه يكون قد حقق الطابع العام للرسالة الإسلامية : رحمة للعالمين

وقد حقق الرسول ﷺ ، هذا الطابع بقوله وحقيقته بفعله ، ولقد كانت لرحمة . وهي صانع للرسالة الإسلامية هي الطابع تصرفاته وانظري الحادثة التالية ، الحادثة التي برز فيها قوله تعالى : ﴿ ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة ﴾ (١) .

وهي لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون ، وأمر سبعون ، استشار لبي ﷺ أبو بكر وعمر وعلياً فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو النعم والعشيرة والإخوان ، وإنني أرى أن تأخذ منهم المدينة فيكون من أخصاءهم قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهد بهم الله فيكربوا لعضدنا ، فقال رسول الله ﷺ ما ترى يا ابن الخطاب ؟ قال والله ما أرى ما أرى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكن من فلاح (قريب لعمر) فاصرب عنقه ، وتمكن علياً من عقيل فيصرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلاح أخيه (يعنى العباس) فيصرب عنقه حتى يعسم الله أنه ليس في قلوبنا هودة « أي ميل » للمشركين

أما رأى الرسول ﷺ فقد كان معروفاً يعرفه كل من عرف رسول الله ﷺ وعرف طابعه وعرف له هذا بطابع الرسالة الإسلامية ، أنه أخذ المدينة ، ولقد كان أبو بكر رضي الله عنه أمثل الناس في الاقتداء برسول الله ﷺ . فكان اتحاده من اتحاه رسول الله ﷺ

وهذا الاتجاه لرفيق انصار أبيه الله سبحانه بل رآه عليه حيثما حيز رسوله فيما بعد بأنه إذا وصفت الحرب أوزارها فيه أن يمسّ وله أن يأخذ الفداء ﴿ وإما ما بعد وإما فداء ﴾ (٢)

وقبل بدر أخذ الرسول ﷺ الفداء فقد أدى في سرية عبد الله بن جحش قبل بدر بسحو عام .

(١) الأنفال ٦٧

(٢) محمد آية ٤

عندما كانت بدر سار رسول الله ﷺ على سبيله ، وتصرف مسلماً طابع الرسالة التي أرسى الله بها ، ونكس بعض الصحابة رضوان الله عليهم نظراً إلى موضوع الفداء نظرة مادية وأخذ في تقديره رزاً وكيلاً وقيمة ومقداراً وكماً وقيماً ، وأخذ في تكييف الفدية بحسب معنى والمقرر ، إن بعض الصحابة نظر إلى المسألة نظرة مادية ، فنزل قول الله سبحانه وتعالى ، مصححاً الرضخ هؤلاء الذين هم يصحوا الأمور في وضعها الصحيح ولم يربوها بميران التوجيه الإلهي

يقول الخطيب القسطلاني في كتابه « المواهب اللدنية » في ذلك . « فيه بيان ما حص به وفصل من بين سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قال : ما كان لبي غيرك » اهـ

ويقول الفاضل بكر بن العلاء « أختير الله تعالى بيبه في هذه الآية أن يؤوله وافق ما كتب له من إبطال الغنائم والفداء » اهـ .

والتوجيه الإلهي في غائمة رسالات السماء أنها رسالة . ورسالة الرحمة ميراث وخصوصيات تفيص عن الرحمة نفسها . وما كان لبي من قبل بي الرحمة أن يكون له أسرى حتى يئس في الأرض . فبما كانت رسالة الرحمة وما كان لبي الرحمة فباح الله له التصرف بحسب الرحمة وهو الفداء ، ثم راده تكرماً على تكرم حيث راده رحمة ، فجعل له الخير بين المني والفداء :

وإن كل نظرة تفحص عن هذه النظرة وتصدر عنها لا ترى ولا تحس ولا تشعر بالجانب المادي ، ولكنكم يا هؤلاء الذين صرتم النظرة لمادية تريدون عرص الدنيا وتحدونه مقياساً ، إنه ليس بمقياس ، إن المادة ليست في مودع الله مقياساً ، فإن الله يريد الآخرة ، ويريد للدين أموا به وبرسوه أن تكون مقاييسهم مستمدة من كتاب الله ومن توجيهات رسوله ﷺ : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(١) وإنه لمن أفضال الله على رسوله أنه سبحانه لم يبع « أسوة » وحسب وإنما قال « أسوة حسنة » وقال سبحانه ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ .

ثم إن الله سبحانه لم يأمر المسلمين برد الفدية ، وما كان أيسر ديث ولم يقص الله سبحانه ما يرمه رسوله لمراً عن أن يسير إلا على بصيرة ، وعثره عن أن يهذى إلا إلى الصراط المستقيم صراط الله .

هذه المفطرة الرحيمة حمت الرسول ﷺ عن أن يكافح طيبة حياته في غير طور ولا هوادة لبداية الإنسانية وإسعادها ، لقد كان ﷺ يشق على نفسه في سبيل ذلك ويحملها من الأمور ما لا تقطير ، حتى نقد قال الله له : ﴿ ولا تذهب نفسك عنهم حسرات ﴾ (١) .

وقال سبحانه ﴿ فلعنت بهم ﴾ لعنت بهم على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً (٢)

ولقد رسم الرسول صلوات الله وسلامه عليه موقفه من الناس ومثله بموقف رجل يحاول ما استطاع أن يمنع الناس عن التردى في نار يشعرون على الاحتراق فيها ، ولعل الحادثة البالية تصور بعض جوانب التربية الرحيمة التي يستعملها الرسول ﷺ في سلوكه مع الناس ، وهي إن كانت خاصة برجل معين فإنها ليست بمقصورة عليه بل ها صفة عموم

جاءه أعربى يوماً يطلب منه شئ فأعصاه ﷺ ، ثم قال له مستمسراً متوددٌ : « أحسنت إليك ؟ فقال الأعرابي : لا ، ولا أحملت ، فعصب المسموم وناموا إليه ، فأشار إليهم الرسول ﷺ أن كفوا ، ثم قام ودخل مرله وأرسل إلى الأعرابي وراده ، ثم قال « أحسنت إليك » ؟

فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا ، فقال النبي ﷺ إليك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك ، فإن أحيت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عنيك .

وتحدث الأعرابي إليهم ، وصابت أنفسهم أصحاب رسول الله ﷺ بقول الأعرابي ، فقال صلوات الله وسلامه عليه هذا التعقيب الرائع

« وإن مثي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس ، فلم يريدوه إلا نفوراً فناداهم صاحب الناقة : أن حبوا يسي وبن ناقتي ، فإني أرفق بها وأعلم ، فتوجه إليها صاحب الناقة بين يديها فأخذها من قدم الأرض فردها هوناً هوناً حتى جاءت واستناحت وشد عنقها رحنها واستوى عليها .

(١) طاهر ٨

(٢) الكهف ٦

وإني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار هـ

لقد كانت نفس رسول الله ﷺ ، رحيمة حتى مع الأعداء

لقد قيل له يوم أحد وهو في أشد المواقف حرجاً لو لم ينتهم برسول فقال صلات الله وسلامه عليه . « إنما بعثت رحمة ولم أبعث لعناً »

وكان إذا مثل أن يدعو على أحد عدل عن الدعاء عليه إلى الدعاء له بالهدى به وانصلاح ، وكان يوم بامتداد أن يشعر المسلمون بل الناس على وجه العموم بالتعاطف فيما بينهم سئل مرة أي الناس أحب إليك ؟ فقال أنفع الناس للناس وسئل أي الأعمال أفضل ؟ فقال . « إدخال السرور على المؤمن » وقال . « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأصلهم بأهلته »

وكانت رحمته صلات الله وسلامه عليه عامة شاملة ، حتى لقد تنوب بحيوان الأعجم لقد قال - بحث على الشفقة بحيوان « بما رجل يمشى ناشد عليه العطش ، فنزل بئراً فشرب منها ثم خرج منها فإذا هو بكلب يلهث الشرى (يأكل الشرى من شدة العطش) فقال : لقد بلغ بهذا الكلب مثل الذي بلغ بي فعلاً حقه ، ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له » قالوا يا رسول الله وفي لنا في البيهائم أجراً ؟ قال « نعم لكم في كل ذات كبد رطبة أجر »

وقال ﷺ « دخلت الدار امرأة في مرة حبستها فلا هي أطعمتها وسقيتها ولا هي تركها تأكل من خشاش الأرض »

بعد كان ﷺ رحمة ، وكان رحمه للمسلمين

- ٣ -

يقول تعالى مخاطباً المؤمنين . « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً »

إن الإنسان الذي خصه الله بالنوحى ، واجباه لرسالته ، واصطفاه ليكون باسمه سبحانه بشيراً ونذيراً ، إن هذا الإنسان الذي فضله الله على العالمين يجب أن يعرف له مكانته وتنزله في الشرف الذي أنزله الله فيه

إن هذا السراج المبرق ، إن هذه الرؤوف الرحيم ينبغي ألا يُدعى كما يدعى ريد وعمر بمعنى : لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم ، بل نادوه

وحاطبوه بالنعصيم والتكريم والتوقير ، بأن تقربوا برسول الله ، يا نبى الله ، يا إمام حرسين ،
يا رسول رب العالمين ، يا خاتم النبيين ، وغير ذلك

واستعيد من هذه الآية كما يقول الشيخ الصاوى فى حاشيته على تفسير الجلالين
من أنه لا يجوز نداء النبى بعير ما قصد لنعصيم ، لا فى حياته ، ولا بعد وفاته

فهذا يعنى أن من استخف بجوابه - ﷺ - فهو كافر معنوى فى الدنيا والآخرة » اهـ
ويقول الله سبحانه فى أوائل سورة الحجرات ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْعَبُوا بِيَدَيْ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أى لا تتعدوا بأمر من الأمور ، فولا كان أو فعلا ، إلا إداً أدن الله ورسوله .
وكل أمر فولا كان أو فعلا أنه الإنسان بدون إداً الله ورسوله فإنه لا يقع على المس
المستقيم

يقول الصحاح هو عام فى القتال وشرائع الدين ، أى لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله
واتقوا الله إن الله سميع عليم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْق صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ، كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾

(فانكم إذا فعلتم ذلك يحشى عليكم) أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُونَ أَصْوَاتَهُمْ عَمَّا رَسُوهُنَّ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَمْتَحِنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلَيَتَّقِي لَهُمْ
مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

أما هؤلاء الذين أسمعوا لأدب فأخذوا ينادون من وراء الحجرات بمادة الأعراب
الأجلاف فى عسطة وفى جصاء فإنهم ناقصو العقول ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ عَصِيرٌ حَنِيمٌ ﴾
على أن مجرد الرغبة فى حديث إلى رسول الله ، ﷺ يحتاج بغيرها إلى تقديم صدقة

يقول تعالى فى سورة المائدة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَجَمَّعْتَ الرِّسَالُ فَقَدِمُوا بِيَدَيْ
سُحُورِكُمْ صَدَقَاتٍ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَصِيرٌ رَحِيمٌ ﴾

وتدس الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة إثم ، لأن من لم يحد الصدقة ، فإن موقف
الله سبحانه منه لعدم قدرته المعقرة والرحمة ولا تكون المعقرة والرحمة إلا على إثم أنه
الإنسان ، وكان عدم توفر الاستطاعة سبباً فى معقرة الله سبحانه ﴿ أَلَسْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا
بِيَدَيْ سُحُورِكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ وحملكم خوف الفقر على ألا تفعلوا ثم بدمتم واستعقرتم

عند ركوعه حتى يسوب الله عليكم ، وأثبتوا حسرتكم ، وصفاء سريرتكم بأن تقيموا الصلاة على الوجه الأكمل وتزكو الركاة صيبة به نفوسكم ، وتطيعوا الله ورسوله في الصبر والكبير وما من رب في أن الله سبحانه ، حبير بكل ما تعملون يقول تعالى ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَصِيعُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ حَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

ويقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾

٤

قال تعالى ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَصُوبُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلْتَفْتُوا فِيهِمْ مِنْ عَمْرٍاءَ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ ينادون من وراء الحجرات أكثرهم لا يعصون ولو أنهم حضروا حتى تخرج إليهم لكان حيرا لهم والله عفو رحيم﴾

ليست هذه الآيات الكريمة إلا أسودجا لآيات كثيرة ، ذكرت في لقرآن الكريم لنبي قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإذا أردنا أن نتحدث في غحاب حافظة ، عن قطرات من بحر فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن نقول في جمال مجسم وفي شمول شامل إن جماع الفضائل فيه صمدات الله وسلامه عليه - أنه كان رانيا لقد أسسم وجهه الله تعالى إسلافا كبيرا يتمثل في الآية الكريمة النبي يأمر الله رسوله فيها قائلا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْإِسْلَامِ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ لقد حصت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لله فكان كل ما يأتيه إنما هو لله ، وكل ما يدعه إنما هو لله . لقد كان إلهيا بمعنى أنه في الله فناء كاملا فكانت إرادته من إرادته سبحانه وكان حبه من حبه سبحانه ، وكان بغضه من بغضه سبحانه ، فما أراد إلا الله ، وما أحب إلا الله ، وما بُغض إلا الله - كما ذكرنا فيما سبق .

وكان مطهر هذا الإسلام الكلي لله سبحانه ، أن كانت حياته كلها جهاد في سبيله

والقاء في الله ليس سلبية ، لا ولا قلامة ظفر ، إن القاء في الله جهاد كله وقد جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله بكل خبة في جسمه وبكل فكرة في نفسه لقد جاهد أحلاف مبتدئ بنفسه ، ووصل في ذلك إلى أن لم يكن للشيطان إليه من سبيل وإلى أن كان صفاء صافٍ عبر الله عنه في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم بالنور . لقد وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفاء إلى درجة استأهل أن سماه الله نوراً ، وسماه سراجاً نيراً

لقد وصل من شفعية النفس وصفاء السريرة وطهارة الروح إلى درجة من القرب عبر الله سبحانه وتعالى عنها بقوله ﴿قرب قوسين أو أدنى﴾

لقد تحصى - صلوات الله وسلامه عليه - درجة سدرة المنتهى

لقد تجاوز سدرة المنتهى ، أي حدود الأخيرة إلى بين عالم الكون والملا الأعلى بين عالم الدنيا وعالم الآخرة

لقد تجاوز عدم الدنيا قبل انتهائه من عدم الدنيا وارتفع عن عالم البشر إلى تحله سدرة المنتهى ، إلى عالم النور الذي يعبر عنه بقاب قوسين أو أدنى

لقد انعم في عالم النور الذي لم يعمس فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

ولقد جاهد اجتماعاً سرّاً بالمعروف ناهياً عن المنكر فأوجد مجتمعاً باع نفسه في سبيل الله ، مجتمعاً مساحياً ، مجتمعاً سادته فيه العصية وكانت فيه كلمة الله هي العليا

ولقد جاهد حربياً ، كما يقول البطل الكبير الإمام علي كذا إذا حمى الوطن ، تنقى برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب للأعداء منه .

لقد ثبت في موقعة أحد لم يخرج عن موضعه وفي موقعة حنين أحد يتعمد حتى تراجع الأبطال وهو لقاتل والذي نصر محمد بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ، ثم أحب ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل !!

صواب الله وسلامه عليك يا سبدي يا رسول الله كلما أشرق النور

وصلوات الله وسلامه عليك وعلى آله وصحبه المعروف والناهي عن المنكر هـ

وصلوات الله وسلامه عليك وعلى آله وصحبه استشهدوا في سبيل الله

« والذى هسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »

فحب رسول الله ﷺ ، مرجعه إلى صفات كريمة سامية عليا ، تمتثل فيه ﷺ ، طيلة حياته ، والآية الكريمة والأحاديث الشريفة التي رويها تدل كلها دلالة صريحة على أنه إذا تعارضت أمور الدين مع المصلحة الشخصية ، أو مع أمور الدنيا ، فإنه حتى يؤمن أن يؤثر أمور الدين على غيرها ، يقول الإمام الرازي : إذ وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين ، وبين جميع مهمات الدنيا وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا

أما بعد : فيقول صاحب الكشف عن الآيه التي صدرنا بها هذا حديث م معناه . وهذه آية شديده لا يرى أشد منها ، كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين ، واضطراب حبل اليقين فيصنف أروع الناس وتقاوم من نفسه ، هل يحد عنه من التصلب في دلت الله ، والنيات على دين الله ما يحبه يؤثر ديه على لأباء والأبء والأخوات والمساكين واماكن وجميع خطوط الدنيا ويحرق منها لأجده ؟ أم أن شيطان يعويه عن أجل حط من خطوط الدين ، فلا يتي كأنما وقع على أنه دباب مصيره . ثم أما بعد : فإن الحب الصادق به ﷺ ، يحثل ، في حقيقته ، في التزم صغاته ، ﷺ ، وعمل على سيادتها في المجتمع .

- ٦ -

يقول الله تعالى ﴿الذين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه مهاينهم ، وأول الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروف ، كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾

هذا هو البيان الإلهي في ما يتعلق بصفة المؤمنين برسول الله ﷺ أنه أحق بهم من أنفسهم : سواء وجدوا في زمنه أم وجدوا بعد ربه

من راحبهم لمروص عليهم أن يقدوه في شخصه ، وفي تعاليمه سواء كانت أحوالاً أم أحوالاً أثرت عنه ، أم أفعالا بين بها الدين بأنفسهم ، وبكل ما يمكن وطاعته مضممة على طاعة أنفسهم ، في كل أمر من أمور الدين والدنيا

هذا هو الإعلان الإلهي ، والبيان الرباني تبعه من أضاء الله قلبه بهور لإيمان ، ويحرف عنه من ليس له في الهداية نصيب

ولقد بين الله هذا المعنى في القرآن ، في غير موضع ، فقد جعل سبحانه طاعة الرسول من طاعته : فقال : ﴿ مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

ولقد نهى سبحانه ، الإيمانَ عن لا يُسَمَّ إلى الرسول سلباً لا حرج فيه ولا تردد ، في كل ما يهيج نفسه من أمر ، وفي كل ما يثور فيه وير غير من خلاف
﴿ فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَكُونُوا فِيما شَجَرٌ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

والتحكيم إذا كان للرسول ﷺ في حال حياته ، فإنه لستة وتعاليمه ، بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ..

ولقد حفظت هذه السنة وهذه التعاليم ، بصورة لا ريب فيها ، حتى إنه ليتمكن أن يقال إن الرسول ﷺ ، لم يموت ، وإنما هو بين أظهرنا يعطر أريجته الركي الأرجاء
إنه ﷺ ، حتى في أقواله وأفعاله وأحواله بقود من اتبع هديه والقرم سنته ، إلى مراديس انحطود

والله سبحانه وتعالى ، يذهب في هذه الأولوية إلى أبعد الحدود ، فيس أنه ﷺ ، حتى بهم من أنفسهم ، ومن كل ما يحب إليهم بصلة حتى في الحب

وندى على ذلك ويسجده ، هو الله سبحانه وتعالى . الذي قرنه بنفسه في هذه الأولوية فقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْرَبْتُمُوهُ وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

٧

ورسول الله ﷺ ، هو القدوة الحسنة . إنه الأسوة الحسنة في أفعاله ؛ وأفعاله ؛ وأحواله يقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (١)

ويقول الشيخ الصاوي في شرحه على تفسير الحلالين الاقتداء برسول الله صلى الله

عليه وسلم وجب في الأقوال والأفعال والأحوال ، لأنه لا يطق ولا يفعل عن هوى من جميع أفعاله ، وأقواله ، وأحواله عن ربه . ولد قال العارف

وخصلتك بأحدى من كل أسر قدست تشاء إلا ما يشاء الله اهـ

والله سبحانه وتعالى يقول في سورة سجم ، مؤكداً ما يقول ، بل ومقسماً عليه ﴿ ولستم إذا هوى ، ما صلت صاحبكم وما عوى ، وما ينطق عن الهوى ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾

وإذا كان الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجباً ، فإن له شروطاً لا يتأتى الاقتداء الصحيح إلا بتحقيقها ، وقد ذكرت الآية الكريمة هذه الشروط

والشروط الأولى منها . أن يرجو الإنسان الله سبحانه وتعالى ، ورحاء الله تعالى قد حسده الله سبحانه في القرآن الكريم بقوله ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾

إذ العمل الصالح وعدم الشرك في العبادة ، أمران لا زلزال كل يرجو لقاء الله بصدق .

ويقول الإمام ابن كثير في ذلك وهذا ركنا لعمل مستقبل لا بد أن يكون حاضراً لله ، صواباً على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن طبري قال قال رجل برسول الله ، إني أقف مواقف أريد وجه الله ، وأحب أن يرى موصي ، فم يره عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى برلت هذه الآية . ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ ورحاء اليوم الآخر ، هو الشرط الثاني للتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم - إنما يتمثل في العمل هذا اليوم ، حتى يبقى الله فيه وهو عنه راض

ويصف الله سبحانه ، الذين لا يرجون لقاءه ، ولا يرجون اليوم الآخر ، فيقول ﴿ إِنْ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾

وبعد ، فإن لشرط الأخير في الوصول إلى التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو الذكر الكثير . ولقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً : أن شرائع الإسلام كثرت عني ، فأخبرني بشيء أتشبث به : فقال صلى الله عليه وسلم لا يزال فوك رطباً من ذكر الله .

والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا نَبِحُونَ﴾

٨ -

في مقام الرسول صلى الله عليه وسلم في الآخرة ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا محصر)

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم رضى الله عنهما - قال (أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم دأ ؟) يجمع الله الأوير والآخرين في صعيد واحد ، فيظفرهم بالظفر ، ويسمعهم الداعي ، وتلمو منهم الشمس ، فيبع الناس من العم وانكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس . ألا ترون ما أنتم فيه إلام بعكم ؟ ! ألا تطرون من يشمع لكم إلى ربكم ؟ ! فيقول بعض الناس لبعض أبوكم آدم ، فيأتونه فيقولون يا آدم . أنت أبو البشر : خلقتك الله هذه ، وبعث إليك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك . وأسكنك الجنة . ألا تشمع بى ربك ؟ ! ألا ترى إلا ما نحن فيه وما بعنا ؟ فقال إن ربي عصب عصباً لم يعصب قبله مثله ، ولا يعصب بعده مثله . وأنه بهانى عن الشجرة فعصب ، نفسى نفسى نفسى ، اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى روح نباتون نوحاً ، فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً ألا ترى ما نحن فيه ؟ ! ألا ترى ما يلعب ؟ !

ألا تشمع لنا إلى ربك ، فيقول إن ربي عصب اليوم عصباً لم يعصب قبله مثله ، ولن يعصب بعده مثله ، وأنه قد كاتبى دعوة دعوت بها على قوسى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى إبراهيم ، فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت سبي الله وحليفه من أهل الأرض ، اشمع لى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم ألا إن ربي قد عصب اليوم عصباً لم يعصب قبله مثله ، ولن يعصب بعده مثله ، وفى كتب ثلاث كذاب ، نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى موسى ، فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فصلىك برسالاته وبكلامه على الناس ، اسمع بى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول إن ربي قد عصب اليوم عصباً لم يعصب قبله مثله ، ولن يعصب بعده مثله ، وأنه قد كتبت نفساً لم أوامر بقتلها ، نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى ، اذهبوا إلى عيسى ، فيأتون عيسى ، فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلعنه ألقاه إلى مريم وروح منه ، وكنمت الناس بى المهدي ، اشمع بى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ فيقول عيسى إن ربي قد عصب اليوم عصباً لم يعصب قبله مثله ، ولن يعصب بعده مثله ، وم

يذكر ديناً ، نفسي نفسي . نفسي . اذهبوا إلى عيسى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي رواية (فيأتوني ، فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وحاتم الأنبياء وقد عصف الله لك ما تقدم من ذلك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ؟ فانطلق فأتى تحت العرش ؟ فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله عني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يصحه على أحد قبل ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فأرفع رأسي فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب . ثم قال والذي نفسي بيده ، إن ما بين لمصرعين من مصارع الجنة كما بين مكة وهجر . أو كما بين مكة وبصرى »

وبعد فإننا نختم هذا الكتاب بالآيات القرآنية الشريفة التالية

﴿ هو لدى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لهم صلال ميin وأحرى منهم لما يحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فصل الله يوتييه من يشاء والله ذو فضل العظيم ﴾ (١)

(تم بحمد الله تعالى)

فهرس لكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٧ - ٥
الفصل الأول : صورة رسول الله ﷺ	٣٤ - ٩
الفصل الثاني : دلائل النبوة في سبه ﷺ	٤٦ - ٣٥
الفصل الثالث : دلائل النبوة قبل البعثة	٥٦ - ٤٧
دلائل النبوة في أخلاقه ﷺ قبل البعثة	٥٦ - ٤٩
الفصل الرابع : الرسالة أسباب وبواعث وأهداف وغايات	٨٦ - ٥٧
البعثة العامة - بواعث وأهداف - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - إنما أنا رحمة مهداة - يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم - منزلة العلم في الإسلام - ورضيت لكم الإسلام ديناً .	
الفصل الخامس : البيعة	١١٣ - ٨٧
البيعة - أول عقد من عقود البيعة - أهدنا الصراط المستقيم - الرسول ﷺ والتوحيد - التوحيد والشجاعة الأدبية .	
الفصل السادس : الهجرة	١٤٨ - ١١٥
الهجرة - هي العار : هجرة من راويه أخرى - الهجرة إلى الله - جهاد في سبيل الدعوة - إشارة إلى الحج : أول من هاجر - المهاجرون إلى الحبشة والنجاشي - العودة إلى الحبشة - من مقدمات الهجرة إلى المدينة - الرعيل الأول - الرعيل الثاني - هجرة أبي سلمة وروجه - أول من قدم المدينة من المهاجرين - هجرة الرسول ﷺ ومقدماتها - أبو جهل يصرب أسماء بنت أبي بكر - أبو بكر رضي الله عنه يتحدث عن الهجرة - خروج الرسول ﷺ من الغار الوصول إلى المدينة - المسجد النبوي - الخطبة الأولى الخطبة الثانية - المدينة	

الفصل السابع : المعجزات ١٤٩ - ١٧٥

المعجزات - القرآن أعظم معجزة - إعجاز القرآن - موقف حبة
- القرآن والطفيل ابن عمر - القرآن أعظم معجزة

الفصل الثامن : المعجزات الأخرى ١٧٧ - ١٩٦

عناية الله - استجابة الدعاء - الإنباء بالغيب - إيواء المرضى -
تكاثر الماء - البركة في الطعام - حنين الجذع .

الفصل التاسع : دلائل النبوة في معجزة الإسراء والمعراج ١٩٧ - ٢٣٨

الإسراء والمعراج - منهج الحياة الذي رسمته أنباء الإسراء والمعراج -
النبوة - الغاية في منهج الحياة - ما بين البدء والغاية - الجهاد -
حياة الأنبياء والشهداء بعد الموت - الصلاة - الزكاة - الصدقة -
الزهد - الثبات على العقيدة - الرموز الخاصة باللسان - آلام
الجوارح - الوصول إلى بيت المقدس - عند سلمة المنتهى - إذ
يغشى السدرة ما يغشى - المشاهدة .

الفصل العاشر : طرق في إثبات النبوة ٢٣٩ - ٢٨١

طرق في إثبات النبوة - الإمام الغزالي وإثبات النبوة - ابن خلدون
وإثبات النبوة - إسلام خديجة رضي الله عنها - ورقة بن نوفل -
اقرأ الإخلاص - أبو بكر رضي الله عنه - أبو ذر الغفاري - قصة
ضحاح - النجاشي - عمر بن الخطاب - عبد الله بن مسعود -
زيد بن سعدة وعلامات النبوة - سلمان الفارسي .

الفصل الحادي عشر : مواقف ٢٨٢ - ٣٠٥

الجهار بالدعوة - الاستمرار في الدعوة - الرسول ﷺ في الطائف
- فاطمة رضي الله عنها - في سفر الخندق - الله المانع - ابن
مظعون يؤثر جوار الله - أبو بكر رضي الله عنه وابن الدغنة - بلال
رضي الله - أول صحابي جهر بالقرآن - إسلام عمرو بن عيسى -
إسلام خالد بن سعيد - حمزة بن عبد المطلب - هجرة صهيب -
هجرة عمر وقصة عياش معه - الوليد بن الوليد وعياش وهشام -

آل ياسر - الزبيدة - النضر بن الحارث - يسمعون القرآن
مستخفين - سينم الله أمر دينه - هجرة مصعب بن عمير - إسلام
سعد بن معاذ وأسيد بن حضير - إسلام عمرو بن العاص رضي الله
عنه - من حكماء العرب أكنم بن صفي

الفصل الثاني عشر : مواقف لبعض الغربيين ٣٠٧ - ٣٢١

برناردشو يكرم نبي الإسلام - تولستوى - يقول بعض الأناضل -
يقول الأستاذ الندوى - يقول صاحب الرسالة الحمدي .

الفصل الثالث عشر : محمد ﷺ بشراً ... رسولاً ٣٢٢ - ٣٨٠

محمد الرسول البشر - من صفاته - المسئولية - مواقف الصحابة
من الرسول ﷺ - أدب الغلمان - ازدادت الحجة في الآثار النبوية
- النصوص لا تعادل - النبي العابد - الصلاة - الصيام - ومن
المبادء المذكور - يقول الأستاذ الندوى - النبي المجاهد - الجهاد -
مواقف في غزوة بدر - موقف لبن عمر - الشيوخ في المعركة -
غزوة أحد والثقة في نصر الله - بعض من أصابهم القرع أبعد ربح
الجنة - الله العزة ورسوله - بين الأبهة والبنوة - عفو القادر -
التبرع بالمال بعد النفس - وإن كان عمرا - إنها عمة الرسول ﷺ
- اللهم أخبر عنا نبيك .

الفصل الرابع عشر : الخاتمة ٣٨١ - ٤٠٠

من توجيهات القرآن - يوم كله لطلحة - الجنة - غسله الملائكة -
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - خطاب الرسول - تكريم
للرسول - حب الرسول - ولاء الرسول - القدوة الحسنة - مقام
الرسول ﷺ .

١٩٩٨/١٩٩٨	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5549-1	الترقيم الدولي

١/٩٠/٢١٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج ٠ ٢٠ ع ٠)



يَعُدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم
عبدود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي
والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي
التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة
العربية بأهميات الكتب بين تحقيق وتأليف
وترجمة ، فسها دراساته الفجة عن الإمام الغزالي
وكتابه ، المنقذ من الضلال ، ، و ، دلائل
السورة ، ، و ، القرآن في شهر القرآن ، إلى
جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور
الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم
عبدود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ونقطة
الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين
قبل المؤيدين ، إلى جانب اللياقة والدراية الكاملة
في عرض أي موضوع أو مسألة تتعلق بأمر
الدين ، وأيضاً يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب
والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة
اللغوية قل هذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام
كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع
العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على
مر العصور .



دار المعارف

٠٣٦٦٨٤/٠١



تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

